فلسطين في عهد المماليك

من أواسط القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي
إلى مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي



الدكتور سهيل زكار

• من مواليد حماة ١٩٣٦.

• حصل على إجازة بالتاريخ من جامعة دمشق (١٩٦٣)، وعلى شهادة الدكتوراه بالتاريخ الإسلامي من جامعة لندن (١٩٦٩).

• تولى التدريس في كلية الآداب في جامعة دمشق وفي كل من الجامعة اللبنانية في بيروت وجامعة محمد بن عبد الله وجامعة القرويين في فاس وجامعة قسنطينة في الجزائر. يقوم الآن بالتدريس في كلية الآداب في جامعة دمشق وهو رئيس قسم التاريخ فيها.

• صدر له حوالي خمسين كتاباً ما بين مؤلف ومترجم ومحقق. وآخر ما صدر: جناح: مؤسس باكستان؛ يهود في الحياة السياسية والاقتصادية لإسلام العصور الوسطى. وله قيد الطباعة ــ في بيروت: المغازي والفتوح (١٠ أجزاء)؛ تاريخ وليم الصوري (٤ أجزاء). وفي دمشق: الجامع في أخبار القرامطة (جزءان)؛ بغية الطلب في تاريخ حلب (١١ جزءاً).

فلسطين في عهد المماليك

من أواسط القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي
إلى مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

الدكتور سهيل زكار

- من مواليد حماة ١٩٣٦.

- حصل على إجازة بالتاريخ من جامعة دمشق (١٩٦٣)، وعلى شهادة الدكتوراه بالتاريخ الإسلامي من جامعة لندن (١٩٦٩).

- تولى التدريس في كلية الآداب في جامعة دمشق وفي كل من الجامعة اللبنانية في بيروت وجامعة محمد بن عبد الله وجامعة القرويين في فاس وجامعة قسنطينة في الجزائر. يقوم الآن بالتدريس في كلية الآداب في جامعة دمشق وهو رئيس قسم التاريخ فيها.

- صدر له حوالي خمسين كتاباً ما بين مؤلف ومترجم ومحقق. وآخر ما صدر: **جناح: مؤسس باكستان؛ يهود في الحياة السياسية والاقتصادية لإسلام العصور الوسطى**. وله قيد الطباعة ــ في بيروت: **المغازي والفتوح** (١٠ أجزاء)؛ **تاريخ وليم الصوري** (٤ أجزاء). وفي دمشق: **الجامع في أخبار القرامطة** (جزءان)؛ **بغية الطلب في تاريخ حلب** (١١ جزءاً).

المحتويات

المقدمـــة

يلاحظ مستعرض الحركة الثقافية التي عرفتها فلسطين في العصر المملوكي ضعف الجانب التأريخي فيها بشكل عام، ذلك أن قلة من أهل فلسطين هم الذين كتبوا بالتاريخ وعدد الذين اهتموا منهم بالتأريخ لجزء من أجزاء فلسطين ضئيل جداً، ومع ذلـك، إن المعلومات التي أوردوهـا تعـد ثمينـة لا يمكن الاستغناء عنها.

وباستثناء المصادر الفلسطينية نجد أن أخبار فلسطين في العصر المملوكي متناثرة داخل مصادر هذا العصر بشكل عام من كتب تاريخ وتراجم وكتب إدارة وجغرافيا.

ويتصدر المصادر الفلسطينية كتاب **تاريخ صفد** للقاضي صدر الدين محمد بن عبد الرحمن العثماني (ـ ٧٨٠هـ/١٣٧٨م) وتم العثور على قطعة منه فيها حديث عن أعمال صفد الرئيسية وبعض قراها ومحاصيلها وإشارات عَرَضية للسكان والأوقاف، ونشر هذه القطعة المستشرق برنارد لويس Bernard Lewis في مجلة معهد الدراسات الآسيوية والافريقية[١].

وأعلى أهمية منه وأكثر فائدة كتاب **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** تأليف قاضي القضاة أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي (٨٦٠ ـ ٩٢٨هـ / ١٤٥٦ ـ ١٥٢٢م)، ويحتوي هذا الكتاب على معلومات لا مثيل لها حول القدس ثم الخليل، فالتراجم الواردة فيه عددها كبير جداً ووصفه لمدارس القدس ومنشآتها عامة، هي المعول عليه، واعتماداً على هذا الكتاب الموسوعي يمكن تلمس ملامح ظهور الشخصية الفلسطينية وتكوّنها حول القدس من كافة الجوانب، وأية محاولة للتأريخ لفلسطين والمدينة المقدسة لا تعتمد على ما جاء في هذا الكتاب هي محاولة مخفقة[٢].

ومن غير أهل فلسطين من الشاميين نلاحظ أن عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد، أبو عبد الله الأنصاري الحلبي قد عاصر قيام دولة المماليك. فقد ولد في حلب سنة ٦١٣هـ / ١٢١٧م وعاش فيها حتى كان الغزو المغولي، فهرب منها وتوجه إلى مصر والتحق بخدمة السلطان الظاهر بيبرس، وظل في مصر حتى توفي سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م.

كان ابن شداد مؤرخاً وجغرافياً صنف عدة كتب أهمها كتاب **الأعلاق الخطيرة**. ونظراً لغلبة الطابع الجغرافي عليه سيتم تناوله بين الكتب الجغرافية، وسنشير هنا إلى كتابه الذي أرخ به لحياة السلطان الظاهر بيبرس وعصره، فهذا الكتاب أهم مصدر في بابه حوى من تفاصيل الأخبار ودقتها ما لا نجده عند غيره، لكن لسوء الحظ ان ما وصلنا منه يشكل قطعة صغيرة من آخر الكتاب، وتحتوي هذه القطعة على مواد ثمينة استثمرت في مكانها خلال الدراسة[٣].

ولا يقل مكانة عن ابن شداد القاضي محيي الدين عبد الله بن رشيد بن عبد الظاهر (٦٢٠ ـ ٦٩٢هـ / ١٢٢٣ ـ ١٢٩٢م) فقد كان كاتباً في ديوان الإنشاء في القاهرة عندما تولى السلطنة الظاهر بيبرس، وقد عاصر ابن عبد الظاهر قيام السلطنة المملوكية وكان من شهود عيان معركة عين جالوت، وظل طوال عصر بيبرس محتلاً وظيفة كاتب الإنشاء، وتابع ذلك أيام السلطان المنصور قلاوون، ثم ابنه من بعده الأشرف خليل.

دوَّن ابن عبد الظاهر سيرة كل واحد من هؤلاء السلاطين الثلاثة في كتاب منفرد، هي على التوالي: **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** و **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور** و **الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية**. وقد أوْدع في هذه الكتب من المعلومات ما لا نجده لدى مؤرخ آخر.

على أنه يلاحظ أن كتاب **الروض الزاهر** هو الوحيد بين الثلاثة الذي وصلنا كاملاً، وعلى الرغم من ذلك فإن ما جاء في الكتب الثلاثة هو تأريخ لعصر غني بالأحداث، معتمد بشكل خاص بالنسبة للأعمال التي استهدفت تصفية الوجود الصليبي

في فلسطين وبلاد الشام وتحرير كامل الأرض والتصدي في الوقت نفسه للخطر المغولي والأخطار القادمة من آسيا الصغرى[٤].

ويحتوي كتاب **ذيل مرآة الزمان** لقطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد اليونيني البعلبكي (ـ ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) على مواد غنية جداً حول الفترات المبكرة من العصر المملوكي ولا سيما حول أحوال بلاد الشام بشكل عام، وعلى الرغم من أن هذه المواد قد عرضت بشكل مشوش بعض الشيء، فإن ما ورد خلال أخبار الحوليات وفي ثنايا تراجم الوفيات ثمين جداً تمت الإفادة منه في عدة أماكن من الدراسة[٥].

وكان المماليك قد قاموا إثر استيلائهم على بلاد الشام بتصفية جميع الدويلات الأيوبية في هذه البلاد باستثناء مملكة حماة الأيوبية التي عاشت فترة طويلة، وكان أبرز الأيوبيين الذين حكموها في العصر المملوكي أبو الفداء إسماعيل بن علي (٦٧٢ ـ ٧٣٢هـ / ١٢٧٣ ـ ١٣٣٢م). وأبو الفداء صاحب شهرة واسعة نبعت من إسهاماته في ميداني علم التاريخ والجغرافيا عند العرب، فقد خلف لنا بالتاريخ كتابه **المختصر في أخبار البشر** واسم كتابه الذي عنى به بالجغرافيا **تقويم البلدان** وسيشار إليه بين كتب الجغرافيا.

وبالنسبة لكتاب **المختصر في أخبار البشر** نلاحظ أن المواد الإخبارية للأحداث التي شهدها أبو الفداء أو شارك بها ذات قيمة، وما عدا ذلك نقله من مصادر معروفة ذلك أنه اختصر مواد ابن الأثير صاحب **الكامل في التاريخ**.

وكان أبو الفداء شاهد عيان ومشاركاً في معارك التحرير في فلسطين وقد تمت الإفادة مما رواه في ثنايا الدراسة[٦].

ويعتبر الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ / ١٢٧٤ ـ ١٣٤٧م) أشهر مؤرخي العصر المملوكي قاطبة وأغزرهم إنتاجاً، وقد اشتهر كمحدث أيضاً، وكان أهم ما كتبه في التاريخ كتاب **تاريخ الإسلام** واستخرج من هذا الكتاب عدة كتب مع شيء من الإضافات وطبع من هذا الكتاب بعض الأجزاء فقط، وهنالك أكثر من محاولة للنشر، وأودع الذهبي جل المواد الإخبارية الواردة في كتابه الكبير في كتاب سماه **دول الإسلام** وقد تمت الإفادة من هذا الكتاب في عدة أماكن من الدراسة لكن بشكل محدود بعض الشيء[٧].

وكان ابن الأثير علي بن محمد الجزري حين اعتبر كتابه كاملاً في التاريخ، فعل ذلك على أساس اختصاره لـ **تاريخ الطبري** وإكماله حتى عصره مع بعض الاستدراكات. وقام أبو الفداء باختصار كتاب **الكامل** وإكماله حتى أيامه، وبعد وفاة أبي الفداء جاء ابن الوردي عمر بن مظفر بن عمر المعري (٦٩١ ـ ٧٤٩هـ / ١٢٩٢ ـ ١٣٤٩م) فاختصر كتاب أبي الفداء وأكمله بعنوان **تتمة المختصر في أخبار البشر**.

وكان ابن الوردي شاعراً أديباً وفقيهاً تولى القضاء بمنبج وتوفي بحلب وقد صنف عدة كتب في التصوف والأدب والنحو وغير ذلك، وقد تمت لنا العودة إلى كتابه **تتمة المختصر** والإفادة من بعض مواده[٨].

ويعتبر كتاب **البداية والنهاية** لابن كثير من أشهر كتب تاريخ الإسلام العامة وأهمها. ويحتوي هذا الكتاب على مواد غنية عن العصر المملوكي، ذلك أن ابن كثير عماد الدين إسماعيل القرشي (ـ ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) كان عاش في دمشق المملوكية وشهد الكثير من الأحداث، كما أنه نقل عمن تقدمه من المؤرخين، فقد نقل محتويات كتاب تاريخ البرزالي (ـ ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) المعروف باسم **المقتفي على تاريخ أبي شامة**.

وقد قلل من مكانة مواد ابن كثير أن مصادره باتت متوفرة، ومع ذلك فإن نوع الاختيار والاقتباس مع ما دوّنه من أخبار عصره أمور لها مكانتها، ولهذا جرت العودة إلى ابن كثير والنقل عنه والاقتباس في عدة أماكن[٩].

ومثلما نبغ في بلاد الشام عدد كبير من المؤرخين شهدت مصر إقدام عدد من العلماء على التصنيف بالتأريخ العام بشكل حولي أو بالتأريخ الخاص، وكان من هؤلاء الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب (ـ ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) وقد صنف ابن حبيب عدة كتب أوقفها على أخبار المماليك الأوائل كان منها كتاب **درة الأسلاك** ثم كتاب **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه** ولقد تمكنت من الوقوف على صورة نسخة مخطوطة عن الكتاب الأول، وكانت هذه النسخة في غاية السوء، لذلك لم أستفد منها، أما الكتاب الآخر فقد نشر منه جزءان في القاهرة، وهو وإن حوى بعض المواد الإخبارية المفيدة، فقد كانت درجة الإفادة من الكتاب بشكل عام محدودة لغلبة الطابع الأدبي والصنعة عليه[١٠].

ويعتبر ابن الفرات المصري ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ـ ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م) من أعظم المؤرخين المصريين في العصر المملوكي، ذلك أنه وفر لنا بكتابه **تاريخ الدول والملوك** مواد ثمينة تعلقت بعدد كبير من الأحداث السياسية والعسكرية

التي شهدتها فلسطين لا سيما أثناء التصدي للغزو المغولي وخلال أعمال التحرير وتصفية الوجود الصليبي في المشرق.

لقد وصلنا بعض مصادر ابن الفرات، وبعضها الآخر لم يصلنا. أضف إلى هذا أنه عاصر أحداثاً جمة فدوّن أخبارها كما وصلت بشكل رسمي إلى دوائر الدولة في القاهرة. وقد جرى اعتماد تاريخ ابن الفرات والإفادة منه في أماكن متعددة من الدراسة[١١].

وكان ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ـ ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) من المؤرخين الذين أمضوا شطراً من حياتهم في مصر والشام أيضاً، وابن خلدون أشهر من أن يعرَّف، وشهرته نابعة مما جاء في مقدمة كتابه في التاريخ بعنوان **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**.

والذي يهمنا هنا هو ليس المقدمة ولا محتويات كتاب التاريخ بشكل عام، بل أن نبين أن ابن خلدون قد أورد أخبار بعض حوادث الفترة المملوكية المبكرة بشكل مختصر، كما أنه أسهب في تفاصيل أخبار الأحداث التي عاصرها، وتعلق جلها بقيام دولة المماليك الثانية تحت حكم الشراكسة وبحملات تيمورلنك ضد بلاد الشام.

لقد شهدت أرض فلسطين عدة أحداث من وقائع الصراع المملوكي الداخلي، كما أن ابن خلدون كان داخل دمشق لدى حصار تيمور لها، وقد اجتمع بتيمور وتحدث عن اجتماعه به في كتاب آخر من كتبه هو **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً**. وقد تمت العودة إلى كتابي ابن خلدون والإفادة منهما في أماكن عدة من الدراسة[١٢].

وكان ابن خلدون صاحب مدرسة تاريخية واسعة التأثير، وكان ممن تأثر به بشكل كبير المقريزي مؤرخ مصر الإسلامية، ونظراً للمكانة الكبيرة لهذا المؤرخ، ولكونه قدم أهم ما صنف بأخبار الدولة المملوكية يستحق أن نقف عنده أكثر من سواه ونوليه المزيد من العناية.

والمقريزي هو تقي الدين أحمد بن علي، ولد في القاهرة سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٥م من أسرة تنتمي بالأصل إلى بلدة بعلبك وكانت تقطن في حي من أحياء البلدة عرف باسم حي المقارزة، زالت الآن معالمه ولم يعد أحد يعرفه.

نشأ المقريزي في كنف جده لأمه، ويعرف بابن الصائغ، وكان من علماء الحنفية، لهذا تأثر الحفيد بالجد، فكان حنفياً حتى بلغ الشباب فتحول آنذاك إلى المذهب الشافعي.

حصل المقريزي على ثقافة عالية والتحق بعدد من الوظائف السامية، كما قام بزيارة عدد من بلدان العرب خاصة مكة ودمشق حيث أقام في كل منهما فترة طويلة، وقد انتهت حياته بالقاهرة سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م.

وكان المقريزي غزير الإنتاج وخاصة في ميادين التاريخ، ويمكن تصنيف إنتاجه في هذا الباب إلى قسمين: المؤلفات الكبيرة، والرسائل الصغيرة. وقد أوقف مؤلفاته الكبيرة إما على موضوع من مواضيع التاريخ الإسلامي العام، أو على تاريخ مصر الإسلامية السياسي والعمراني، عبر عدة مراحل أولها منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام حكم الخلافة الفاطمية، وثانيهما تاريخ هذه الخلافة حتى سقوطها، وثالثها ـ وهو ما يهمنا ـ منذ نهاية العصر الفاطمي وحتى أيامه في العصر المملوكي.

أما الرسائل الصغيرة فقد عالج فيها المقريزي عدداً من المواضيع الهامة للغاية، ارتبط معظمها بمشاكل العصر المملوكي، وفي هذه الرسائل تظهر أصالة المقريزي وعبقريته العظيمة وكان بين الرسائل التي تمت العودة إليها:

١ ـ **الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك**.
٢ ـ **شذور العقود في ذكر النقود**.
٣ ـ **إغاثة الأمة بكشف الغمة**.
٤ ـ **البيان والإعراب فيمن نزل أرض مصر من الأعراب**.

لسنا بحاجة للحديث عن مصنَّفات المقريزي الكبيرة باستثناء كتابه **السلوك**، وقد أوقف المقريزي هذا الكتاب على التاريخ المملوكي مقدماً له بأخبار الأيوبيين، ويعد هذا الكتاب العملاق المصدر الأساسي الذي لا يستغنى عنه في التاريخ المملوكي، ولحسن الحظ تم نشره الآن كاملاً في اثني عشر مجلداً كبيراً، وكانت الإفادة منه في ثنايا هذه الدراسة كبيرة جداً.

وما دمنا بصدد الحديث عن المقريزي من المفيد أن نشير إلى كتابه الذي وضعه حول خطط القاهرة بعنوان **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** لأنه أساسي في التاريخ العمراني لهذه المدينة ولأصولها الإسلامية: قطائع أحمد بن طولون وفسطاط عمرو بن العاص، وأن نشير إلى أن المقريزي شرع قبل وفاته بتصنيف كتاب على غرار **تاريخ دمشق** لابن عساكر أراد أن يؤرخ به لمصر

والواردين إليها، وأراد أن يأتي كتابه هذا بثمانين مجلداً مثل كتاب ابن عساكر وقد دعاه باسم **المقفى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليها**. وقد لحق المقريزي بربه قبل أن يتاح له إكمال مشروعه الكبير هذا الذي بوّبه حسب حروف المعجم وقد قيل إنه كتب منه ستة عشر مجلداً قبل أن يتوفى.

لا ندري مدى صحة هذه الرواية، وفي الوقت نفسه لا ندري حجم المجلد لدى المقريزي، والذي أعرفه الآن هو أنني وقفت على خمس مجلدات كبيرة من هذا الكتاب هي لدي مصورة، أربعة منها بخط المقريزي، وهي جميعاً موزعة على مكتبات: ليدن وباريس واستانبول، وتحتوي هذه المجلدات مواد ثمينة جداً تحتاج إلى جهود طويلة لاستثمارها وحسن الإفادة منها(١٣).

وفي بلاد الشام كان ابن قاضي شهبة أبو بكر أحمد الأسدي الدمشقي (٧٧٩ ــ ٨٥١هـ / ١٣٧٧ ــ ١٤٤٨م) أعظم مؤرخيها أيام المقريزي، وقد كتب تاريخاً كبيراً ذيّل به على تاريخ ابن كثير **البداية والنهاية** ثم اختصر هذا التاريخ، وكان حجم هذا **المختصر** كبيراً نشر منه محققاً الجزء الثالث، وهناك آمال بنشر بقية أجزاء الكتاب. وفي هذا الكتاب معلومات شامية غنية تعزز ما أورده المقريزي وتزيد في كثير من الحالات والتفاصيل وقد تمت الإفادة منها خلال الدراسة(١٤).

إن ضخامة الإنتاج التاريخي في القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر ميلادي وجودته تلفتان الانتباه وهما ظاهرة جديرة بالدراسة من كافة الجوانب للتعرف إلى ذلك العصر، فيما إذا كان حقاً عصر انحطاط ــ كما يدعى عادة ــ أم عصر تفتح وتحولات كبيرة؟

ولقد كان من بين كبار مؤرخي هذا العصر ابن حجر العسقلاني، وهو أحمد بن علي بن حجر الشافعي العسقلاني الأصل، المصري المولد، القاهري الدار والنشأة (٧٧٣ ــ ٨٥٢هـ / ١٣٧٢ ــ ١٤٤٨م)، وقد اختلف ابن حجر إلى المعلمين والشيوخ وعني بالدرجة الأولى بدراسة الحديث ورجاله، ودرس الفقه واللغة والحساب ونال قسطاً وافياً من علوم عصره.

كان ابن حجر غزير الإنتاج جيّده، وكان الحديث ورجاله ميدان عمله الأساسي، ومع الحديث كتب في التاريخ والتراجم، وكتابه **إنباء الغمر بأبناء العمر** أهم كتبه التاريخية. وسنشير إلى ما كتبه في ميدان التراجم عند الحديث عن هذا النوع من المصنفات.

تولى ابن حجر عدداً من المناصب العالية وكانت له صلات شخصية ببعض السلاطين كما كان من أصحاب الرحلة في تتبع الأخبار داخل مصر وخارجها في الشام والحجاز واليمن، وأتاح له هذا كله ما لم يتح لغيره فاطلع على معلومات عجز معاصروه عن الوصول إليها، وقد أودع هذا كله كتابه **إنباء الغمر** وكتب التراجم، وبعد مقارنة عرضية بين مواده ومواد معاصريه من المؤرخين يظهر فضله بجلاء(١٥).

وفي القرن التاسع / الخامس عشر صنف أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ــ ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) موسوعته التاريخية الكبيرة **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**.

وأبو المحاسن من أصل مملوكي، فقد كان والده أتابكاً للعساكر بمصر ثم كافلاً للمملكة الشامية، وقد أتاح هذا له فرصة الاطلاع على كثير من تفاصيل أخبار عصره السياسية والإدارية والعمرانية، ومن هذا الباب جاء الكتاب مفيداً، وقد تمت العودة إليه مراراً(١٦).

واستمرت حركة التأريخ نشطة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وأهم المؤرخين الذين تمت الإفادة من مصنفاتهم هم: علي بن داود بن الصيرفي المعروف بالخطيب الجوهري (ــ ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) ومحمد بن أحمد بن إياس (ــ ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ومحمد بن طولون الصالحي (ــ ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م).

صنف ابن الصيرفي كتاب **نزهة النفوس والأبدان في تاريخ الزمان** وصنف ابن اياس **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. أما ابن طولون فقد صنف الكثير من الكتب الهامة منها **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان وإعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، وهذه الكتب مفيدة جداً في التأريخ لأواخر العصر المملوكي ويمكن أن نضيف إليها كتاب **التبر المسبوك في ذيل السلوك** للسخاوي(١٧).

وشكلت الكتب المذكورة في أعلاه بعض أهم التواريخ العامة للعصر المملوكي، وجاءت المعلومات فيها عن فلسطين عرضية وبشكل غير مباشر في كثير من الأحيان بدون تفاصيل وافية بالغرض، ويسد هذه الثغرة ويعوض النقص بالمعلومات كتب التراجم وهي كثيرة جداً، سأتناول بالذكر أهمها فقط.

كان أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الأصل الدمشقي (٥٩٩ ــ ٦٦٥هـ / ١٢٠٣ ــ ١٢٦٧م) قد عاصر قيام

دولة المماليك وقد صنف في تاريخ الحروب الصليبية كتاب **الروضتين**، وهو من أشهر الكتب وأهمها وصنع للروضتين ذيلاً ترجم به لرجال القرنين السادس والسابع الهجريين كما دون بعض أخبار الحوادث التي عاصرها وعلى هذا يمكن اعتبار مواده شبه وثائقية، وهي عظيمة الأهمية لا يمكن الاستغناء عنها[١٨].

وكان صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ـ ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) من أبرز العلماء الذين أنجبتهم مدينة صفد، ويعتبر كتابه **الوافي بالوفيات** من أهم كتب التراجم قاطبة، ويحوي هذا الكتاب الكبير تراجم عدد وافر من شخصيات صفد وفلسطين ممن عرفهم المؤلف أو عاصرهم، ونظراً لكثرة رحلاته وتسلمه لعدد من المناصب فقد وقف على عدد من الوثائق الرسمية وأودع ما جاء فيها في كتابه، وهكذا تتضح أهمية هذا المصدر ومكانته، وبالفعل أمكن الإفادة منه في ثنايا الدراسة[١٩].

وقد اهتم المصنفون في العصر المملوكي بكتب التراجم مرتّبة حسب سني وفيات الشخصيات أو حسب حروف المعجم، فالمبدأ الثاني قد اعتمده ابن خلكان في كتابه **وفيات الأعيان** وابن شاكر الكتبي في كتابه **فوات الوفيات** وابن أيبك السالف الذكر، واعتمد المبدأ الأول محمد بن رافع السلامي (٧٠٤ ـ ٧٧٤هـ / ١٣٠٥ ـ ١٣٧٢م) في كتاب حمل اسم **الوفيات** ومادة هذا الكتاب مادة وثائقية غنية واسعة التفاصيل تتعلق بدمشق بالدرجة الأولى ثم ببقية أجزاء بلاد الشام وديار السلطنة المملوكية، ومن هنا تحددت نوعية الإفادة من مواد هذا الكتاب[٢٠].

ولاحظنا قبل قليل أن أبا شامة اهتم بالترجمة لرجال القرنين السادس والسابع الهجريين، وبعده جاء ابن حجر العسقلاني الذي سبق ذكره فصنف كتاب **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ويحتوي هذا المصدر على تراجم عدد كبير من الأعلام الفلسطينيين أو الذين كان لهم علاقة بتاريخ فلسطين في العصر المملوكي، والمعلومات التي تستخلص من هذه التراجم غنية تفيد في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية والعسكرية[٢١].

وسبقت الإشارة إلى أبي المحاسن ابن تغري بردي وكتابه **النجوم الزاهرة**، ولأبي المحاسن كتاب هام جداً بالتراجم هو **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**. وواضح من عنوان الكتاب أنه جاء بمثابة عمل متمم لكتاب الوافي بالوفيات، ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثة آلاف ترجمة فيها مواد تفصيلية في غاية الأهمية[٢٢].

وكان محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ـ ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) من أعظم المؤرخين في أواخر العصر المملوكي وأغزرهم إنتاجاً، فقد ذيّل على كتاب السلوك بكتاب سماه **التبر المسبوك** كما صنّف **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** وهو من أهم كتب التراجم وأوسعها وبالتالي أغزرها مادة ويكمل هذا الكتاب مواد كتاب **الدرر الكامنة**. وهو بما حواه من أخبار كان واحداً من المصادر الأساسية لدراستنا هذه، وتمت العودة إليه في غير مكان[٢٣].

وجاء بعد السخاوي الشيخ نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ـ ١٠٦١هـ / ١٦٥١م) فصنف كتاب **الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة** وقد تضمن هذا الكتاب تراجم عدد كبير من الشخصيات التي عاشت في أواخر العصر المملوكي، ويمكننا اعتباره حلقة متممة لسلسلة كتب تراجم القرون، ومواد هذا الكتاب غنية، تمت العودة إليها والإفادة منها ولا سيما أثناء دراسة الجوانب الثقافية[٢٤].

ويمكن أن نعتبر كتاب **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** لعبد الله بن أسعد اليافعي (ـ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م) من بين الكتب التي غلب عليها طابع التراجم، ويحوي هذا الكتاب بعض المواد المفيدة التي تمت العودة إليها في بعض الأحيان، لكن أهم من **مرآة الجنان** كتاب **شذرات الذهب** لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ـ ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) ذلك أنه من أشهر كتب التراجم والتاريخ فيه مواد غنية ومفيدة، ولهذا تمت العودة إليه والاستفادة منه بقدر الإمكان.

هذا، وتمت الاستفادة من كتاب **تاريخ بيروت** لصالح بن يحيى ومن عدد من كتب البدر العيني ولا سيما: **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي** و **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر** ومن كتاب **البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر محمد بن قايتباي** المنسوب لابن الشحنة، ومن كتاب **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية** لمحمد بن صصرى[٢٥].

والمستعرض لأنواع الكتب التي صنفت خلال العصر المملوكي يلاحظ كثرة الكتب المتعلقة بالإدارة والأمور العسكرية ذات السمة الموسوعية، من ذلك:

كتاب **التعريف بالمصطلح الشريف** تصنيف شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ـ ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).

ويعد هذا الكتاب من أقدم الكتب في بابه، يقدم المعلومات الموثقة حول حدود نيابات فلسطين وسواها مع وصف موجز لأعمال كل نيابة وأهم الوظائف الإدارية فيها[٢٦].

وهذا الكتاب قد اعتمده شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي (ـ ٨٢١هـ / ١٤١٨م) في موسوعته الواسعة الشهرة **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ويحتوي هذا الكتاب على تفاصيل ما أوجزه العمري ويزيد في إعطاء معلومات جغرافية واقتصادية وإدارية هامة جداً، كما أن النصوص الوثائقية الواردة فيه لا يمكن الاستغناء عنها[٢٧].

ويحتوي كتاب **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك** لغرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ـ ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م) على معلومات إدارية شديدة الأهمية حول نيابات فلسطين، فهو يزودنا بمعارف مفيدة حول مراكز البريد وغير ذلك من الإدارات، وهذه المعلومات وثائقية حصل عليها ابن شاهين بفضل تقلده أرفع المناصب، ومن ذلك أتابكية العسكر في صفد سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٩م[٢٨].

ويمكن أن نشير في هذا المقام إلى أهمية كتاب **معيد النعم ومبيد النقم** لتاج الدين عبد الوهاب السبكي (ـ ٧٧١هـ / ١٣٧٠م) وكتاب **التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار** لمحمد بن محمد بن خليل الأسدي من رجال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي لما حوياه من معلومات لها علاقة بالإدارة والحياة الاجتماعية[٢٩].

وأهم منها ما جاء في موسوعة **نهاية الأرب** للنويري. وهو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، عرف بلقب شهاب الدين، وشهر بالنويري نسبة إلى نويرة، وهي قرية من قرى بني سويف في مصر، وكانت ولادته كما هو مرجح سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م وحسب بعض الروايات سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م ذلك أنه توفي سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م وهو من أبناء الخمسين.

نال النويري ثقافة جيدة، ويبدو أنه عمل في الوراقة، بحيث كان ينسخ بخط يده الكتب ويبيعها، حتى انه نسخ صحيح البخاري ثماني مرات، وكان خطه من الجودة والضبط بمكان، وهو يأتي على رأس الموسوعيين العرب، ونال شهرته من خلال تصنيف كتابه **نهاية الأرب في فنون الأدب** وجاء هذا الكتاب في ثلاثين مجلدة كبار.

ولم تنشر أجزاء تاريخ المماليك بعد، لكن الأجزاء المنشورة تحوي معلومات ثمينة لا سيما بالنسبة لأوضاع الفلاحين والإدارة الزراعية في العصر المملوكي[٣٠].

وامتاز العصر المملوكي بكثرة المصنفات التي نشرت فيه حول العلوم العسكرية بشكل عام وخاص، وقد تم نشر بعض هذه المصنفات، لكن جلها ما زال مخطوطاً، ويُعدّ كتاب **نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية** للفارس نجم الدين الأحدب ومن معه من الزملاء أوسع ما صنف في بابه، وكانت الإفادة من هذا الكتاب متعلقة بمسألة الإدارة الحربية لدى المماليك والخطط التي وضعها الظاهر بيبرس أثناء القتال في معركة عين جالوت[٣١].

وتحتوي كتب المكتبة الجغرافية العربية معلومات مفيدة حول فلسطين في العصر المملوكي فقد عاصر المؤرخ والجغرافي ابن شداد الحلبي ظهور الدولة المملوكية، وقدم في كتابه **الأعلاق الخطيرة بذكر أمراء الشام والجزيرة** معلومات مفيدة جداً حول فلسطين[٣٢].

وفضلاً عن كتاب **الأعلاق الخطيرة** يحتوي كتاب **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** لشيخ الربوة محمد ابن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ـ ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م) على معلومات مفيدة فيها وصف لنيابات فلسطين ولأعمالها مع بعض الإشارات المفيدة اجتماعياً وزراعياً[٣٣].

وسبق أن أشرنا إلى أبي الفداء وكتابه **المختصر في أخبار البشر**، وفي الحقيقة ان شهرة أبي الفداء قائمة على إسهاماته الجغرافية أكثر من إسهاماته التاريخية، فكتابه **تقويم البلدان** عد في مقدمة كتب الجغرافيين العرب واعتبر من أشهرها وأهمها، ويحتوي هذا الكتاب على معلومات مفيدة عن فلسطين، لكن غالبية هذه المعلومات استقاها أبو الفداء من مصنفات سابقة تاريخياً، لذلك ينبغي التعامل معها بشيء من الحذر بحيث لا يمكن اعتبارها تمثل عصر أبي الفداء، بل عصور مصادره[٣٤].

وزار فلسطين خلال العصر المملوكي عدد كبير من الرحالة العرب وغير العرب، كان ابن بطوطة أشهرهم على الإطلاق، وابن بطوطة هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي (ـ ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) قام برحلة واسعة انطلق فيها من المغرب أيام المرينيين سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م، وقد زار بلاد الشام ووصف فلسطين وصف شاهد عيان، حيث انه لم ينقل عمن سبقه، ولهذا تعتبر معلوماته في غاية الأهمية، ولا يقلل من مكانتها أن ابن بطوطة أملى أخبار رحلته إملاء، وأنها وصلتنا كما صيغت من قبل واحد من تلاميذه[٣٥].

وكان السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢ ـ ٩٠١هـ / ١٤٦٨ ـ ١٤٩٦م) قد قام سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٨م بجولة تفقدية

في بلاد الشام زار خلالها معظم مناطق فلسطين، وتولى أبو البقاء محمد بن يحيى بن الجيعان (٨٤٧ ــ ٩٠٢هـ / ١٤٤٣ ــ ١٤٩٧م) ــ وكان بصحبة السلطان ــ وصف هذه الجولة بشكل مختصر وذلك في كتاب دعاه **القول المستطرف في سفر مولانا الملك الأشرف** وفي هذا الوصف فوائد إدارية فقد ذكر بعض الموظفين في نيابات فلسطين مع وظائفهم التي شغلوها مما يدل على أن التركيب الإداري ظل طوال العصر المملوكي على حاله[٣٦].

وبما أن وظيفة الحسبة ظلت قائمة خلال العصر المملوكي ولها دورها المتميز فقد شهد هذا العصر تصنيف عدة كتب في أمور الحسبة شهر منها: كتاب الحسبة لابن تيمية الحراني، وكتاب **معالم القربة في أحكام الحسبة** لابن الإخوة القرشي محمد بن محمد بن أحمد (ــ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م) **ونهاية الرتبة في طلب الحسبة** لابن بسام المحتسب. ولئن تميز كتاب ابن تيمية بسمة الإصلاح السياسي فإن الشبه شديد بين محتويات كتابي ابن بسام وابن الإخوة ذلك أنهما اعتمدا اعتماداً مطلقاً على كتاب **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** تصنيف عبد الرحمن بن نصر الشيزري (ــ ٥٨٩هـ / ١١٩٣م).

وتحتوي كتب الحسبة هذه على معلومات مفيدة في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والحرفية، لكن هذه المعلومات عامة ليس فيها شيءٌ محدَّدٌ يتعلق بفلسطين دون سواها من بلدان السلطنة المملوكية[٣٧].

هذا ومن المفيد أن نشير إلى أن مدينة القدس كانت دوماً محط الاهتمام الخاص للعرب والمسلمين، ولذلك كثرت المصنفات حول فضائل هذه المدينة قبل العصر المملوكي وفي أثنائه وبعده، والسمة الدينية البحتة غالبة على هذه الكتب، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على المكانة العلية لهذه المدينة[٣٨].

ويلاحظ أن تاريخ العصر المملوكي قد لاقى عظيم الاهتمام في أوساط الاستشراق وقد تركزت هذه الدراسات على الأمور السياسية والتنظيمية العسكرية بشكل عام، وحين انتقل الاهتمام بهذا التاريخ إلى الباحثين العرب ولا سيما في مصر حافظ هؤلاء الباحثون على هذه الاهتمامات وركّزوها حول مصر إلى حد كبير وحين مدوها إلى الشام جاء ذلك بشكل عابر وغير مركز وبدون تحليل أو تفسير، ويمكن القول إن الدراسات الشاملة حول تاريخ بلاد الشام في العصر المملوكي شبه معدومة[٣٩].

وهناك كتابان نشرا حول آثار بيت المقدس أولهما وأهمهما كتاب **المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي** تأليف عبد الجليل حسن عبد المهدي، وجاء هذا الكتاب في مجلدتين أوقفت الأولى على العصر الأيوبي والثانية على العصر المملوكي، وهما متكاملتان والجهد المبذول فيهما علمي واضح وعظيم الفائدة[٤٠].

وحمل الكتاب الثاني وهو متمم للأول عنوان **من آثارنا في بيت المقدس** تأليف كامل جميل العسلي، ومواد هذا الكتاب غنية فيها جهد علمي واضح كما أن الصور والمخططات التي حواها لها فوائد جمة[٤١].

بات من المقرر أن أي باحث في تاريخ فلسطين وجغرافيتها وأمورها العامة لا يمكنه الاستغناء عن المواد الهامة التي أودعها مصطفى مراد الدباغ في كتابه الموسوعي **بلادنا فلسطين** وفي بقية كتبه الأخرى[٤٢].

أضف إلى ما سبق أن مواد **الموسوعة الفلسطينية** (القسم العام) المنشورة حديثاً على اختصارها فيها الكثير مما يمكن للباحث أن ينهل منه ويستفيد.

الفصل الأول

مدخل عام

يستوجب البحث في تاريخ فلسطين في العصر المملوكي التمهيد له بمقدمة تكون بمثابة قاعدة يقام عليها البحث ومن ثم يمكن بالتالي كتابة الشروح والتفاصيل. وتشمل هذه المقدمة:

١ ــ نظرة عامة على طبيعة الموضوع.

٢ ــ وصف عام لسلطنة المماليك والمراحل التي مرت بها.

٣ ــ أوضاع فلسطين مع قيام العصر المملوكي.

٤ ــ معركة عين جالوت ودخول فلسطين في ظل الحكم المملوكي.

من الواضح أن تاريخ فلسطين هو جزء لا يتجزأ من تطور بلاد الشام وهذا بدوره جزء من تاريخ العرب.

وتميزت فلسطين بطابعها العربي المعطاء عبر العصور، وبقدرتها على دمج العناصر الطارئة الغريبة وتذويبها بشكل أو آخر، من ذلك مثلاً أن شعوب البحر التي هاجرت إليها حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م. قد ذابت في بوتقة السكان العظمى، وبعد هذا بنحو ثلاثة وعشرين قرناً قدم إليها الفرنجة وأرادوا جعلها وطناً لهم فيما وراء البحار، فوجد الذين استقروا فيها أنفسهم بعد حين يتحولون إلى «بلديين» Poulains. وقارىء المصادر اللاتينية لتاريخ الحروب الصليبية وغيرها من المصادر يشهد كيف نظر رجال الحملات التي كانت تقدم حديثاً إلى هؤلاء البلديين بنوع من الشك والريبة، كما نظروا إلى سكان البلاد الأصليين.

وثبت الطابع العربي لفلسطين وتجلت شخصية البلاد وهويتها العربية إثر الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام في القرن السابع للميلاد. وكان العرب قد قاموا إثر فتحهم لبلاد الشام بتقسيمها إلى أربعة أقسام إدارية عسكرية، أطلقوا على كل منها اسم جند، وهي: جند فلسطين، وجند الأردن، وجند دمشق، وجند حمص، وفي عهد الخليفة يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان (٦٠ ـ ٦٤هـ / ٦٨٠ ـ ٦٨٣م) تفرع عن جند حمص جند جديد عرف باسم جند قنّسرين[١]، ولم يعمر هذا التقسيم طويلاً وقد ألغي من حيث الواقع العملي بعد وفاة يزيد بن معاوية بفترة وجيزة وكان ذلك نتيجة من نتائج معركة مرج راهط سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م.

فلقد سكن بلاد الشام قبل الفتح العربي عدد كبير من القبائل العربية، كان أكثرها ـ تبعاً للنسابين العرب ـ منحدراً من أصل يماني، على أساس أن العرب جميعاً قد انحدروا من جدّين: يماني (قحطان) وشمالي (عدنان). وتدفقت القبائل على بلاد الشام إثر نجاح حركة الفتوحات وبسببها. وفي العصر الأموي تميزت الحياة السياسية بالصراع بين القبائل (العصبية القبلية) وبرز بين قبائل الشام قبيلتان هما: كلب وكلاب، أما كلب فكانت من أصل يماني مستقرة في الأجزاء الجنوبية للشام منذ ما قبل الإسلام، وأما كلاب فكانت من أصل شمالي هاجرت إلى الشام واستقرت في أجزاء البلاد الشمالية، وفي معركة مرج راهط (شرقي جوبر في أحواز دمشق) كان الصراع بين كلب وكلاب، وقد انتصرت كلب، وأدى هذا النصر، فيما أدّى إليه، إلى تقسيم بلاد الشام إلى دارين: واحدة في الجنوب لكلب وأخرى في الشمال لكلاب[٢]. وظل هذا الحال قائماً إلى حين هجرة قبائل طيء إلى الشام واستقرارها في فلسطين، وقد تواءم هذا مع قيام دول مصر الإسلامية المستقلة وتفجر نشاط القرامطة العسكري في الأجزاء الجنوبية من بلاد الشام، ومع استيلاء الخلافة الفاطمية على مصر وسعيها للاستيلاء على الشام ومن ثم اصطدامها بالقوى المحلية وبقرامطة البحرين والأحساء. وصارت فلسطين مسرح القوى المتصارعة، وأدى هذا إلى بروز شخصيتها من جديد وانفصالها عن ديار قبائل كلب وتحكم قبائل طيء فيها إلى أبعد الحدود. وسعى الطائيون إلى الانفراد بحكم فلسطين، تارة عن طريق التعاون مع القرامطة[٣]، وطوراً عن طريق تأسيس خلافة إسلامية في الرملة، وأخيراً عن طريق التحالف مع قبائل الشام الرئيسية كلب وكلاب لتأسيس ثلاث دول عربية واحدة في فلسطين لطيء، وثانية لكلب في دمشق، وثالثة لكلاب في حلب[٤].

وأخفقت محاولات الاستقلال في دمشق وفلسطين ونجحت فقط في حلب بتأسيس الدولة المرداسية، وكمن السبب الرئيسي لهذا الإخفاق في إصرار الخلافة الفاطمية على تطبيق مبادىء سياستها الخارجية تجاه بلاد الشام عامة والأجزاء الجنوبية خاصة.

من الملاحظ أن مصر التي ليس لها حدود طبيعية مع بلاد الشام قد غزيت دائماً عن طريق هذه البلاد، لذلك عمل حكام مصر دوماً على احتلال الشام ومواجهة الغزاة بعيداً عن أرضهم، لكن غالباً ما واجه حكام مصر المستقلة، ولا سيما في العصور الإسلامية، مصاعب جمة، ونادراً ما استطاعت قواتهم الاحتفاظ بالأجزاء الشمالية من الشام. وبناء عليه اضطر حكام مصر خاصة أيام الخلافة الفاطمية إلى اتباع سياسة عملية قضت بالسماح للشمال بالاستقلال مع نوع من التبعية الاسمية، وبعدم السماح باستقلال الأجزاء الجنوبية مهما كلف الأمر، وخير معبر عن هذه السياسة الوصية التي أوصى بها الوزير يعقوب بن كلّس وهو على فراش الموت الخليفة العزيز الفاطمي (٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ / ٩٧٥ ـ ٩٩٦م) حيث قال له: «سالم الروم ما سالموك، واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة، ولا تبق على دغفل بن جرّاح إن عرضت لك فيه فرصة»[٥].

وعلى الرغم من هذه السياسة ظل جنوب الشام طيلة العصر الفاطمي مكوناً من جزءين رئيسيين هما: ولاية دمشق، وفلسطين، وعلى هذا الأساس لا يتعدى الإنسان الحقيقة إذا ما تحدث عن كيان اسمه فلسطين في العصر الفاطمي. لكن هذا الحال تعرض للتبدل في أواخر القرن الحادي عشر بسبب هجرة طوائف التركمان والغز إلى فلسطين[٦]. وحدث التغير بشكل جذري إثر نجاح الحملة الصليبية الأولى عام ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م في احتلال القدس وأجزاء من فلسطين ومن ثم إقامة المملكة اللاتينية فيها[٧].

وبعدها تهيأت السبل إلى عودة هذه الشخصية إلى الظهور بعد معركة حطين وتحرير القدس مع غالبية الأراضي الفلسطينية. لكن الانتكاسات التي حدثت إثر قيام الحملة الصليبية الثالثة ووفاة صلاح الدين المبكرة وتمزق دولته العظمى من بعده إلى دويلات متصارعة، كل هذا فوَّت الفرصة وأضاعها(٨).

لقد تبنت الدولة الأيوبية أيام صلاح الدين نظام الإقطاع العسكري وطورته. وساعد هذا النظام على زيادة التمزقات وتعميقها بعد صلاح الدين، ونظراً لاستمرار الصراعات الداخلية ولعدم توقف التهديدات الخارجية من الفرنجة وسواهم اضطر الحكام الأيوبيون إلى زيادة حجم جيوشهم الخاصة، وذلك عن طريق الرقيق الأبيض. وفي تاريخ مسلمي المشرق كان جل الرقيق الأبيض المستخدم في الجيوش من أصل تركي. وكان العصر الأيوبي قد شهد تطوراً كبيراً في ميادين الفنون العسكرية من تسليح وتدريب. وتحول العمل العسكري إلى احتراف خاضع لقواعد التدريب والترقي في الرتب(٩).

ويلاحظ مستعرض تاريخ العرب والإسلام في المشرق والمغرب أن الجند بعدما ملكوا القوة العسكرية تاقت أنفسهم نحو السلطة وتطلعت. وهكذا تمرد بعضهم على أسيادهم، وسعى بعضهم الآخر إلى التحكم بهم، أو إلى وراثتهم، وصلاح الدين الأيوبي نفسه كان من هذا الصنف، والمعارك التي خاضها في سبيل السلطة هي أكثر عدداً من معاركه ضد الفرنجة(١٠).

لقد أكثر الباحثون الحديث حول هذا الموضوع(١١)، وخلصوا إلى القول إن الملك الصالح أيوب (٦٣٧ ـ ٦٤٧هـ / ١٢٤٠ ـ ١٢٤٩م) قد عني «منذ تبوئه عرش مصر بالإكثار من شراء المماليك الأتراك إلى درجة لم يبلغها غيره من أهل بيته ولم يستكثر هذا السلطان من المماليك فحسب بل أباح لهم عمل كل شيء أرادوه، وهكذا اعتدوا على أموال الناس وأنفسهم مما سبب الضيق بالقاهرة وكاد أن يؤدي إلى الثورة، فاضطر الصالح إلى بناء قلعة خاصة وسط جزيرة الروضة، أسكن مماليكه فيها واتخذها مقراً لملكه، ومن هنا عرف أوائل المماليك باسم المماليك البحرية الصالحية»(١٢).

ويرتبط وصول المماليك البحرية إلى السلطة بتعرض مصر لهجوم قوات الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع (القديس لويس) ملك فرنسا، وترتبط هذه الحملة بأهداف الصليبيين الأساسية في الاستيلاء على فلسطين واستعادة القدس المحررة، ولكن لِمَ توجهت ضد مصر ولم تقدم إلى الأراضي المقدسة مباشرة؟

لهذا تعليلات كثيرة، ارتبط أهمها بالدور القيادي الذي شغلته مصر منذ أيام صلاح الدين الأيوبي كما يلاحظ أنه إذا كان تحرير القدس من قبل صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م هو الذي أثار الحملة الصليبية الثالثة(١٣) فإن تحريرها ثانية(١٤) من قبل الصالح نجم الدين سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م هو الذي سبب قيام الحملة السابعة وقدومها إلى مصر.

وهناك خلاف واضح بين وقائع هاتين الحملتين ونتائجها، والذي يعنينا منها هو أن نذكر أنه نتج عن الحملة الثالثة، فيما نتج، استيلاء الصليبيين على مدينة عكا ومن ثم إعادة إحياء مملكة القدس، وغدت عكا عاصمة لهذه المملكة. وبعد وفاة صلاح الدين وبسبب نشوب الخلافات الشديدة بين أمراء الأسرة الأيوبية وسع الفرنجة رقعة ممتلكاتهم وباتوا يتحكمون بجزء كبير من الساحل الشامي امتد من عسقلان في الجنوب إلى ما بعد طرابلس في الشمال مع مناطق في الداخل تمثلت ببَلدة صفد والمنطقة القائمة بينها وبين عكا. وفي سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٩م تسلم الامبراطور فردريك الثاني من الملك الكامل الأيوبي القدس وبيت لحم والناصرة. وكان هذا الحدث من محصلات الحملة الصليبية السادسة وتم نتيجة لحنكة الامبراطور السياسية ولم يرتكز على قوة السلاح.

وبعد تحرير القدس من قبل الصالح أيوب تحفز الغرب وأعد حملة جديدة هي السابعة، وقاد هذه الحملة القديس لويس، ووجهها ضد مصر، مقدراً أنه إذا ما تمكن من قهر هذه البلاد سهل عليه استرداد فلسطين، وفي حزيران/يونيو من عام ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م تمكنت الحملة الصليبية من احتلال دمياط، وكان الملك الصالح مريضاً، وقد توفي في تلك الأثناء، مما شجع الملك الفرنسي على اتخاذ قرار الزحف نحو القاهرة، وأدى هذا إلى إخفاق الغزاة ووقوع الملك وجيشه في الأسر في عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م(١٥).

قام بإدارة الأمور في تلك الآونة شجر الدر أرملة الصالح أيوب، وتم استدعاء تورانشاه ابن الصالح أيوب، لكن هذا السلطان الجديد أخفق في مهمته ومن ثم اغتيل من قبل قادة مماليك أبيه يوم ٧ محرم ٦٤٨هـ / ٢ أيار/مايو ١٢٥٠م وبمقتله انتهى الحكم الأيوبي لمصر وتأسست سلطنة المماليك(١٦).

وتسلم السلطة أولاً شجر الدر، ثم ما لبثت أن اختير لها عز الدين أيبك من أمراء المماليك زوجاً، ومن ثم سلطاناً(١٧). وفي مدة سلطنتها التي دامت ثمانين يوماً تم الاتفاق مع الملك

الفرنسي، فأطلق سراحه، فتوجه نحو عكا حيث استقر بها مدة أربع سنوات(١٨).

ونجم عن تسلم المماليك للسلطة في مصر نتائج داخلية خطيرة وردات فعل خارجية شديدة، فقد رفض الحكام الأيوبيون في الشام الإقرار بالوضع الجديد، وحدثت صراعات دموية بين أمراء المماليك اضطرت عدداً كبيراً منهم إلى ترك مصر والتوجه إلى الشام حيث نشطوا فيها كمرتزقة، وحاول لويس التاسع استغلال الأوضاع المضطربة(١٩).

تسلّم الملك الفرنسي مسؤوليات الحكم في عكا، وبات سيد ما عرف باسم مملكة القدس، في الوقت الذي راسل فيه فرنسا وبلدان أوروبا لإثارة حملة صليبية جديدة ونشط محلياً عن طريق استغلال الصراع الأيوبي المملوكي، وتقوية دفاعات الممتلكات الصليبية. وشهدت الفترة التي أقام خلالها الملك لويس ذروة أعمال التحصين الفرنجية في المشرق عامة وفي فلسطين خاصة، وأنتجت نماذج من الحصون والقلاع تمتعت بقدرات دفاعية هائلة، كما أن المدن وخاصة عكا عززت دفاعاتها وأسوارها. فقد ملكت المدينة سوراً مضاعفاً الآن، تخفره مجموعة من الأبراج امتدت على طوله، وزودت الأسوار والأبراج بوسائط لرمي النشاب وسواه، ومتّنت بوابات المدن والقلاع، وحفرت الخنادق حول الأسوار، كما جهزت المرافىء بمنشآت دفاعية خاصة، وزود مدخل ميناء عكا بعدد من الأبراج الدفاعية التي مدت بينها السلاسل(٢٠).

كانت عكا آنذاك مقامة على نشز من الأرض مثلث الشكل، أطل ضلعان منه على البحر وقام الثالث على سهل فسيح يبلغ اتساعه قرابة ستة أميال في أوسع جهاته، وكان هذا السهل عظيم الخصوبة فيه بساتين وكروم وحقول ومراع للمواشي(٢١).

وجعل موقع عكا المتوسطي منها سوقاً تجارية دولية، كانت ترد إليها البضائع من الشرق الإسلامي ومن الموصل ودمشق وحلب ومصر، وكانت تقيم فيها جاليات تجارية إسلامية وأخرى مثلت جمهوريات إيطاليا التجارية وخاصة البندقية وبيزا وجنوا(٢٢).

وبعدما استولى المماليك على السلطة في القاهرة انتهز الملك الناصر يوسف، صاحب حلب وحفيد صلاح الدين الأيوبي الفرصة، فاستولى على دمشق، فأصبح سيد معظم أجزاء بلاد الشام، وقد عقد العزم على الزحف على القاهرة للاستيلاء عليها وإحياء ملك آله فيها(٢٣).

واعتقد الناصر أن عليه التحالف مع الملك لويس، فراسله عارضاً التعاون معه للانتقام من المماليك مقابل إعطائه مدينة القدس التي كانت تحت إمرته، وكان هذا العرض مغرياً جداً، فيه تحقيق للهدف الذي قدم الملك الفرنسي من أجله إلى الشرق وفيه انتقام للهزيمة وللعار الذي لحق به نتيجة أسره.

لكن من الذي كان يضمن النجاح في هذه المهمة ويضمن الوفاء بالعهد أيضاً، أضف إلى هذا أن ما ملكه لويس آنذاك من قوات عسكرية ضاربة كان قليل العدد والإمكانات، وكان لا يزال في مصر ما يزيد على اثني عشر ألف أسير من جنده.

وعلم عز الدين أيبك بأنباء هذه العروض والاتصالات فبعث إلى الملك الفرنسي يتهدده بقتل الأسرى جميعاً، وعرض عليه في الوقت نفسه تعديل شروط معاهدة دمياط التي أطلق بموجبها سراحه وذلك بالتنازل له عن أموال الفدية المتبقية عليه.

ودرس لويس الموقف من مختلف الوجوه، فوجد أن المنطق

يفرض عليه البقاء على الحياد، لذلك أرسل سفارة إلى الملك الناصر أعلمه فيها أنه طلب من أمراء مصر تعديل المعاهدة التي عقدها معهم والتعويض عليه وأنهم إذا ما رفضوا فسيقف إلى جانبه، وترك لويس بهذا الرد الباب مفتوحاً لاتصالات مستقبلية مع الناصر، ووقف يرقب الصراع من حوله ويعد العدة للإفادة منه(٢٤).

وتبعاً لجوانفيل Joinville، الذي أرّخ لحياة لويس وكان بصحبته، بعث الملك الفرنسي وفداً إلى مصر عرض على سلطاتها موقف لويس ومطالبه، ونجح الوفد في مهمته وأطلق المماليك سراح مائتين من الفرسان الأسرى لديهم مع ما يقارب ألف مقاتل من أصحاب الرتب الأدنى، وبعثوا برسل من عندهم للاجتماع مع الملك الفرنسي وبحث شروط تحالف معه. وزاد لويس من مطالبه واستجيب له واستمرت المفاوضات بين الطرفين ولم تنقطع.

وربح لويس وازداد حجم قواته العسكرية(٢٥)، وفقد الناصر يوسف الأمل في التحالف معه فقاد قواته يريد القاهرة، وسارع أيبك إلى لقائه، وأقدم قبل ذلك على هدم مدينة دمياط، وفي ١٠ ذي القعدة ٦٢٨هـ / ٣ شباط/فبراير ١٢٥١م التحمت القوات المملوكية بالقوات الأيوبية عند بلدة العباسة بين بلبيس والصالحية، وانجلى القتال عن هزيمة الأيوبيين وتراجعهم نحو دمشق(٢٦)، وقام أيبك بعد فترة وجيزة بإرسال وحدة من قواته استولت على غزة(٢٧).

واغتنم الملك لويس انشغال المسلمين بصراعاتهم فتوجه نحو بلدة قيسارية فأعاد تحصينها. فاستؤنفت أثناء ذلك المفاوضات بينه وبين أمراء المماليك وتمخضت عن إبرام معاهدة جديدة بينهما في ربيع الأول ٦٥٠هـ / أيار/مايو ١٢٥٢م، وقد حدثنا عنها جوانفيل بقوله:

> «وبينما كان الملك يقوم بتحصين قيسارية عاد رسله من مصر جالبين معهم معاهدة أبرمت وفقاً للشروط التي وضعها جلالته وقضت المعاهدة بين الملك والأمراء بأن يتوجه إلى يافا في موعد محدد، بينما يذهبون هم إلى غزة في اليوم نفسه، وقد أقسموا على تسليمه مملكة القدس، وأقسم الملك ورجالات جيشه على تنفيذ المعاهدة، وكان معنى هذا أننا ارتبطنا بوعد تقديم المساعدة للأمراء ضد سلطان دمشق»(٢٨).

وتنفيذاً لهذا الاتفاق تقدم الملك لويس نحو يافا فاحتلها، وكان أيبك قد بعث بقواته لاحتلال غزة، وعلم الناصر يوسف بأخبار هذا التحالف فبادر إلى إرسال قواته نحو غزة فاحتلتها وعسكرت فيها وبذلك حالت دون قيام أي اتصال بين الفرنجة والمماليك. وخرجت قوات المماليك من القاهرة لكنها لم تتجرأ على التقدم نحو غزة، وبذلك أخفقت خطط المتحالفين وتجمد الوضع قرابة عامين. وتدخلت الخلافة العباسية بين الطرفين الشامي والمصري، وأمكن في صفر ٦٥١هـ / نيسان/أبريل ١٢٥٣م عقد صلح بينهما، اعترف الناصر بموجبه بالحكم المملوكي في القاهرة وتنازل لهذا الحكم عن غزة والقدس ونابلس(٢٩).

وكان الخاسر في هذه الجولة الملك لويس، ثم إن المماليك لم يتمكنوا من استغلال ما منحهم الاتفاق من فرص حيث تورطوا في نزاع داخلي على السلطة أودى بحياة شجر الدر وعز الدين أيبك وعدد من الأمراء الكبار. ونشط الملك لويس قليلاً ثم قام أخيراً في نيسان/أبريل ١٢٥٤م بمغادرة الأراضي المقدسة وذلك بعدما يئس من وصول حملة جديدة من أوروبا، وبعدما بلغه وفاة والدته في فرنسا، وهي التي كانت تتولى إدارة الأمور في غيابه(٣٠).

قد يرى بعض الباحثين أن ما حدث حتى الآن قد مهد السبيل أمام المماليك للسيطرة على بلاد الشام وفي مقدمتها فلسطين، وقبل معالجة هذا الرأي لا بد من سؤال هو: هل كانت السلطات المملوكية ترغب بالاستيلاء على فلسطين ومجمل بلاد الشام؟ ليس هنالك ما يفيد بالإيجاب في كل ما حوته مصادرنا من معلومات. هذا ولا يجوز لنا أن نذهب إلى الافتراض أن المماليك كانوا لا بد وأن يسيروا على هدى حكام مصر المستقلة السابقين في سياستهم الخارجية تجاه بلاد الشام. وسبب هذا أننا لا يمكن أن نتحدث عن وجود سياسة خارجية مرسومة لدى المماليك، بل كان هنالك ردات فعل تجاه الوقائع والأحداث، ثم إن المماليك لم يعرفوا الحكم المستقر ولم تتوفر لديهم «البيروقراطية» المستقرة، بل كان هنالك انقلابات مستمرة وحركات عصيان متواصلة، ومؤامرات دائمة. أضف إلى هذا أن أمراء المماليك ورجالاتهم لم يتحرروا من عقدة الرق، وكان حكام الشام يملكون الاعتراف الشرعي(٣١).

ودخلت بلاد الشام في ظل الحكم المملوكي بفضل أحداث غزو خارجي، هو الغزو المغولي، ولهذا الغزو ولصده علاقة مباشرة بفلسطين، وقبل أن ندخل بتفاصيله من المفيد أن نذكر أن الحكم المملوكي قد مر بطورين، عرف الأول منهما بالطور التركي والثاني بالطور الشركسي، وقد ارتبطت بداية كل طور منهما بغزو مغولي كبير.

ليس المقام هنا الحديث عن المغول وتأسيس امبراطوريتهم(٣٢)، ويهمنا أن نذكر أنه عندما وصلت أخبار ظهور جنكيزخان إلى أوروبا ظنته مسيحياً وخيل إليها أنه المخلّص

القادم من المشرق، ولهذا جرت اتصالات بين المغول ومختلف قوى أوروبا ومحاولات للتحالف. وتطلع الفرنجة في الشام بآمال عظيمة إلى أخبار الحملات المغولية ضد بلدان العالم الإسلامي في المشرق. وعندما زحف هولاكو حفيد جنكيزخان نحو بغداد رأوا فيه ــ مع أنه كان بوذياً كما هو مرجح ــ «داود الهندي» الذي سيتمكن من استرداد القدس من المسلمين وبناء أسوارها «بحجارة من ذهب وفضة».

في سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م استولى هولاكو على بغداد وأزال الخلافة العباسية من الوجود، ووجه ضربة قاتلة إلى الحضارة العربية وإلى تراثها المجيد، ولهذا خيل للمسلمين «أن العالم على وشك الانحلال وأن الساعة آتية عن قريب». وتابع المغول زحفهم نحو بلاد الشام فاستولوا على حلب في صفر ٦٥٨هـ / كانون الثاني/يناير ١٢٦٠م، ثم قصدوا دمشق وكانت قد اجتمعت فيها قوة كبيرة للناصر يوسف صاحبها، ومع ذلك عجز هذا الأمير الأيوبي عن الصمود وتراجع نحو غزة وعسكر فيها، واستولى المغول على دمشق في ربيع الأول ٦٥٨هـ / آذار/مارس ١٢٦٠م، وأخذوا يعدون العدة للزحف نحو مصر.

وكان قد تسلم السلطنة في القاهرة الأمير قطز، وهو مملوك قيل إنه من أصل خوارزمي وانه يمتّ بصلة القرابة لأسرتها الحاكمة التي حاولت التصدي للمغول. فتراسل قطز مع الناصر يوسف، والأهم من ذلك أنه وجد الفرصة لإعادة توحيد قوى المماليك جميعها وذلك بعدما انضم إليه بيبرس البندقداري قادماً من الشام.

ولم يطل مكوث الناصر في غزة، فقد تخلت عنه عساكره فعاد نحو الشام، فألقى المغول القبض عليه وحملوه إلى هولاكو الذي احتفظ به ووعده بإعادة ملك آبائه إليه، وبالفعل انضم عدد من بقايا الأيوبيين إلى المغول.

لقد ملك المغول طاقات قتالية هائلة، وتأثرت طرائقهم بالقتال وأسلحتهم بطرائق الصين وأسلحتها. وكانت خبرة المسلمين إزاء هذه الطرائق شبه منعدمة. هذا، وكان المغول قد احتلوا في تلك الآونة روسيا، وقام أمراء المغول هناك وهم من «القبيلة الذهبية» باعتناق الإسلام، ولهذا عارض زعيمها «بركة خان» أعمال هولاكو ودخوله بغداد. وقامت اتصالات بين المماليك والقبيلة الذهبية إلى حد أن بعض الروايات تذهب إلى القول إن مساعدات رمزية كانت وصلت منها إلى مصر واشتركت في الحرب ضد مغول هولاكو، وإذا صح هذا فإن معناه حصول المماليك على بعض المعلومات العسكرية عن فنون القتال لدى المغول.

ويلاحظ أن الجيش المملوكي وإن لم يكن عظيم الحجم كان جيشاً محترفاً بكل ما تعنيه هذه الكلمة سواء من حيث التسليح أو التدريب والمقدرة السوْقية والبراعة في المناورة والتكتيك الحربي. لقد كان الجيش المملوكي أفضل جيش مدرب في عالم عصره، لهذا عندما توحدت قطعاته لم يكن غريباً أن يهزم جيوش المغول التي قهرت العالم أجمع ولم تذق طعم الهزيمة من قبل.

وقرر هولاكو عدم الاكتفاء بدمشق، وأن تتابع قواته زحفها فتحتل أولاً القدس ثم تتابع سيرها نحو مصر، ويشار هنا أنه فضلاً عن الصلات المغولية مع الصليبيين والأوروبيين، كانت نساء بلاط هولاكو البارزات مسيحيات حسب العقيدة النسطورية وكان لهن مكانتهن ونفوذهن العظيم عليه.

وبعث هولاكو برسالة قاسية إلى قطز تهدده فيها وتوعده،

بلاد الشام أيام المماليك
تقسيمها الاداري

ورد قطز عليه بأن أمر بقتل رسله وإعلان تصميمه على لقاء المغول. وواجه في هذا السبيل بعض المصاعب الداخلية، لكنه استطاع أن يذللها. وحشد قواته وبعث طلائعه نحو غزة بقيادة بيبرس البندقداري، واصطدم بيبرس بطلائع المغول عند غزة فناوشها وهزمها واشتبك مع قوى المغول المتقدمة لمدة أيام. وكان لهذه الاشتباكات أهمية عالية جداً فقد أفادت من الجانب المعنوي، وكانت بمثابة استطلاع قتالي مباشر واختبار لقدرات العدو وخططه من جميع الجوانب، زد على هذا أنها موهت عليه وقدمت تغطية كاملة لتحركات قطعات الجيش الرئيسية بقيادة قطز، فقد سلكت هـذه القطعـات الطريق السـاحلي، وعـرجت أولاً على عكـا لاستطلاع موقف الفرنجة فيها.

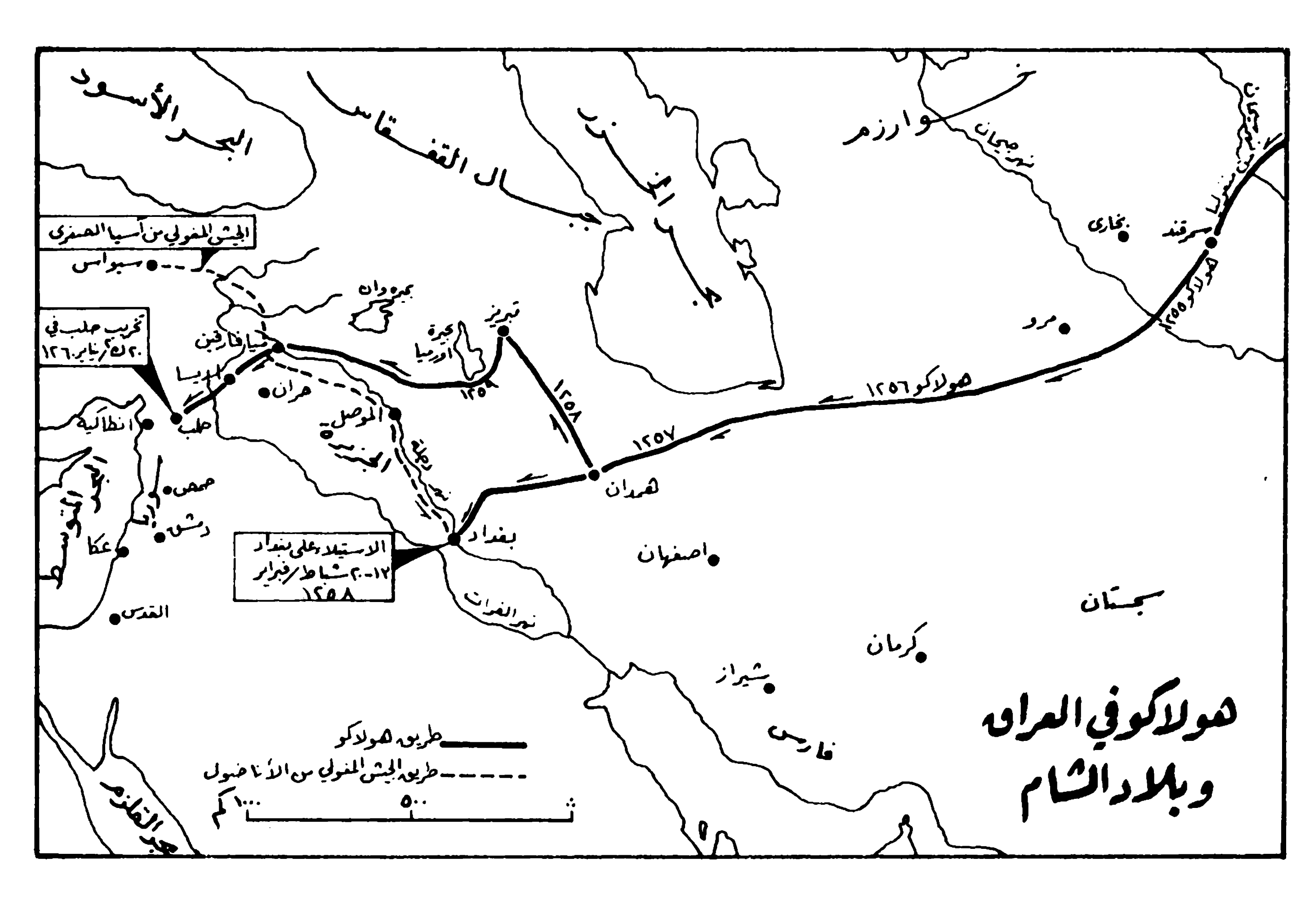
وكان الفرنجة آنذاك يعيشون في أوضاع محرجة، الخلافات الداخلية على أشدها بين طوائفهم ومنظماتهم، وكانوا يدركون أنه ليس بإمكانهم القيام بدور فعال، لذلك أخبروا المماليك بوقوفهم على الحياد.

وفي هذه الأثناء اضطر هولاكو إلى مغادرة بـلاد الشام والعودة نحو العراق ومن ثم خراسان، حيث بلغه وفاة خان المغول وكان يطمح في أن يجري اختياره خليفة له.

ولم يضعف ذهابه قـوة المغول، وقـد ناب عنـه القـائـد كتبغا نوين، وزحفت قوات المغول وكانت تزيد على الثلاثين ألف فـارس وعندمـا وصلت إلى نهر الأردن قـام بعض المسلمـين الموجودين معها بإرسال رسل إلى المماليك بالمعلومات والتشجيع والوعد بالتخلي عن المغول أثناء القتال، فقد تحدث صارم الدين أزبك، وكان مملوكاً أيوبياً قد دخل في خدمة هولاكو قال:

«لما قدمت الشام، وجدت التتار مجتمعين على نهر الأردن، وقد خرجوا قاصدين الديار المصرية، وقد خرج المسلمون للقائهم، فلما علمت أن التتار لا بد لهم من الديار المصرية بعثت غلاماً لي في صفة جاسوس، وأمرته أن يجتمع بالملك المظفر قطز والأمير بيبرس البندقداري، وبلبان الرشيدي، وسنقر الرومي، ويعرِّفهم أن التتار لا شيء فلا تخافوا منهم، وأن تكون ميسرة المسلمين قوية بالخيل والرجال... وأوصيته أن يراعي المسلمـون أن يكون الملتقى عند طلوع الشمس».

وقام المماليك باستطلاع الأرض وقرروا أن يكون اللقاء في

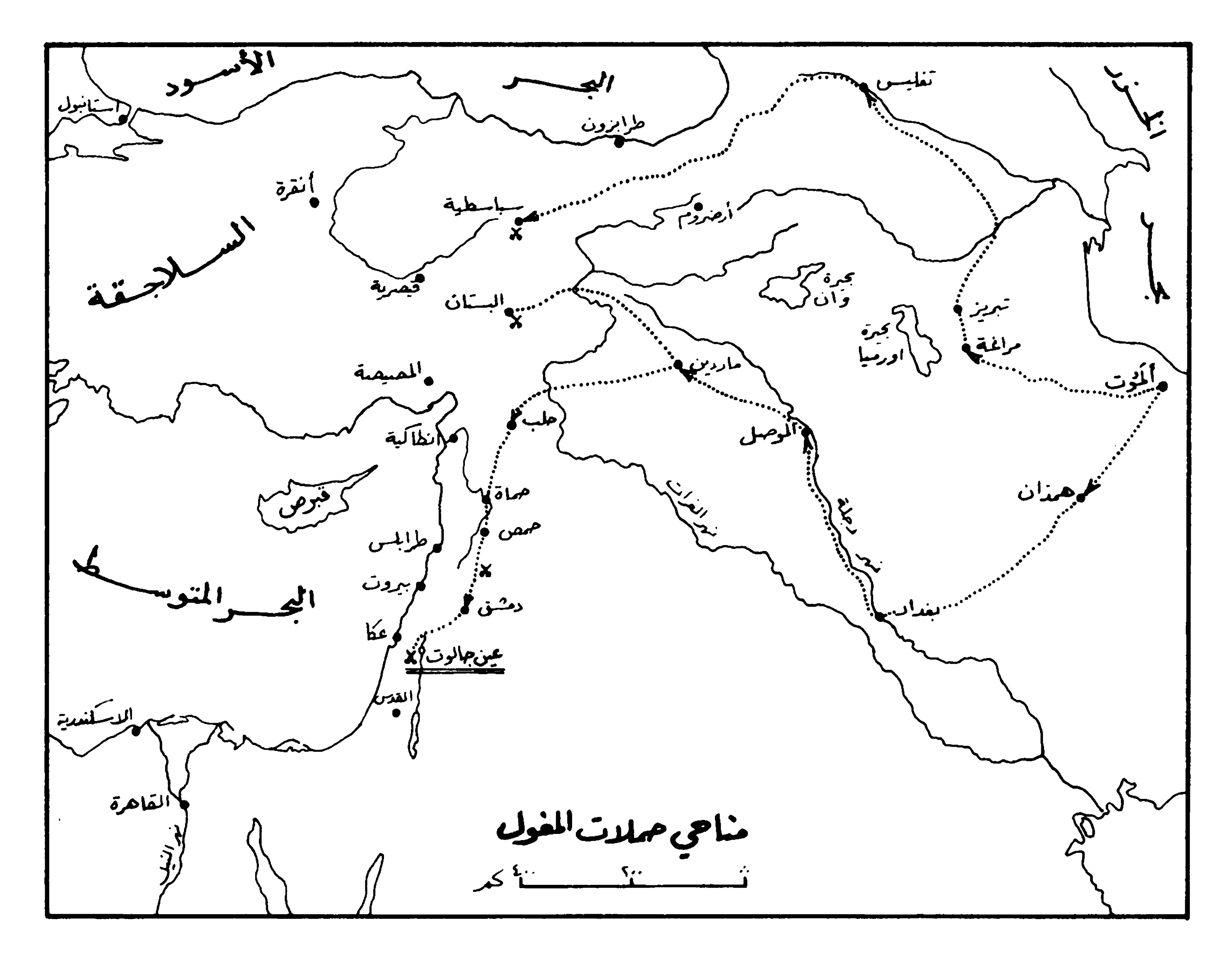


منطقة عين جالوت بين بيسان ونابلس، بين نهري جلبوع وجالوت مستفيدين من المستنقعات التي كانت موجودة على الجانبين.

اعتمدت خطط المسلمين فيما سبق في حروبهم ضد الفرنجة على نظام فصل أسلحة العدو عن بعضها والإيقاع بكل منها على انفراد، لكن الوضع كان مختلفاً الآن. فقد كان المغول من الفرسان الخفاف، سلاحهم الرئيسي القوس والنشاب ـ حسب عادات بداة سهوب أواسط آسيا ـ يقاتلون عن بعد ويضرُّ بهم الالتحام والقتال القريب، وقد اعتادوا فقط على الهجمات السريعة والقتال الخاطف. ولهذا قامت خطة المماليك على اعتماد مبدأ الدفاع المتحرك، واستهدفوا احتواء الهجوم المغولي وتدميره. ولهذا صفوا قواتهم التي لعلها لم تتجاوز الثلاثين ألفاً بصفوف طويلة وأجبروا المغول على الهجوم الجبهوي بعد اشتباكات دامت عدة أيام، وفي يوم ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ / ٦ أيلول/سبتمبر ١٢٦٠م أمكن احتواء الهجوم المغولي، وتطويق المهاجمين وتدميرهم، فقد جرى قتل كتبغا نوين وعدد كبير من قادة المغول وجرت أعمال مطاردة كاملة[٣٣].

وقبل الحديث عن نتائج هذه المعركة الكبرى لا بد من الإشارة إلى أنه يستفاد مما أورده المقريزي عن أخبار المعركة أن «أهل القرى من الفلاحين»[٣٤] الفلسطينيين قد شاركوا بشكل فعال ومؤثر في القتال وأن أعدادهم كانت كبيرة، ويضفي هذا على المعركة صبغة خاصة، ذلك أن الظهير الشعبي حاسم في جميع المعارك.

لقد كانت معركة عين جالوت نقطة تحول عظمى في التاريخ، إذ انها أوقفت المد المغولي وحوّلته إلى جزر، وبرهنت أن الاحتراف العسكري المدعوم شعبياً والمستند على الإيمان والمتحلي بالعبقرية يمكنه أن يهزم أية قوة مهما بلغ جبروتها. وحفظ نصر عين جالوت مصر وصان الشمال الإفريقي وضمن تحرير بلاد



الشام وطرد المغول إلى ما وراء نهر الفرات، وهيأ الفرصة للعمل على تصفية الوجود الصليبي في المشرق.

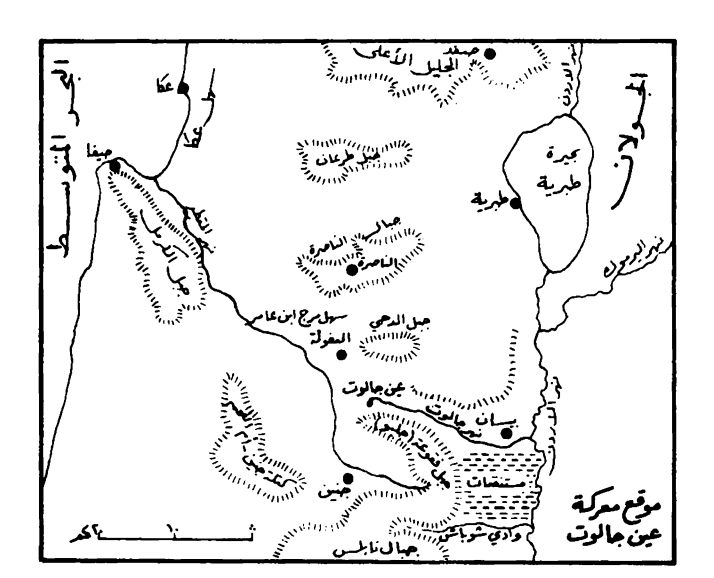
لقد منح هذا النصر القاهرة مكانة الزعامة السياسية ومركز الإشعاع الفكري خاصة بعد دمار بغداد وهجرة العلماء وذوي الاختصاص والحرفيين وسواهم من المشرق إلى مصر.

لقد ربح المماليك الشام كلها، ذلك أن المغول كانوا قد أزالوا الحكم الأيوبي، وهكذا امتد الحكم المملوكي إلى الشام بدون معارضة، وليس من الغلو القول إن دولة المماليك قد أرسيت قواعدها نتيجة للنصر في عين جالوت، ويعتبر بيبرس البندقداري هو الذي تولى بناء هيكل هذه الدولة، فقد قام بيبرس بعد انقضاء معركة عين جالوت بفترة وجيزة باغتيال السلطان قطز وأحل نفسه محله بلقب الظاهر.

وأجمل المؤرخ البعلبكي موسى بن محمد اليونيني ما شهدته بلاد الشام سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م بقوله:

«في هذه السنة كثر تغير الدول ومتولي الحكم بالشام، فكان من أول السنة إلى نصف صفر في مملكة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب، وهو آخر من ملك من بني أيوب رحمهم الله وإيانا، ثم صار في مملكة التتار إلى الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم، ثم صار في مملكة المظفر سيف الدين قطز صاحب الديار المصرية إلى أن قتل في ذي القعدة ثم صار في مملكة الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري»[٣٥].

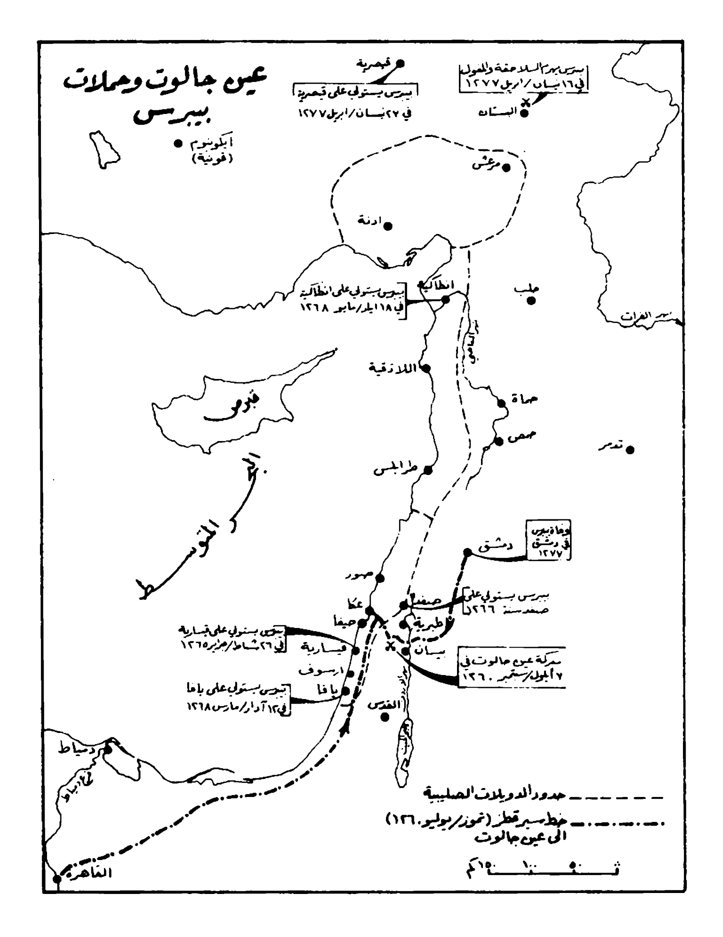
وحافظ المماليك على الأوضاع السياسية الموروثة في بلاد الشام، ذلك أنهم لم تكن لديهم سياسة خارجية مصرية مرسومة تجاه بلاد الشام، بل كانت دولتهم تشبه اتحاد إقطاعيات عسكرية



متفاوتة الأحجام، ويمكن أن ندرك هذا مما قاله اليونيني في وصفه لأحداث سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٣م «دخلت هذه السنة وليس للناس خليفة، وسلطان الديار المصرية والشامية والحلبية إلى الفرات، الملك الظاهر ركن الدين بيبرس» ثم أردف واصفاً أحداث السنة التالية ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م، وكان الملك الظاهر قد استولى على الكرك وأزال الحكم الأيوبي منها وأسس خلافة عباسية جديدة، بقوله:

«دخلت هذه السنة وخليفة المسلمين الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي أمير المؤمنين، وسلطان مصر والكرك والشام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس»[٣٦].

والمتفحص لأوضاع سلطنة المماليك أيام بيبرس يلاحظ أن هذه السلطنة العسكرية كانت لها ثلاث جبهات رئيسة: واحدة في مصر، وأخرى في دمشق، وثالثة في حلب. فقد تعرضت مصر للغزو الصليبي براً وبحراً، وارتبط استيلاء المماليك على السلطة مع وقائع الحملة الصليبية السابعة، أما دمشق فقد كانت جبهة مواجهة مع بقايا الصليبيين في الشام، وأهم من ذلك مواجهة



الخطر المغولي القادم من الشرق، أما حلب فقد واجهت دولة أرمينية الصغرى (سيس) والخطر المغولي.

لقد اقتضى اشتداد الخطر المغولي أن تتفرغ دمشق للتصدي له، ودفع هذا السلطان بيبرس إلى إيجاد قوة إسلامية شامية تتمكن من رصد فرنجة عكا والتصدي لهم، وهكذا اقتضى الحال تحرير صفد وإقامة نيابة مملوكية فيها، الأمر الذي سنتعرض له بالتفصيل بعد قليل.

ومتتبع أخبار المماليك يجد أن حكمهم لم يعرف الاستقرار ولا ديمومة الولاء والإخلاص، بل ساده الصراع، وقد نافس حكام دمشق سلاطين القاهرة وسعوا إلى الاستقلال عنهم أو احتلال مناصبهم، وغالباً ما كانت غزة ساحة الصراع بين دمشق والقاهرة، كما رأينا من قبل، ولهذا تطلبت الوقائع قيام نيابة حاجزة Buffer State بين الفرقاء في غزة.

وتميز تاريخ المماليك بتحالف رجالاتهم مع رجال الدين الإسلامي، واهتم المماليك اهتماماً كبيراً بإظهار شدة تمسكهم بالإسلام واحترامهم للأماكن المقدسة وإكثارهم من بناء المساجد ومدارس الدين والزوايا. وقد نالت مدينة القدس حظاً وافياً في هذا المجال وقاد هذا إلى إيجاد نيابة خاصة في القدس.

لقد تمحور تاريخ فلسطين في العصر المملوكي حول هذه النيابات إلى أبعد الحدود، وسيتم بحثه من خلال تاريخها كل على حدة وذلك ضمن الإطار العام لتاريخ جنوبي بلاد الشام، والمقصود بفلسطين هنا المفهوم الجغرافي المتداول في أيامنا هذه، وليس جند فلسطين حسب ما ورد لدى الجغرافيين العرب.

وكان ابن شداد قد تبنّى في كتابه **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة** التقسيم القائم على الأجناد، وبناء عليه هنالك كور فلسطينية كثيرة كانت داخل جند الأردن وهي: طبرية مع بحيرتها وبيسان وصفد وعكا، وحيفا مع سواحلها[٣٧].

الفصل الثاني

تصفية الوجود الصليبي في فلسطين

تأثرت الكتابات العربية المعاصرة حول تاريخ الحروب الصليبية بوجهات النظر الأوروبية التي جعلت أحداث هذه الحروب جزءاً ـ يكاد أن يكون كاملاً ـ من تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ونحن نختلف مع الأوروبيين حول هذه القضية. فهناك أسباب أوروبية مباشرة وغير مباشرة لتفجر أحداث الغزو الصليبي، ولكن وقائع هذه الحروب قد قامت على أرض الشام العربية وانتهت على هذه الأرض بالذات. وجوهر القضية بالنسبة لنا لا يكمن في الأسباب الأوروبية بل في أسباب إخفاق العرب في التصدي أولاً للغزاة الصليبيين، وفي عدم تمكنهم من اقتلاعهم من أراضيهم المحتلة إلا بعد وقت طويل وجهود مضنية.

لقد قسم الباحثون الأوروبيون تاريخ الحروب الصليبية إلى حملات متتالية اختلفوا في تعدادها وتسمياتها. والمثير للانتباه هنا أن هؤلاء الباحثين أنفسهم أرّخوا لما قام به الصليبيون في ألمانيا أو فرنسا أو بلغاريا أو الإمبراطورية البيزنطية في إطار التاريخ الوسيط الخاص بكل بلد من هذه البلدان ثم في الإطار الأوروبي العام.

من الإنصاف تطبيق هذا المعيار على بلاد الشام وبالتالي تفسير مراحل تاريخ الحروب الصليبية شامياً عربياً مع عدم إغفال الشأن الأوروبي. ومن هذا المنطلق يمكن القول إن الحروب الصليبية قد مر تاريخها بطورين رئيسين:

(أ) **الطور الأول**، وقد ارتبط بقيام هذه الحروب وعمليات الاحتلال حتى وصل التيار إلى مداه الأقصى، وكان ذلك أمام أسوار حلب سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م، ومن ثم انعكس.

(ب) **الطور الثاني**، وقد ارتبط بحرب التحرير والاسترداد، ومرت هذه الحرب بأربع مراحل ارتبطت كل منها باسم مدينة من مدن الوطن العربي في المشرق تحملت أعباء المسؤولية العظمى لقيادة أعمال التحرير، كما أن كل مرحلة من المراحل كان لها مزاياها وخصائصها. وتعلقت الأمور كلها بشكل أساسي بأوضاع العرب والمسلمين من حيث اليقظة والوحدة واستغلال الإمكانات وشخصيات القادة، وهذه المراحل هي: مرحلة الموصل ومرحلة حلب ومرحلة دمشق ومرحلة القاهرة.

في مرحلة الموصل تمت الحيلولة دون سقوط حلب، وتحول موقف العرب من الدفاع إلى الهجوم. وكان أبرز إنجازات هذه المرحلة تحرير الرها سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م والقضاء على أولى دول الفرنجة تأسيساً في المشرق، وذلك تحت لواء عماد الدين زنكي.

وفي مرحلة حلب استلم نور الدين محمود بن زنكي لواء القيادة فنشط في الشام نشاطاً كبيراً ووحد حلب مع دمشق ثم مد الوحدة إلى مصر وأعد العدة لتحرير القدس وإزالـة الوجـود الصليبـي نهائياً.

وتولى صلاح الدين الأيوبـي القيادة في مرحلة دمشق بعد وفاة نور الدين بشكل مفاجىء عام ٥٦٩هـ / ١١٧٤م، وفي ظل قيادة صلاح الدين تلقى الكيان الصليبـي أقسى ضربة نالها في تاريخه يوم حطين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، وبعد حطين جرى تحرير القدس مع أجزاء واسعة من المناطق المحتلة.

وبعد وفاة صلاح الدين صـارت القاهـرة مقر السلطنـة الأيوبية العظمى، ومنها قاد خلفاء صلاح الدين من الأيوبيين أولاً ثم من المماليك أعمال التحرير فصفّوا الوجود الصليبـي نهائياً[١].

ويتصدر السلطان الظاهر بيبرس قـائمة أسـماء سلاطنـة المماليك الذين تولوا أعمال التحرير. وبيبرس كما هو معروف هو الذي أرسى قواعد السلطنة المملوكية ونظم شؤونها جميعاً، وقد اعتلى العرش إثر معركة عين جالوت، وكان ذلك بعد اغتياله لقطز «وفعل الظاهر بيبرس ما فعله معتمداً على نفسه، وبلغ غرضه بمفرده، وذلك بين العساكر العظيمة والاحتراز الشديد، وما قدر أحد أن يتكلم، ولا جسر أن يمد يده إليه».

وتسلم بيبرس السلطة في القاهرة، وواجه في البداية عدداً من الثورات وأعمال المعارضة في القاهرة ودمشق. واستطاع بسرعة وحزم أن يقضي عليها جميعاً، فالتفت إلى الجوانب التنظيمية والإدارية، ولعل أهم ما قام به في هذا المجال هو بعث الخلافة العباسية وإعادة تأسيسها في القاهرة[٢].

لقد كان الحكم المملوكي الجديد بحاجة إلى الشرعية ومثل هذه الشرعية كان بإمكان الخلفاء وحدهم منحها. ونحن وإن كنا لا نجد المكان مناسباً للحديث عن تطور السلطة لدى العباسيين، إلّا أنه من المفيد أن نبين أن الظاهر بيبرس قد تمسك بمفهوم السلطة المـوروث عن السلطنة السلجـوقية، فقـد كـان مثـل السلاجقة، من أصل تركي.

وكان السلاجقة بعدما استولوا على بغداد وأقاموا دولتهم العظمى قد أحدثوا تغييراً في مفهوم السلطة، فهم لم يتحكموا بالخلفاء العباسيين كما فعل رجالات بني بويه قبلهم بل اعتمدوا مبدأ ازدواجية السلطة، وهو مبدأ تركي متوارث، وتبعـاً لهذا المفهوم كان يتولى رئاسة الدولة رجل عرف باسم الخاقان لا يملك أية صلاحيات بل كانت رئاسته اسمية، وإلى جانبه يتولى مباشرة السلطة الـ «بك» وغالباً ما كانت وظيفته عسكـرية. ويـلاحظ بالنسبة لتاريخ سلاطين السلاجقة والمماليك أن السمة العسكرية قد غلبت عليهم.

كما يلاحظ أنه في زمن السلاجقة جرى توسيع قواعد نظام الإقطاع العسكري. ونتيجة لسياستهم الدينية عظم شأن علماء الدين السنة ودورهم إلى حد يمكننا فيه الحديث عن قيام إقطاع ديني تحالف وتعاون مع الإقطاع العسكري. وكان لرجال الدين دور خطير جداً في أيام الحكم المملوكي وغالباً ما قاموا بالوساطة بين المماليك وطوائف المجتمع على اختلافها[٣].

توجه السلطان الظاهر بيبرس نحو دمشق في العام التالي لتوليه السلطنـة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م، ويبدو أنـه سلك الطريق الساحلي مستطلعاً أوضاع المنطقة الساحلية وضاغطاً على الصليبيين هناك. وفي طريقه جاءه كونت يافا فأكرمه السلطان وكتب له منشوراً ببلاده، ورده سالماً إلى مدينته. وفي دمشق «حضر رسول من جهة عكا يسأله أمانا للرسل المتوجهين من البيوت (الداوية والاسبتـارية) كلها فكتب إلى والي بانياس بتمكينهم، فحضر أكابر الفرنج والتمسوا الصلح، فتوقف السلطان عليهم، وطلب منهم أموراً كثيرة، فلما امتنعوا زجرهم السلطان وأهانهم». ثم تقررت الهدنة مع تبادل الأسرى ورفع المقاطعة الاقتصادية[٤].

ويلاحظ في هذا المقام أن مؤسسات الفرنجة السيـاسية والعسكرية في الشام تصرفت في بداية العصر المملوكي وكأنها جزء من المنظومة السياسية الشامية المحليـة، وأن بيبرس شعـر أن المخاطر العظيمة على سيطرته على بلاد الشام ليست صادرة عن الفرنجة بل عن إمارة الكرك، التي كانت ما تزال تحت الحكم الأيوبـي، وما زال حاكمها يطمع بسلطنة القاهرة. ولهذا اتخذ الظاهر بيبرس قراره بالاستيلاء على الكرك، وكان يحتاج حتى يتمكن من إنجاز هذا العمل حماية ظهره من مخاطر المغول، ولهذا جهز حملة عسكرية بعثها نحو العراق تحت لواء أحد الناجين العباسيين وبايعه بيبرس بالخلافة وقد حمل لقب المستنصر بالله وقيل ان اسمه «أبو القاسم أحمد بن الإمام الظاهر»[٥].

وما ان فرغ بيبرس من هذه الأعمال حتى بادر بالعمل ضد إمارة الكرك فاستولى أولاً في هذه السنة نفسها ٦٥٩هـ / ١٢٦١م على قلعة الشوبك ثم شرع يتدبر أمور الكرك وكانت من أمنع القلاع في بلاد الشام، فتمكن ببراعة مطلقة من الاستيلاء عليها في سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٣م[٦]، وبذلك أزال الوجود الأيوبـي من جنوبـي بلاد الشام، وبات من الممكن التفـرغ للعمل ضـد الصليبيين.

وأدام السلطان أثناء عمله ضد الكرك الاتصالات الدبلوماسية مع الصليبيين.

«ولم تزل رسلهم تتردد في هذا ومثله إلى أن فرغ السلطان من شغله الذي كان في نفسه، وهو حديث الكرك».

وما إن انتهى منه حتى زحف على رأس جيوشه إلى قلب الأراضي والممتلكات الصليبية، واستقبل أثناء ذلك رسل مؤسسات الفرنجة الذين عرضوا عليه التمسك باتفاقات الهدنة فرفض، وبعدما بين لهم الأحوال التي لم يتمسكوا بها بشروط الهدنة أوضح لهم عن مقاصده وشروطه بقوله:

«أنتم في أيام الصالح إسماعيل أخذتم صفد والشقيف على أنكم تنجدونه على السلطان الشهيد الملك الصالح (أيوب)... وبالجملة فأنتم أخذتم هذه البلاد من الصالح إسماعيل لإعانة مملكة الشام وإطاعة ملكها ونصرته، وقد صارت مملكة الشام وغيرها لي، وما أنا محتاج إلى نصرتكم ولا إلى نجدتكم، فتردون ما أخذتم للإسلام بهذا الطريق، وتفكون أسرى المسلمين جميعهم، وغير ذلك لا أقبله»[٧]، ثم أمر بطرد الرسل ورسم بهدم كنيسة الناصرة، «وهي أكبر مواطن العبادة التي لهم، ويقولون منها خرج دين النصرانية... (ووجه من) هدمها إلى الأرض، فلم يجسر أحد من سائر الفرنجة أن يخرج من باب عكا»[٨].

وسبب ذلك أنه أرسل قطعة كبيرة من جنده للإغارة على عكا، ثم أتبع بيبرس ذلك بقيامه في يوم ٤ جمادى الآخرة ٦٦١هـ / ١٥ نيسان/أبريل ١٢٦٣م بالزحف ضد عكا، «ولم يزل سائقاً إلى أن طاف بها من جهة البحر، وسير جماعة إلى برج كان قريباً منها فيه جماعة فحاصره، وللوقت أحدثت فيه النقوب، وكان توجه السلطان إليها في هذه الجماعة إنما هو لكشفها»، وكان الفرنج «قد حفروا خنادق حول تل الفضول وجعلوها معاثر في الطريق، وبسرعة متناهية تمكن جند بيبرس من ردم الخنادق وطلع الناس إلى تل الفضول، وانهزمت الفرنج إلى المدينة، وحرق الناس ما حول عكا من الأبراج والأسوار وقطعوا الأشجار وحرقوا الثمار»، وحاول بيبرس اقتحام المدينة فأخفق، وبعد قيام جيشه بعدة هجمات أمره بالانسحاب، حيث توجه نحو الكرك ومن هنالك عاد إلى القاهرة[٩].

ويبدو أن أهداف بيبرس في حملته هذه كانت أكبر من إيقاع الضرر بالفرنجة أو استعراض قواه أمامهم وفرض هيبته عليهم، ولا حتى مجرد الاستطلاع والتعرف على طبيعة المنطقة. لقد أراد بيبرس احتلال عكا، مقدراً إمكانية ذلك، بسبب أوضاع عكا الداخلية، فقد كان الفرنجة قد وصلوا في هذه الفترة إلى درجة كبيرة من الضعف ونجم ذلك عن القتال بين البنادقة والجنويين فيها[١٠].

ووصلت الأخبار في عام ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م عن تحرك مغولي ضد بلاد الشام لذلك أصدر السلطان بيبرس تعليماته باستنفار القوات في الشام، وشحن القلاع ورمّها. وتحرك السلطان على رأس قواته من مصر فقصد غزة ومن هناك تحرك نحو منطقة يافا، وبينما هو على الطريق وصلته الأخبار بهجوم المغول على المناطق الشمالية من الشام، وصدَّ ذلك الهجوم، ولذلك بادر إلى تغيير خطط زحفه واستغلال الموقف في البقاع التي كان فيها.

وبناء عليه «ثنى أعنته إلى جهة الفرنج ليدينهم كما دانوا ويكون لهم كما كانوا، وما أعلم أحد مغزاه، ولا فهم أين مرامه ومرماه»، وتظاهر بالانشغال بأعمال الصيد في غابة أرسوف، فقام باستطلاع أرسوف وقيسارية، وأمر بإحضار الأخشاب وإعداد المجانيق وأسلحة الحصار، وأحضر الصناع والحجارين (سلاح المهندسين)، وهاجم قيسارية، و«نزل عليها يوم الخميس في التاسع من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وستمائة (٢٨ شباط/فبراير ١٢٦٥م) ولوقته طاف بها. وهاجمها الناس. وألقوا نفوسهم في خنادقها وعمدوا إلى السكك الحديد التي للخيل والشبح والمقاود فتعلقوا فيها وطلعوا من كل جانب، ونصبت عليها السناجق وحرقت أبوابها وهتك حجابها، فهرب أهلها إلى قلعتها».

وشرعت القوات المملوكية بحصار قلعة قيسارية، وكانت «من أحصن القلاع وأحسنها، وتعرف بالخضراء، وكان الريدافرانس (لويس التاسع) حمل إليها العمد الصوان وأتقنها، وما رؤي في الساحل أحسن منها عمارة ولا أمنع ولا أرفع لأن البحر المالح حافّ بها، وجائز في خنادقها، والنقوب لا تعمل فيها للعمد الصوان الصُّلبة في بنائها». وشدد بيبرس الحصار عليها وضيق الخناق على المدافعين عنها، وبعد مضي أسبوع هرب الفرنج بحراً إلى يافا، «وأسلموا القلعة بما فيها، وتسلق المسلمون إليها من الأسوار، وحرقوا الأبواب، ودخلوها من أعلاها وأسفلها». وأمر بيبرس على الفور بهدم قيسارية مع قلعتها «ووقف يهدم بنفسه، ورآه الناس فتشبهوا به، وعملوا بنفوسهم، وصار يباشر ذلك بنفسه ويده»[١١].

لقد برهن بيبرس في جميع معاركه على أنه صاحب عبقرية عسكرية متميزة، فعندما قرر مهاجمة قيسارية أرسل بعض وحدات جيشه نحو عكا للإغارة عليها، والحيلولة بين أهلها وبين إنجاد

قيسارية، وجاء تحرير قيسارية بمثابة ضربة قاسية ضد الفرنجة، حيث خسروا أهم نقاط الدفاع المتقدمة لديهم.

إن الهجوم على قيسارية يدلّ على وجـود خطة محكمـة للتحرير قد وضعها بيبرس. فقيسارية كانت أهم مواقع الصليبيين وأحصنها على الساحل فيما بين عكا وغزة. وبعدما نجحت خطة الاستيلاء على قيسارية عمد بيبرس إلى إجراء عسكري له شقان: الشق الأول تصفية الممتلكات الصليبية فيما بين قيسارية وغزة، والشق الثاني التقدم في الوقت نفسه خطوة أخرى باتجاه عكا. فبينما كانت عمليات الهدم مستمرة في قيسارية أرسل بيبرس في ٢٦ جمادى الأولى ٦٦٣هـ / ١٧ آذار/مارس ١٢٦٥م مجموعة كبيرة من عساكره نحو حيفا «فساروا إليها ودخلوا قلعتها، فنجا الفرنج بأنفسهم إلى المراكب بعد أن قتل منهم وأسر... وأخربوا المدينة وقلعتها وأحرقوا أبوابها، وجعلوها خاوية على عروشها، كأن لم تغن بالأمس، وكان أخذها وما اعتمد فيها من قتل وأسر وإخراب وإحراق في يوم واحد».

وفي الوقت الذي تعرضت فيه حيفا للغارة المدمرة المحررة سار السلطان الظاهر بيبرس بنفسه على رأس قطعة كبيرة أخرى من جيشه إلى عتليت. وبعدما استطلعها أمر عساكره بالإغارة عليها «وأمر بتشعيثها وقطع أشجارها، فقطعت جميعها وخربت أبنيتها» ثم عاد نحو قيسارية لمتابعة أعمال الهدم وإعداد خطة هجوم جديد.

وكان الهدف الآن هو بلدة أرسوف، وبعدما أعد بيبرس الأسلحة الجماعية ومعدات الحصار، ألقى الحصار على أرسوف وشدده وكانت أسوارها متينة وعالية، وقامت قوات بيبرس بالتقدم نحو الأسوار في ظل ستائر من الأخشاب على شكل أبـراج متحركة، وحاولت هذه القوات حفر نفقين تحت الأسوار بغية شحنها بالأخشاب وإحراقها تحت طرف من أطراف الأسوار بغية هدمه. وقام الفرنجة بخطط معاكسة وذلك بحفر أنفاق مضادة ونشر الدخان فيها بشكل مفاجىء.

وبعد حصار دام أربعين يوماً لم يتوقف القصف والرمي فيه أمكن فتح ثغرات واسعة في الأسوار، وهكذا تمكن الجند من اقتحام المدينة والدخول إلى حصنها. وهنا توقف المدافعون عن القتال وألقوا أسلحتهم واستسلموا، وحررت أرسوف وعادت إلى أهلهـا يـوم الخميس ١١ رجب ٦٦٣هـ / ٢٦ نيسـان/أبريـل ١٢٦٥م. وأمر بيبرس بهدم أرسوف ثم وجه إنذاراً إلى كونت يافا جاء فيه:

«إنا لا نحتمل المضيمة، وإذا أخذ أحد لنا مزرعة أخذنا عوضها قلعة مرتفعة، وإذا أسر لنا فلاح أسرنا ألفاً من المقاتلة لابسة السلاح، وإذا هدموا جداراً هـدمنا أسواراً، والسيف في يد الضارب، والجواد عنانه في قبضـة الراكب، ولنـا يد تقـطع الأعناق، ويد تصل الأرزاق، ومن تحرش فعن تجربة، ومن أراد شيئاً من الأشياء فهذه الأمور له مرتبة».

لا شك أن إنجازات أعمال التحرير لهذا العام كانت جليلة ومحصلاتها عظيمة لا سيما في بناء قلعة قاقون. وقبل تعليل أسباب هدم الحصون المستولى عليها والباعث على بنـاء قاقـون، من الضروري الإشارة إلى أن أعمال التحرير هذه لم يتوقف إنجازها على العسكريين المحترفين من جند بيبرس، فلقد كان الحضور الشعبي كبيراً أثناء القتال وأعمال الحصـار، وشارك العـرب الفلسطينيون مع إخوانهم من أهل الشام نساء ورجالاً، وكان لهم دورهم المميز، ويحدثنا ابن عبد الظاهر قـاضي بيبرس ورئيس ديوان الإنشاء لديه وكاتب سيرته وهو شاهد عيان بقوله:

«وحضر العباد والزهاد والفقهاء والفقراء إلى هذه الغزاة المباركة التي ملأت الأرض بالعساكر وأصنـاف العالم، ولم يتبعهـا خمر ولا شيء من الفواحش بل النساء الصالحات يسقين الماء في وسط القتال، ويجررن في المجانيق، وأطلق لجماعـة من الصالحين الرواتب، مثل الشيخ علي المجنون، والشيخ إلياس، ومن الأغنام والحوائج، وأطلق للشيخ علي البكاء جملة من المال، وما سمع أن أحداً من خواصه اشتغل عن الجهاد في نوبته بشغله، ولا سيّر أمير غلمانه في نوبته واستراح هو، إلا الناس سواء في هذه الأمور».

وكان الشيخ علي المجنون أول الناس لدى اقتحام الأسوار، فهو أول من شاهد انهيار أسـوار باشـورة أرسوف، والحضـور الشعبي له دلالات كبيرة. فالمعركة كانت لها صبغة «قومية ــ وطنية»، إذا جاز لنا استعمال التعابير الحديثة، ولم تكن صراعاً بين حكام أو عسكريين، بعضهم من الفرنجة وبعضهم الآخر من الترك. لقد اعتبر بيبرس أعماله جهاداً في سبيل الله، واعتبر الشاميون الفلسطينيون عملهم جهاداً في سبيل الله والأرض، ولهذا كان التعب يعتري جند المماليك لكنهم لم يعرفوا للتعب معنى ولم يتوقفوا إلا بعدما ألقى العدو السلاح واستسلم[١٢].

ولجأ بيبرس إلى هدم المدن والحصون الساحلية التي استولى عليها حتى لا يعود الفرنجة إليها فيرممـوها ويتحصنـوا بها من جديد، ذلك أنه كان لهم تفوق بحري على المماليك وكانت تحت تصرفهم أساطيل الدويلات الإيطالية مع أساطيل دول أوروبا المتوسطية (مثل فرنسا وصقلية وإسبانيا).

لقد قدر الظاهر بيبرس ــ كما يبدو ــ أن الاستيلاء على عكا

ليس بالأمر السهل ويحتاج إلى مجهود كبير ووقت طويل، وأن هنالك مسائل ومخاطر ملحة أخرى في المناطق المحتلة من قبل الصليبيين خارج فلسطين، فقد كانت هنالك طرابلس، وقلعة حصن الأكراد وأنطاكية، لذلك تابع العمل على تجريد عكا من ممتلكاتها وأخذ يعد العدة لتحرير صفد، وأقدم أولاً على إعادة تحصين قلعة قاقون.

كانت قاقون تعد من أعمال قيسارية، وقد سكن قلعتها فرسان المعبد (الداوية) وقد ورد ذكرها في عمليات الحروب الصليبية. وهي وإن كانت قلعة داخلية لم تكن بعيدة عن الساحل، لذلك توفرت فيها الشروط المطلوبة، وأمر بيبرس بإعادة بناء قلعتها، ورمم كنيستها وحولها إلى جامع، وأوقف عليها الأوقاف وشحنها بالمقاتلة وانتهت هذه الأعمال سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م. ونمت قاقون خلال فترة وجيزة فصارت عامرة بالناس وغدت محطة للقوافل الذاهبة إلى غزة والآيبة منها ومركزاً من أهم مراكز البريد، ذلك أن بيبرس اعتنى عناية فائقة بالبريد حتى كان الخبر يحتاج إلى أربعة أيام للوصول من دمشق إلى القاهرة[١٣].

وبعد انقضاء موسم أمطار عام ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م جهز السلطان الظاهر بيبرس قواته وأخذ الطريق نحو غزة يريد بلاد الشام، وفي غزة كلف بعض أمراء جيشه بقيادة وحداتهم والإغارة على ممتلكات الفرنجة في الساحل ما بين طرابلس وصور، ومن غزة توجه بيبرس شخصياً نحو مدينة الخليل «فدخل إلى مقام إبراهيم وزار وكشف المظالم» واتخذ عدة إجراءات لصيانة حرمة المكان ثم توجه نحو القدس فأتى «الحرم الشريف مستخفياً في نفرين أو ثلاثة، وصلى الجمعة بالقدس، ورحل إلى عين جالوت نحو عكا وعسكر أمامها وأمر باجتماع قواته إليه».

وعاد ثانية فضغط على عكا وأغارت قواته على المناطق المحيطة بها، بغية إضعافها اقتصادياً وعسكرياً، وراسله مقدم الاسبتارية من عكا من أجل الهدنة وفق الشروط التي يفرضها، وعندما تهيأت الأجواء توجه بيبرس نحو صفد فهي قد كانت هدفه «لأنها الغصة في حلق الشام، والشجا في صدر الإسلام»[١٤].

وقبل البحث في أحداث تحرير صفد نحتاج إلى وقفة قصيرة بغية التعرف إلى موقع هذه البلدة مع شيء من تاريخها الإسلامي:

تقع صفد في الجليل الأعلى، وترتفع حوالي ٨٤٠م عن سطح البحر وتبعد نحو ٢٠٦ كم عن القدس، وهي ذات موقع استراتيجي هام «كانت أولاً تلاً، وكان على التل قرية عامرة تحت برج اليتيم... لم تذكر في شيء من الكتب الموضوعة في التاريخ في صدر الإسلام» وقد سقطت بيد الصليبيين في الحملة الأولى فعمروا قلعتها سنة ٤٩٥هـ / ١١٠٢م وسكنها فيها بعد سنة ١١٦٧م فرسان المعبد (الداوية) وحصنوها وظلت في أيدي الصليبيين حتى حررها «السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد حصار شديد» سنة ٥٨٤هـ /١١٨٨م وآلت منذ ذلك التاريخ إلى السلطات الأيوبية في دمشق إلى أن هدمها المسلمون سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م «وبقيت خراباً، وبلادها في يد من يملك دمشق لا يهتم ببنائها ملك إلى أن أعطاها الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل للفرنج فيما أعطاهم من البلاد في سنة ثمان وخمسين وستمائة (١٢٦٠م)».

ثم آلت ملكيتها إلى فرسان الداوية، فقاموا بتجديدها وتوسيع رقعة حصنها حتى بات يتسع لحوالي ٢٢٠٠ من الفرسان والمقاتلة وقد «شحنوها بالمؤن والعتاد وجلبوا إليها الماء من العيون المجاورة»، وعظم شأن صفد في هذه الآونة وتحولت إلى بلدة كبيرة لها نشاطات وإمكانات تؤهلها لأن تصبح نواة نيابة في المستقبل[١٥].

وكان الداوية أفراد إحدى أهم منظمات الصليبيين وإخوانياتهم العسكرية وكانوا يديرون في هذه الأونة أعمالاً اقتصادية ونشاطات مالية واسعة. وعلى قاعدة من ملك المال ملك السلطة، مارس الداوية نفوذاً كبيراً على حكام الفرنجة في الشام، كما أن تاريخهم مع الإسبتارية في المشرق ملطخ أكثر من سواهم بجميع أنواع الوصمات من كذب وغدر ومذابح بلا رحمة. ولهذا عمد حكام المسلمين إلى اعتبارهم «مجرمي حرب» لا يجوز الإبقاء على أي منهم عندما يؤخذ أسيراً، وهذا ما طبقه صلاح الدين إثر انتصاره في معركة حطين.

وقرر السلطان الظاهر بيبرس الاستيلاء على صفد فأعد لذلك ما لزم من معدات. وبعدما وجه أقسى الضربات لكل من عكا والمناطق القائمة بين طرابلس وصور، تحرك نحو صفد، واستنفر قوات الشام، ويبدو أن حجم الاستعدادات كان واسعاً، وكانت الخطة الموضوعة لمهاجمة صفد محكمة.

الموقع كان في غاية الحصانة والمدافعون عنه كانوا من أشرس المقاتلين الصليبيين وأكثرهم تمرساً وأشدهم صبراً، وعمل بيبرس على عزل صفد ومنع وصول النجدات إليها، حيث بعث قطعة من قواته لمشاغلة حصن الشقيف ورصد الطرق والممرات. فقد

حرص بيبرس على سلامة وصول المعدات والمجانيق والأخشاب من دمشق حرصه على منع النجدات عن صفد.

ويحدثنا ابن عبد الظاهر أن الجمال التي حملت المجانيق أصابها الوهن أثناء توجهها نحو صفد «فجهز (بيبرس) الأمراء والجند وسائر الناس لحملها على الرقاب من جسر يعقوب، وهو مرحلة من صفد، وخرج السلطان بنفسه وخواصه، وجر أخشاب المجانيق مع البقر». وبدأ حصار صفد يوم ٨ رمضان ٦٦٤هـ / ١٣ حزيران/يونيو ١٢٦٦م وأشرف بيبرس بنفسه على تجهيز المجانيق ووجّه رماياتها. وشدد المسلمون الحصار على صفد، وعملوا في سبيل فتح ثغرة في الأسوار. وانقضى شهر رمضان والقتال مستعر، وأصاب الهلع الفرنجة وسعوا إلى الاستسلام، لكن بيبرس تشدد في شروطه وأصر على قتل فرسان الداوية.

كان بيبرس أثناء الحصار في ذروة اليقظة والنشاط وقد ضرب مثلاً أعلى لجنده. كان يتفقد عساكره ويبذل لهم الأرزاق، ويبني الخيام، ويحضر الأطباء والجراحين ويطلق الأطعمة والأشربة للجند لإثارة حماستهم ولرفع معنوياتهم. وبعد انقضاء شهر رمضان بدأ السلطان بيبرس زحفاً عاماً ضد صفد في اليوم الثاني لعيد الفطر (٢ شوال / ٦ تموز/يوليو) ولم يثمر هذا الهجوم وأخفق في اختراق دفاعات صفد. وبعد مضي أسبوع جدد بيبرس المحاولة، ومن جديد أخفق. ثم حاول ثالثة يوم ١٤ ــ ١٧ تموز/يوليو، وألح بيبرس وشدد الهجوم في اليوم التالي، وسقطت باشورة القلعة واقتحمت عساكر بيبرس القلعة. وهنا أدرك الفرنجة أنه لا فائدة من متابعة المقاومة وعرضوا الاستسلام، وأصدر بيبرس أوامره «بأن لا يرموا أحداً من الفرنج والنصارى والمستعربة غير الداوية، فأمسك الفرنج من تلك الساعة عن القتال». وتابع الداوية المقاومة عدة أيام ثم طلبوا الأمان مجدداً فمنحهم ما طلبوا بعد أن «اشترط عليهم أن لا يستصحبوا سلاحاً ولا لَأْمَةَ حرب ولا شيئاً من الفضيات ولا يؤذوا شيئاً من ذخائر القلعة بنار ولا هدم».

وتوقف القتال وخرج المدافعون عن صفد ودخلت عساكر بيبرس إليها، وبعدما تفقدوها وجدوها بدون أموال وذخائر وأسلحة فردية. وأمر بيبرس بتفتيش الفرنجة فوجد أنهم «أخرجوا معهم الأسلحة والفضيات وأخفوها في قماشهم. وتحدثوا على جماعة من أسرى المسلمين وأخذوهم على أنهم نصارى، وكذلك صغار المسلمين المأسورين عندهم»[١٦]. واعتبر السلطان ما اقترفه الفرنجة نقضاً لشروط الاستسلام يسوّغ له الأمر بإعدامهم. وكان بيبرس ينتظر مثل هذا المسوغ، فأصدر أوامره بقتل الفرنجة جميعاً فيما عدا اثنين منهم، أولهما أعلن عن إسلامه، وثانيهما أطلق سراحه ليخبر بني جلدته بما وقع في صفد.

ويبدو أن الذين أعدموا كانوا من الداوية فقط، ذلك أنه بعدما سقطت باشورة القلعة أفسح المسلمون السبل أمام الفرنجة العاديين وسواهم للهرب، إن لم نقل شجعوهم على ذلك. أضف إلى هذا أن الإسلام عُرِض على الذين نقضوا الاتفاق، وواحد فقط هو الذي تحول إلى الإسلام، ورفض البقية، مما يدلل على أنهم كانوا من الداوية الذين شُهِروا بشدة التعصب.

وكما حدث في المعارك السابقة كان الحضور الشعبي كبيراً أيضاً أثناء حصار صفد، وقد قتل عدد من المتطوعة، وهذا يؤكد من جديد أن عمليات التحرير أسهمت الأمة فيها لا عن طريق تحمّل نفقات جند المماليك وإعداد الأسلحة وتأمين المؤن ورجالات الإدارة فحسب، بل عن طريق المقاتلين أيضاً. وعلى هذا تحمّل شعب فلسطين وأهل الشام القسط الأكبر من أعباء تحرير الأرض، وذلك بعدما كانوا قد تمسكوا بالأرض وتحملوا مشاق الاحتلال.

وعيّن بيبرس والياً لصفد «وأمر بعمارتها والزيادة فيها، وحمل إليها الذخائر والسلاح» وولى قلعتها واحداً من قادة جيشه وشحنها بكمية من الجند ثم ارتحل مسرعاً نحو دمشق[١٧] لتجريد القوات ضد مملكة أرمينيا الصغرى.

وكان لتحرير صفد أصداء واسعة، حيث سارع ممثلو بقية الفرنجة نحو بيبرس يعلنون خضوعهم له، كما سقطت قلعتا هونين وتبنين، وقرر بيبرس إعادة ترميم قلعة صفد بعد ما لحقها من تهديم كبير.

وذهب بيبرس إلى القاهرة حيث مكث هنالك وقتاً قصيراً ثم توجه مجدداً سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م نحو بلاد الشام. وعند وصوله إلى غزة وصل إليه رسل الفرنج يحملون الهدايا مع بعض أسرى المسلمين ويطلبون تأكيد اتفاقات الهدنة. وتوجه بيبرس نحو صفد وهو على نية إعادة بنائها، لكنه ما ان وصلها حتى أتته الأخبار بتوجه حملة مغولية نحو الشام، فترك صفد وذهب إلى دمشق، وفي دمشق عرف بعودة المغول فعاد هو أدراجه نحو صفد، وعلى الفور أمر بإعادة حفر خندق القلعة فقسمه «على الأمراء، وأخذ نصيباً وافراً لنفسه ومماليكه وحاشيته، وشرع الناس في العمل، وعمل السلطان بنفسه وبيده، وكذلك جميع بيوتاته من بابية وغيرهم، ولم يتوفر أحد من العمل، ولازموا نقل الحجارة ورمي التراب، وتسابق الناس في النجاز».

لقد تميز بيبرس بقدرات على المناورة السياسية ساوت قدراته العسكرية ونشاطه في الميادين، فقد وصل إليه وهو على صفد رسل الفرنج «وشاهدوا من أمرها واهتمام السلطان بها ما قطع أكبادهم حسرات، وتحدثوا مع السلطان في أمر بلادهم». وبعدما وجه بيبرس النقد إلى سفراء الفرنجة طالبهم بشروط ومطالب قاسية، وأبدى عدم اهتمامه بهم، وأرسل أثناء المفاوضات، وحدات من جيشه أغارت عدة مرات على عكا، وتوجه هو نفسه نحو عكا، وخيم بتل الفضول على مقربة منها، وبات ليلته هناك ثم أعمل الغارة ضدها في اليوم التالي فقتل وأسر ودمر. ثم عاد نحو صفد، واستدعى إليه رسل الفرنج فعرض عليهم ما حمله أثناء غارته للضغط عليهم ويبدو أن ذلك لم يؤثر عليهم لذلك أمر بردهم بدون جواب[١٨].

وقام بيبرس إثر هذا بالإغارة على عكا، فحاصرها عدة أيام، لكنه عندما شعر بتعذر الاستيلاء عليها انسحب نحو صفد فأشرف على إكمال ترميمها «فعمر الباشورة وبنى فيها أبرجة وأسواقاً وخانات، وحمامات، فصارت بما أحدثه فيها من أحصن القلاع وأمنعها، وأطيب البقاع وأخصبها».

وكتب بيبرس على قلعة صفد بعدما جددها:

«﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ (الأنبياء: ١٠٥). ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ (المجادلة: ٢٢). أمر بتجديد هذه القلعة وتحصينها وتكملة عمارتها وتحسينها، من خلصها من أسر الفرنج الملاعين وردها إلى يد المسلمين، ونقلها من حوزة الديوية إلى حوزة المؤمنين، وأعادها إلى الإيمان كما بدأ بها أول مرة، وجعلها للكفار خسارة وحسرة، واجتهد وجاهد حتى بدل الكفر بالإيمان والناقوس بالأذان والإنجيل بالقرآن، ووقف بنفسه حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه بنفسه وبخواصه على الرؤوس. السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس، فمن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الإسلام، ومن سكنها من المجاهدين، فليجعل له نصيباً من أجره، ولا يخله من الترحم في سره وجهره، فقد صار يقال عمر الله صرحها، بعدما كان يقال عجل الله فتحها، والعاقبة للمتقين إلى يوم الدين».

وعندما كان السلطان الظاهر بيبرس مقيماً في صفد يعمل على إعادة بنائها وصله رسول من عند صاحب يافا يطلب تجديد الهدنة فرفض. وفي جمادى الآخرة لعام ٦٦٦هـ / شباط/فبراير ١٢٦٨م وصلت بيبرس الأخبار بعزم المغول الإغارة على حلب، فاستنفر قواته وقادها نحو غزة، وفي الوقت نفسه أمر باستنفار قوات دمشق وسواها وانتظار أوامر جديدة، وتحرك جيش السلطان نحو دمشق، وعندما وصل إلى العوجا رفعت تقارير إلى السلطان بأن أهل يافا «يحملون الميرة إلى عكا، وكانت الميرة ممنوعة عن أهل عكا، وأقاموا في يافا حانة، وأوقفوا فيها عدة من المسلمات، واعتمدوا أسباباً ليست في هدنة»، وقرر بيبرس مهاجمة يافا وتحريرها، وقبل أن يحرك قواته بعث إليها وفداً يطلب تسليمها إليه، ثم ما لبث أن قاد قواته وهاجمها على حين غرة، فتمكن منها ثم زحف ضد قلعتها «فسلمها أهلها» في يوم ٢٠ جمادى الآخرة / ٧ آذار/مارس ١٢٦٨م، وقام بيبرس بإجلاء سكانها، ثم أمر بهدمها، واكتفى بإقامة بعض المحارس ونقاط الإنذار على الساحل[١٩].

كان تحرير يافا آخر إنجازات بيبرس وفتوحاته الكبرى في فلسطين، لكنه لم يكن بطبيعة الحال آخر أعماله ضد الصليبيين في بلاد الشام، ولا حتى آخر نشاطاته في فلسطين نفسها، وقام بيبرس بعد تحريره ليافا بانتزاع حصن الشقيف من فرسان الداوية، كما حرر أجزاء هامة من سواحل الشام، وأمكنه تحرير مدينة أنطاكية، وبذلك أزال من الوجود ثاني دول الصليبيين تأسيساً في الشرق كما حرّر قلعة حصن الأكراد في منطقة حمص[٢٠].

إن هذا لا يعني البتة أن بيبرس توقف عن محاولات فتح عكا أو الإغارة عليها مع تعريضها للضغط السياسي والاقتصادي. ولعل ما استجد من تحركات مغولية ضد بلاد الشام قد حال دون تركيز طاقات الدولة العسكرية ضد عكا، أضف إلى ذلك أن المساعدات تدفقت على عكا من قبرص ومن أوروبا التي عاد إليها القديس لويس ونشط فيها في سبيل حملة صليبية جديدة.

وزاد الصليبيون من تحصين عكا لأن سقوطها كان يعني نهاية وجودهم في المشرق وسبق الإشارة إلى قيام الاتصالات بين المغول وحكام أوروبا وتبادل الرسل والتباحث في سبيل عمل مشترك ضد بلاد الشام[٢١].

وكان السلطان بيبرس قد توجه عام ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م سراً نحو مكة فقضى فريضة الحج، ثم عاد إلى بلاد الشام فتفقدها جميعاً ثم توجه إلى مصر، وما كاد يستقر في القاهرة حتى جاءته الأخبار مع حلول عام ٦٦٨هـ / خريف ١٢٦٩م بتحرك المغول «وأنهم تواعدوا مع الفرنج الساحلية» الذين شعروا بالقوة إثر وصول بعض النجدات الأوروبية إليهم. واستشار بيبرس أركان دولته فأشاروا عليه بتجريد الجيوش نحو الشام والبقاء شخصياً في القاهرة، لكنه رفض هذا الرأي مقدراً أن وجوده ضروري لأن

«اسمه يردّ الأعداء المتوثبة من كل جانب، ويصيبهم بسهام المصائب».

وسير بيبرس قواته نحو بلاد الشام، وتحرك هو على رأس قطعة صغيرة من فرسانه، وكان فرنجة عكا قد وصلتهم نجدات أوروبية أشعرتهم بالقوة. فراسلوا مجدداً أبغا بن هولاكو وخرج فرنج الغرب وأهل عكا، وخيموا بظاهر عكا، وصاروا يركبون وتعجبهم نفوسهم، وبلغتهم قلة من وصل مع السلطان إلى الشام فتوهموا أنه لا يقصدهم، وبلغ بيبرس هذا التحرك فراسل قواته في دمشق وصفد وأمر قوات صفد بالإغارة على عكا واستدراج قواتها إلى كمين أعده وقاده شخصياً، ونفذت الخطة بإحكام وأنزل بيبرس ضربة شديدة بالصليبيين، ومن ثم توجه نحو صفد ومنها إلى دمشق[٢٢].

وكان القديس لويس قد أقلع في سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧١م بحملة صليبية جديدة قادها ضد تونس، وأخفقت هذه الحملة ولاقى الملك الفرنسي مصرعه، والذي يهمنا ذكره هنا أن بعض الفرنجة وصلوا بسبب هذه الحملة إلى عكا، وهو ما جعل قواتها تغير مواقفها وتجدد نشاطاتها العدوانية ضد المسلمين ولا سيما ضد صفد، وكان الظاهر بيبرس مشغولاً في المناطق الوسطى والشمالية من الشام، وعندما فرغ من أعماله هناك توجه نحو فلسطين وقصد هذه المرة قلعة القرين Montfort التي كانت تقع في تلال الجليل الغربية إلى الشمال الشرقي من عكا وعلى مسافة ثلاثين كم منها، «وكان حصن القرين هذا لاسبتار الألمان ولم يكن لهم بالساحل غيره، وكان من أمنع الحصون وأضرها بصفد، وكان السلطان نوبة فتوح صفد أغار عليه، بل غار عليه أن يكون مثله للكفر... فسار إلى صفد، وجهز منها المنجنيقات، وساقها إلى القرين ونازله». وشدد عليه الحصار وبعد قتال دام عشرة أيام عرض المدافعون الاستسلام فتم الاتفاق معهم، وتسلم بيبرس الحصن وأمر بتدميره[٢٣].

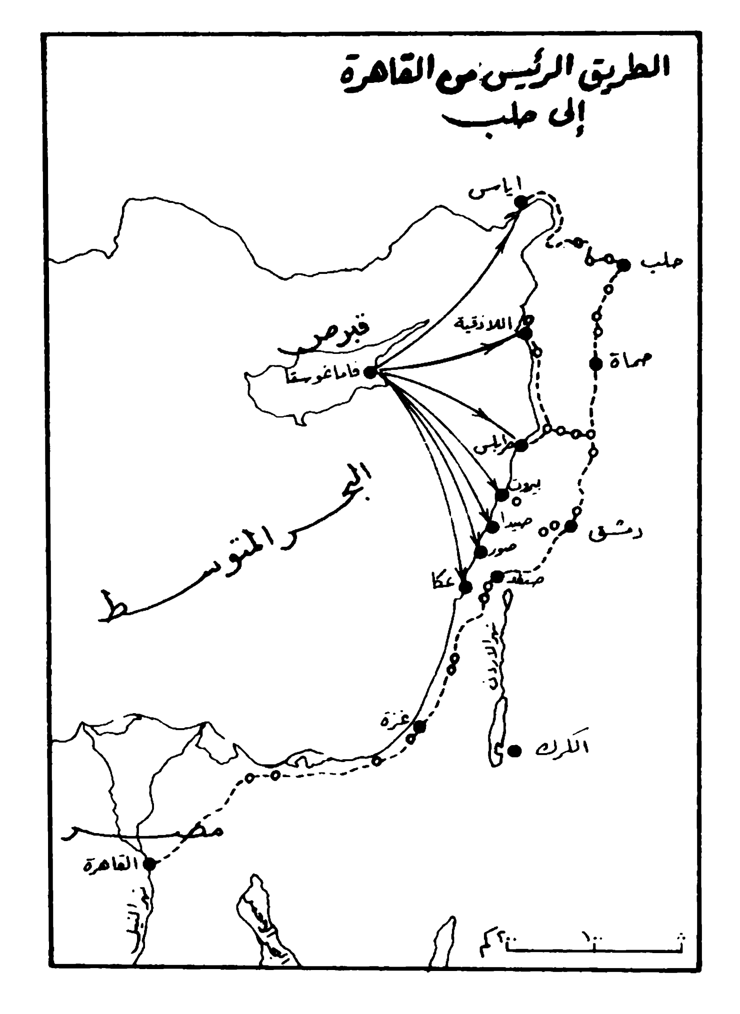
وبعد سقوط القرين عقد بيبرس مفاوضات مع جون مونتفرت John de Montfort صاحب صور انتهت إلى عقد هدنة فرض بيبرس شروطها واضطر إلى قبولها للتفرغ لعكا وللفرنجة الذين وصلوا إليها في أواخر عام ٦٦٩هـ / ١٢٧١م، فقد أغار هؤلاء على بعض أراضي صفد ونهبوها[٢٤]. ذلك أن بيبرس كان قد قصد القاهرة بعد تحريره للقرين.

وازداد في عام ٦٧٠هـ / ١٢٧٢م نشاط فرنجة عكا ضد ممتلكات صفد كما عظم نشاط المغول في المناطق الشمالية من بلاد الشام وتم ذلك بتنسيق بين الطرفين. وتحرك بيبرس باتجاه حلب، واستطاعت قوات قاقون رد الفرنجة ودفعتهم عنها، وبعدما عاد بيبرس إلى دمشق، خرج منها:

> «واستصحب العساكر المصرية والشامية بغية الغارة على عكا، فتوالت أمطار كثيرة... وكاد الناس يهلكون لعدم ما يستظلون به، فانثنى عزمه عن الإغارة، ورد العسكر الشامي، وسار إلى الديار المصرية»[٢٥].

وفي القاهرة استقبل بيبرس رسل فرنجة عكا وتفاوض معهم وتم التوصل إلى عقد هدنة مدتها عشر سنوات وعشرة أشهر تبدأ من ٢١ رمضان ٦٧٠هـ / ٢٢ آذار/مارس ١٢٧٢م، وحلف كل طرف متعهداً بالالتزام والوفاء[٢٦].

ويبدو أن بيبرس قبل بعقد هذه الهدنة لإدراكه أن عكا لا يمكن الاستيلاء عليها والدولة مهددة من المغول والمواصلات مفتوحة بدون توقف بين عكا وقبرص وأوروبا. وهو لا يملك قوة بحرية يمكنها مساعدة القوات البرية في حصار عكا. ويبدو أن



فرنجة عكا رضوا بعقد الهدنة لشراء سلامتهم سيما وقد برهن تحالفهم مع المغول على عدم جدواه.

بهذا الاتفاق ختم الظاهر بيبرس نشاطه العسكري ضد الفرنجة في فلسطين. ولا شك أن ما أنجزه كان عظيماً، وليس من المغالاة القول إن بيبرس استأنف مسيرة صلاح الدين، وإن أعماله كانت متممة لما شرع به صلاح الدين بعد حطين وتوقف بسبب الحملة الصليبية الثالثة ووفاته المبكرة. ويأتي الظاهر بيبرس بما حققه من نجاحات عظمى في المرتبة نفسها التي احتلها: عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، ذلك أن زنكي قاد أعمال التحرير الأولى في مرحلة الموصل، ونور الدين محمود قاد أعمال التحرير والوحدة في مرحلة حلب، وصلاح الدين قاد مرحلة دمشق وحقق النصر في حطين، وبيبرس الآن قاد مرحلة القاهرة وأعمال تصفية الوجود الصليبي في فلسطين والشام.

وتوفي بيبرس سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م وهو في ذروة نشاطه، ولعله سقي السم. وقد دفن في دمشق ليس بعيداً عن قبر صلاح الدين. ذلك أن أبطال المراحل الأربع قد دفنوا في أرض الشام. وحظي بيبرس بمكانة لدى أهل الشام ومصر لم يحظ بها سواه من سلاطين المماليك، إلى حد أن أخباره تحولت إلى ملاحم شعبية امتزجت فيها حقائق التاريخ بالخيال القصصي الملحمي. فهنالك أكثر من ملحمة متداولة تحت اسم السيرة الظاهرية أو سيرة الملك الظاهر. وتُصور هذه الملاحم مشاعر شعب تعلق دوماً بالأرض في عصر شهد أعظم الأعمال في سبيل التحرير. ولا عجب في ذلك. صحيح أن بيبرس قاد رسمياً قوات المماليك المحترفة لكن حجم المتطوعة في حملاته لم يكن أقل عدداً ولا دوراً من المماليك مع الأخذ بعين الاعتبار أن الشعب العربي في الشام ومصر هو الذي تحمل أوزار الحرب ونفقاتها وصنع السلاح والعتاد وبنى القلاع وقدم الإداريين وسواهم.

وكان بيبرس قد خطط قبل وفاته إلى انتقال الملك من بعده إلى ابنه الملك السعيد بركة، وهذا ما حدث، فما ان وصلت الأخبار إلى القاهرة حتى جرت بيعة بركة بالسلطنة، وكان شاباً في مقتبل العمر تنقصه الخبرة والتجربة، لهذا واجه المشاكل وعاش وسط الصراعات، ووجد نفسه بعد بضعة أشهر من تسلمه السلطنة مضطراً إلى التنازل عنها لصالح أخيه سلامش وكان طفلاً ابن سبع سنوات فقط.

ورست مقاليد السلطة الآن فعلياً بيدي الأمير قلاوون الألفي. واستغل قلاوون فرصته أحسن استغلال، فزج بمعارضيه في السجن وتخلص من مناوئيه، ثم عزل السلطان الطفل وتسلم السلطنة بلقب المنصور.

وهكذا زالت أسرة الظاهر بيبرس، وحل محلها أسرة قلاوون التي حكمت دولة المماليك لمدة تقارب القرن من الزمن. ووجد قلاوون بعض المصاعب وواجه أعمال المعارضة فتغلب عليها، ولكن بعدما استغرقت معظم أوقاته،وكان لذلك الوضع آثاره على العلاقات مع الصليبيين في عكا وبقية أجزاء بلاد الشام.

وتوجه السلطان قلاوون سنة ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م نحو بلاد الشام، وركب الطريق الساحلية، وعسكر أثناء سفره في الروحاء على السواحل على مقربة من عكا، وهناك وصلت إليه رسل الاسبتارية «يسألون تقرير الهدنة والزيادة على الهدنة الظاهرية». وأجابهم قلاوون إلى مطلبهم. وعقدت هدنة مجددة بين قلاوون وابنه وولي عهده علي من جهة وبين نقولاس لورجن Nicholas Lorgne مقدم بيت الاسبتار وجميع الإخوة الاسبتارية بعكا «لمدة عشر سنين كوامل متتابعات وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أول ذلك يوم السبت ثاني عشر المحرم» سنة ٦٨٠هـ / ٣ أيار/مايو ١٢٨١م[٢٧].

وبعد مضي قرابة الشهرين من توقيع الهدنة، تم التوصل

الطرق الرئيسة في أيام المماليك

إلى هدنة ثانية بين قلاوون من جهة وبوهموند صاحب طرابلس من جهة مقابلة لمدة عشر سنوات أيضاً مع عشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات اعتباراً من يوم ٢٧ ربيع الأول ٦٨٠هـ / ٥ تموز/يوليو ١٢٨١م(٢٨).

ويلاحظ أن الهدنة التي عقدت مع إسبتارية عكا، شملت أفراد هذه المنظمة فقط ولم تشمل بقية قوى الصليبيين ومؤسساتهم في عكا، وبناء عليه جرت مفاوضات بين السلطنة المملوكية وبين الداوية انتهت بعقد اتفاقية هدنة مماثلة بين «السلطان الملك المنصور وولده الملك الصالح علاء الدنيا والدين علي وبين المقدم افرير كُويُوم دبياجوك Frère Guillaume de Badjouk مقدم بيت الداوية بعكا والساحل وبين جميع الاخوة الداوية... لمدة عشر سنين كوامل متواليات ومتتابعات وعشرة شهور، أول ذلك يوم الأربعاء خامس المحرم سنة إحدى وثمانين وستمائة للهجرة النبوية المحمدية» ١٥ نيسان/أبريل ١٢٨٢م(٢٩).

لقد كانت قوى أوروبا ممثلة في عكا، وبعدما عقد الداوية والاسبتارية الهدنة مع السلطنة بات من الضروري عقد هدنة جماعية باسم عكا بما في ذلك المنظمات التي كانت فيها. وبالفعل توجه وفد إلى القاهرة مثّل قوى عكا الصليبية ومنها الداوية والاسبتارية، وبعد مفاوضات تم التوصل إلى عقد هدنة بين «السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الصالح علاء الدنيا والدين علي... وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعتليت وبلادها». وأبرم الاتفاق في ٥ ربيع الأول ٦٨٢هـ / ٣ حزيران/يونيو ١٢٨٣م، وكانت أهم بنوده:

١ ــ مدة الهدنة عشر سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام.

٢ ــ منح التجار من رعايا السلطان الأمن وحرية العمل التجاري في عكا والبلاد الساحلية.

٣ ــ توقف الفرنجة عن الاعتداء على أراضي دولة السلطان.

٤ ــ لا يجدد الفرنجة في عكا وعتليت وصيدا حصناً ولا سوراً.

٥ ــ تبادل الرعايا الفارين ضمن شروط محددة.

٦ ــ حرية الملاحة وتقديم العون للسفن الجانحة والمحافظة على محتويات السفن لتسليمها إلى أصحابها أو من يلوذ بهم.

٧ ــ يتولى فرنجة عكا إنذار السلطان وإعلامه بأي تحرك أوروبي مضاد له وكذلك بالنسبة لتحركات المغول.

٨ ــ يضمن السلطان حماية عكا وعتليت من أعمال القرصنة.

٩ ــ السماح للحجاج الأوروبيين بالوصول إلى الأماكن المقدسة وضمان أمنهم وسلامتهم وحرية تعبدهم(٣٠).

ويبدو أن أوضاع السلطنة الداخلية وتعاظم الخطر المغولي واشتداده هي التي أجبرت السلطان قلاوون على توقيع هذه المعاهدة وغيرها، فقد أغار المغول على الشام ووصلت قواتهم قرب حمص سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م(٣١). كما أن قلاوون قد واجه في تلك الآونة حركة تمرد خطيرة ضده في دمشق قادها سنقر الأشقر واستمرت أعمال التآمر ضده دونما توقف(٣٢). واستمرت حالة الهدنة حتى سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م، وفي نهاية هذا العام نقض فرنجة طرابلس شروط الهدنة حيث أقدموا على نهب مجموعة من التجار المسلمين، وأسروا عدداً منهم، وحين وقع هذا كانت أوضاع السلطنة مستقرة وجيوشها جاهزة، لذلك ما ان بلغ السلطان خبر ما حدث حتى زحف نحو طرابلس على رأس قوات الشام ومصر، ونزل عليها وحاصرها حصاراً شديداً حتى أخذها عنوة في ٤ ربيع الآخر ٦٨٨هـ / ٢٤ نيسان/أبريل ١٢٨٩م(٣٣).

وبتحرير طرابلس زالت من الوجود المملكة الرابعة التي أسسها الصليبيون في المشرق، وأكمل السلطان قلاوون بذلك ما قام به زميله ورفيقه في السلاح من قبله السلطان الظاهر بيبرس، ولم يبق الآن للصليبيين سوى عكا. وكان لا بد من انتظار الفرصة المناسبة للزحف عليها وتحريرها.

لقد غدت عكا تحت رحمة السلطان قلاوون، كما أنه كان لسقوط طرابلس أصداء واسعة في أوروبا، وسعت البابوية إلى إثارة حملة صليبية جديدة، لكن جهودها لم تثمر إلا قليلاً.

وكانت عكا قد استولى عليها سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م هنري الثاني ملك قبرص(٣٤) وتوج بها ملكاً، وتجددت الاتصالات المغولية الصليبية، وبذلت الجهود للقيام بعمل صليبي مغولي مشترك(٣٥). وأثمرت هذه الجهود كلها باستجابة بعض «رعاع الفلاحين والمتعطلين من سكان المدن الصغيرة» في شمالي إيطاليا، وقدم هؤلاء إلى عكا تحت قيادة أسقف طرابلس سابقاً.

وكان الملك هنري الثاني جدد الهدنة مع السلطان قلاوون

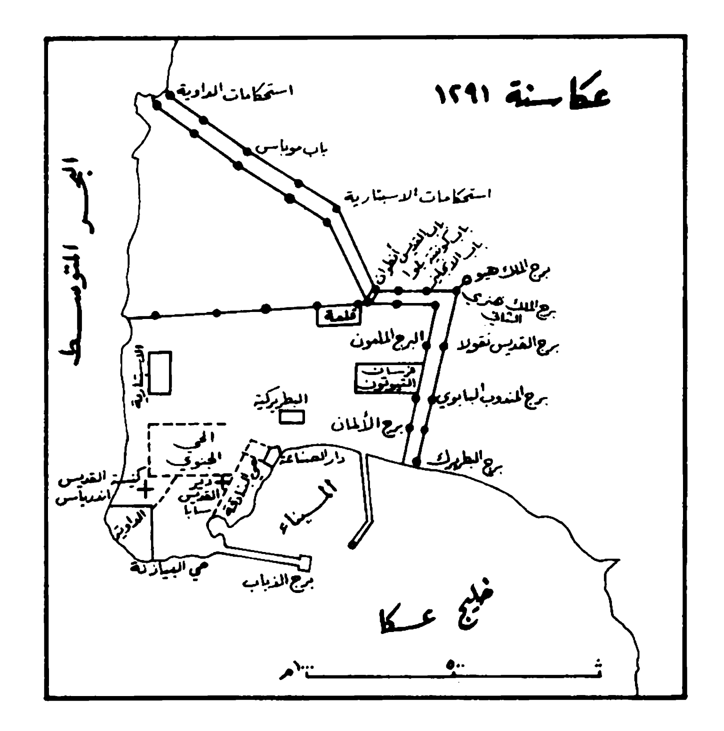
وبعث هذا كله بعض الأمل في عكـا، لكنه لم يتعـد الشكل السرابي. وكان سقوط طرابلس وقدوم النجدات من أوروبا واستمرار النجدات من قبرص قد زاد من حجم سكان مدينة عكا، وبالتالي رفع من قدرتها العسكرية.

«واجتمع داخل أسوار عكا طوائف تمثل مختلف الأمم المسيحية، وعاشت كل طائفة منعزلة عن الأخرى في حي خاص بها، وأخذ كـل واحد من قـادة المناطق في الشـام ومقدمي الإخـوانيات العسكرية الكبرى وممثلي ملوك فرنسا وإنكلترا والقدس، يمارس سلطات مستقلة، وعلى هذا كان في عكا سبع عشرة سلطة مستقلة، الأمر الذي نجم عنه فوضى كبيرة».

ولذلك لا غـرابة أن المـدينة غـدت بؤرة فساد وشـرور وانحطاط خلقي واضطراب مستمر، ورخاء مادي كبير وأرباح تجارية خيالية، فمقـر الداويـة لم يعد ديـراً للفرسـان ولتقديم الخدمات بل مستودعاً للأموال والذخائر وبنكاً للإقراض بنسب فائدة عالية جداً.

وقام القادمـون الجدد من الإيـطاليين بـإثارة المـزيد من الفوضى والإخلال بالأمن وأخذوا يسلبون وينهبون التجار والباعة من المسلمين، وكان هنالك صراع مرير بين البيوتات التجارية التابعة لجنوا والبندقية وسواهما.

وفي صيف سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م انفجرت أعمال العنف في عكا، ووجهت هذه الأعمال ضد المسلمين داخل المـدينة



وخارجها، وقد ذبح الصليبيون كل مسلم صادفوه ونهبوا ما كان معه من مال وبضائع[٣٦].

ووصلت أخبار المذبحة هذه إلى السلطان قلاوون فاشتعل غضباً، واعتبر أن فرنجة عكا قد خرقوا اتفاق الهدنة. وأنه يملك جميع المسوغات لاعتبار الهدنة ملغاة. وسارع قلاوون فأرسل تجريدة من قواته نحو منطقة عكا لاستطلاع خبر ما حدث. ولتثبيت الوجود المملوكي في المنطقة، وفي الوقت نفسه أصدر أوامره بحشد جميع القوات في الشام ومصر، وجرى فرض الضرائب على قرى غوطة دمشق وبعلبك في سبيل تحصيل الكميات الـلازمة من الأخشاب لصنع المجانيق والأبراج المتحركة وغيرها من أدوات الحصار.

وتناوشت تجريدة قلاوون مع قوات عكا، وسارعت سلطات عكا إلى مراسلة السلطان وتقديم الاعتذار له. ثم أعقب ذلك وصول رسله إلى عكا حيث طالبوا بإصرار على تسليمهم الذين تولوا أعمال القتل والمذابح. وبعد طول مناقشات لم يستجب لمطلب السلطان فحسب، بل حاول المسؤولون في عكا إقناع رسله بأن بعض تجار المسلمين هم الذين فجروا الفتنة.

وملك قلاوون الآن جميع المسوغات للاحتكام إلى السلاح، وهكذا زحف على رأس قواته يريد عكا وصدرت الأوامر إلى قوات الشام للاجتماع مع قوات السلطان قرب قيسارية.

وكان قلاوون قبل مغادرته القاهرة مريضاً، لكن مرضه لم يثنه عن مقصده غير أنه ما ان غادر القاهرة حتى اشتد به المرض فتـوفي، وكان ذلـك يوم ٦ ذي القعـدة ٦٨٩هـ / ١٠ تشـريـن الثاني/نوفمبر ١٢٩٠م[٣٧].

وتنفس أهل عكا الصعداء وخيل إليهم أنهم نجـوا وكتبت سلامتهم، لكن لبعض الوقت، فعلي بن قلاوون، وولي عهده، كان قد توفي من قبل، وعزم قلاوون على تسمية ابنه خليل ولياً لعهده لكنه تراجع. وتوهم الصليبيون أن صراعاً سينشب على السلطة كما جرت العادة. وبـالفعل جرى شيء من هذا القبيـل، لكن خليل بن قلاوون برهن على قدرات واسعة وطاقات كبيـرة، واستطاع الأشرف خليل السيطرة على الأوضاع وتثبيت قدميه بالسلطة. والتفت على الفور نحو عكا عازماً على متابعة ما شرع به والده قبله.

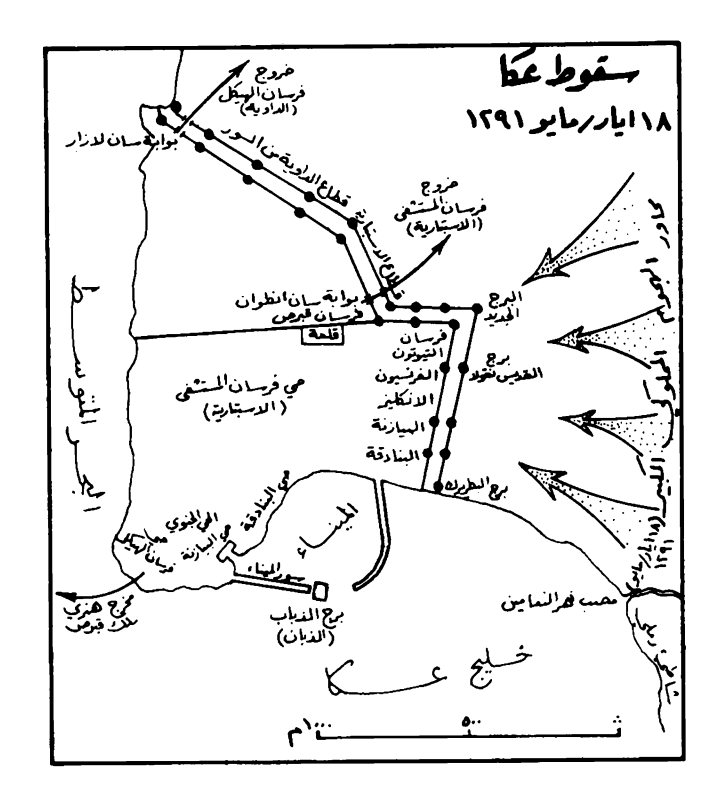
وأرسلت سلطات عكا رسلاً إلى الأشرف خليل لتهنئته بارتقائه عرش السلطنة، وللاعتذار له عما حدث في عكا مع طلب تجديد الهدنة. لكن الأشرف لم يستمع لما جاء به الرسل وألقى بهم

في السجن فكان آخر العهد بهم، وعبّر بذلك عن تصميمه على قصد عكا بجيوشه[٣٨].

لقد حشد الأشرف قوات عملاقة، وأعد الأسلحة والمعدات ولا سيما المجانيق وأبراج الحصار، وتحركت القوات نحو عكا في ربيع الأول ٦٩٠هـ / آذار/مارس ١٢٩١م، وكان المؤرخ المشهور أبو الفداء بين أفراد القوات التي تحركت من حماة نحو عكا، ويحدثنا عن زحف القوات وعما عانته أثناء ذلك بقوله:

«وتسلمنا منه (حصن الأكراد) منجنيقاً عظيماً يسمى المنصوري حمل مئة عجلة، ففرقت في العسكر الحموي، وكان المسلّم منه إليّ عجلة واحدة لأني كنت إذ ذاك أمير عشيرة، وكان مسيرنا بالعجل في أواخر فصل الشتاء، فاتفق وقوع الأمطار والثلوج علينا بين حصن الأكراد ودمشق، فقاسينا من ذلك بسبب جر العجل وضعف البقر وموتها بسبب البرد شدة عظيمة، وسرنا بسبب العَجَل من حصن الأكراد إلى عكا شهراً وذلك مسير نحو ثمانية أيام للخيل على العادة، وكذلك أمر السلطان الملك الأشرف بجر المجانيق الكبار والصغار ما لم يجتمع على غيرها».

وكان تعداد القوات التي تجمعت أمام عكا كبيراً «معها اثنان وتسعون منجنيقاً» من مختلف الأنواع والأحجام، وبعدما اكتمل تجمع القوات وتجهيز المعدات صدر صباح الجمعة ١٧ جمادى الأولى ٦٩٠هـ / ١٨ أيار/مايو ١٢٩١م الأمر بالهجوم بوساطة قرع

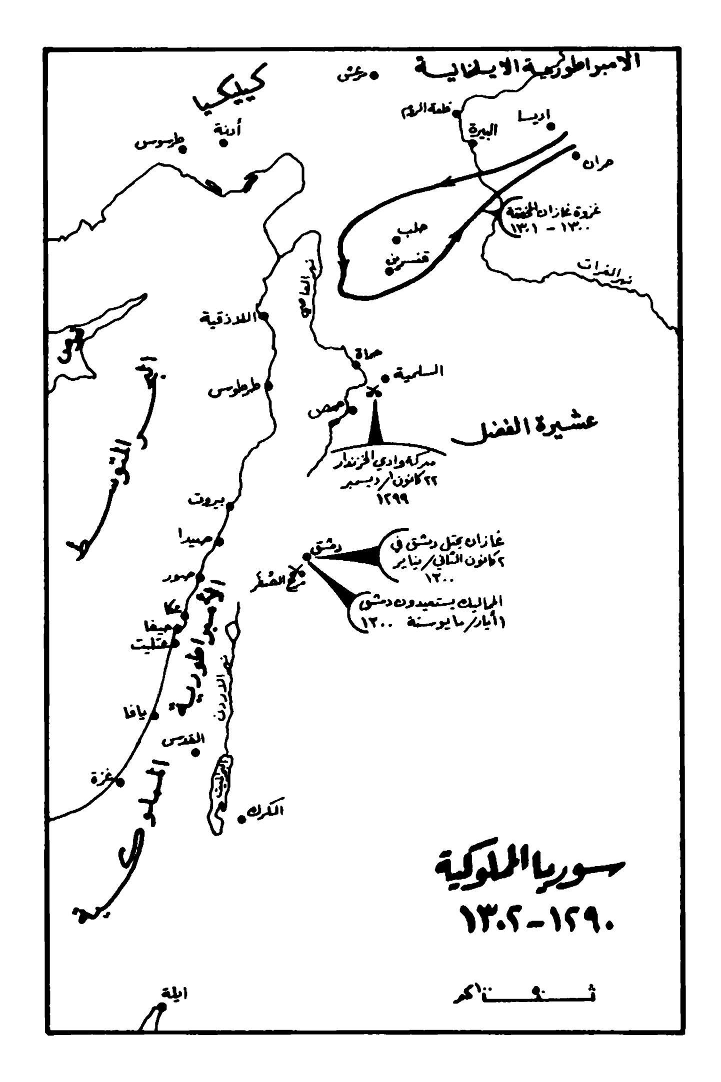


كمية هائلة من الطبول وأدوات موسيقى الحرب رتبت على ظهور ثلاثمائة جمل.

وفي داخل عكا كان الصليبيون قد أعدوا العدة للدفاع، ولنتذكر هنا أن المدينة حوصرت من جانب البر فقط وبقيت غير مهددة من الجانبين البحريين وكانت النجدات والمؤن والمعدات تصلها بلا انقطاع من قبرص وسواها، ولهذا «لم يغلق الفرنج غالب أبوابها (عكا) بل كانت مفتحة وهم يقاتلون فيها».

واشتد الحصار ونشط المسلمون في قصف أسوار المدينة وفي فتح الثغرات فيها ونقب الأبراج. وقاوم الفرنجة، وقام فرسانهم بأكثر من هجوم ليلي على معسكر المسلمين. ويحدثنا أبو الفداء عن المقاومة بقوله:

«فكنا على جانب البحر، والبحر عن يميننا إذا واجهنا عكا، وكان يحضر إلينا مراكب مقبية بالخشب الملبس جلود الجواميس، وكانوا يرموننا بالنشاب والجروخ، وكان القتال من قدامنا من جهة المدينة ومن جهة يميننا من البحر، وأحضروا بطسة (مركبا) فيها منجنيق يرمي علينا وعلى خيمنا من جهة البحر، فكنا منه في شدة».



ونجح المسلمون بعد حصار استمر قرابة الشهر ونصف الشهر في خرق الأسوار ودكها وشقوا طريقهم إلى داخل المدينة:

«ولما هجمها المسلمون هرب جماعة من أهلها في المراكب، وكان في داخل البلد عدة أبرجة عاصية بمنزلة قلاع دخلها عالم عظيم من الفرنج وتحصنوا بها».

ودار قتال عنيف داخل طرقات عكا، وتسابق الفرنجة نحو ميناء المدينة وتزاحموا على الأرصفة، ويبدو أن عدد المراكب لم يكن كافياً، وقاتل فرسان الداوية دفاعاً عن حصنهم في المدينة، وقبل أن يسقط حصنهم:

«تمكن أحد عشر واحداً منهم من الهرب من باب سري، وصعدوا إلى ظهر مركب كان بانتظارهم وحملوا معهم جميع الثروات التي جمعوها في الشرق خلال قرنين من الزمن».

وبعدما صفت عكا للمسلمين أمر السلطان الأشرف خليل بتدميرها حسب القاعدة التي كان السلطان الظاهر بيبرس قد طبقها، وما ان وصلت أخبار تحرير عكا إلى المناطق الساحلية التي كانت ما تزال بأيدي الفرنجة مثل عتليت وصيدا وصور وبيروت «حتى ألقى الله الرعب» في قلوب أهلها فأخلوها وهربوا.

بذلك طويت ملحمة الحروب الصليبية، وهي بلا شك من أعظم ملاحم التاريخ وأطولها، استمرت وقائعها مدة تقارب القرنين من الزمن واشتركت فيها أوروبا كلها بشعوبها وطاقاتها. ولوقائع هذه الحروب دروس وعبر ونتائج خطيرة على المشرق العربي وأوروبا سواء من الجوانب السياسية والاقتصادية والحضارية والعسكرية كافة. ولا شك أن أهم دروس وعبر هذه الملحمة هو: أن العرب تحل بهم الهزيمة عندما تكون صفوفهم ممزقة وقواهم مبعثرة، ولا يمكن لشمل العرب أن يجتمع إلا بالوحدة.

الفصل الثالث

نيابـــة صفـــد

بعدما تحدث ابن شداد عن تحرير صفد من قبل السلطان الظاهر بيبرس قال:

«ثم رتب السلطان فيها والياً. . . وجعل فيها أربعة وخمسين مملوكاً من مماليكه، وأقطعهم في بلدها إقطاعاً، وقدم عليهم الأمير علاء الدين كندغدي، وولى في قلعتها مجد الدين الطوري، وصير نيابته في بلدها إلى الأمير عز الدين أيبك العلائي»[١].

إن رواية ابن شداد هذه رواية شاهد عيان وتفيد أن الظاهر بيبرس قرر إقامة نيابة (أو مملكة) فيها ذات كيان خاص حسب الأعراف التي سادت في العصر الأيوبي، وعين لمدينة صفد والياً ولقلعتها حاكماً وترك فيها شحنة عسكرية.

والنائب «هو لقب على القائم مقام السلطان في عامة أموره أو غالبها»[٢]. وجرت العادة أن يكون على النواب «مثل ما على السلطان ويزدادون أن من حقهم مراجعته إذا أمر بما يخالف المصلحة»[٣].

وبالنظر لإحداث نيابة صفد وجدّتها ولطبيعة العصر المملوكي يلاحظ وجود خلاف في المصادر حول حدودها ومدى اتساع رقعتها، وقد اعتبرها محمد ابن أبي طالب الأنصاري المعروف بشيخ الربوة إحدى ممالك بلاد الشام الثماني في العصر المملوكي، وهي: دمشق وحمص وحلب وحماة وطرابلس وصفد والكرك وغزة، وقد ذكر شيخ الربوة شيئاً من تاريخ صفد وعدد بعض الأعمال المضافة إليها لكنه لم يذكر لها حدوداً واضحة[٤].

وبعد شيخ الربوة تحدث ابن فضل الله العمري عن صفد وبيّن حدودها في كتابه **التعريف بالمصطلح الشريف** وهو أقدم كتاب في بابه، وخصها بقوله:

«وأما بلاد صفد: فحدها من القبلة الغور حيث جسر الصنبرة من وراء طبرية ومن الشرق الملاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حولة بانياس، ومن الشام نهر ليطا(ني) ومن الغرب البحر، وولاياتها: الشقيف وهو الشقيف الكبير المسمى بأرنون وهو قلعة منيفة منيعة، ولها بر له والٍ، وولاية جنين، وولاية عكا، وولاية الناصرة، وولاية صور»[٥].

وعدّد صدر الدين محمد بن عبد الرحمن العثماني في كتابه **تاريخ صفد** أعمال نيابة صفد التي تكونت منها وأفاد أن حدودها «قد امتدت حتى عثليت»[٦]. ونقل أحمد بن علي القلقشندي في كتابه **صبح الأعشى** ما ذكره ابن فضل الله العمري دونما إضافات[٧]. ووصف خليل بن شاهين الظاهري نيابة صفد في كتابه **زبدة كشف الممالك** لكنه لم يبين حدودها[٨]. هذا ويلاحظ أن ابن فضل الله العمري حين جعل من الليطاني حد المملكة الشمالي لم يعرف أن عمل الشقيف ومرجعيون وقع إلى الشمال من

هذا النهر، أضف إلى هذا أن طبرية كلها كانت تابعة لصفد مع معظم منطقة الناصرة ومرج ابن عامر وثلاثة أرباع عمل عتليت، وعلى هذا فإن جسر الصنبرة لم يمثل حدها الجنوبـي، ويبدو أن ابن فضل الله العمري كان ينقل ما جاء في مصادر مبكرة، أضف إلى هذا كله أن «حولة» بانياس مثلت الحد الجنوبـي الشرقي لنيابة صفد وليس الحد الشرقي.

وعلى هذا يبدو أن حدود نيابة صفـد كانت في أقصى اتساعها في العصر المملوكي كما يلي: حدها من الغرب البحر المتوسط، ومن الشمال حوض نهر الزهراني، ومن الشرق طرف مرجعيون امتداداً حتى نهر الحاصباني ثم مجرى نهر الأردن حتى جسر الصنبرة، ومن الجنوب أطراف مرج ابن عامر حتى البحر المتوسط.

ومن الواضح أن أراضي نيابة صفد هذه قد احتلت مكاناً استـراتيجياً في وسط بـلاد الشام، وكـانت تمتلك من الموارد والإمكانات ما يقوم بأودها ويمكنها من شغل دورها الذي أقيمت بالأصل لأدائه في مواجهة مملكة عكا وبقية الممتلكات الصليبية في ساحل الشام لكي تتفرغ دمشق للقيام بأعباء التصدي للخطر المغولي.

ومن الممكن تقسيم أراضي النيابة إلى الأقسام الجغرافية التالية:

(أ) السهل الساحلي.
(ب) الهضاب والمرتفعات الجبلية.
(جـ) السهول الداخلية.
(د) منخفض الغور.

ومن المقرر أن السهل الساحلي هو جزء من سهول الشام الساحلية وهو يمتد باتجاه الشمال الشرقي من جانب والجنوب الغربـي من الجهة المقابلة، وتتخلله بعض الرؤوس والخلجان البحرية مثل: رأس صور ورأس الناقورة وخليج عكا وخليج عتليت.

وبشكل عام، كان السهل الساحلي خصباً، وفير المياه، كثير المزروعات، أضف إلى هذا أن البحر وفر لسكانه موارد رزق من أسماكه ومما حمل على ظهره من تجارات وبضائع.

ونظراً لقرب المنطقة الجبلية من البحر المتوسط فقد كانت هي أيضـاً تمـلك إمكـانـات زراعيـة جيـدة، ويـلاحظ أن إمكانات السهول الداخلية كانت هي أيضاً جيدة تتدفق فيها المياه، وتتمتع بمناخ مناسب لإنتاج أنواع كثيرة من المزروعات[٩].

اكتملت رقعة نيابة صفد بعد عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م إثر تحرير عكا وعتليت وتصفية الوجود الصليبـي. وقد تألفت من الأقسام الإدارية التالية: بر صفد (الزنار)، الناصرة، اللجون، جنـين، عكا، صـور والشقيف ومرجعيـون وأرض الجـرمق، وطبرية، تبنين وهونـين، الشاغـورين ومعليا، عتليت، مـرج ابن عامر، الإقليم[١٠]. وكان يتبع كل واحد من هذه الأقسام مجموعة من القرى[١١].

شهدت نيابة صفد مثل غيرها من مناطق بلاد الشام نشاطاً اقتصادياً زراعيـاً وتجاريـاً وحرفيـاً، ذلك أن تمـركز الحـاميات العسكرية داخل صفد والحركات والتنقلات المستمرة للقـوات ولا سيما قبل تحرير عكا شجعت على قيام تجارة نشطة وتأمين السلع والأسواق للقوات. ولا شك أن احتياجات القوات إلى الأسلحة الفردية والجماعية والعتاد واللباس والخيول ومختلف أنواع الحيوانات قد قدمت حوافز على النشاط التجاري والصناعي. أضف إلى هذا أن قرب صفد من دمشق ومن بقية مدن فلسطين والوحدة بين بلاد الشام ومصر، قد مكنا من نقل البضائـع من الشام إلى مصر وبعض منتجات مصر إلى الشام. ولا شك أن التوسـع العمراني في صفد وتحويلها من قرية إلى بلدة كبيرة ــ مع أعمال ترميم القلعة والأسوار وبناء بعض المعاهد الدينية والمساجد ــ أوجدا فرصاً للعمل ويسّرا وجود طـائفة من محتـرفي صناعـة البناء[١٢].

وعلى العموم ارتبطت الحياة الاقتصادية في نيابة صفد، مثلها في بقية أجزاء الدولة المملوكية، بالأرض إلى أبعد الحدود. وفي تاريخ الشرق في مختلف العصور كانت السلطة هي الملّاك الأكبر للأرض، وهي بالتالي المستغل الذي يتولى إنشاء القنوات والسدود والترع وغير ذلك. وما تمتلكه الدولة لم يشكل القطاع الأعظم من الأرض فحسب بل الأحسن. وكانت الدولة تحصل على منتجات الأرض عن طريق حصص رجالاتها وعن طريق الضرائب وغير ذلك، ومن هذه المنتجات كان إنفاق الدولة. ففي أوائل التاريخ الإسلامي كانت المواد العينية تشكل جزءاً هاماً من أعطيات الجند، واستمر هذا الحال طوال العصر الأموي والجزء الأكبر من العصر العباسي. وفي فترة التحكم البويهي عندما صار رجالات الجند هم الطبقة العليا المتصرفة بشؤون الدولة صار هؤلاء ملاكاً للأرض ومستغلين لها، إنما مقابل خدمات عسكرية بحكم الاختصاص والوظيفة، ويعتبر هذا بداية ما عرف باسم «الإقطاع العسكري».

وتطور نظام الإقطاع العسكري وأرسيت قواعده خـلال

العصر السلجوقي. وقد طبق السلاجقة هذا النظام في بلاد الشام إثر دخولها في حوزتهم في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد، وعن السلاجقة ورث الأيوبيون ومن بعدهم المماليك هذا النظام.

وكان للسلاجقة سياسة دينية خاصة، فاهتموا برجال الدين وبإقامة المؤسسات الدينية. وترافق هذا مع نشاط التصوف وانتشاره فقاد هذا كله إلى قيام ما يمكن دعوته باسم «الإقطاع الديني»، حيث حصرت الوظائف الدينية بأسر محددة وباتت الوظائف والمناصب يتم توارثها بشكل منتظم. وكما سيطر الإقطاع العسكري على معظم الأراضي الصالحة للزراعة، شاركه الإقطاع الديني وجاء بعده بالمنزلة. على أن معظم ممتلكات هذا الإقطاع عرفت باسم الأوقاف محافظة بذلك على تسمية قديمة متوارثة[١٣].

إن استيلاء الإقطاع العسكري والديني على الجزء الأعظم من الأراضي الزراعية لم يلغ الملكية الفردية الخاصة، أضف إلى هذا أن الإقطاع العسكري لم يكن في غالب الأحيان تملكاً دائماً للأرض بل استغلالاً. فالقاعدة قضت بإعطاء الأرض بدلاً من الأعطيات ونظيراً للخدمة العسكرية، ولهذا غالباً ما حملت في العصر المملوكي اسم «الخبز أو الأخباز».

والقاعدة في الإقطاع العسكري عدم التوريث، لكن حدث وخرقت هذه القاعدة، ولهذا كان بعض سلاطين المماليك يلجأون إلى إعادة مسح الأرض وحصرها في سجلات ومن ثم إعادة توزيعها، وهذا ما كان يطلق عليه اسم «الروك»[١٤]. وتشير الأخبار المرتبطة ببدايات ظهور نيابة صفد أنه في سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٢م أغارت قوات الظاهر بيبرس على الناصرة وجبل طابور فحررت بعض الأراضي هناك وطردت المتسلطين عليها من الفرنجة، وقام الظاهر بيبرس بمنح هذه الأراضي إقطاعاً لأمراء قواته، وكتب لهم مناشير بذلك[١٥].

وبعد تحرير صفد سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م أقطع السلطان الظاهر بيبرس صفد والأراضي المحيطة بها لمن أبقاه فيها من الأمراء والجند، وقدرت قيمة هذا الإقطاع آنذاك بمبلغ ثمانين ألف درهم[١٦]. وبعد تحرير عكا أعطى السلطان عدداً من الأمراء المماليك إقطاعات من أراضيها[١٧].

وتفيد مختلف الأخبار أن المماليك طبقوا نظام الإقطاع العسكري في مختلف النيابات الشامية ومنها صفد، وجاء التطبيق بإعطاء بعض الإقطاعات للجند والأمراء مقابل خدماتهم العسكرية. كما أن السلطنة كانت تنتزع الإقطاع من بعض الأمراء وتمنع التوريث. ففي سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م كتب الأمير سيف الدين أرقطاي نائب صفد إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون يشكو من نجم الدين فيروز، وكان من أمراء صفد. وأمر السلطان باعتقال فيروز في قلعة صفد وبذلك قطع خبزه، أي انتزع منه إقطاعه ليعطى إلى غيره. وفي السنة نفسها نقل إلى صفد الأمير أيبك البكتوتي من القاهرة، ومنح إقطاع فيروز[١٨]. هذا ويلاحظ أن الأمراء الذين كانوا يخدمون في نيابة صفد أو سواها لم تنحصر إقطاعاتهم حيث تمركزوا بل غالباً ما كانت موزعة على أكثر من موقع. وجاء هذا الإجراء لمنع التوريث والاستبداد في منطقة محددة ولأن الأمراء كانوا يتدرجون في المناصب وكانت خدماتهم غير مستقرة في مكان واحد[١٩].

هذا واعتادت السلطنة المملوكية منح بعض مشايخ البدو إقطاعات لقاء خدمات محددة أو لإسهامهم في بعض الحملات، إنما يبدو أن هذه الإقطاعات جاءت عن طريق التمليك الذي يمكن توريثه. ولم يقتصر هذا الإجراء على مشايخ البدو وإنما شمل أمراء المماليك. فبعدما حرر الظاهر بيبرس قيسارية وأرسوف سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م «أمر بكشف قيسارية وعمل متحصلها، فعملت بذلك أوراق، وطلب قاضي دمشق وعدوله ووكيل بيت المال بها، بأن يملك الأمراء المجاهدون من البلاد التي فتحها الله عليه وتبقى للولد منهم وولد الولد، وما يدوم إلى آخر الدهر، ويبقى إلى الأبد»[٢٠].

ويبدو أن هذه الأراضي قد كانت ممتلكة من قبل بعض الإقطاعيين الفرنجة، وأن هؤلاء هربوا منها مع الذين كانوا يتولون حراثتها إلى يافا وعكا، فأقدم السلطان على تمليكها حسب قاعدة الصوافي التي عرفها التاريخ الإسلامي منذ العصر الراشدي.

وعلى هذا يمكن القول: إن أراضي الامتلاك كانت إما مملّكة حديثاً لأمراء المماليك وهي هنا من أحسن الأراضي أو مما توارثه أفراد من السكان تملكوه. ومن المرجح أن الملاك والمقطعين ـ على حد سواء ـ كان يأتيهم نتاج الأراضي دونما عناء، وأن الفلاحين وإن لم يعتبروا من أقنان الأرض عاشوا ظروفاً كانت بعيدة عن الإنسانية والعدل. ويقول التاج السبكي:

> «ومن قبائح ديوان الجيش إلزامهم الفلاحين في الإقطاعات بالفلاحة، والفلاح حر لا يد لآدمي عليه، وهو أمير نفسه، وقد جرت عادة الشام بأن من نزح دون ثلاث سنين يلزم ويعاد إلى القرية قهراً، ويلزم بشد الفلاحة، والحال في غير الشام أشد منه فيها»[٢١].

ويقول الشاعر الصفدي عمر بن أحمد بن عبد الله بن حلاوات واصفاً أحوال صفد بعدما توجه إليها بكتمر الحاجب كاشفاً سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م:

يا قاصداً صفداً فَعُد عن بلدة
من جور بكتمر الأمير خراب
لا شافع تغني شفاعته ولا
جان له مما جناه مناب
حشر وميزان وشر صحائف
وجرائد معروضة وحساب
وبها زبانية تبث على الورى
وسلاسل ومقارع وعقاب
ما فاتهم من كل ما وعدوا به
في الحشر إلا راحم وهاب[٢٢]

أما بالنسبة لأملاك الأوقاف فإنها بخلاف غيرها من أوقاف نيابات الشام أحدثت كلها في العصر المملوكي، وظهرت مع ظهور النيابة إثر تحرير أراضيها من الصليبيين، ولذلك فإن تاريخ جل هذه الأوقاف يعود إلى عهدي الظاهر بيبرس والأشرف خليل بن قلاوون. وكانت الأوقاف إما بعض الأراضي الزراعية أو بعض الممتلكات في المدن وسواها، وقصد منها تأمين التمويل اللازم لسداد نفقات الموقف عليه بشكل دائم. وكانت الأوقاف إما خاصة تؤدي خدمات محصورة أو عامة تؤدي خدمات اجتماعية وخيرية عامة.

وقد أوقف الظاهر بيبرس عدة قرى على بعض مزارات الأنبياء والأولياء والصحابة. فقد أوقف قرية قديتا في بر صفد على مزار الشيخ خضر، وأوقف ثلاثة أرباع قرية الحقاب وهي إلى الجنوب من صفد، على مزار الشيخ علي المجنون وكان ممن حضر وقائعه، والربع الباقي على شيخ آخر حضر أيضاً وقائعه اسمه إلياس. وأوقف قرية حطين على مزار النبي شعيب وقرية فرعيم وهي إلى الشمال الشرقي من صفد على قبر خالد بن الوليد.

وأوقف الأشرف خليل بن قلاوون عدة قرى على قبر أبيه قلاوون في القاهرة[٢٣].

وأنتجت أراضي صفد أنواعاً متعددة من المحاصيل الزراعية مما شهرت به بلاد الشام لا سيما السواحل المتوسطية من حبوب وخضار وزيتون وقطن وقصب سكر، وتوزعت هذه المزروعات على المناطق متأثرة بالتربة والمناخ والتضاريس.

ويبدو أن الحبوب من قمح وشعير وقطاني (عدس وحمص وكرسنة) قد زرعت في جميع المناطق، وأن القمح والشعير كانا أهم محاصيل نيابة صفد، فالقمح هو مادة التموين الرئيسة والشعير أساسي في أعلاف الحيوانات[٢٤].

وقد زرعت بعض أراضي نيابة صفد بالرز خاصة في المناطق التي وقعت بين الحولة وطبرية مع سهل الحولة نفسه وقرب قناة صور، وكان رز صفد يصدر إلى دمشق. وزرع القطن في مرج بني عامر وفي ساحل عكا وفي بر صفد، وشهر قطن نيابة صفد بجودته[٢٥].

ووجدت مزارع لقصب السكر في ساحل عكا وساحل صور، وشهرة عكا قديمة في إنتاج السكر مع جودة هذا السكر[٢٦]. وشهرت أراضي نيابة صفد بزراعة الزيتون بشكل مكثف في الجليل والساحل[٢٧]. وأنتجت نيابة صفد مختلف أنواع الفواكه والخضروات والورد والرياحين التي أنتجتها بلاد الشام، وكان من بين الفواكه: التين والعنب والرمان والقراصيا والبطيخ والبرقوق والمشمش والدراقن والتوت والتفاح والكمثرى والسفرجل والجوز واللوز والبندق والإجاص والعناب والزعرور والأترج والليمون والكباد والنارنج والموز، ومن الرياحين الآس والورد والنرجس والبنفسج والياسمين[٢٨].

وكانت بعض هذه المنتجات تصنّع، مثل استخراج الزيت من الزيتون وصنع الدبس وماء الورد والزهر مع تصنيع بعض الفواكه، والاستفادة من القطن في صناعة النسيج. ولم تقتصر صناعة النسيج على القطن وقد كانت هنالك الأصواف، وكان الكتان يزرع أيضاً في الجليل، كما أن سهل الحولة كان ينتج الحلفاء بكثرة، وكانت تستخدم في صناعة الحُصُر.

وزرع بعض سكان المرتفعات الحشيشة واعتصروا مادتها وخزنوها لتباع كمادة مخدرة، كما أن الثروة الحراجية كانت كبيرة في نيابة صفد في المناطق الجبلية الساحلية[٢٩].

ويحدثنا النويري أن القاعدة في الزراعة «بسائر بلاد الشام أن كل فلاح يقسم الأراضي التي بيده شطرين فيزرع شطراً ويريح شطراً ويتعاهده بالحرث لتقرع الشمس باطن الأرض، ثم يزرعه في القابل، ويريح الشطر الذي كان به الزرع، هذا دأبهم خلافاً لأراضي الديار المصرية فإنها تزرع كل سنة» وكانت غالبية الزراعات بعلية وأقلها هو الذي اعتمد على السقي وكان الزرع في نيابات الشام إما «شتوياً أو صيفياً»، ويعنون بالشتوي القمح والشعير والشوفان والفول والحمص والعدس والكرسنة والجلبان والبستيلة وهي التي تسمى بمصر البسلي وبالساحل الطرابلسي

الحلبة، ويعنون بالصيفي: الذرة والدخن والسمسم والأرز والحبة السوداء، والكسبرة والمقاثي (القثاء) والوسمة (ورق النيل للصباغة) والقرطم (حب العصفر) والقطن والقنب»[٣٠].

وكان وكلاء المُقْطعين يخرجون نحو الحقول والمزارع مع اقتراب نضوج المحصولات «فيحفظون الزراعة من التطرق إلى شيء منها، ويلازمونها إلى أن تحصد وتنقل إلى البيادر، فعند ذلك يخرج الأمر بحفظ ما يصل إلى البيادر، ويأخذون في الدراس». ويتبع ذلك التذرية ثم قسمة الغلال، وتتم القسمة إما «مناصفة، وذلك في أراضي السقي، ومثالثة ومرابعة، وهو في غالب البلاد، ومخامسة ومسادسة وذلك في المزارع والنواحي الخالية من السكان التي يزرعها المستكرون، ومسابعة ومثامنة، وذلك في النواحي المجاورة لسواحل البحر».

ويعني هذا أن حصة الفلاح الرسمية تراوحت بين نصف المحصول إلى ثمنه وغالباً ما كانت ربعه، لكن هذا كان نظرياً فقط. فقد جرت العادة على مشاطرة الفلاح بحصته بحجة تقصيره في زراعة بعض أجزاء الأراضي وتبويره لها، وإثر ذلك يؤخذ مما بقي له عشره كصدقة، وبعد هذا كله يستوفى منه ما تراكم عليه من ديون سالفة، مما يفيد بالمحصلة أن الفلاح كان يحصل على نسبة ضئيلة جداً من الغلال[٣١]. ويدل هذا على أن أحوال الفلاحين كانت في غاية السوء، وقد دفع سوء الحالة هذه الفلاحين إلى الهرب من القرى والمزارع والهجرة إلى المدن مما نجم عنه نتائج اقتصادية واجتماعية خطيرة جداً.

وأتى القلقشندي على ذكر المواشي في بلاد الشام، فعدد «الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير» كما أشار إلى الوحوش فسمى «الغزلان والأرانب والأسود وكثيراً من أنواع الوحوش المختلفة» وقال: «وأما طيوره [الشام] ففيه الإوز والحمام وأنواع طيور الماء المختلفة الأنواع»[٣٢].

وهنالك من الأخبار ما يشير إلى وجود الإبل في نيابة صفد عند بعض أمراء الدولة وعند القبائل البدوية (العشير)، كما أنه كثرت تربية البقر والجواميس في المناطق الساحلية، أما تربية الأغنام فقد انتشرت في غالبية المناطق. وكان هنالك بعض الماعز، كما انتشرت المناحل في مختلف المناطق، وملكت نيابة صفد ثروة سمكية جيدة من البحر المتوسط والبحيرات والمياه الداخلية[٣٣].

ووجدت في بعض مدن نيابة صفد وقراها صناعات لنسج الحرير والأصواف والكتان مع بعض الصناعات الأخرى مثل اللباد وسروج الخيل، كما توفرت الطواحين التي أديرت بقوة الماء[٣٤].

وسبق أن رأينا لدى استعراضنا لأخبار عكا قبيل تحريرها أنها كانت نشطة تجارياً إلى أوسع الحدود، لكن السلطان الأشرف خليل أمر بهدمها إثر تحريرها، ولا شك أن هذا أوقف نشاطها البحري والتجاري الخارجي، على أنه يبدو أن عكا استردت نشاطها وغدت ميناء نيابة صفد في القرن الثامن هـ / الرابع عشر م، «يقصدها تجار الفرنج بالبضائع، ويأخذون منها القطن، وتضمن بخمسين ألف درهم»[٣٥].

وقد كان هنالك حركة تجارية بين نيابة صفد ودمشق، ولذلك توفرت بعض الخانات على الطرق الواصلة بينهما. وتوفرت الأسواق داخل صفد وفي بعض القرى والبقاع لتوفير الحاجيات والسلع لسكان النيابة، إنما من الصعب الحديث عن أنواع التجارات وحجمها وكميات الأموال[٣٦].

وكانت نيابة صفد أول نيابة أنشئت في فلسطين لتأدية أغراض عسكرية وأمنية ولذلك أقيمت فيها جميع الوظائف التي عرفتها الإدارات المملوكية في النيابات وكان هيكلها الإداري مثله من النواحي العسكرية والمدنية مثل هياكل إدارات نيابة دمشق وحلب والكرك وطرابلس وحماة، والخلاف فقط تعلق بالإدارات الدينية، وهذا ما سنلاحظه لدى عرضنا للأوضاع الإدارية في نيابة القدس.

إن دراسة الجوانب الإدارية ستتناول بالتعريف طبيعة المنصب الواحد مرة واحدة إذا ما تبين وجوده في نيابتي القدس وغزة. وسبق أن نقلنا في مطلع هذا الفصل عن ابن شداد أن الظاهر بيبرس أحدث مع إنشاء نيابة صفد ثلاث وظائف هي: النائب والوالي ووالي القلعة، وكانت هذه الوظائف هي محور العمل الإداري في كل نيابة.

والنيابة هي الوظيفة الأولى، يمثّل صاحبها السلطان، ويكون مسؤولاً عن شؤون الدولة وتصريف أمورها، ويتم تعيين النائب من قبل السلطان بمرسوم (تقليد شريف) يصدر في القاهرة، وكانت صلاحيات النائب شبه مطلقة.

وكان أول من تولى نيابة صفد الأمير عز الدين أيبك العلائي بعد تحرير صفد في ١٨ شوال ٦٦٤هـ / ٢١ تموز/يوليو ١٢٦٦م[٣٧]، وقد تقلب على النيابة منذ هذا التاريخ وحتى سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، تاريخ سقوط بلاد الشام للحكم العثماني، حوالي مئة وسبعة وعشرين نائباً، ثلاثة عشر منهم مرتين وواحد

ثلاث مرات واثنان أربع مرات. فخلال مدة قرنين ونصف القرن عاشتها نيابة صفد تم تغيير النواب فيها مئةً وستاً وأربعين مرة، ومرد هذا يعود إلى طبيعة السلطنة المملوكية بشكل عام، وإلى ما شهدته من اضطراب مستمر وعدم استقرار. وعلى هذا لم ترتبط أمور العزل والتعيين بالكفاءة والعجز بل ارتبطت بالتغيرات التي شهدها مركز الدولة. فبعض الأمراء جرى تعيينهم للتخلص من معارضتهم للسلطان كالأمير سيف الدين الأبو بكري الذي رفض قبول هذا التعيين سنة ٧٣٢هـ / ١٣٢٢م(٣٨)، والأمير أرغون شاه الذي بعث نائباً إلى صفد سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م لتعاليه على السلطان نفسه وتكبُّره على الأمراء وفحشه في مخاطبتهم، وخشية من فتنة قد يحدثها في القاهرة(٣٩)، والأمير أحمد الساقي الذي أبعد إلى نيابة صفد سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م لأنه كان صاحب فتن(٤٠).

وكان بعض الأمراء يرسلون نواباً إلى صفد غضباً عليهم لا خشية منهم مثل الأمير سيف الدين طغاي الخاصكي، وكان ذا حظوة لدى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فغضب عليه فنفاه نائباً إلى صفد سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م(٤١)، والأمير الحاج آل ملك الذي كان نائباً للسلطنة في مصر فعزل وأرسل نائباً إلى دمشق، وفي الطريق إليها لحقه أمر آخر بتعيينه نائباً لصفد، وكان ذلك سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م(٤٢).

وجرى تعيين بعض النواب استرضاء لهم في بعض حالات العصيان. ففي سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦١م أقدم السلطان خشقدم على تعيين الأمير تمراز الأشرفي نائباً لصفد ذلك أنه اتفق مع الأمير جانم نائب دمشق على العصيان وحضر بالعساكر إلى مصر، لذلك أرضي بنيابة صفد وبذلك أضعف السلطان حركة العصيان(٤٣).

وكان مما ابتليت به السلطنة المملوكية لا سيما في عهودها المتأخرة بيع المناصب والرشوة، وشمل ذلك الوظائف العسكرية والإدارية والدينية. فقد دفع مقبل الرومي سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٣م مبلغ ١٢,٠٠٠ دينار ثمن تولي نيابة صفد(٤٤). ودفع سنة ٨٩٢هـ / ١٤٨٧م يلباي الإينالي مبلغ ٢٠,٠٠٠ دينار مقابل تولي نيابة صفد(٤٥). وبذل سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢م الأمير طرباي مبالغ كبيرة للحصول على هذا المنصب(٤٦).

ومما يثير الدهشة أن شراء المناصب أخذ منذ أيام السلطان الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون (٧٥٣ ــ ٧٥٥هـ / ١٣٥٢ ــ ١٣٥٤م) سمة قانونية في الدولة المملوكية حيث تأسس أيام هذا السلطان ديوان خاص عرف باسم ديوان البذل.

وازدادت مكانة هذا الديوان مع ازدياد الضائقة المالية لدى السلطنة وهو يدل على حالة التفكك والضعف التي آلت إليها أحوال دولة المماليك قبل سقوطها. هذا وإن في ضخامة المبالغ التي بذلت في سبيل منصب نيابة صفد ما يشير إلى أهميته وحساسيته(٤٧).

وكان نائب صفد يعتمد في دخله على ما كان يصله من الإقطاعات المخصصة لمنصبه، وإذا لم يكفه ذلك ولم يف بحاجته كان يزاد من أموال الخاص السلطاني، فهذا ما حدث سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م عندما زيد الأمير علم الدين سنجر الحموي وعرف بأبي خرص ــ من الخاص السلطاني، وتكرر الأمر سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م عندما زيد الأمير طشتمر البدري الساقي ــ الملقب بحمص أخضر ــ من الخاص السلطاني(٤٨).

وعرف النظام المملوكي التدرج في الرتب العسكرية، وكان أعلى الرتب إمرة مئة وتقدمة ألف، وحامل هذه الرتبة كان تحت إمرته مئة أمير وألف مقاتل، وجرت العادة أن يتولى نيابة صفد من حمل هذه الرتبة العالية وكان آخر من وليها من مقدمي الألوف الأمير أزدمر المسرطن(٤٩).

ومر بنا أنه أحدث مع منصب النيابة منصب الولاية، ومن المرجح أن النائب كان مسؤولاً عن حكم النيابة جميعها، لكن مسؤولية الوالي لم تتعد مدينة صفد، وكان الذي يشغل هذا المنصب من العسكريين ذوي المراتب الدنيا وغالباً ما كان من أمراء العشرات. وعني الوالي بشؤون الأمن والإدارة، وعندما غدت نيابة صفد تضم أكثر من مدينة وتتألف من عدة إدارات صار لكل إدارة واليها الخاص. وعلى هذا تعدد الولاة في النيابة الواحدة(٥٠).

والإشارات التاريخية إلى الذين تولوا منصب ولاية مدينة صفد وغيرها من الولايات قليلة جداً، وعلى العموم كان تعيين والي صفد يجرى من قبل السلطان. ففي سنة ٦٧٨هـ / ١٢٨٠م نقل السلطان قلاوون الأمير سيف الدين بلبان الجوادي من ولاية مدينة صفد إلى «خزاندارية» قلعتها، ونقل سنة ٦٧٩هـ / ١٢٨١م الأمير علم الدين سنجر الكرجي من نيابة القلعة إلى ولاية المدينة(٥١). ومثلما حصر السلطان بنفسه أمر تعيين ولاة مدينة صفد ونقلهم اندرج هذا على ولاة المناطق الإدارية التابعة للنيابة، ففي سنة ٦٧٩هـ / ١٢٨١م ولى السلطان قلاوون الأمير بدرالدين بن درباس ولاية جنين ومرج ابن عامر، وبعد تحرير عكا سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م نقل السلطان الأشرف خليل الأميرَ

سنجر الصوابي من ولاية بر صفد وعيّن بدلاً عنه الأمير علم الدين أيدغدي الألدكزي[٥٢].

وكانت وظيفة نيابة قلعة صفد قد أحدثت مع تأسيس النيابة، وهي نيابة مستقلة لا تخضع لصلاحيات نائب صفد، بل تتبع السلطنة مباشرة. وكانت الواجبات الملقاة على عاتق متوليها صيانة القلعة وحفظ الذخائر والأعتدة المخزونة فيها وعدم التصرف بها إلا بأمر من السلطان بالذات. وكان على نائب القلعة مراقبة نائب صفد وإخبار السلطان بحركاته ونواياه ومنعه من التمرد والاستقلال. وتمركز في القلعة عدد من الجند كانوا تحت إمرة نائبها يتولون حمايتها، كما حوت قلعة صفد جامعها الخاص، وحوت سجناً كان يودع به كبار معارضي السلطنة. ولم تكن قلعة صفد هي القلعة الوحيدة في النيابة، بل وجد إلى جانبها عدد من القلاع كان أهمها في الأراضي الفلسطينية قلعة قاقون[٥٣]، التي سبق الحديث عن إقامتها.

ويلاحظ مستعرض تاريخ السلطنة المملوكية أن وظيفة أتابك قد شغلها الشخص التالي في المرتبة للسلطان، وكانت هذه الوظيفة قد نشأت في العصر السلجوقي[٥٤] وتطورت لتعني في الدولة المملوكية قيادة العساكر السلطانية، وقد عرفتها نيابة صفد، إنما ليس بشكل دائم كما يبدو.

وكان من بين الذين شغلوا منصب الأتابك ومقدمية العساكر في نيابة صفد جمال الدين أيدغدي سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م، والأمير غرس الدين خليل بن شاهين الشيخي سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٩م، والأمير يشبك الفقيه سنة ٨٤٩هـ / ١٤٤٦م، والأمير خاير بك النوروزي سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م، والأمير جمال الدين يوسف بن يغمور والأمير قاني باي طاز في ستينات القرن التاسع هـ / الخامس عشر م والأمير أزدمر الإبراهيمي الطويل سنة ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م[٥٥].

وتمركز في نيابة صفد قوة عسكرية لم تكن بالكبيرة، مهامها الأساسية الحفاظ على الأمن والدفاع قبل تحرير عكا، وتوزعت هذه القوة بين القلاع والمدن، وتألفت من نوعين من الجند هما: مماليك النائب والأمراء وشكلوا الحرس الخاص لكل منهم، وكان عددهم ألفاً. وأجناد الحلقة، وهم فئة من الجند كانوا في البداية يشكلون جند السلطان المختارين، ثم تطور الأمر بعد الظاهر بيبرس فصار اللفظ يدل على الجيش المملوكي عامة بعناصره المملوكية الأصل وغيرها، وبلغ عدد هؤلاء في نيابة صفد ألفاً أيضاً[٥٦]. وكان يلحق بهذين النوعين من الجند القوات المساعدة أو الرديفة والمتطوعة، وكانت هذه القوات تجند من قبل قبائل العرب والتركمان وقت الحاجة بشكل مؤقت لتأدية خدمات محددة[٥٧].

وعرفت نيابة صفد وظيفة الحجابة، وكان صاحبها من حيث المبدأ من أمراء المئات ومقدمي الألوف يساعده حاجبان كل واحد منهما برتبة «أمير عشرة. وهو ثاني نائب السلطنة في الرتبة ولا يدخل أحد دار النيابة راكباً غير النائب وغيره، وهو نائب الغيبة إذا خرج نائب السلطنة في مهم أو متصيد أو غير ذلك، وإليه ترد المراسيم السلطانية بقبض نائب السلطة إذا أراد السلطان القبض عليه، ويكون هو المتصدي لحال البلد إلى أن يقام لها نائب»[٥٨].

وممن تولى منصب الحجابة في صفد في النصف الأول من القرن الثامن هـ / الرابع عشر م الأمير صارم الدين الصفدي والأمير بيبرس الذي تولاها مرتين أيام الناصر محمد بن قلاوون. وكان حاجب صفد سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م اسمه ناصر الدين بن محمد البخاتي وفي سنة ٨٠٤هـ / ١٤٠١م علاء الدين علي بن بهادر بن عبد الله الدواداري، ومن سنة ٨١٢هـ / ١٤١٠م وحتى سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م شاهين بن عبد العزيز، وفي سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م خاير بك النوروزي وفي سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م محمود بن الدواداري[٥٩].

وقد تدل المعلومات المتوفرة حول هؤلاء الحجاب وبعد المدد التاريخية بين واحد وآخر أن شغل هذه الوظيفة لم يكن دائماً في نيابة صفد.

وعرفت نيابة صفد وظائف عسكرية أخرى كان منها منصب الدوادار وتعني «ممسك الدواة» وأطلق على حامل دواة السلطان أو الأمير. ويبدو أن هذه الوظيفة لم تملك سمة الديمومة في صفد، وجاء في الأخبار فقط أنه في سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م كان اسم الدوادار شهاب الدين أحمد، وفي سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٩م كان يلبغا السالمي[٦٠].

ومنها منصب الخزندار وهو المسؤول عن خزائن قلعة صفد ومحتوياتها من أسلحة وأعتدة وغير ذلك. ومثل الوظيفة السابقة يبدو أنها شغلت أحياناً فقط، فالذي ذكرته المصادر هو أن السلطان قلاوون نقل سيف الدين بلبان الجوادي سنة ٦٧٨هـ / ١٢٨٠م من ولاية المدينة إلى خزندارية قلعة صفد.

وكان لنيابة صفد إدارتها المدنية أيضاً، وقد شغلها «أرباب الأقلام». وتصدر هؤلاء «ناظر النظار» أو «ناظر المملكة» وكانت وظيفته الإشراف على جميع الدواوين، ولذلك حمل لقب (وزير)

أحياناً. وكان يعين من قبل السلطان، وكانت مهامه استشارية أكثر منها تنفيذية، تعتمد على قوة شخصية شاغل الوظيفة وحكمته وعمق تجربته. وتولى هذه الوظيفة عماد الدين محمد بن النويري مرتين خلال العقد الثاني من القرن الثامن هـ / الرابع عشر م وكريم الدين أكرم الصغير سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م[٦١].

وكان ديوان الإنشاء أهم دواوين الإدارة المدنية، وقد تولاه موظف عرف باسم «كاتب السر». وكان يفترض فيه معرفة القرآن والحديث والسيرة والتاريخ والحكم والأمثال وأن يكون على درجة كبيرة من الفصاحة والبلاغة[٦٢]. ومن الذين تولوا هذا الديوان في نيابة صفد: شهاب الدين أحمد بن غانم سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م، والشيخ الزين بن العسال سنة ٨٢٥هـ / ١٤٢١م والشيخ جمال الدين الحسناوي سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٥م والقاضي جمال الدين الباعوني سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م[٦٣].

وكان من بين أهم الموظفين في هذا الديوان كتّاب الدرج (دست) أو الموقعون. ولعل أشهر الذين تولوا هذا المنصب في أوائل القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.

وارتبط بديوان الإنشاء البريد، وهو مرفق هام من مرافق الدولة نظم بشكل دقيق جداً منذ أيام الظاهر بيبرس إلى حد أن الخبر كان يرد من دمشق إلى القاهرة في أربعة أيام فقط. واعتمد هنا على نقل الخبر بوساطة الفرسان. وأكثر المماليك أيضاً من استخدام الحمام، كما استخدموا المنائر والشارات الضوئية. وحوت نيابة صفد ثلاث منائر في جنين وقاقون وجبل فحمة مع عدة أبراج للحمام في صفد وقاقون وجنين. كما كان فيها عدة محطات للبريد تصل صفد بغزة فالقاهرة من جهة، وبدمشق من جهة أخرى[٦٤].

وكان ديوان الجيش بين الإدارات المدنية في نيابة صفد، وقد اهتم بشؤون العساكر المحلية وإقطاعاتهم، وتولاه ناظر الجيش وغالباً ما كان واحداً من قضاة صفد، كالشيخ شمس الدين محمد الحافظ القاضي الحنفي في صفد وذلك سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م والقاضي ابن القف الذي صرف عنه سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م لصالح القاضي بدر الدين ابن قاضي بعلبك، وكان ناظر هذا الديوان يعين من قبل السلطان[٦٥].

وسبقت الإشارة إلى وجود وظيفة الكاشف أحياناً في نيابة صفد. وهي وظيفة ذات صبغة عسكرية مدنية[٦٦].

هذا ويرجح أن نيابة صفد قد وجد فيها ديوان للمال تولاه ناظر خاص كان يعينه السلطان، وذلك مع وظائف أخرى كان النائب يتولى تعيين أصحابها[٦٧].

وفضلاً عن الإدارتين العسكرية والمدنية كان في نيابة صفد إدارة دينية شملت القضاء والفتوى والحسبة ونظر الأوقاف والمساجد والمدارس الدينية.

والقضاء مؤسسة رائدة في التاريخ الإسلامي لها تاريخ عام ارتبط بتطورها العام، وخاص ارتبط بتطورها في كل واحد من الأقاليم والأزمان. ويهمنا هنا أن نشير إلى أن السلطنة المملوكية اعترفت بأربعة مذاهب إسلامية فقط هي: الشافعي، الحنفي، المالكي، الحنبلي، وكان جل سكان مصر والشام شافعية، وتلاهم الأحناف، وكان الحنابلة والمالكية أقلية. وفي أيام الظاهر بيبرس تأصل تعيين أربعة قضاة في القاهرة والنيابات، قاض لكل مذهب. وكان من اختصاص القضاة المسلمين الفصل في خصومات المسلمين وغير المسلمين ومشاكلهم إذا ما رغبوا. ويبدو أن قاضي الشافعية كان مقدماً على سواه في نيابة صفد، وأن تعيين قاض للمالكية وآخر للحنابلة كان يهمل في بعض الأحيان. وكان لكل قاض نوابه في مناطق النيابة، ويبدو أن بعض القضاة قد خضعوا لضغوط النواب. ومع انحطاط الدولة المملوكية وانتشار شراء المناصب، شمل ذلك القضاء. فقد كان جمال الدين يوسف بن الباعوني قاضياً للشافعية بصفد، فعزل فتوجه إلى القاهرة فبذل المال فأعيد إلى منصبه سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٥م. وتولى قاضٍ آخر هو ابن الفرعمي قضاء الشافعية مرتين في صفد عن طريق البذل وذلك في النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد[٦٨].

وعرفت نيابة صفد مفتيين فقط، واحداً للشافعية وآخر للأحناف، لكن فضلاً عنهما كان بعض العلماء يتصدون للإفتاء بدون تكليف رسمي، ذلك أن مهام المفتي تعلقت بتوضيح نصوص الشريعة والإجابة عن بعض الأسئلة الطارئة (النوازل)[٦٩].

وكان في نيابة صفد من تولى شؤون الأوقاف والإشراف على بيت المال وحفظ أموال الأيتام[٧٠]، لكن أهم من هذه جميعاً وأشهر كانت وظيفة الحسبة.

والأصل في عمل الحسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تطورت هذه المؤسسة فبات القائم بها وهو المحتسب يتولى الإشراف على النظام العام، ويشرف على الأسواق، وعلى الآداب العامة، ويتحقق من مراعاة الشرع في جميع مجالات الحياة[٧١].

وكانت موارد الحكم في نيابة صفد تأتي من عدة موارد للضريبة وذلك فضلاً عما كانت تدره الإقطاعات وأملاك الأوقاف، فلقد توجب على الفلاحين المسلمين دفع عشر ما يتبقى لهم من حصص الغلال والمحاصيل وذلك كصدقة أو زكاة[٧٢].

وفرضت ضرائب على غير المسلمين من مسيحيين ويهود وعلى الحجاج المسيحيين الذين كانوا يأتون بحراً أو براً إلى الديار المقدسة. وكانت الضرائب التي تجبى في الماضي من أهل الذمة تعرف بالجزية، لكنها باتت تعرف في العصر المملوكي باسم الجوالي، وكانت تفرض على الرجال القادرين فقط من أهل الذمة كما كانت تجبى عادة في المحرم من كل سنة، وتراوح المبلغ المفروض على الرجل ما بين بعض الدينار وأربعة دنانير[٧٣].

وفرضت الضرائب على الحجاج الذين وصلوا إلى الديار المقدسة عبر ميناء عكا، وهذه مسألة سنقف عندها بشيء أكثر من التفصيل لدى الحديث عن نيابة القدس.

وَجَبَتْ سلطات نيابة صفد ضرائب أخرى فرضتها على الممتلكات من دور وحوانيت وحمامات وأفران وطواحين، وكانت تجبى شهرياً أو كل شهرين، كما جبت الضرائب من صناعات الحياكة وغيرها من الحرف، وكانت هنالك ضرائب مفروضة على المراعي وعلى الأغنام والأبقار والجواميس، وعلى البضائع المصدرة وكل السلع التي كانت تباع يومياً في الأسواق إما من البائع أو من المشتري أو من الاثنين معاً.

وعمدت السلطات المملوكية في أوقات الطوارىء والأزمات إلى فرض المزيد من الضرائب لتمويل الحملات العسكرية، وكان هذا كثير التكرار والوقوع[٧٤].

ولم يكن لنيابة صفد دار سكة خاصة بها، وعلى هذا تعامل سكانها بالنقود نفسها التي راجت في السلطنة المملوكية واعتمدت، وذلك من دنانير ودراهم وفلوس، وتأثروا بالتالي بأزمات النقد ومشاكل «زغل العملة» وغيرها مما عانى منه العصر المملوكي، ولا سيما في فتراته المتأخرة[٧٥].

ومثلما تعامل سكان نيابة صفد بنقود السلطنة المملوكية اعتمدوا أيضاً موازين الشام ومكاييلها ومقاييسها بشكل عام، وارتبطت أوضاع النيابة الاقتصادية بأوضاع مدن الشام بشكل خاص ومدن السلطنة المملوكية بشكل عام[٧٦].

بعد هذا العرض العام لأوضاع نيابة صفد بقي علينا ــ قبل استعراض أهم ما شهدته من حوادث سياسية وما شاركت به ــ أن نتعرض للأوضاع الثقافية والحضارية فيها والاجتماعية، لكن بما أن الأوضاع الثقافية والاجتماعية لم تلتزم بالحدود والتقسيمات الإدارية، فإن البحث سيتناولها بشكل إجمالي في فلسطين ضمن إطار بلاد الشام والسلطنة المملوكية مع عالمي العروبة والإسلام.

لقد أنشئت نيابة صفد لتقوم بدور التصدي للصليبيين في عكا والمناطق الأخرى، ولهذا وضعت فيها حامية عسكرية كبيرة وكانت رتبة المتولي لها أعلى رتبة في الجيش المملوكي. وبالفعل شاركت عساكر صفد مع المتطوعة من سكانها في النشاطات العسكرية الدفاعية والهجومية ضد الصليبيين حتى تمت تصفية وجودهم نهائياً. وفي تلك الأثناء وبعدها شاركت قوات صفد في الأعمال العسكرية العامة للسلطنة المملوكية من تصد للمغول إلى الحملات الخارجية لا سيما ضد مملكة أرمينيا وقوى آسيا الصغرى. أضف إلى هذا أن بلاد الشام شهدت خلال العصر المملوكي عدداً من أعمال العصيان والثورات والصراعات على السلطة، وكان لعساكر صفد دورها في هذا كله. ولقد كان من المهام الملقاة على عساكر صفد ضبط الأمن في ديار النيابة والحفاظ على الاستقرار. وبما أن نيابة صفد مثلها مثل غيرها من نيابات الشام قد حوت زعامات محلية طموحة وقوية ونشطة، فإن حامية صفد اصطدمت بهذه الزعامات أو تدخلت لفض الخصومات بين فئاتها.

حول هذه المحاور دار التاريخ السياسي لنيابة صفد، وهو بالواقع سجل أعمال عسكرية بالدرجة الأولى، وليس هذا بالمستغرب فتلك هي الصورة التي يعكسها التاريخ المملوكي.

لقد شاركت عساكر صفد في الحملات المملوكية التي زحفت شمالاً ضد سيس عاصمة مملكة أرمينيا الصغرى (كيليكيا) في السنوات ٦٩١هـ / ١٢٩٢م، ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م، ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م، ولم تنفرد خلال ذلك بدور متميز فيذكر[٧٧].

وكان لعساكر صفد قوات رديفة جندت من البدو وسواهم وكان للمتطوعة من الشعب وجود ومشاركة في الجيوش المملوكية التي تولت الدفاع عن بلاد الشام ضد الخطر المغولي في مطلع القرن الثامن عندما كانت السلطنة المملوكية تحكم من قبل المماليك الأتراك. وليس في المصادر ما يوحي بحجم القوات الصفدية أو النفقات المالية التي تحملتها النيابة وآثار ذلك عليها[٧٨].

وكان تاريخ المماليك الأتراك قد ارتبطت بدايته بموجة الحملات المغولية الأولى، والمدهش حقاً أن انحسار سلطان هؤلاء المماليك وحلول المماليك الشركس محلهم قد ارتبطت بداياته

بوصول الموجة المغولية الثانية بقيادة تيمورلنك، وقد أخفقت السلطنة المملوكية في التصدي له، ولم يكن هنالك أي نوع من الانتصارات يشبه ما حدث في عين جالوت، بل هزائم وتخاذل مخز.

ففي رجب سنة ٧٩٦هـ / أيار/مايو ١٣٩٣م خرج نائب صفد الأمير أرغون شاه الإبراهيمي مع عساكر مملكته وانضم إلى نواب الشام الذين توجهوا إلى حلب للمرابطة بها والدفاع عنها ضد تيمورلنك[٧٩]، ولم يزحف تيمورلنك هذه السنة ضد بلاد الشام بل فعل ذلك بعد سبع سنوات في سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، وفي ربيع الأول ٨٠٣هـ / تشرين الثاني/نوفمبر ١٤٠٠م خرج الطنبغا العثماني نائب صفد مع قواته وانضم إلى نواب الشام الذين زحفوا نحو حلب للتصدي لجيوش تيمورلنك، وكان تيمورلنك قد عقد العزم على الاستيلاء على بلاد الشام ومصر والشمال الإفريقي أيضاً وأعد العدة في سبيل ذلك. وأخفقت العساكر المملوكية في الدفاع عن حلب وانسحبت إلى دمشق، ودخل تيمورلنك حلب مدمراً وقاتلاً بشكل وحشي لا نظير له. وبعد هذا زحف ضد بقية مدن الشام فاستولى عليها كما استولى على دمشق نفسها. إلاّ أنه تجددت أمامه ظروف حالت بينه وبين التوجه نحو مصر[٨٠].

وبعد تيمور تعاظمت الضغوط على السلطنة المملوكية ولا سيما بحرياً، ولهذا عزمت السلطات المملوكية على الاستيلاء على قبرص وبالفعل أعدت الأساطيل لهذا الغرض ونشطت لاحتلالها، وشاركت نيابة صفد في هذا المقصد. ففي سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٤م صدرت أوامر السلطنة إلى نائب صفد الأمير سيف الدين مقبل الرومي، بتجهيز سفينة حربية لتشترك مع العمارة المملوكية المرسلة لاحتلال قبرص، وقد تعين للاشتراك بهذه الحملة أتابك عساكر صفد مع مماليك النائب ومقدمهم[٨١].

ولقد حركت حملات تيمورلنك المختلفة قبائل تركستان وسواها وسببت دفع قبائل تركية جديدة نحو المناطق الحدودية لبلاد الشام ولا سيما في الشمال، وكان من بين أهم القبائل مجموعة عرفت باسم الشاة البيضاء (الآق ــ قونيلو). واضطرت السلطنة المملوكية إلى تجديد الحملات ضد الآق ــ قونيلو، ومن بين الحملات واحدة قادها السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٣م، وقد شاركت عساكر نيابة صفد في هذه الحملة[٨٢].

وكان المماليك الأوائل قد ركزوا نشاطاتهم في شمالي بلاد الشام ضد دولة أرمينيا الصغرى، وبعد زوال هذه الدولة ظهر في بعض مناطقها السابقة دويلة تركمانية جديدة اسمها «دلغادر» (ذو لقادر) في «أبلستان». وقد هددت هذه الدولة حلب وأراضي شمالي بلاد الشام، وجردت السلطنة المملوكية جيوشها ضدها، وشاركت عساكر صفد في الحملات المملوكية التي جردت في الفترة المحصورة فيما بين ٨٧٠ ــ ٨٧٥هـ / ١٤٦٥ ــ ١٤٧٠م[٨٣].

وحاولت السلطنة المملوكية وضع دويلات التركمان في مناطق الحدود الشمالية تحت نفوذها مستهدفة من وراء ذلك استخدامها كحاجز بينها وبين الدولة العثمانية المتنامية القوى والمطامح في آسيا الصغرى وأوروبا الشرقية، لكن السياسة المملوكية أخفقت، وحدثت صدامات مباشرة مع العثمانيين كان الحاسم فيها معركة مرج دابق في ٢٥ رجب سنة ٩٢٢هـ / ٢٤ آب/أغسطس ١٥١٦م. وكانت عساكر صفد ضمن جيش السلطنة المملوكية، وقتل في هذه المعركة الأمير طراباي نائب صفد، ودخلت بلاد الشام ومن ثمّ مصر تحت السلطان العثماني، وانتهى بهذا العصر المملوكي[٨٤].

لقد عاشت نيابة صفد وسط دوامة أحداث بلاد الشام في العصر المملوكي وشاركت بشكل أو آخر في حركات التمرد التي قام بها نواب الشام ولا سيما في دمشق، فعندما تمرد الأمير سنقر الأشقر على السلطان قلاوون سنة ٦٧٨هـ / ١٢٨٠م وأعلن نفسه سلطاناً في بلاد الشام مال نحوه الأمير علاء الدين الكبكي نائب صفد، فأقره سنقر في منصبه، وشارك بعد ذلك في القتال الذي دار ضد قلاوون أولاً قرب غزة ثم قرب الكسوة في أحواز دمشق. وانتصر قلاوون وعادت بلاد الشام إلى حوزته، ولهذا تناول العزل نائب صفد علاء الدين الكبكي وحل محله الأمير علم الدين الألدكزي[٨٥].

وسعى في سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م الأمير يلبغا اليحياوي الناصري نائب دمشق إلى خلع الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون وتعيين أخيه حاجي بن محمد مكانه لأن شعبان كان يكثر من اعتقال الأمراء بدون مسوغ. وحاول يلبغا استمالة نواب الشام إلى جانبه، فانضم إليه نائب صفد الأمير سيف الدين آراق الفتاح ونواب حمص وحماة وطرابلس، وأخفقت هذه المحاولة، وعزل نائب صفد آراق الفتاح في ٢٥ شعبان ٧٤٧هـ / ١١كانون الأول/ديسمبر ١٣٤٦م، وعين موضعه أرغون شاه[٨٦].

وبعد مضي خمسة أعوام عزم الأمير بيبغا روس نائب حلب على خلع السلطان الناصر حسن، فمال إليه عدد من نواب الشام كان من بينهم الأمير الطنبغا برناق نائب صفد، وقد دخلت

القوات المتحالفة، ومنها قوات صفد، دمشق في ٢٤ رجب ٧٥٣هـ / ١٤ أيلول/سبتمبر ١٣٥٢م. ونشب بعد هذا خلاف بين زعماء الحركة قاد إلى القضاء عليها من قبل القوات الموالية للسلطان في دمشق. وألقي القبض على عدد من هؤلاء الزعماء وجرى قتلهم في رمضان ٧٥٤هـ / تشرين الأول/أكتوبر ١٣٥٣م وكان الطنبغا برناق نائب صفد بين القتلى[٨٧].

وفي سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م قام نائب السلطنة في دمشق وحلب بحركة عصيان احتجاجاً على تحكم الأمير اينبك بشؤون السلطنة. وفي تلك الأثناء صدر أمر بعزل تمرباي الدمرداشي نائب صفد، فرفض إطاعة الأمر وانضم إلى نائبي دمشق وحلب. وانتهت هذه الحركة بنجاح، فتم طرد اينبك من منصبه وحل محله طشتمر نائب دمشق وزعيم التمرد، فصار أتابكا للعساكر في القاهرة[٨٨].

وتورطت نيابة صفد في الصراعات التي قامت أثناء انتقال مقاليد السلطنة من المماليك الأتراك إلى المماليك الشراكسة. وحدث صراع بين السلطان الظاهر برقوق وبين الأميرين تمربغا الأشرفي الذي عرف باسم منطاش ويلبغا الناصري[٨٩]. وخُلع برقوق واعتقل بالكرك سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٩م، واستبد إثر هذا منطاش بالسلطة واعتقل شريكه يلبغا الناصري، وتخلص برقوق من سجنه وتوجه نحو دمشق فحاول نائبها منعه.

وعندما وصلت أخبار ذلك إلى صفد خرج نائبها قطلوبغا على رأس قواتها وتوجه نحو دمشق لمساعدة نائبها ضد برقوق، وكانت فرصة اغتنمها واحد من مماليك برقوق واسمه يلبغا السالمي فاستمال طائفة من مماليك صفد فتمكنت من الإفراج عن الأمراء الموالين لبرقوق الذين كانوا مودعين في سجن قلعة صفد، وتمكن من صفد وبات يديرها باسم برقوق. ودخل برقوق إلى صفد في ٧ محرم ٧٩٢هـ / ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٣٨٩م واستناب فيها واحداً من الأمراء الموالين له وكان اسمه إياس الجرجاوي[٩٠].

وعاد برقوق إلى السلطنة وهرب منطاش نحو دمشق، ومنها أخذ يسعى لاسترداد السلطنة، فأرسل في عام ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م جيشاً بقيادة قطلوبغا إلى مصر حيث وضع نفسه تحت تصرف السلطان برقوق.

وبعد مضي شهرين جدد منطاش محاولته ضد صفد فأخفق، واستمرت حامية المدينة في موقفها الموالي لبرقوق ولم تتبدل حتى انتهى الصراع سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م وقضي على منطاش[٩١].

إن ما قامت به صفد خلال هذه الأحداث يشير إلى مدى أهميتها فقد غدت محطة للانطلاق إلى دمشق وللتوجه نحو مصر أو لمنع أية قوات تريد مصر من الشام من التقدم.

وتوفي برقوق سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٩م وولي السلطنة بعده ابنه فرج بوصية منه. وسرعان ما اضطربت الأحوال وبات الصراع على السلطة في مصر وغيرها حاداً ودموياً بين صفوف المماليك الشراكسة أنفسهم وبينهم كجماعة، وبين المماليك الأتراك. ولهذا عانت بلاد الشام ككل ونيابة صفد بمفردها من هذه الصراعات كثيراً.

وفي هذه الأثناء كان الضعف قد ألـمّ بالكيان المملوكي وبالبناء العسكري للسلطنة. ونشطت الميلشيات المحلية (زعرـ حرافيش) في المدن الشامية الكبرى، وفي الوقت نفسه تهيأت الفرصة مجدداً أمام عشائر البدو لتسهم في الصراعات على السلطة ولتتصارع محلياً[٩٢].

وبعدما تولى فرج بن برقوق السلطة خرج عليه الأمير تنم الحسني نائب دمشق وسعى إلى استمالة نواب الشام إلى جانبه. وبالفعل انضم إليه نائب صفد الأمير الطنبغا العثماني، لكنه تخلى عنه وعاد إلى طاعة السلطان بعدما هزمت عساكره أمام جيوش فرج بن برقوق قرب غزة سنة ٨٠٢هـ / ١٤٠٠م[٩٣].

وفي سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م خرج الأمير جكم نائب حلب عن الطاعة للسلطان وما لبث أن أيده الأمير شيخ المحمودي نائب دمشق مع عدد آخر من أمراء الشام. ورفض نائب صفد الأمير بكتمر شلق الانضمام إلى حركة العصيان، فحاول شيخ المحمودي أخذ صفد على حين غرة فأخفق. وهنا قرر أخذها عنوة فجهز المعدات الثقيلة والأسلحة الجماعية وحشد قوات دمشق وعشائرها وزحف ضد صفد، ونزل عليها محاصراً في ٢٠ شعبان ٨٠٧هـ / ٢٢ شباط/فبراير ١٤٠٥م، وطالب أن تسلم له المدينة فرفض بكتمر شلق واتخذ موقف الدفاع فقصف شيخ قلعتها وأجزاء من المدينة مما عرضها للهدم كما قطع أشجار المدينة. وبعد مضي قرابة الشهر وصل جكم إلى دمشق فرفع شيخ الحصار عن صفد وتوجه إلى دمشق حيث اجتمع بحليفه وقررا معاً الزحف نحو مصر لخلع فرج بن برقوق. وبينما هما في طريقهما إلى مصر بعثا بقوة ضد صفد فأخفقت من جديد، فعادت وانضمت إلى وحداتها، هذا وأخفقت أيضاً جهود جكم وشيخ في خلع فرج بن برقوق[٩٤].

ولم يطل الأمر حتى نشب خلاف بين شيخ المحمودي وجكم

وبناء عليه مال شيخ إلى الطاعة، وظل جكم على موقفه في العصيان، وقاد هذا إلى الحرب بينهما. وكانت أهم المعارك بينهما واحدة وقعت قرب الرستن على العاصي بين حمص وحماة في سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م، وانتصر جكم فسيطر على دمشق وصفد والصبيبة (قلعة بانياس) وغزة والكرك، وعين جكم لحكم هذه النيابات الأمير نوروز الحافظي[٩٥].

واقتضت الأحوال الآن قدوم فرج بن برقوق إلى بلاد الشام حيث تمكن من استعادتها، فعين مجدداً الأمير شيخ المحمودي نائباً لدمشق. ولم يمكث السلطان الناصر فرج بن برقوق طويلاً في الشام بل عاد إلى القاهرة فعادت الصراعات إلى أرض الشام. وخلال ذلك استولى الأمير سودون الحمزاوي على مدينة صفد لصالح جكم ونوروز الحافظي، ذلك أنهما عادا إلى دمشق وطردا شيخاً المحمودي منها. ولجأ شيخ إلى نيابة صفد في جمادى الآخرة ٨٠٩هـ / تشرين الثاني/نوفمبر ١٤٠٦م، واستقر في مدينة صفد بينما تحصن سودون الحمزاوي في القلعة، وهرب سودون إلى غزة، وانفرد شيخ المحمودي بحكم نيابة صفد[٩٦].

وفي رمضان من سنة ٨٠٩هـ / شباط/فبراير ١٤٠٧م أعلن جكم في حلب نفسه سلطاناً باسم «الملك العادل أبو الفتوح عبد الله جكم» وضربت السكة باسمه «وتغلب نوروز على الشام من جهة جكم، وخطبوا باسمه من غزة إلى أقصى بلاد حلب، ما خلا صفد لوجود شيخ فيها»[٩٧].

ولم يطل الوفاق بين فرج بن برقوق وشيخ المحمودي، وعزم شيخ على خلع السلطان الناصر فرج وتنصيب نفسه مكانه. وهكذا ما ان انتهى الصراع بين فرج بن برقوق وجكم حتى تفجر بشدة أعظم بين شيخ المحمودي وفرج بن برقوق، وكانت أرض الصراع بينهما جميع النيابات الشامية بما في ذلك صفد. فقد ظلت صفد في حوزة شيخ حتى سنة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م ثم صارت إلى الناصر فرج بن برقوق. وفي سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م حاول شيخ الاستيلاء على صفد بقوة السلاح فأخفق، فعمل على استمالة الأمير علان العثماني نائب قلعة صفد إلى جانبه، فاعتقل له الطنبغا العثماني نائب صفد وتولى شؤون النيابة وحكمها باسم شيخ المحمودي.

وتحرك الناصر فرج من القاهرة يريد الشام ولدى وصوله إلى غزة ثار أهل صفد بالأمير علان العثماني وطردوه منها، وما لبث شيخ أن بعث إلى صفد سودون المحمدي نائباً لها، لكن سودون هذا ذهب إلى دمشق وآثر الانضمام إلى صفوف السلطان فرج بن برقوق، فبعث شيخ من جديد نائباً له إلى صفد اسمه الأمير سودون بقجة[٩٨].

وتوجه سودون بقجة نحو صفد ففوجىء أن السلطان الناصر فرج بن برقوق قد بعث بالأمير شاهين الزردكاش نائباً عنه إلى صفد وأن هذا النائب قد تسلم عمله فيها، وطبعاً أقدم على منع سودون بقجة من الدخول إليها. وبناء عليه حشد شيخ المحمودي قواته الخاصة مع أنصاره من القبائل العربية (العشير) وبعث بالجميع ضد صفد في سنة ٨١٢هـ / ١٤١٠م، وبذلت قوات شيخ جهداً كبيراً للاستيلاء على صفد لكنها أخفقت لما لقيته من مقاومة ولوصول نجدات إلى حاميتها من غزة. وأفاد من هذا الصراع والفوضى الناجمة عنه قوات «العشير» فعاثت فساداً ونهباً في المناطق الشمالية من نيابة صفد[٩٩].

وانتهى الصراع المدمر بين فرج بن برقوق وشيخ المحمودي بإقصاء فرج عن السلطنة في سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م وحلول شيخ المحمودي محله، لكن هذا الأمر لم ينه الصراع المدمر في بلاد الشام. ففي الوقت الذي اعترفت فيه نيابة صفد بسلطنة شيخ وفي أن يتولاّها الأمير قرقماس ابن أخي دمرداش رفض نوروز الحافظي نائب دمشق الاعتراف بشيخ وسعى إلى الانفراد ببلاد الشام. ولذلك هاجمت قوات نوروز الحافظي صفد لكنها أخفقت في أخذها، ثم ما لبث أن تبددت قوى نوروز وقدم السلطان المؤيد شيخ المحمودي إلى الشام حيث وضعها تحت سلطانه[١٠٠].

لقد لحق نيابة صفد أضرارٌ جسيمة أثناء تولي فرج بن برقوق للسلطنة. فقد كانت أراضيها مسرحاً للمعارك بين القوى المتصارعة مما أدى إلى تدهور الأمن فيها، وعم الفساد وعظمت المضار الاقتصادية وخرّبت القرى وتعاظمت نشاطات «العشير». وهكذا كتب لنيابة صفد أن تتدهور الأوضاع فيها أسوة بما لحق ببلاد الشام أجمع[١٠١].

وسعى السلطان المؤيد شيخ المحمودي إلى إعادة تنظيم السلطنة المملوكية وبعث الحياة فيها من جديد، وإعادة الاستقرار إلى بقاعها. وقد حقق بعض النجاحات، لكنه أخفق كما أخفق من سبقه في إيقاف الصراعات على السلطنة بين أمراء المماليك، ولم تتوقف أيضاً أعمال العصيان في بلاد الشام مما كان له آثاره على نيابة صفد.

وفي سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٥م خرج الأمير تنبك البجاسي نائب دمشق على طاعة الأشرف برسباي، وقد شارك نائب صفد مقبل الحسامي الرومي وعساكر مملكته في القضاء عليه[١٠٢].

وفي سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م خرج الأمير إينال الجمكي نائب دمشق على الطاعة وقد حاول استمالة الأمير إينال الأجرود نائب صفد إلى جانبه فأخفق. وعلى العكس شاركت عساكر صفد في القضاء على هذا العصيان، ثم شاركت مجدداً سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م في القضاء أيضاً على عصيان نائب دمشق[١٠٣].

ويلاحظ أن المشاركات المذكورة سابقاً قد جاءت المبادرة فيها من خارج نيابة صفد، لكن الأمر لم يقتصر على هذا بل حدث وفجر بعض نواب صفد أعمال عصيان خاصة بمبادرة منهم. من ذلك أنه في سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤٢م عين السلطان أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون الأمير بيبرس الأحمدي نائباً للسلطنة في صفد ثم قام في العام التالي ــ وكان قد جاء إلى قلعة الكرك ــ بمحاولة القبض على هذا النائب، فأصدر تعليماته إلى بعض أمراء صفد بإلقاء القبض عليه، فبلغ بيبرس الخبر ففر من صفد إلى دمشق، وهنا كتب السلطان أحمد إلى أمراء دمشق بالقبض عليه، فتمنع بيبرس وأعلن أن الطاعة للسلطان عندما يكون مقيماً في مصر، لكنه وهو مقيم الآن في الكرك لا طاعة له وبخاصة لأنه يسعى فقط في سبيل قتل أمراء الدولة أو طردهم من الخدمة.

وأصغى أمراء دمشق إلى ما قاله بيبرس وانقلبوا على السلطان أحمد وكتبوا إلى مصر بضرورة خلعه، وبالفعل جرى خلع هذا السلطان وأرسلت القوات ضده إلى الكرك، وقد شاركت عساكر صفد بذلك حتى سقط نهائياً[١٠٤].

وحدث ثانية في سنة ٧٥١هـ / ١٣٥١م أن وثب نائب صفد الأمير أحمد الساقي على قلعة المدينة واعتصم بها، وفعل ذلك بعدما بلغه أن النية معقودة على عزله وسجنه، وأرسلت قوات دمشق ضده وحاصرته حتى ألقي القبض عليه في محرم ٧٥٢هـ / آذار/مارس ١٣٥١م وأرسل ليسجن في الإسكندرية[١٠٥].

كما حدث في سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م أن أعلن الأمير ططر نفسه سلطاناً، لكن ما لبث أن داهمه المرض فتنازل عن السلطنة لابنه ومات. فقام إثر ذلك الأمير برسباي بخلع ابن ططر وأحل نفسه محله بالسلطنة. وكان ططر أثناء سلطنته قد عين الأمير إينال الظاهري نائباً للسلطنة بصفد ومعه أخوه نائباً في القلعة.

ولدى سماع إينال بخلع ابن سيده ططر وسلطنة برسباي شق عليه ذلك، فرفض الاعتراف بما حدث، واتفق مع أخيه فأخرجا الأمراء المساجين بالقلعة واعتقلا من لم يوافقهما وكان هذا في ٨٢٥هـ / ١٤٢٢م.

وحاول إينال استمالة «العشير» في منطقة صفد فأخفق فاصطدم به وهزم، فتخلى عنه الأمراء الذين أطلق سراحهم من سجن قلعة صفد والتحقوا بدمشق.

وبلغ السلطان الجديد «برسباي» ما حدث فبعث إلى نائب دمشق يأمره بتجريد قواته ضد إينال وعين حاجب دمشق الأمير مقبل الحسامي نائباً جديداً لصفد. وسارت عساكر دمشق نحو صفد فحاصرتها مع القلعة حتى استسلم إينال فألقي القبض عليه وعلى أعوانه وأرسلوا إلى القاهرة وتسلم مقبل الحسامي نيابة صفد[١٠٦].

لعل أهم ما تشير إليه هذه الحادثة هو دور القبائل البدوية «العشير» في تقرير مستقبل نيابة صفد، ومفيد أن نولي هذا الجانب الاهتمام اللائق به.

ظل البداة العرب يملكون القدرة على إحداث التغيير السياسي في بلاد الشام حتى أواخر القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي حيث أزاحهم عن مسرح الأحداث المهاجرون البداة من الغُزّ والتركمان وتواءم هذا مع قيام الحروب الصليبية والتحولات التي ألمت بالإدارة العسكرية المسلمة في بلاد الشام حيث سارت نحو الاحتراف المطلق والحصر الكامل بأيدي مجموعات من العسكريين التركمان، ثم الأكراد، وأخيراً المماليك. واحتكر المماليك العمل العسكري وحاولوا الاستبداد بكل شيء ومنع غيرهم من النشاط الذي له صبغة عسكرية لأنهم أدركوا أن في ذلك تهديداً لوجودهم، ومنزعاً نحو الاستقلال من قبل أهل الشام ومصر.

وعلى الرغم من جميع الجهود التي بذلها المماليك فإن الروح العسكرية لم تمت لا بين سكان المدن ولا بين العشائر البدوية، فالنزعة القتالية متأصلة لدى البداة، وروح الجهاد متمكنة لدى المسلمين من سكان المدن. وسبق ورأينا مدى مشاركة الشعب في معارك التحرير وتصفية الوجود الصليبي. وعندما بدأ الضعف يدب في أوصال المؤسسة العسكرية المملوكية ازدادت بالمقابل قوة الطوائف المحلية ولا سيما البدوية منها.

قال شيخ الربوة أثناء حديثه عن أعمال صفد:

> «ومن أعمالها كفركنا، وهي قرية كبيرة بها مقدمو العشائر ورؤساء الفتن والهوى، يسمون قيس الحمراء. . . ومن أعمال صفد مدينة اللجون وهي مضافة إلى العشيرة والهوى. واليمن أهل الناصرة، كما أن أهل كفركنا هي قيس»[١٠٧].

ومثل هذا ما نلحظه لدى القاضي العثماني. فقد قال أثناء

حديثه عن الناصرة: «إن أهلها في هذا الزمن رأس عشير يمن، كما أن أهل كفركنا رأس عشير قيس» ثم قال: «وبكفركنا مقدمو العشران أمراء طبلخانات وهم رأس قيس أهل فتن وأهواء» ووصف الوضع في اللجون بقوله: «وهو من عشير يمن، وكذلك جميع مرج بني عامر»(١٠٨).

على هذا كان في نيابة صفد عدد من القبائل العربية انتسبت إما إلى قيس (عدنان) أو إلى يمن (قحطان) حسب القاعدة الموروثة في تاريخ العرب. لكن شيخ الربوة والعثماني لم يعطيانا شيئاً من التفاصيل عن أسماء كل مجموعة قبلية وإلى من انتسبت من قيس أو يمن عدا عن أماكن توطنها وأسلوب عيشها وإدارتها ومدى حجمها وقوتها. ولعل سبب ذلك هو طبيعة النظام المملوكي وكون نشاط القبائل العربية كان محدوداً لم يصل إلى مسامع مؤرخي السلطنة في مصر بل عرف به الشاميون فقط.

لكن هذه الصورة تبدلت مع مطلع القرن التاسع هـ / الخامس عشر م، حيث أخذت تتوفر لدينا معلومات أكثر تفصيلاً ولا سيما حول عشيرتين هما: حارثة وبشارة، وبتنا نقف على أخبار بعض مشاركاتهما لا سيما في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق أثناء الصراع بينه وبين شيخ المحمودي. فلقد وجدت القوى المتصارعة أنها بحاجة إلى من يردفها ويقدم لها العون فأقبلت على تجنيد القوى البدوية، ولنحاول إلقاء بعض الأضواء على هاتين المجموعتين الرئيستين:

(أ) **حارثة**: سلف وذكرنا أن قبيلة طيء كانت قد اتخذت من فلسطين دياراً لها، ويبدو أن حارثة التي قطنت نيابة صفد كانت من طيء، فهذا ما توحي به المواد التي أثبتها القلقشندي في كتابه **قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان**(١٠٩). ويرجح أن حارثة قد كانت بين «عشير» جبال صفد واللجون وقاقون، الذي تولى نهب القوات المملوكية المتراجعة أمام ضغط تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠١م، والذي أغار على الرملة ونهبها منتهزاً فرصة الفوضى الناجمة عن حملة تيمورلنك(١١٠).

ووقع في هذا العام صدام بين حارثة وسلطات صفد المملوكية، فقد أغارت حارثة بقيادة أميرها متيريك بن قاسم بن متيريك على صفد ونهبت أموالها وأموال الأمراء والجند والمماليك الذين فروا من دمشق إليها. وفي تلك الآونة قدم إلى صفد الأمير دقماق المحمدي نائباً لها، فهاجم متيريك فهزم من قبله مما دفعه إلى الاستنجاد بشيخ المحمودي وكان نائباً لطرابلس، وهاجمت القوة المملوكية الموحدة متيريك فهزمته وقتلت عدداً من أتباعه وأسرت اثنين من أولاده فقتلتهما وسلبت له ستة آلاف بعير. وسمع بهذا الأمير جكم، فكاتب النائبين يطلب منهما الصفح عن متيريك وإعادة ما نهب له، ومعروف أن جكم كان آنذاك خارجاً على السلطان ولا شك أنه كان متحالفاً مع متيريك أو يهدف إلى التحالف معه(١١١).

وعلى الرغم مما حل بمتيريك فإنه تابع نشاطه وغاراته حتى اعتقله سودون الحمزاوي نائب صفد في شوال سنة ٨٠٤هـ / أيار/مايو ١٤٠٢م، ثم قام في صفر من العام التالي ٨٠٥هـ / أيلول/سبتمبر ١٤٠٢م بقتله والتمثيل بجثته(١١٢).

ولا ندري من خلف متيريك في إمارة حارثة وكل ما وصلنا هو أنه في سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م جرى صلح بين فرج بن برقوق وشيخ المحمودي، وغلب على دمشق الأمير نوروز الحافظي، وبلغ نوروز تحرك برقوق نحو الشام فجهز الأمير سودون المحمدي في عسكر إلى الرملة وأمره بشنق فواز أمير عرب حارثة فشنق(١١٣).

ولعل الأمير فواز هذا كان من أولاد متيريك، ويبدو أن إمارة حارثة صارت من بعده إلى الحسن بن قاسم بن متيريك، وورد ذكر الحسن بن قاسم في أخبار الصراع الذي دار حول صفد بين السلطان فرج بن برقوق وشيخ المحمودي سنة ٨١٢هـ / ١٤١٠م، وقد وقف إلى جانب فرج بن برقوق، ولعله نتيجة لذلك منح لقب «مقدم» فهذا ما قرن به اسمه لدى الحديث عنه(١١٤).

ليس في المصادر بعد هذا إشارات لبني حارثة، ولا نعرف بالتأكيد ما آل إليه أمرها، فقد تكون قد جلت عن ديار صفد أو تغير اسمها.

(ب) **بشارة**: وأما بالنسبة لقبيلة بني بشارة فليس لدينا خبر موثق حول أصلها وإلى من انتمت. وأول ظهور مدون لها جاء في أحداث سنة ٨٥٧هـ / ١٤٠٥م لدى ذكر حملة شيخ المحمودي على صفد. فقد كان بصحبته «أحمد بن بشارة» وعشرانه(١١٥). ولعل في وقوف هذه القبيلة في الصف المعارض للذي وقفت حارثة إلى جانبه ما يوحي أنها كانت من أصل قيسي.

وبعدما تصالح شيخ المحمودي والسلطان فرج بن برقوق، أيد بنو بشارة ذلك ووقفوا موقف المعارض لنوروز الحافظي المتغلب على دمشق، فخرج «ومعه العسكر إلى قصد قتال ابن بشارة»(١١٦).

وثابر بنو بشارة على موقفهم فقد كانوا سنة ٨١٠هـ /

١٤٠٨م بقيادة ثلاثة إخوة هم: حسين ومحمد وحسن بصحبة قوات نائب صفد الأمير بكتمر شلق التي تصدت لنوروز الحافظي لدى محاولته الاستيلاء على صفد[١١٧].

واستغل بنو بشارة حالة الفوضى والاضطراب التي سادت الشام وديار صفد فعاثوا سنة ٨١١هـ / ١٤٠٩م فساداً في الأجزاء الشمالية من نيابة صفد وأضروا بالسكان وهزموا الجند الذين خرجوا ضدهم[١١٨].

واشترك بنو بشارة سنة ٨١٢هـ / ١٤١٠م إلى جانب فرج بن برقوق في حربه ضد جماعة شيخ المحمودي بعدما تفجر الخلاف بينهما من جديد. وكان مع فرج في حربه من البداة بنو حارثة بقيادة الحسن بن القاسم وغيرهم من أبناء العشائر، وانتصر فرج هذا العام، الأمر الذي استغله بنو بشارة فنهبوا المنطقة وعاثوا فساداً في الأجزاء الشمالية الشرقية من النيابة[١١٩].

وكانت قد تأصلت في بلاد الشام مناصب بين القبائل البدوية كان منها إمرة عرب الشام، ومقدمة عرب منطقة من المناطق، وهذا ما عمل به في نيابة صفد. فقد وجد منصب سمّي مقدمية عرب صفد أو «تقدمة العشير»، ويرجح قيام تنافس بين حارثة وبشارة على هذا المنصب. فلقد رأينا الحسن بن قاسم بن متيريك يحمل هذا اللقب في حين حمل سلفه لقب أمير، والإمارة كما هو معلوم أعلى مرتبة وأهم مكانة. وقد احتلت تقدمة العشير في النظام المملوكي المرتبة الرابعة والأخيرة بين وظائف أصحاب السيوف، ويبدو أنه توجب على مقدم العربان في نيابة صفد أن يقوم بعدد من المهام لصالح الدولة مثل الحفاظ على طرق المواصلات وحفظ الأمن والمشاركة في حملات السلطنة، والمساهمة في القضاء على حركات التمرد والعصيان، والمساعدة على جمع الضرائب[١٢٠].

ويروى أنه في سنة ٨١١هـ / ١٤٠٩م كتب ناصر الدين محمد وبدر الدين حسن ابنا أحمد بن بشارة إلى السلطان يطلبان تقدمة العشير في نيابة صفد حسب عادتها مقابل مبلغ ثمانية آلاف دينار يحملانها إليه، ووافق السلطان، وكتب مرسوماً باستقرارهما «في تقدمة العشير بمعاملة صفد. . . ففرضا على أهل النواحي مالاً كبيراً جبوه لنفسيهما ولم يصل منه شيء إلى السلطان»[١٢١].

ولم تؤد تقدمة العشير هذه إلى جباية الأموال بغير حق فحسب، بل إلى الصدام بين زعماء آل بشارة أنفسهم. وفي صفر ٨١٨هـ / آذار/مارس ١٤١٥م طلب حسن بن أحمد بن بشارة أن ينفرد بتقدمة العشير مقابل مبلغ ثلاثين ألف دينار، فأرسل إليه مرسوم سلطاني بذلك، وأمر أن يدفع إلى حامل مرسوم التشريف إليه مبلغ ثلاثة عشر ألف دينار وإلى أستاذ دار دمشق عشرة آلاف، الأمر الذي أغضب أخاه محمد بن بشارة «وجمع على حسن واقتتلا، فانكسر محمد وفر إلى البقاع، ونزل بالزبداني خارج دمشق، ومر على وجهه يريد العراق»[١٢٢].

وظهر في هذه الآونة أمير جديد من آل بشارة اسمه محمد بن سيف بن عمر بن محمد بن بشارة، وشرع يقطع الطرق وعاث فساداً في عدد من المناطق مما دفع السلطات المملوكية في نيابة دمشق إلى ملاحقته حتى ألقي القبض عليه في ربيع الآخر ٨١٩هـ / حزيران/يونيو ١٤١٦م فاعتقل في دمشق ثم بعث به إلى القاهرة حيث أعدم في ذي الحجة سنة ٨١٩هـ / شباط/فبراير ١٤١٧م[١٢٣].

وعاد محمد بن أحمد بن بشارة من العراق واستمر في منافسته لحسن بن أحمد المقدم المعترف به من قبل السلطنة، وهكذا انقسمت العشائر إلى قسمين قسم والى محمداً والآخر والى الحسن. وكان الحسن عام ٨٢٠هـ / ١٤١٧م برفقة نائب صفد خليل الدشاري لدى استقبال السلطان شيخ المحمودي عند قدومه إلى الشام. واستمر في منصبه مقدماً للعشير في نيابة صفد حتى وفاته في ذي الحجة ٨٢٥هـ / تشرين الثاني/نوفمبر ١٤٢١م، وذلك بعدما بلغ درجة عالية من النفوذ والقوة مكنته من التقدم على عشائر الشام وذلك بالإضافة إلى كونه مقدم العشير في نيابة صفد[١٢٤].

ودأبت السلطنة في العمل على القضاء على محمد بن أحمد بن بشارة وتمكنت من ذلك سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م، فبعد أن لاحقته وضغطت عليه حتى اضطرته إلى الجلاء إلى نيابة دمشق أرسل السلطان الأمير:

> «محمد بن منجك إلى دمشق وأمره أن يحتال على ابن بشارة، وأرسله إلى أن ضمن له من السلطان الرضى، فلما كان ذلك أرسل إليه أمان السلطان وحلفه له، وجهز له خلعة فلبسها، وأقبل إلى دمشق فتلقاه وبالغ في إكرامه فأمن له، فبينما هو في سوق الخيل تلقاه ابن منجك فدخلا جميعاً إلى بيت الأمير نكباي نائب الغيبة، فلم يستقر به المجلس حتى قبض عليه، فدافع عن نفسه بسيفه، فتكاثرت على رأسه السيوف، وقبض على عشرين من أعوانه وأصحابه فوسط [قتل] أربعة عشر نفساً واعتقل ابن بشارة بقلعة دمشق، ثم أمر السلطان بإحضاره، فأحضروه إلى القاهرة»[١٢٥].

بيد أن اعتقال محمد بن أحمد بن بشارة لم ينه المعارضة

البدوية للسلطنة نظراً لطبيعة البداة ولأحوال السلطنة والصراعات المستمرة، وهكذا ظهرت شخصية جديدة من آل بشارة هي علي بن بشارة. فقد حاول علي سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م الثأر لاعتقال محمد بن بشارة، فهاجم صفد وحاصر نائبها الأمير قطلوبغا التنمي حتى أرغمه على الفرار إلى دمشق، إنما يبدو أن مدينة صفد لم تسقط له[١٢٦].

وبعد وفاة حسن بن أحمد بن بشارة لا ندري إلى من آلت المقدمية حيث ليس في المصادر المتوفرة حديث حول ذلك. فقد وردت إشارة إلى وقوف آل بشارة إلى جانب تنبك البجاسي نائب دمشق في عصيانه على السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٥م، وأن وقائع الصراع قامت في البداية حول صفد[١٢٧].

واستمر بنو بشارة يشغلون مكانة عالية بين قبائل نيابة صفد يهادنون السلطات المملوكية حيناً ويهاجمونها حيناً آخر، ويقومون بأعمال النهب وتعريض الأمن للاضطراب. ففي سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م صدرت أوامر السلطان بقتل نجم الدين حسن بن بدر الدين محمد بن ناصر الدين بن بشارة وذلك بعدما أمضى مقدماً للعشير أربع سنوات، أثار خلالها غضب السلطان ونقمته لما قام به من سلب ونهب[١٢٨].

واستمر التعامل بين آل بشارة والسلطنة بين مد وجزر، وامتد نفوذ آل بشارة حتى تجاوز نيابة صفد. وقد أوكلت السلطنة إليهم حماية السواحل وكشفها، وحدث في سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م أن قامت البحرية الإسبانية بمهاجمة صور فتولى ابن بشارة مقدم العشير في بلاد صفد صدها[١٢٩].

وتمركزت قوى بشارة في منطقة جبل عاملة. ومع نهاية العصر المملوكي اشتبكت بصراعات مع قبائل أخرى، وباتت هذه الصراعات تتعلق بتاريخ لبنان في بدايات العصر العثماني وليس بتاريخ نيابة صفد[١٣٠].

لقد وجد إلى جانب حارثة وبشارة قبائل أقل شأناً أسهمت بدور في إحداث الصراعات ووردت إشارات عابرة إليها، لكن هذه الإشارات لا تمكن الباحث من معرفة أوضاعها ولا أماكن استقرارها وإلى من انتسبت. هذا ولا نعلم المذاهب التي انتمت إليها هذه العشائر خاصة آل بشارة، ويرجح أنهم كانوا من السنّة، لكنهم بعدما استقروا بجبل عاملة تأثروا بالتشيع ثم أخذوا به[١٣١].

وكان في نيابة صفد بعض المجموعات العشائرية من التركمان والأكراد وبقايا المغول ويمكن أن نضيف إليهم أفراد المماليك من ترك وشركس، ويبدو أن أعداد هؤلاء جميعاً كانت قليلة وأنهم ذابوا بشكل طبيعي بين صفوف سكان النيابة العرب[١٣٢].

الفصل الرابع
نيابة غـزة

تقع مدينة غزة في الجانب الجنوبي الغربي من بلاد الشام، وتطل أراضيها على البحر المتوسط «وهي أول بلاد الشام مما يلي مصر» وهي أيضاً «آخر بلاد الشام مما يلي مصر، وبينها وبين الصالحية ـ أول بلاد مصر ـ ستة أيام» وهي «مدينة كثيرة الشجر[١] كسماط ممدود لجيش الإسلام في أبواب الرمل، ولكل صادر إلى الديار المصرية والشامية».

كانت غزة حاضرة السهل الساحلي لفلسطين، وقد امتد هذا السهل بين البحر المتوسط والمنحدر الغربي لمرتفعات القدس والخليل شرقاً، ويحيط هذا السهل بغزة شمالاً وجنوباً حتى حدود مصر، وهو سهل خصب وعريض ومعتدل الحرارة مشبع بالرطوبة يتلقى بالعادة كميات مناسبة من الأمطار، وتخترقه عدة أودية موسمية.

وقام في هذا السهل أهم مدن فلسطين الساحلية مثل عسقلان ويافا وأرسوف وقيسارية والداروم والعريش. هذا وكانت صحراء سيناء تابعة لغزة في العصر المملوكي كما تبعها بعض مدن الداخل في فلسطين[٢].

ونظراً للطبيعة الجغرافية والمناخية لأراضي غزة، فقد كان سكانها من الحضر والبدو، وتوزع الحضر بين المدن والقرى وعاش البدو في صحراء سيناء والنقب وغيرها من المناطق، وكانت قبائل جرم أكبر وأنشط قبائل غزة، وعادت هذه القبائل بنسبها إلى طيء، وكان لها دورها المتميز خلال العصر المملوكي. وسنتعرض لهذا الدور فيما بعد، لكن من المفيد الإشارة هنا إلى أن ضخامة حجم القبائل البدوية في ديار غزة وأعمال هذه القبائل العسكرية وثورتها

كانت من أهم الأسباب التي دفعت السلطنة المملوكية إلى تمصير غزة وتأسيس نيابة مستقلة فيها[٣].

إن البحث في الأسباب التي دفعت السلطنة المملوكية إلى تأسيس نيابة مستقلة في غزة يقتضي أولاً التعرف إلى شيء من تاريخ هذه المدينة:

لقد تعرضت هذه المدينة إلى الاحتلال الصليبي، وقد حررها السلطان صلاح الدين الأيوبي إثر معركة حطين[٤].

وورد ذكر غزة بعد صلاح الدين أثناء الصراعات بين أمراء البيت الأيوبي في الشام ومصر، وازداد الاهتمام بها والصراع حولها إثر قيام الحكم المملوكي في مصر، ورفض أمراء بني أيوب في الشام الاعتراف بهذا الحكم وسعيهم للقضاء عليه.

فبعدما وصل الخبر إلى الشام بمقتل تورانشاه وإقامة شجر الدر في السلطنة، عبَّر أمراء الشام عن معارضتهم في أن استولى «الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل» على أموال غزة ثم توجه إلى قلعة الصبيبة وبانياس فاستولى عليهما، ورد المماليك على عمله هذا بمصادرة ممتلكاته بالقاهرة[٥].

وأقدم أمراء دمشق الذين عرفوا باسم القيمرية على مراسلة صاحب حلب الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، واستدعوه إلى دمشق، فقدم إليها وتملكها في سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م. وكان في دمشق عدد من المماليك البحرية فغادروها إلى الكرك وسواها. وأفزع ما حدث بالشام شجر الدر ومماليك القاهرة، فأقدموا على تقدمة عز الدين أيبك وزوجوه من شجر الدر[٦].

وكان قد تمركز في هذه الآونة في غزة جماعة من الجند تحت قيادة أمير اسمه «ركن الدين خاص ترك» فتوجهوا نحو الصالحية أول مصر وأعلنوا عن إقامة «الملك المغيث عمر بن العادل الصغير» صاحب الكرك سلطاناً[٧].

وكان في هذه الأثناء الملك الفرنسي لويس التاسع معسكراً في عكا، وقد تلقى عروضاً بالتحالف من دمشق ثم من القاهرة، وأرسل الملك الناصر صاحب الشام طلائع عساكره نحو غزة للسيطرة عليها مقدمة للتوجه نحو مصر، ورد المماليك على ذلك بأن بعثوا بقوة بلغت ألفي فارس بقيادة الأمير أقطاي الذي تمكن من الاستيلاء على غزة[٨].

وجاء هذا ضمن خطة تعاون بين القاهرة وعكا، وقد رد الملك الناصر على ذلك بالإسراع على رأس قواته نحو غزة التي انتزعها، فأثار هذا العمل الخوف والهلع في القاهرة، وعندها خلع المعز أيبك، على طفل أيوبي وأعلنه سلطاناً لمصر، وفي الوقت نفسه قاد قواته نحو غزة، والتقت القوتان في ذي القعدة سنة ٦٤٨هـ / شباط/فبراير ١٢٥١م على مقربة من غزة، وبعد قتال شديد انتصر المماليك، وانهزم الناصر إلى غزة ثم انسحب إلى الشام[٩].

وضمن خطة التحالف بين المماليك والملك لويس زحفت القوات المملوكية على غزة فاستولت عليها وعلى أجزاء من الساحل، فسارع الملك الناصر مجدداً إلى الرد بإرسال قواته إلى غزة فاستولت عليها وعسكرت في منطقة تل العجول خارجها، ووقفت هنالك قرابة عامين في وجه القوات المملوكية، وتدخلت الخلافة في بغداد بين دمشق والقاهرة وأمكن التوصل إلى صلح بين الطرفين قضى في البداية:

١ ــ أن تكون مصر وغزة والساحل والقدس ونابلس إلى نهر الأردن للمماليك.

٢ ــ أن يكون ما وراء ذلك للملك الناصر الأيوبي.

٣ ــ إطلاق جميع الأسرى في مصر من أصحاب الملك الناصر.

وبعد توقيع هذا الاتفاق جرى خلاف في سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م حول تطبيقه، ولذلك عدل حسب الشروط التالية:

١ ــ أن يكون للمماليك مصر فقط.

٢ ــ أن يكون الشام كله للملك الناصر الأيوبي.

٣ ــ أن يفصل بين المملكتين محطة بريد «بئر القاضي» بين غزة والقاهرة[١٠].

وتلاحقت الأحداث بسرعة كبيرة جداً في الشام ومصر داخلياً وخارجياً فحالت دون تنفيذ هذا الاتفاق وقادت نحو زوال الحكم الأيوبي من الشام واستيلاء المماليك على هذه البلاد.

فقد اغتيل المعز أيبك في مصر ثم اغتيلت شجر الدر، كما قتل الفارس أقطاي وحدثت صراعات على السلطة في القاهرة ففر جزء كبير من المماليك البحرية إلى غزة وتمركزوا بها، وازداد في الوقت نفسه الخطر المغولي حيث سقطت بغداد واحتل المغول الشام ووصلت طلائع قواتهم إلى غزة[١١].

هذا وسبق لنا أن تحدثنا في الفصل الأول عن معركة عين جالوت وعن اللقاء الأول بين بيبرس وطلائع المغول عند غزة، ثم عن الهزيمة الماحقة التي لحقت بجيوش هولاكو، ومن ثم

إلحاق الشام بالسلطنة المملوكية وتقسيمها إلى نيابات كانت أولاها نيابة دمشق، وقد كانت فلسطين بما فيها غزة تابعة لهذه النيابة.

ويلاحظ مستعرض أخبار النشاطات العسكرية المملوكية في عهود الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون وابنه الأشرف خليل أنهم اتخذوا غزة قاعدة أولى لحملاتهم في الشام، كما أن هذه المدينة كانت محطة إنذار أولى بالنسبة لمصر، وفيها كانت تتجمع فلول القوات المملوكية في حالة تعرضها لهزيمة ما في الشام. ولهذا ازداد الاهتمام بهذه المدينة، ولا شك أن نفقات تجريد الجيوش وما كانت العساكر تبذله أثناء تحركاتها قد أفادت غزة كثيراً وساعدت على سرعة تطورها وتقدمها ودفعت بالتالي إلى تأسيس نيابة مستقلة فيها، لكن متى تم تأسيس هذه النيابة؟

لقد تحدث ابن شداد صاحب **الأعلاق الخطيرة** عن غزة واستعرض شيئاً من تاريخها الإسلامي ثم ختم حديثه بقوله:

«وهي في عصرنا ـ الذي وضعنا فيه هذا الكتاب ـ فيها نواب مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس الصالحي»[١٢].

ويفيد هذا النص للوهلة الأولى أن غزة جعلت نيابة منذ أيام الظاهر بيبرس، وواقع الحال أنها ظلت تابعة لنيابة دمشق لها مكانة خاصة تتمركز فيها حامية عسكرية بقيادة أمير مسؤول عن أمن المناطق الساحلية ومراقبة النشاطات الصليبية فيها.

وعلى هذا إذا لم تكن غزة قد جعلت نيابة مستقلة في أيام السلطان الظاهر بيبرس، فمتى تم ذلك وما هي الدوافع إليه؟

نقرأ في كتابي **السلوك** و**النجوم الزاهرة** لدى التعقيب على منجزات السلطان الناصر محمد بن قلاوون:

«حتى ان مدينة غزة هو الذي مصرَّها وجعلها على هذه الهيئة، وكانت قبل كآحاد قرى البلاد الشامية، وجعل لها نائباً، وسمي بملك الأمراء، ولم تكن قبل ذلك إلّا ضيعة من ضياع الرملة»[١٣].

ويفيد هذا النص بكل وضوح أن الناصر محمد بن قلاوون هو الذي جعل غزة نيابة مستقلة وتوحي روايات أخرى أن ذلك كان سنة ٧١١هـ / ١٣١١م بعد عودة الناصر محمد من الكرك إلى عرش السلطنة في القاهرة[١٤].

ويضعف هذه الرواية وينقضها الوصف الذي تركه لنا الرحالة المغربي العبدري الذي زار غزة في أيام الأشرف خليل بن قلاوون حيث قال:

«وغزة مدينة متسعة عامرة لا سور لها وبينها وبين البحر مسافة أميال، وهي أكثر عمارة من كل ما تقدم ذكره من بلاد الشام، وهي جسر إلى مصر وإلى الشام، وبها أسواق قائمة ومساجد معمورة، ولها جامع مليح حسن، ولكنها قد عريت عن عالم أو متعلم وأقفرت من فقيه ومتكلم، فهي عامرة وقائمة دائرة، وهذا أمر شمل هذا الأوان المدن والقرى، وعم بحكم القدر أصناف الورى، ولا حول ولا قوة إلّا بالله»[١٥].

تفيد هذه الرواية الوثائقية أن غزة كانت مدينة مزدهرة أيام الأشرف خليل «ولم تكن... ضيعة من ضياع الرملة».

وسبق بيان أنه في أيام الأشرف خليل تمت أعمال تصفية الوجود الصليبي نهائياً في فلسطين، وعلى هذا لم يرتبط تأسيس نيابة مستقلة في غزة بهذا الوجود.

جاء في كتاب **السلوك** للمقريزي لدى استعراض أخبار حوادث سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م.

«وفيه [رجب ـ تشرين الأول/أكتوبر] ثارت العشران ونهبوا نابلس وقتلوا مقتلة عظيمة، فركب الأمير علاء الدين أيدكين الفخري من غزة، وقبض على جماعة منهم، وشنق اثنين وثلاثين من أكابرهم، وسجن كثيراً منهم بصفد، ورتب الأمير علاء الدين أيدغدي الصرخدي نائباً بالبلاد الغزاوية والساحلية لردع العشران»[١٦].

ويفيد هذا النص أن غزة غدت نيابة مستقلة أيام المنصور قلاوون بسبب نشاطات البداة في أراضيها، ويعني هذا أن استقلال هذه المدينة تم مبكراً في عهد السلطان قلاوون، وبناء عليه يحتمل أن هذا الاستقلال قد تأكد بشكل نهائي أيام الناصر محمد بن قلاوون.

لقد حوت نيابة غزة شأنها شأن نيابة صفد ثم نيابة القدس جميع وظائف النيابة المملوكية المستقلة وإدارتها، فقد كان هنالك فضلاً عن النائب: والي مدينة غزة، وحاجب النيابة، وأتابكها، ووالٍ لبرّ غزة مع القائمين على الدواوين المختلفة من إنشاء وسواه، وكان ديوان البريد من أهم الدواوين، ذلك أن غزة كانت محطة بريد رئيسة في الدولة المملوكية[١٧].

وعرفت غزة مؤسسة قضاء كاملة تصدَّرها قاضي المذهب الشافعي، ثم تلاه قاضي المذهب الحنفي، فالمالكي فالحنبلي[١٨].

ولم تشهد نيابة غزة حوادث متميزة خلال العصر المملوكي، وتمحور تاريخها خلال هذا العصر حول زيارات عدد من السلاطين لها، وحول دور بعض نوابها في حوادث العصيان والصراع على

السلطة في بلاد الشام، وأخيراً ــ لكن ليس آخراً ــ حول نشاط البداة فيها.

وكان السلطان الظاهر بيبرس أول سلاطين المماليك الذين زاروها وقد فعل ذلك قبل سلطنته وبعدما أصبح سيد بلاد الشام ومصر. فقد زارها إثر قدومه من الشام والتحاقه بالقاهرة، ثم قدم إليها لاجئاً سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م إثر مقتل الفارس أقطاي وتردد عليها بعد ذلك غير مرة. ودخلها سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م وبصحبته الخليفة العباسي الجديد «المستنصر بالله» أبو القاسم أحمد بن الظاهر عند توجههما إلى بلاد الشام[١٩]. ثم زارها ونزل بها سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٣م، والتقى بها والدة الملك المغيث الأيوبي صاحب الكرك. وخادعها وخدع ابنها حتى تسلم حصن الكرك وأزال الحكم الأيوبي منه. وإثر ذلك خلع على أمراء التركمان وأحضر أمراء العشير فضمنهم البلاد وألزمهم بضريبة العداد على مواشيهم وبحراسة البريد وتأمين الخيول لعساكره[٢٠]. وجاز بها مجدَّداً سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٤م بعدما استكمل تهديم أرسوف[٢١]. ثم نزل بها في السنة التالية أثناء توجهه إلى قتال الصليبيين، وبعد ذلك إثر عودته من دمشق سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م، فقد كان عقد النية على زيارة حصن الكرك، لكن جواده كبا به وهو في طريقه إليه، فغيّر مقصده وعدل عن زيارته وتوجه نحو غزة، فاستدعى أمراء قواته فيها وخلع عليهم ثم أخذ الطريق إلى القاهرة[٢٢]. ولم يطل مقامه في القاهرة بل عاد إلى غزة حيث استقبل في السنة نفسها رسل الفرنج ومعهم بعض الهدايا وعدد من أسرى المسلمين، فأحسن إلى الأسرى وكساهم وأطلقهم ثم توجه نحو صفد لإعمارها[٢٣].

وجاءت الأخبار سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م بحركة المغول وتهديد مدينة حلب، وكان السلطان مشغولاً بالصيد، فقطع صيده وأمر بتجهيز العساكر وجمعها. وفي جمادى الآخرة من السنة نفسها آذار/مارس ١٢٦٨م وصل بيبرس إلى غزة، وتوقف بها، فجاءته جماعة من أهلها يشكون إليه تجاوزات بعض عساكره، فقد «بلغه فيها أن جماعة من الجمّالين تعرضوا إلى المزروعات، فقطع أنوفهم، حتى ان علم الدين سنجر الحموي، أحد أمرائه، ساق في زرع، فما كان من بيبرس إلّا أن أنزله عن فرسه، وأعطاه بسرجه لصاحب الزرع»[٢٤].

ونزل بيبرس غزة مجدداً في العام التالي، حيث خرج إلى قتال المغول وقام أثناء توقفه بغزة بالإنفاق على قواته[٢٥].

وبعد بيبرس نزل غزة ابنه السلطان الملك السعيد محمد بركة، سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م وذلك إثر خروجه من دمشق وتوجهه إلى القاهرة[٢٦].

ولم تطل مدة سلطنة بركة بن بيبرس حيث تسلم مقاليد السلطنة في القاهرة قلاوون الألفي. وكان قلاوون من رفاق بيبرس وأتباعه وعلى هذا زار غزة مراراً قبل سلطنته. وقد زارها للمرة الأولى وهو سلطان سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م، وكان آنذاك قاصداً الشام، وقد أقام فيها أياماً ثم تابع طريقه إلى دمشق[٢٧].

وزار المنصور قلاوون غزة ثانية عام ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م، وكان آنذاك على نية التوجه إلى الكرك، وبعدما أقام بالكرك فترةً قصيرة واطمأن إلى انعدام التهديد المغولي المباشر على الشام توجه إلى غزة فأقام فيها بعض الوقت واستقبل في تلك الأثناء الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة، وأكرم وفادته، ومعروف أن المماليك أبقوا على الحكم الأيوبي في حماة دون سواها في بلاد الشام، وبعد ذلك توجه قلاوون إلى القاهرة[٢٨].

وفي رجب عام ٦٨٦هـ / أيلول/سبتمبر ١٢٨٧م زار السلطان قلاوون غزة للمرة الأخيرة، وعسكر بتل العجول خارجها حتى كانون الأول/ديسمبر من العام نفسه، ثم عاد إلى القاهرة دون أن يفصح عن سبب هذه الإقامة ومراميها[٢٩].

واجتاز بغزة بعد وفاة قلاوون ابنه الأشرف صلاح الدين خليل سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م أثناء عودته من دمشق وفي طريقه إلى القاهرة[٣٠].

ونزل بها سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م، الملك المنصور حسام الدين لاجين بعدما وافق أمراء المماليك على تعيينه سلطاناً[٣١].

واستقر بها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لمدة شهرين خلال سنة ٦٩٨ ــ ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م وذلك خلال سلطنته الثانية، ثم قصد بلاد الشام بسبب تعرضها لمخاطر المغول، ومر بها ثانية في العام التالي ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م، ولم يقم بها غير يومين، ذلك أنه أسرع الخطى نحو دمشق بسبب المخاطر المغولية أيضاً[٣٢].

وتخلى الناصر محمد عن السلطنة سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م وعاش منفياً بالكرك، وكان أثناء إقامته هناك يتطلع إلى العودة إلى عرش القاهرة. وقد رأى أن عليه أولاً الاستيلاء على غزة، وبالفعل خرج من الكرك سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م وتوجه إلى دمشق حيث التحق به نواب الشام، وكلف الناصر الأمير كراي

المنصوري نائب القدس بالتوجه على رأس قوة مناسبة إلى غزة للاستيلاء عليها لأنها دهليز مصر. وفي رمضان من السنة نفسها شباط/فبراير ١٣١٠م وصل الناصر محمد إلى غزة، وبعدما تكاملت استعداداته توجه في شوال ــ آذار/مارس إلى مصر حيث استعاد عرشه للمرة الأخيرة(٣٣).

ولقد سبق لنا في مطلع هذا الفصل أن أوردنا الروايات التي تحدثت عن عظيم اهتمام الناصر محمد بن قلاوون بغزة وأنه هو الذي مصّرها، ويذكر في هذا المقام أنه أمر بزيادة حجم مسجد المدينة، وسنشير إلى ذلك ثانية. وبعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون وأثناء الصراع على السلطة قام ابنه الناصر أحمد بن الناصر محمد باستغلال موقع غزة، ففي سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م كان مقيماً بالكرك، وقد جاء إليه عدد من الأمراء يطلبون منه تولي السلطنة، فأوعز إليهم بالذهاب إلى غزة والإقامة بها حتى يحين الوقت المناسب، وانضم إلى هذه الحركة الأمير آقسنقر السلاري، نائب غزة.

وقام هذا الأمير بمراقبة طرق المواصلات مع مصر ومنع وصول أية قوات أو سواها إلى الشام، وهكذا جرت الأمور مثلما حدث من قبل أيام الناصر محمد بن قلاوون(٣٤).

وحافظت غزة على مكانتها ودورها في العصر الشركسي، فقد نزلها السلطان الملك الظاهر برقوق سنة ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م، بعد انتصاره على الأمراء المعارضين له، وقد أمر حاجب غزة بإلقاء القبض على نائب المدينة حسام الدين بن باكيش، لتعاونه مع أعدائه، وفي كانون الثاني/يناير من السنة نفسها غادر برقوق غزة إلى القاهرة حيث استأنف سلطنته للمرة الثانية(٣٥).

وزار غزة في محرم سنة ٨١٧هـ / نيسان/أبريل ١٤١٤م السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي وأقام بها عدة أيام، ثم غادرها إلى دمشق، ونزل بها ثانية سنة ٨٢٠هـ / ١٤١٧م(٣٦).

ومر بها سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م السلطان الملك المظفر أحمد بن شيخ وهو في طريقه إلى الشام برفقة الأمير ططر، وكان سبب توجهه إلى الشام عصيان جند دمشق عليه. وفي أثناء إقامته بغزة التحق به عدد من الأمراء الذين تراجعوا عن العصيان وذلك بالإضافة إلى نائب حماة(٣٧).

كما اجتاز بها في رجب سنة ٨٣٦هـ / آذار/مارس ١٤٣٣م السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي، وكان موكب السلطان كبيراً، وحين دخوله إلى المدينة وجد نائبها مع أعيانها في استقباله(٣٨).

ومرّ بها السلطان الملك الأشرف قايتباي للمرة الأولى في رجب سنة ٨٨٠هـ / تشرين الثاني/نوفمبر ١٤٧٥م أثناء قصده مدينة القدس لزيارتها ثم مرّ بها ثانية وأقام بها بعض الوقت في رمضان سنة ٨٨٢هـ / كانون الثاني/يناير ١٤٧٨م أثناء عودته من جولته التفقدية لبلاد الشام(٣٩).

ويلاحظ المستعرض لأخبار العصر المملوكي انعدام الاستقرار السياسي واستمرار أعمال التمرد والصراعات العسكرية لا سيما في بلاد الشام، فقد شهدت بلاد الشام عدة محاولات قام بها نواب دمشق وسواهم للوصول إلى عرش السلطنة، وشارك نواب الشام بهذه الأعمال. وكان لغزة ونوابها دورهم. ولسوف أقصر الحديث عن أثر غزة ودورها في ثلاث عمليات عصيان شهدتها بلاد الشام وهي:

١ ــ حركة الأمير سنقر الأشقر نائب دمشق، فقد كان هذا الأمير يرى حقَّه بالسلطنة بعد الظاهر بيبرس، لذلك عارض استئثار السلطان قلاوون بالسلطنة بالقاهرة، وقام سنقر يوم ٢٤ ذي الحجة سنة ٦٧٨هـ / ١٧ نيسان/أبريل ١٢٨٠م بإعلان نفسه سلطاناً بدمشق بلقب الملك الكامل(٤٠).

وسعى سنقر إلى تثبيت سلطانه في بلاد الشام، فأرسل قطعة من عساكره إلى غزة لمنع القوات المصرية من الزحف إلى الشام، ولعزل الشام عن مصر، لكن بعدما دخل جنده «غزة واطمأنوا بها ساعة من نهار، وكان فيهم قلة، عاد إليهم عساكر مصر ونالوا منهم وغلبوا عليهم، فانكسروا ورجعوا منهزمين إلى الرملة».

وحاول سنقر بعد هزيمة قواته وإخفاقها في غزة استمالة جند قلاوون هناك وجمع جيش جديد، ولكن قلاوون عاجله بإرسال الجيوش نحوه فهزمه وطارده من مكان إلى آخر حتى اعتصم بقلعة صهيون ــ صلاح الدين حالياً ــ وتحصن بها.

ولا شك أن عجز سنقر عن الاحتفاظ بغزة كان المؤشر الحاسم على سقوطه وإخفاق محاولته(٤١).

٢ ــ حركة الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي نائب دمشق: قام هذا الأمير بحركة عصيان سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م إثر مقتل السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون على يد الأمير يلبغا العمري، وانضم إلى بيدمر الأمير منجك اليوسفي الذي سيطر على غزة، وعزل بلاد الشام عن مصر، وبعدما علم بيدمر بذلك سير العساكر من دمشق إلى غزة في رمضان ٧٦٢هـ / حزيران/يونيو ١٣٦١م، ولم تتمكن العساكر الشامية من تحقيق

أهدافها. وعندما وجدت نفسها عاجزة عن مقارعة عساكر مصر انسحبت عائدة إلى الشام[٤٢].

٣ ــ حركة تنم الظاهري: أعلن هذا الأمير عصيانه في الشام سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٩م بعد وفاة السلطان الظاهر برقوق ووصول ابنه فرج بن برقوق إلى عرش السلطنة، ذلك أن المماليك الشركس لم يسلّموا بمبدأ التوريث. وقام الأمير تنم في ربيع الأول ــ تشرين الثاني/نوفمبر من السنة نفسها بإرسال الأمير أقبغا اللكاش إلى غزة فاستولى عليها.

وفي هذه الآونة كانت القاهرة تشهد بدورها صراعات على السلطة، وبعد وصول فرج بن برقوق إلى عرش السلطنة انقسم المماليك إلى حزبين، حزب اختار الأمير يشبك الخازندار وعينه أتابكا للسلطنة، وحزب مماليك السلطان الخاصة (الخاصكية) بزعامة الأمير ايتمش، وحسم الصراع سنة ٨٠٢هـ / ١٤٠٠م بهزيمة المماليك الخاصكية وانهزام الأمير أيتمش والتجائه مع عدد من الأمراء إلى غزة.

واستقبل أقبغا اللكاش أيتمش في غزة وأنزله في دار النيابة، وبعث السلطان فرج بن برقوق إلى الأمير تنم يطلب منه العودة إلى الطاعة والقبض على الأمير أيتمش ومن معه، ورفض تنم هذا الطلب ورد عليه بالاستعداد والتحرك نحو مصر، وقد نزل مع أتباعه غزة.

خرجت جيوش مصر نحو غزة للتصدي للحملة الشامية والتقت طلائع القوتين عند تل العجول خارج غزة، ولحقت الهزيمة بالشاميين، وأصيب أقبغا اللكاش بجراح وانضم عدد كبير من أمراء الشام إلى صفوف السلطان، وهكذا عادت غزة مجدداً إلى سلطة السلطان واستمرت إثر هذا الصراعات الداخلية وتعرضت بلاد الشام لحملة تيمورلنك. وبعد انسحاب تيمورلنك تفجرت من جديد الصراعات الدموية وانتهى ذلك كله بعزل فرج بن برقوق ووصول شيخ المحمودي إلى عرش السلطنة[٤٣].

وعاش في فلسطين في العصر المملوكي أعداد كبيرة من القبائل البدوية العربية كانت بلاد نيابة غزة ومنها صحراء سيناء هي ديار معظمها وكانت غالبية قبائل غزة بالدرجة الأولى بطوناً من جرم الطائية ثم من جذام القحطانية، وفضلاً عن ذلك كانت هنالك قبائل صغيرة أخرى[٤٤].

وكان نشاط قبائل جرم وجذام كبيراً في داخل المنطقة في العصر المملوكي، وذلك فضلاً عن توليها حراسة طرق البريد وإسهاماتها في حملات الدولة وأعمال التصدي للمغول.

وتمركزت النشاطات الداخلية على الصراعات بين جرم وجذام، وفي إعمال الغارة على غزة وسواها، وعلى العموم لم تكن علاقات القبائل العربية جيدة أو سلمية مع السلطات المملوكية.

وسنستعرض بعض أهم حوادث نشاطات البداة وأعمالهم:

ففي جمادى الآخرة من سنة ٦٨٠هـ تشرين الأول/ أكتوبر ١٢٨١م كانت السلطنة المملوكية منشغلة بالمخاطر الناجمة عن المغول وعن الوجود الصليبي فاستغل العشير تلك الأحوال وشجعهم، لا بل ورطهم عصيان سنقر الأشقر، فقاموا بتعريض عدد من المناطق في فلسطين، ومنها مدينة غزة لأعمال النهب والسلب. وردّت السلطنة على ذلك بأن أرسل السلطان المنصور قلاوون بقوات من دمشق والقاهرة أنزلت ضربات انتقامية بقوات العشير وتجمعات القبائل.

وتعرضت غزة في السنة نفسها لمخاطر العشير، فخرج الأمير علاء الدين أيدكين الفخري بعساكر غزة، وقبض على جماعة منهم وشنق عدداً كبيراً من رجالاتهم، وقد خلع السلطان قلاوون على الأمير علاء الدين ورتبه نائباً للسلطنة بغزة. وسبق بنا توضيح أهمية هذا التعيين لأنّ المصادر أوضحت أن السلطان رتب علاء الدين «نائباً» في الأعمال الغزاوية لا «مقدماً» لعساكرها حسبما جرت العادة من قبل، والفارق واضح بين نائب السلطنة ومرتبة مقدم العساكر في منطقة من المناطق[٤٥].

لقد كانت السنوات الأخيرة من النصف الأول للقرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد قاسية ومجدبة كثرت فيها الطواعين. ويبدو أن هذه الأحوال دفعت ببعض قبائل أطراف شبه جزيرة العرب، لا سيما من ثعلبة للهجرة إلى فلسطين، واصطدمت ثعلبة بقبائل جرم بزعامة أُديّ بن فضل، وجرت بين القبائل:

> «حروب كثيرة قتل فيها خلائق، وفسدت الطرقات على المسافرين، فخرجت إليهم عساكر دمشق فلم يعبأوا بهم. فلما ولي الأمير يلجك غزة استمال أُديّ بعد أيام، وعضده على ثعلبة واشتدت الحروب بينهم، وفسدت أحوال الناس فركب يلجك بعسكر غزة ليلاً، وطرق ثعلبة، فقاتلوه وكسروه كسرة قبيحة، وألقوه عن فرسه إلى الأرض، وسحبوه إلى بيوتهم. فقام سنجر بن علي أمير ثعلبة عليهم حتى تركوا قتله، بعد أن سلبوا ما عليه، وبالغوا في إهانته، ثم أفرجوا عنه بعد يومين فعاد (يلجك) إلى غزة، وقد اتضع قدره، وتقوى العشير بما أخذوه من عسكره، وعزّ جانبهم، فقصدوا الغور، وكبسوا القصير المعيني، وقتلوا به جماعة كثيرة من الجبلية وعمال المعاصر، ونهبوا جميع ما فيه من القُنود والأعسال والسكر وغيره، وذبحوا الأطفال على صدور

الأمهات. وقطعوا الطرقات، فلم يدعوا أحداً يمر من الشام إلى مصر حتى أخذوه. وقصدوا القدس، فخلى الناس منه ومن الخليل ثم قصدوا الرملة ولدّ فانتهبوهما، وزادوا في التعدي، وخرجوا عن الحد، والأخبار ترد بذلك».

فوقع الاتفاق على ولاية الأمير سيف الدين دلنجي نيابة غزة، وأبقي على إقطاعه بمصر، وخلع عليه وأخرج إليها «وخرجت قوات كبيرة من دمشق وتجهز الوزير من القاهرة وخرج ومعه جيش كبير». هذا وقد قدم الوزير النجابة لكشف أخبار العشير، فلما رحل عن بلبيس عادت نجابته بأن ثعلبة «ركبت بأجمعها، ودخلت برية الحجاز، لما بلغهم مسير العسكر إليهم، فنهب أدي كثيراً منهم، وانفرد في البلاد بعشيره، فعاد الوزير بمن معه، وعبر القاهرة».

وبعد مضي فترة وجيزة وصلت الأخبار إلى «الأمير دلنجي نائب غزة كثرة جمع العشير وقصدهم نهب لد والرملة مرة ثانية، فركب إليهم ولقيهم قريباً من لد، فنزل تجاههم، وما زال يراسلهم ويخدعهم حتى قدم إليه نحو المائتين من أكابرهم، فقبضهم وعاد إلى غزة وقد تفرق جمعهم فوسطهم كلهم».

وبعد هذا بوقت قصير قدم إلى غزة نائب الكرك الأمير قبلاي الناصري:

«فاحتال على أدي حتى قدم عليه، فأكرمه وأنزله، ثم رده بزوادة إلى أهله. فاطمأنت العشران والعربان لذلك، وبقوا على ذلك إلى أن أهلّ شهر رمضان، فحضر أدي في بني عمه لتهنئته بشهر الصوم، فساعة وصوله إليه قبض عليه وعلى بني عمه الأربعة، وقيدهم وسجنهم»، وكتب إلى سنجر: «بأني قد قبضت على عدوك ليكون لي عندك يد بيضاء. فسر سنجر بذلك، وركب إلى قبلاي، فتلقاه وأكرمه، فضمن له سنجر درك البلاد ورحل قبلاي من غده ومعه أدي وبنو عمّه يريد القاهرة، فقدمها... فضربوا على باب القلعة بالمقارع ضرباً مبرحاً وألزم أدي بألف جمل ومائتي ألف درهم، فبعث إلى قومه بإحضارهم، فلما أخذت سُمّر هو وبني [كذا] عمه... وسيروا إلى غزة صحبة جماعة من أجناد الحلقة، فوسطوا بها، فثار أخو أدي، وقصد كبس غزة، فخرج إليه الأمير دلنجي ولقيه على ميل من غزة، وحاربه ثلاثة أيام، وقتله في اليوم الرابع بسهم أصابه»(٤٦).

لقد وضعت هذه الضربة القاسية حداً لنشاط العشير في غزة حتى مطلع القرن التاسع لدى تعرض البلاد الشامية لخطر تيمورلنك ووقوع الصراع على السلطنة. ففي ربيع الآخر سنة ٨٠٤هـ / تشرين الثاني/نوفمبر ١٤٠١م نشب خلاف شديد بين الأميرين صُرق نائب غزة، وسلامش حاجبها، وقاد هذا الخلاف إلى الحرب بينهما. وانضم الأمير جركس نائب الكرك إلى الأمير سلامش وأيده، وكانت محصلة القتال مقتل عشرة أفراد وجرح جماعة أخرى، وفر الأمير سلامش ووقع الأمير جركس بالأسر. وبناء عليه استنجد الأمير سلامش بعمر بن فضل أمير قبائل جرم ضد الأمير صُرق، فقدما في جموع كبيرة واصطدما في غزة مع الأمير صُرق، فلحقت الهزيمة به، وألقي القبض عليه وقتل، وتعرضت غزة للنهب من قبل أتباع الأمير سلامش وأرادوا إحراقها، لكن أمير جرم منعهم وأنقذ غزة من الدمار الكامل(٤٧).

وهدد عربان جرم نيابة غزة وهاجموها سنة ٨٢٥هـ / ١٤٢٢م، فخرج نائبها الأمير يونس الركني لقتالهم، فلحقت به الهزيمة وقتل بعض جنده(٤٨).

وفي محرم سنة ٨٤٩هـ / نيسان/أبريل ١٤٤٥م اشتدت الحروب بين عربان جرم والعائذ، فخرج الأمير طوخ المؤيدي نائب غزة على رأس قواته وتدخل إلى جانب العائذ، وذلك على الرغم من تحذير «أبي طير الشاوري» أمير جرم له، وطلبه منه الوقوف على الحياد.

وانتصرت جرم وتم قتل الأمير طوخ ودواداره مع عدد من الطرفين وجرح طوغان نائب القدس. ونتيجة لذلك علت كفة جرم واستبد رجالها ببلاد غزة والرملة ونهبوا المسافرين وقطعوا الطرقات وانعدمت سلطة الدولة ونوابها(٤٩).

ويتضح مما سبق أن السلطة المملوكية لم تكن دوماً قادرة على فرض النظام والسيطرة على عشائر فلسطين، وأن غزة كثيراً ما تعرضت للنهب والمخاطر البدوية.

وشاركت نيابة غزة ـ بدرجة أدنى ـ بقية أجزاء الشام بالتعرض لمخاطر المغول فبعدما احتلت قوات هولاكو دمشق وصلت طلائع قواته إلى غزة وأغارت عليها وعلى بلادها وبيت جبرين والخليل والصلت، وتمركزت بغزة حامية مغولية بقيادة أمير اسمه «بيدرا». وكان بيدرا هو الذي تولى إنذار «كتبغا نوين» قائد المغول في الشام ونائب هولاكو وأخبره بزحف القوات المملوكية نحو بلاد الشام.

وكان هولاكو قبل مغادرته بلاد الشام قد راسل السلطان قطز يطلب منه تسليم مصر إليه، ورفض قطز وبعث بيبرس إلى غزة فاستردها من المغول وهزم طلائع جيوشهم ثم كانت معركة عين جالوت الحاسمة، وكان من نتائج هذه المعركة تحرير بلاد الشام من الاحتلال المغولي وصيانة مصر وما وراءها(٥٠).

وبعد انتهاء معركة عين جالوت، عين السلطان قطز الأمير شمس الدين آقوش البرلي العزيزي أميراً على السواحل وغزة، وكان مقره تارة بنابلس وتارة بالخليل(٥١).

وفي سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م جهز السلطان الظاهر بيبرس البندقداري عدداً من الأمراء على رأس جيش قوي لترحيل المغول عن حلب، ولما وصلت عساكر المماليك إلى غزة كتب فرنجة عكا إلى المغول يبلغونهم بخروج الجيش المملوكي إليهم، فما كان من المغول إلّا الرحيل عنها(٥٢).

وفي سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م وصلت الأخبار إلى السلطان بيبرس بأن مقدماً من مقدمي المغول اسمه «درباي» قد قصد البيرة (بيرجك) في الشمال الشامي وشرع في حصارها، فبادر بيبرس إلى تجهيز جيش بقيادة الأمير عز الدين يوغان الذي حمل لقب «سم الموت» وبعث به نحو البيرة، وقد رافقه الملك المنصور صاحب حماة.

وفي تلك الأونة واصل بيبرس استعداداته وزحف نحو غزة، وهناك وصلته بطاقة من الملك المنصور صاحب حماة بفرار المغول وإنقاذ البيرة، فغير بيبرس من وجهته نحو الساحل الواقع تحت الاحتلال الصليبي(٥٣).

ومجدداً وصلت سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م الأخبار إلى السلطان الظاهر بيبرس بتحرك المغول نحو البيرة، فجمع عساكره، واستدعى عساكر غزة ونيابات الشام وقصد دمشق. ثم أخذ الطريق شمالاً، وفي القطيفة (٤٠ كم عن دمشق) بلغته أخبار رحيل المغول خوفاً منه. لكن هذا لم يقنع بيبرس وتابع زحفه نحو حمص وهنالك تواترت لديه الأخبار برحيل المغول لقلة الميرة لديهم، ولما بلغهم من أخبار التحالفات التي قامت بين بيبرس وبعض قوى سلاجقة الروم في آسيا الصغرى(٥٤).

وخرج في سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م السلطان الملك المنصور قلاوون بعساكره إلى غزة وأخذ يستطلع أخبار المغول، ثم توجه إلى الكرك وترك جيشه في غزة لما بلغه من عزم المغول احتلال الشام حتى غزة(٥٥).

وخرج سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بعساكره نحو بلاد الشام بسبب تجدد الخطر المغولي، ونزل غزة، وذلك في وقت أرجفت الشام به بقدوم غازان إيلخان المغول على رأس جيوش كبيرة لاحتلال الشام. وبعدما أقام الناصر محمد في غزة شهرين خرج نحو دمشق ودخلها في ربيع الأول لسنة ٦٩٩هـ / كانون الثاني/يناير ١٣٠٠م ثم توجه نحو حمص والتقى بجيوش المغول في وادي الخازندار شرقي حماة، ولحقت الجيش المملوكي هزيمة ماحقة، وفرّ السلطان الناصر محمد بن قلاوون. واحتلت قوات غازان دمشق واجتاحت بقية أجزاء جنوبي الشام، ودخلت غزة فقتلت بجامعها خمسة عشر رجلاً(٥٦).

وانتشرت الأخبار مجدداً سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠١م بقصد غازان الشام، فخاف أهل دمشق وغادروا مدينتهم وتوزعوا في السواحل والحصون ما بين الفرات وغزة(٥٧).

وطال أمد الصراع مع المغول أيام الناصر محمد حتى حدثت معركة شقحب حيث انتقم الناصر محمد لهزيمة وادي الخازندار، وبذلك انحسر الخطر المغولي لفترة طويلة حتى زالت دولة المماليك الترك وحل محلها حكم المماليك الشراكسة.

ففي سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٤م هدد تيمورلنك بلاد الشام، لذلك بعث الملك الظاهر برقوق جيشاً لمواجهة المغول، وكان الأمير الطنبغا العثماني نائب غزة بين الأمراء الذين توجهوا نحو الشام الشمالي. ولم تحدث تلك السنة مواجهة وعادت القوات المملوكية إلى مراكزها(٥٨).

وفي سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، أيام السلطان فرج بن برقوق، هدد تيمورلنك الشام مجدداً، فما كان من فرج بن برقوق إلّا أن جهز قواته وبعث بها نحو حلب، وكان نائب غزة الأمير بهاء الدين ابن الطحان من بين الأمراء الذين رافقوا القوات المملوكية وقادوها.

واجتاحت قوات تيمورلنك مدينة حلب، وعجزت القوات المملوكية عن الوقوف في وجهه فاستسلمت له، ووقع الأمراء المماليك نواب الشام في أسر تيمورلنك، الأمر الذي حرض فرج بن برقوق على التحرك نحو بلاد الشام، فوصل إلى غزة مع نهاية عام ١٤٠٠م، وقرر وهو فيها نواباً جدداً للشام، حيث عين الأمير طولوشان نائباً لغزة عوضاً عن الأمير بهاء الدين ابن عمر بن الطحان الأسير، ثم توجه فرج إلى دمشق للتصدي إلى تيمورلنك.

لكن فرج بن برقوق وجيشه تخاذلوا أمام تيمورلنك وانسحبوا من دمشق، حيث تركوها تواجه قدرها وتقع لقمة سائغة بيد تيمورلنك. وكان من نتائج الانسحاب المملوكي المذل:

> «أن غالب أهل الرملة وغزة والقدس ودمشق وصفد وحماة وطرابلس قدموا إلى الديار المصرية وتركوا أولادهم وأوطانهم وأموالهم خوفاً من تيمورلنك، فمنهم من جاء حافياً عارياً، ومنهم

من جاء عليه قميص واحد على بدنه في البرد الشديد، بعدما كان في الخدم والعز الشديد، وأبلاهم الله بإجلائهم عن أوطانهم في مثل هذه الأيام الشديدة»(٥٩).

وتعرضت نيابة غزة لعدد من النوازل الطبيعية، من زلازل وسوء مواسم وطواعين:

ففي صفَر سنة ٦٩٢هـ / كانون الثاني/يناير ١٢٩٣م تعرضت بلاد الرملة ولد وغزة والكرك لهزات أرضية شديدة سببت تدمير عدد من المنشآت العمرانية كان من بينها منارة جامع غزة(٦٠).

وفي صفر سنة ٧٤٣هـ / تموز/يوليو ١٣٤٢م اجتاح الجراد بلاد الشام في الشمال والجنوب، وقد لحق مزروعات غزة ضررٌ واسعٌ ودمرت الثمار بها(٦١).

وتعرضت غزة شأنها شأن بقية أجزاء بلاد الشام سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م لطاعون الموت الأسود «ومات بغزة من ثاني المحرم إلى رابع صفر (٢ نيسان/أبريل ــ ٣ أيار/مايو) على ما ورد بكتاب نائبها زيادة على اثنين وعشرين ألف نسمة حتى غلقت أسواقها وشمل الموت أهل الضِّياع بأرض غزة».

وإذا صحّت هذه الرواية ففيها مؤشر لا على ضخامة ما نزل بغزة فحسب بل على عدد سكان مدينة غزة، وأن هذا العدد كان كبيراً، ووصف المؤرخ الفلسطيني الصلاح خليل بن أيبك الصفدي آثار الموت الأسود بقوله:

قد قلت للطاعون وهو بغزة
قد جال من قطيا إلى بيروت:
اخليت أرض الشام من سكانها
وحكمت يا طاعون بالطاغوت(٦٢)

وتعرضت نيابة غزة سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م إلى سقوط أمطار غزيرة لا عهد لها بمثلها، سببت هدم عدد كبير من البيوت على أهلها وتدمير نصف دار النيابة وإتلاف المزروعات من كثرة المياه، وقد تلا ذلك سقوط الثلوج(٦٣).

ومن جديد تعرضت غزة وبلاد الشام سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م إلى الطاعون الذي «هلك فيه خلائق كثيرة جداً»(٦٤).

وفي سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م اجتاح الطاعون عامة بلاد الشام والسواحل بما في ذلك غزة وديارها، ووقع بعد خمس سنوات في ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م في غزة وامتد إلى الرملة ولد(٦٥).

واجتاح الجراد سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠١م أراضي الشام من غزة إلى الفرات وكان من الكثافة بمكان حتى انه كان يحجب أثناء تحركه نور الشمس عن الأبصار وقد أتلف المزروعات ولم يدع شيئاً أخضر(٦٦).

وفي سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م «غلت الأسعار بغزة أيضاً فبيع القدح القمح بسبعة دراهم والقدح الشعير بخمسة، والقدح العدس بعشرة»(٦٧).

وفي ربيع الآخر لسنة ٨٢٥هـ / نيسان/أبريل ١٤٢٢م أجدبت البلاد من بلاد حوران والكرك والقدس والرملة وغزة بسبب انحباس الأمطار، ونجم عن ذلك هجرة عدد كبير من سكان هذه البلاد إلى مناطق شامية أخرى(٦٨).

وانتشر الطاعون في بلاد الشام سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م وكانت نيابة غزة من بين المناطق التي اجتاحها لا سيما في الفترة الواقعة فيها بين جمادى الآخرة ورجب / أيار/مايو وتموز/يوليو، حتى قيل إنه كان يموت في غزة كل يوم ما يزيد عن مئة إنسان، وكان معظم الموتى من النساء والصغار والخدم(٦٩).

ووقع الطاعون في بلاد الشام من جديد في رمضان سنة ٨٤١هـ / آذار/مارس ١٤٣٨م ونزل بديار غزة حتى قيل مات فيها في شهر واحد أكثر من اثني عشر ألفاً(٧٠).

وفي الفترة الواقعة بين ربيع الآخر وجمادى الأولى لسنة ٨٩٧هـ / آذار/مارس ١٤٩٢م حل الطاعون بغزة والرملة والقدس والخليل، وكان من الشدة بمكان أنه كان يموت بغزة حوالي أربعمائة إنسان يومياً(٧١).

إذا صح ما قيل إن غزة كانت قرية تحولت إلى مدينة كبيرة فلا شك أنها شهدت حركة عمرانية عظيمة، وكان من أبرز ما أقيم فيها مسجد كبير بناه الأمير علم الدين أبو سعيد سنجر بن عبد الله الجاولي الشافعي، وسبق لنا أن تعرفنا إليه وإلى منشآته في القدس وسواها وكان منقوشاً على بابه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الأخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلّا الله، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾. أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك ابتغاء مرضاة الله واتباع سنة رسول الله العبد الفقير إلى الله تعالى سنجر بن عبد الله الجاولي الملكي الناصري نائب السلطنة الشريفة بالأعمال الساحلية والجبلية بغزة المحروسة أعز الله أنصاره بتاريخ ذي الحجة سنة أربعة. . . .».

وقد زيد في عمارة هذا الجامع مراراً من ذلك عمارة باب

ومئذنة أيام السلطان لاجين المنصوري. وهنالك بلاطة نقش عليها تخليداً لذلك ما نصه:

«تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً. أمر بإنشاء هذا الباب المبارك والمئذنة المباركة مولانا وسيدنا الملك المنصور حسام الدنيا والدين أبو الفتح لاجين المنصوري، أدام الله أيامه ونشر في الخافقين بالنصر ألويته وأعلامه، وأعز أنصاره وأعوانه ووزراءه وأمراءه وحكامه وجنده وخدمه، وحكم في محز المشركين سهامه وسنانه وحسامه، وأوزع شكر ما أنعم عليه وأحسن في الدنيا والآخرة إليه. وتولى عمارتها العبد الفقير إلى ربه الراجي عفوه سنقر السلحدار العلائي المنصوري، بنظره في أيام ولايته وكان الفراغ منها في شهر شعبان من سنة سبع وتسعين وستمائة. غفر الله له ولجميع المسلمين».

ووجد على أحد شبابيك إيوان الجامع القبلي النقش التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم. في أيام مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدين والدنيا لاجين المنصوري أدام الله أيامه، فتح هذا شباك النور المبارك في ولاية العبد الفقير إلى ربه سلحدار العلائي في شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وستمائة، أثابه الله وغفر له ولجميع المسلمين»(٧٢).

وزيد الجامع ورمم أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بأمر منه ووساطة من تنكز نائب الشام، وهناك نقش على الباب القبلي للجامع نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلاّ الله﴾. أمر بإنشاء هذه الزيادة المباركة بالجامع المعمور بذكر الله تعالى مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون خلد الله تعالى ملكه، بإشارة المقر الأشرف العالي المولوي الأميري الأجلي الكبيري العضدي النصيري المحترمي المجاهدي المرابطي المثاغري المؤيدي المنصوري السيفي مولانا ملك الأمراء تنكز الناصري كافل الممالك الشريفة بالشام المحروس عز الله أنصاره وكان الفراغ منه في شهر محرم سنة ثلاثين وسبعمائة»(٧٣).

ومن مساجد غزة التي بنيت في العصر المملوكي جامع ابن عثمان وابن عثمان هو أحمد بن عثمان بن عمر بن عبد الله الحنبلي، نزل غزة وسكنها واتخذ بها مسجداً، وكان صالحاً ديّناً للناس فيه اعتقاد عظيم، وقد توفي سنة ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م(٧٤).

ويعد هذا المسجد من أكبر مساجد غزة وأشهرها ويحتوي على عدد من الكتابات المنقوشة على جدرانه منها واحدة مثبتة فوق الباب الشرقي نصها:

١ - «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوقف العبد الفقير إلى الله تعالى السيفي أرزمك الملكي الظاهري.

٢ - أعزه الله تعالى، جميع القيسارية والأربع حوانيت مجاورة الشيخ ابن مروان، والدار سكن الواقف، جميع.

٣ - ذلك واقفاً على مصالح المدارس والسبيل وكتاب الأيتام وخبز الصدقة والمسجد المجاور وما فضل من ذلك يكون للجامع، بتاريخ شهر شوال سنة سبع وتسعين وسبعمائة»(٧٥).

وأثبت فوق قوس الباب الشمالي ما نصه:

١ - «بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن

٢ - بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلاّ الله﴾. أمر بإنشاء هذا الجامع

٣ - المبارك المقر الأشرف المولوي السيدي

٤ - المالكي المخدومي العلائي آقبغا الطولوتمري الملكي

٥ - الناصري، أعز الله أنصاره، بتاريخ شهر رجب الفرد سنة اثنتين وثمانمائة»(٧٦).

وهناك فوق محراب صحن الجامع نقش نصه:

١ - ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ربك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾. أمر بعمارة هذا الجامع المبارك بعد الهدم والخراب مولانا السلطان.

٢ - الملك المؤيد أبو النصر شيخ أعز الله أنصاره، بمباشرة المقر الشريف الكريم العالي.

٣ - السيفي أبو بكر اليغموري حاجب الحجاب بمدينة غزة المحروسة بتاريخ شهر شعبان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة»(٧٧).

وهناك فوق المحراب في داخل المسجد نقش نصه:

١ - «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم. ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾. والمحراب أشرف مكان من المسجد. عمر هذا المحراب والقبة أعلاه.

٢ - وكذلك الفسقية والقبة أعلاها بصحن الجامع ابتغاء لوجه الله تعالى العبد الفقير إلى الله تعالى الصدر الأجل الحاج علم الدين سنجر المعامل بغزة أعزّه الله بعزّه وجعله في كنفه وحرزه وذلك في مدة آخرها العشر الآخر من شهر رجب في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة»(٧٨).

وتوجد بلاطة مثبتة بين بابي المسجد عليها نص مرسوم أصدره السلطان جقمق:

١ - «بسم الله الرحمن الرحيم. رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الظاهري السيفي أعلاه الله تعالى.

٢ ــ وشرفه وأنفذه وصرفه أن يبطل ما على الملح المجلوب إلى مدينة غزة المحروسة من المكس الذي يأخذ عند بيع الملح المذكور.

٣ ــ استجلاباً للأدعية الصالحة لهذه الدولة العادلة خلد الله ملك سلطانها، بتاريخ خاتمة عام ثلاثة وخمسين وثمانمائة»[٧٩].

هذا وبني في غزة مساجد أخرى، كما بني فيها عدة مدارس وزوايا وبيمارستان، «بناه الأمير علم الدين سنجر الجاولي وأوقف عليه الأوقاف الكثيرة، وقد ظل قائمًا حتى سنة ألف وثمانمائة ميلادية حيث خرب أثناء حملة نابليون بونابرت»[٨٠].

وبني في أراضي نيابة غزة عدد من الخانات أشهرها خان يونس الذي بناه الأمير يونس النوروزي، وكان من كبار شخصيات المماليك أيام السلطان الظاهر برقوق وأقيم هذا الخان في مكان مركز بريد السلقة بين غزة ومصر، وكانت تجبى فيه الضرائب من الحجاج والمسافرين[٨١].

وشهدت غزة نوعاً من الحركة العلمية، وشهر فيها عدد من العلماء كان منهم:

● كمال الدين أحمد بن صدر الدين شيخ الشيوخ بغزة، وكان ممن ينظمون الشعر فيها، وتوفي سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م[٨٢].

● عمر بن محمد بن علي بن فتوح أبو حفص الغزي، كان جامعاً للعلوم درس وأفتى وبرع بالنحو والقراءات والفقه والحديث ولد بعد الثمانين وستمائة ومات سنة ٧٥٢هـ / ١٣٥١م[٨٣].

● محمد بن خلف بن كامل، القاضي شمس الدين الغزي (٧١٦ ــ ٧٧٠هـ / ١٣١٦ ــ ١٣٦٨م) ولد بغزة، واهتم بعلوم الفقه وشهر بكثرة تعبده وتقاه وقد تسلم عدة وظائف جليلة[٨٤].

● يونس بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله، أبو محمد الغزي، شيخ غزة، اختص بالقراءات كان يقرأ في جامع الجاولي بغزة، قرأ عليه قوم من أهل غزة، وقد توفي بها سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م[٨٥].

● أحمد بن عثمان بن عمر بن عبد الله الحنبلي، ولد في نابلس سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م ونزل غزة واشتهر بصلاحه وتقواه وأخذ بطريق التصوف حسب مذهب محيي الدين بن عربي. حج إلى مكة أكثر من مرة وجاور فيها، أحبه الغزيون واعتقدوا بصلاحه، انقطع في مدينتهم بمسجد صار يعرف به، توفي سنة ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م[٨٦].

● إبراهيم بن محمد بن بهادر (يعرف بابن زقاعة) (٧٤٥ ــ ٨١٠هـ / ١٣٤٤ ــ ١٤٠٧م) درس الفقه وفنون العصر ونظم الشعر، واهتم بالقراءات، جاب الأرض وكانت علاقته جيدة مع السلطان برقوق ثم مع ابنه فرج بن برقوق[٨٧].

● محمد بن يوسف بن بهادر (٧٥٨ ــ ٨٥٢هـ / ١٣٥٧ ــ ١٤٤٨م) ولد بغزة وفيها نشأ ودرس الفقه والعربية، تولى إفتاء غزة، وأنشأ مدرسة فيها[٨٨].

● محمد بن محمد بن عمر الشمس القرشي (٧٦٣ ــ ٨٤٦هـ / ١٣٦٢ ــ ١٤٤٢م) شهر باسم ابن الأعسر، ولد بغزة وفيها نشأ وتعلم، ولي القضاء وحظي بمكانة عالية[٨٩].

● أحمد بن عبد الله العامري (٧٧٠ ــ ٨٢٢هـ / ١٣٦٨ ــ ١٤١٩م) نشأ بغزة وفيها حفظ القرآن ودرس الفقه والحديث، نزل دمشق وعهد إليه برئاسة الفتوى فيها، وتقدم فيها كثيراً، وهو جد أسرة آل الغزي التي كان لها دور كبير في تاريخ هذه المدينة[٩٠].

● علي بن أحمد بن العلاء الغزي (٨١٠ ــ ٨٦٧هـ / ١٤٠٧ ــ ١٤٦٣م) نشأ في غزة وفيها تعلم، وقد اتصل بخدمة الأشرف إينال أثناء ولايته لنيابة غزة وتولى تربية أولاده، وقد ارتفعت مكانته أيام سلطنته ثم سلطنة ابنه المؤيد أحمد، وولي نظارة الأوقاف[٩١].

● محمد بن أحمد بن محمد أبو الوفاء الغزي المعروف بابن الحمصي (٨١٢ ــ ٨٨١هـ / ١٤٠٩ ــ ١٤٧٦م) ولد بغزة وفيها نشأ وتعلم، طلب العلم في القاهرة ودمشق، ولي القضاء بغزة، كما وليه بحماة، أقام آخر أيام حياته بغزة مشتغلاً بالإفتاء والتدريس[٩٢].

● خير الدين محمد بن شمس الدين الغزي (٨٣٨ ــ ٨٩٤هـ / ١٤٣٤ ــ ١٤٨٧م) ولد في غزة وفيها نشأ، وكان من أسرة علمية، قرأ القرآن على والده وسافر في طلب العلم إلى القاهرة، ولي قضاء الحنفية بالقدس، ثم انقطع للإفتاء والتدريس، «وعظم أمره عند الناس وصار له الهيئة والوقار» وقد أبدع طرائق رائعة بنسخ المصحف، «وكان خيِّراً متواضعاً حسن اللفظ والشكل منور الشيبة وعنده تودد للناس ولين جانب»[٩٣].

● محمد بن محمد بن أحمد، أبو الوفاء الخواجا الشمس الغزي المعروف بابن النحاس، ولد في غزة سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م، وبها نشأ وتعلم، وكان من أصحاب الثروات. وقد ولي القضاء وتعرض لعدد كبير من الأزمات ففقد ثروته وركبته الديون وكان

«في سنة تسع وتسعين [٨٩٩هـ / ١٤٩٤م] والتي قبلها في غاية ما يكون من الذل والإهانة بالحبس» ولا نعرف السنة التي توفي فيها[٩٤].

● شمس الدين أبو العون محمد الغزي القادري الشافعي (ــ٩١٠هـ / ١٥٠٤م) ولد في غزة وفيها نشأ، سلك طريق التصوف وصار شيخ طائفة القادرية في ديار السلطنة المملوكية وقد سكن الرملة وفيها توفي، وهو جد عدد من أسر الرملة ويافا وغيرهما[٩٥].

● خير الدين أبو الخير محمد بن عبد القادر بن جبريل المالكي، (٨٦٢ ــ ٩٢٨هـ / ١٤٥٨ ــ ١٥٢٢م) ولد بغزة وفيها نشأ، ونال قسطاً وافياً من العلم، ولي قضاء مالكية الشام وعرف بالسيرة الحسنة والنزاهة والعفة والزهد[٩٦].

الفصل الخامس

نيابة القدس

أَوْلى سلاطين المماليك كلًا من مدينتي القدس والخليل عناية خاصة وأكثروا من زيارتهما في معظم المناسبات وعملوا على إنشاء المرافق التعليمية والدينية والمعاشية فيهما وأوقفوا على هذه المرافق الأوقاف الكثيرة. هذا ويستخلص من مواد الكتب التاريخية والإدارية أنهما تبعتا إدارياً في أول العصر المملوكي نيابة دمشق[١].

وسبق لنا أن أشرنا في الفصل الثاني إلى عقد عدة معاهدات بين السلطان قلاوون والقوى الصليبية ولا سيما في عكا، وجرت العادة أن يذكر كل طرف من الأطراف المتعاهدة المناطق التي يمتلكها. وقد جاء في معاهدة سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م إحصاء لأملاك السلطان قلاوون في فلسطين مع أوضاعها الإدارية ومزاياها كما يلي:

> «وثغر غزة المحروس وما معها من الموانىء والبلاد... ومملكة بلاد الخليل صلوات الله عليه وسلامه، ومملكة القدس الشريف وأعمالها، وبيت لحم وأعماله وبلاده، وجميع ما هو داخل فيها ومحسوب منها، وبيت جبريل، ومملكة نابلس وأعمالها، ومملكة الأطرون وأعمالها، وعسقلان وأعمالها وموانيها وسواحلها وأعمالها، ومملكة يافا والرملة وميناؤها وأعمالها، وأرسوف وأعمالها، وقلعة قاقون وأعمالها وبلادها، وأعمال العوجاء وما معها من الملاحة والفتوح السعيد وأعمالها ومزارعها، وعين جالوت وأعمالها وما معها، والمملكة الصفدية وما ينسب إليها»[٢].

ويفيد هذا النص الوثائقي للوهلة الأولى أن القدس كانت مملكة (أي نيابة) وكذلك الخليل، مثل كل منهما مثل صفد، وذلك في حين أن غزة اعتبرت ثغراً فقط. والنيابة في العرف المملوكي العام «مملكة» يليها أمير من أمراء المئات مقدمي الألوف فهل كان وضع القدس والخليل وسواهما هكذا، أي مثل نيابة صفد أم اختلف الحال؟

من العودة إلى كتب الإدارة المتعلقة بالعصر المملوكي ولا سيما **التعريف بالمصطلح الشريف** لابن فضل الله العمري و**صبح الأعشى** للقلقشندي نستخلص أن الإدارة المملوكية عرفت عدة أنواع من النيابات بدرجات متفاوتة، وأن النيابات الأدنى كانت تلحق بنيابات أعلى وكان يلي هذه الأدنى أمراء من مراتب أدنى من مرتبة أمير المائة مقدم الألف.

ولقد كانت دمشق مركز نيابة الشام، وامتدت أراضيها:

> «من لدن العريش حد مصر إلى آخر سلمية مما هو شرق بشمال، وإلى الرحبة (قرب الميادين على الفرات) مما هو شرق بجنوب... وتشتمل على بر وأربع صفقات، غربية وهي الساحلية، وقبلية، وشمالية، وشرقية، ففي الصفقة الأولى وهي الغربية نيابتان وخمس ولايات. فأما النيابتان: فالأولى نيابة غزة... الثانية نيابة القدس»[٣].

وسبق أن رأينا أن القاعدة في تعيين النواب والولاة وسواهم صدور مراسيم بذلك من السلطان، إنما على الرغم من ذلك فإن الولاة والنواب الأدنى كانوا مرتبطين بنائب الشام المقيم بدمشق ولا يحق لهم الاتصال بالسلطنة إلا عن طريقه وبوساطته. وكانت السلطنة تؤكد هذه الناحية بشكل مستمر، ففي سنة ٧١٤هـ / ١٣١٤م كان النائب في القدس اسمه سنجر بن عبد الله الجاولي، وكان يعتد بمكانته، وكان نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز، ورفض سنجر مراسلة السلطان عن طريق تنكز فانتزعت منه نيابة القدس، وحاول الهرب إلى اليمن فاعتقل وامتحن، وظل في سجن الاسكندرية حتى سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م[٤].

ومع استمرار خروج نواب دمشق على السلطنة، يبدو أن القاهرة ارتأت إضعاف نائب الشام بتجريده من بعض ممتلكاته خاصة في المناطق الجنوبية الأقرب إلى مصر، وهكذا ازداد

الاهتمام بكل من غزة والقدس، وقد قال أبو المحاسن في معرض حديثه عن السلطان الناصر محمد بن قلاوون: «حتى ان مدينة غزة هو الذي مصرّها وجعلها على هذه الهيئة، وكانت قبل كآحاد قرى البلاد الشامية وجعل لها نائباً»[٥]، وروى صاحب المقصد الرفيع المنشأ أن نيابة القدس أصبحت طبلخانة في سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م[٦]، وجاء هذا التاريخ لدى القلقشندي متأخراً عشر سنوات بقوله: «نيابة القدس وقد تقدم أنها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة، وأن النيابة استحدثت فيها في سنة سبع وسبعين وسبعمائة، ونيابتها إمرة طبلخاناة»[٧].

وكانت الصراعات على السلطنة قد اشتد أوارها واحتدمت على أرض الشام في فترة الانتقال من حكم المماليك الأتراك إلى المماليك الشراكسة على يدي برقوق، وسبق ورأينا تجدد الصراعات إثر وفاة برقوق وتولي ابنه فرج للسلطنة.

ويبدو أن السلطان برقوق هو الذي جعل من القدس نيابة بكل ما تعنيه الكلمة سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م، ويبدو أن الذي دفعه إلى اتخاذ هذا القرار ليس الصراع الداخلي فحسب، بل ظهور تهديد تيمورلنك وتعاظم خطره[٨].

ومثلما كان عليه الحال في نيابة صفد من الناحية الإدارية كانت الأوضاع في نيابة القدس، حيث قسمت الإدارة إلى ثلاثة أقسام رئيسية: الوظائف العسكرية (أرباب السيوف)؛ الوظائف الدينية؛ الوظائف الإدارية.

وليس هنالك من فوارق بين شُعب الوظائف العسكرية والإدارية في القدس وغزة وصفد، والفوارق قد انحصرت فقط في الوظائف الدينية، وهذا أمر طبيعي لما تمتعت به القدس من مكانة دينية ولما شغلته من أدوار ثقافية ولوفرة المؤسسات الدينية فيها.

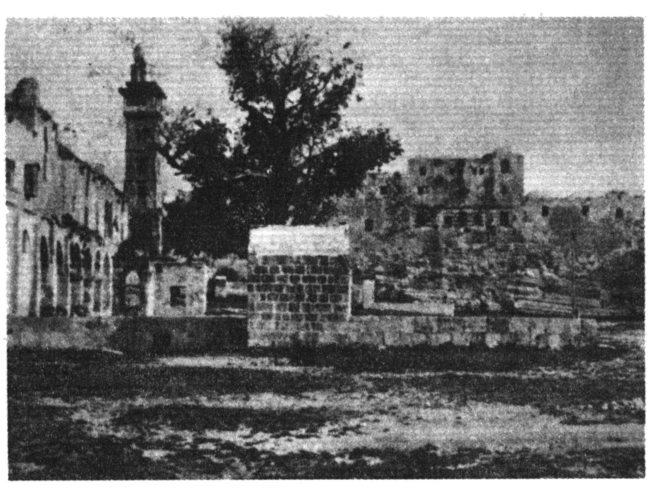
على أنه لا بد من الإشارة إلى أن هنالك فوارق في المواد الإخبارية حول بعض الوظائف العسكرية والإدارية التي وجدت في صفد ثم وجدت في القدس، ففي الوقت الذي لا نعرف فيه بوضوح مكان إقامة نائب صفد فيها وطريقة مباشرته لمهام وظيفته نرى هذا متوفراً بالنسبة للقدس، أضف إلى هذا أن نائب القدس قد جمع في بعض الأحيان وظيفة دينية جليلة مع وظيفته العسكرية، فعلى رأس وظائف القدس الدينية كانت وظيفة ناظر الحرمين الشريفين القدس والخليل، وقد تولاها أحياناً بعض النواب بالإضافة إلى نيابة السلطنة[٩]، زد على هذا أن نيابة القدس كان يتبعها ثلاث ولايات لها شهرتها هي ولايات: الخليل ونابلس والرملة. وهنالك معلومات عن هذه الولايات ليس لها ما يوازيها مع ولايات نيابة صفد، ولهذا سنوليها العناية الخاصة.

لقد كان نواب القدس ــ قبل أن تصبح نيابة مستقلة ــ يقيمون في قلعة المدينة، التي تقع في الجهة الغربية قرب باب الخليل، وكان أصل هذه القلعة برجاً اسمه برج داود، نمت حوله منذ أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، مثلما نمت قلعة دمشق في الفترة نفسها حول برج باب الحديد[١٠].

وبعدما غدت القدس نيابة منفردة وصار للقلعة نائب خاص، صار نواب المدينة ينزلون في زاوية اسمها زاوية الدركاه واقعة إلى جانب المدرسة الصلاحية[١١]، وبقي الأمر على هذا الحال مدة ثم انتقلوا إلى المدرسة الجاولية حيث تحولت إلى دار للنيابة.

وتولى بناء هذه المدرسة علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي المتوفى سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م، في أيام نيابته للقدس في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون وقد أوقفها على تدريس المذهب الشافعي لاهتمامه به وتخصصه. ولسنا نعرف بالتأكيد السنة التي أنجز فيها بناؤها، وكل ما يمكن قوله إن ذلك كان فيما بين عامي ٧١٢ و ٧٢٠هـ / ١٣١٢ و ١٣٢٠م[١٢].

ويلاصق بناء هذه الدار الزاوية الشمالية الغربية لسور المسجد الأقصى وهي تطل على ساحته، وتتصل بمنارة الغوانمة، وكانت واسعة الحجم فيها قاعة كبيرة كان النائب يجلس في صدرها أثناء عمله الرسمي. وظل الحال هكذا حتى سنة ٨٩٢هـ / ١٤٨٧م حيث بنى الأمير خضر بك نائب القدس مقعداً خاصاً ملاصقاً لها من الجانب الشمالي جعله «مجلساً للحكم»، صار يجلس عليه مع أعوانه بدلاً من داخل القاعة[١٣].



منارة جامع الغوانمة في القدس

وبعدما غدت القدس نيابة مستقلة تمركزت فيها حامية عسكرية قاربت بالعدد والتركيب والمهام ما وجد في نيابة صفد، وقام أفراد هذه الحامية بالمحافظة على الأمن داخل النيابة، وشاركوا في عدد من المهام خارجها بتكليف من السلطنة. ففي سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م نشطت قبائل بني عقبة ضد نائب الكرك، فأوعز السلطان إلى كل من نائبي غزة والقدس بالتوجه على رأس قواتهما لإنجاده وكلفهما سراً بإلقاء القبض على هذا النائب، ونفذا أوامر السلطان بنجاح، وحمل نائب القدس النائب السجين إلى دمشق حيث سجن في قلعتها[١٤].

ومثلما رأينا من قبل مشاركة نيابة صفد في الصراعات على السلطة بين نواب دمشق والسلاطين، شاركت نيابة القدس في هذه النشاطات الحربية، وفي سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٤م قدمت قوات من القاهرة لحرب تنبك البجاسي نائب دمشق المتجرد فيها، وقد انضم إلى هذه القوات عساكر نيابة القدس مع عساكر نيابة صفد، ونجحت القوات المشتركة في القضاء على التمرد وإلقاء القبض على الأمير تنبك واعتقاله في قلعة دمشق، وكان نائب القدس آنذاك اسمه شاهين الذباح، وهو الذي تولى قيادة عساكر صفد شخصياً[١٥].

وشاركت قوات نيابة القدس ثانية قوات السلطنة وقوات صفد سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م في الحرب ضد نائب دمشق إينال الجكمي، وهزمته وألقت القبض عليه[١٦].

ومع نهاية العصر المملوكي كانت المؤسسة العسكرية للدولة القائمة على العبيد قد بدأت بالانحلال وأصابها الضعف الشديد، لذلك لجأت السلطات المملوكية إلى تجنيد أعداد كبيرة من الميليشيات المحلية في المدن الشامية ومن قبائل البداة وسكان الأرياف ولا سيما جبل القدس والخليل وجبل نابلس وذلك بالنسبة لنيابة القدس. وشاركت قوات نيابة القدس الجديدة مع غيرها من قوات النيابات الشامية في الحملات التي توجهت إلى المناطق الشمالية من الشام لحمايتها من الهجمات الصادرة عن قوى آسيا الصغرى، ففي سنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م اشتركت قوات نيابة القدس بقيادة النائب الأمير يوسف الجمالي في حملة توجهت ضد شاه سوار، فهزمته وأسرته واستردت البلاد التي كان قد استولى عليها ثم غادرت في سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م[١٧].

وبعد زوال القوى التركمانية الحدودية من بلاد الشام ــ أو ضعفها ــ بدأت المواجهات بين السلطنة المملوكية والسلطنة العثمانية الصاعدة، ففي سنة ٨٨٩هـ / ١٤٨٥م اشتدت الخلافات بين بايزيد العثماني والسلطان الأشرف قايتباي، فجهز قايتباي القوات في القاهرة لقتال السلطان العثماني وحليفه علي دولات أخي سوار، وأوعز قايتباي إلى نوابه في الشام بالمشاركة بالحملة، فقام الأمير جانم نائب السلطنة بإعداد جيش من قواته الخاصة ومن القبائل البدوية وأهالي جبل نابلس والقدس وسار على رأسه نحو الرملة، وهناك اجتمع بالجيش المملوكي القادم من القاهرة بقيادة الأمير تمراز التمشي[١٨].

واستمرت العلاقات بين السلطنة العثمانية والدولة المملوكية بالتدهور ولم تتوقف الاشتباكات العسكرية بين الطرفين، ففي سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م «جاءت الأخبار بأن عساكر ابن عثمان قد استولوا على أطراف بلاد السلطان، وأرسل ازدمر نائب حلب يستحث السلطان بخروج تجريدة ثقيلة، أو يخرج السلطان بنفسه». وجمع السلطان جيشاً كبيراً، واحتاج هذا الجيش إلى نفقات عالية وإلى كميات هائلة من حيوانات الجر والركوب، ولجأ المماليك إلى المصادرة والسلب «وصاروا يأخذون بغال الناس وخيولهم غصباً، حتى أخذوا بغال الطواحين والأكاديش التي بها، وتعطلت الطواحين بسبب ذلك، وتشحط الخبز، من الدكاكين». وشملت أعمال المصادرة هذه جميع الناس في مختلف أنحاء الدولة المملوكية، إلى حد أنه أخذ من ناظر الحرمين الشريفين الأمير ناصر الدين ابن النشاشيبي أربعة بغال مع حصان واحد، ومن النائب جانم مائتي دينار، ومن شيخ المدرسة الصلاحية ثلاثين ديناراً ومن القاضي فخر الدين بن نسيبة أربعمائة دينار، ومن القاضي شهاب الدين الجوهري ثلاثمائة دينار. وحصل من هذا كله لأهل القدس شدة عظيمة، وتبع هذا إرسال الأمير آقبردي الدوادار لتجنيد العساكر من جبل نابلس والقدس وقاقون واللجون والرملة. ويبدو أن مصادمات واشتباكات وقعت بين الأهلين والسلطات المملوكية، ويبدو أن القوات المملوكية حققت انتصاراً كبيراً على القوات العثمانية[١٩]. ولكن هذا الانتصار لم ينه الصراع بل كان باعثاً على الاستمرار والانتقام، وهكذا «جاءت الأخبار بأن عسكر ابن عثمان لما حصلت لهم تلك الكسرة، تجمع جيشاً كثيفاً، ورجع إلى المحاربة ثانياً». وهكذا كان لا بد من إعداد القوات مجدداً، ففي سنة ٨٩٢هـ / ١٤٨٨م «حضر الأمير آقبردي الدوادار الكبير وصحبته القاضي زين الدين بن مزهر كاتب السر الشريف من القاهرة المحروسة إلى جهة نابلس لتجهيز الرجال للتجريدة». وحمل المبعوثان المملوكيان معهما مبلغ خمسة آلاف دينار لصرفها «على الرجال المعينين من جبل القدس والخليل».

وأدت أعمال التجنيد هذه إلى ردات فعل عنيفة لدى الشعب في نيابة القدس، وهربت أعداد كبيرة من العساكر التي جرى تجنيدها وعادت إلى بلادها قبل وصول الحملة المملوكية إلى غايتها.

وشعر الشعب في نيابة القدس وبقية مناطق فلسطين أنه لا مصلحة له في هذه الحروب، وبات الحكم المملوكي مكروهاً لا يتمتع بالشعبية، لأنه «تزايد ظلم دقماق نائب القدس الشريف وكثر طمعه، وتلاشت أحوال المعاملة واختل نظامها وكثر السواق وأفحشوا في قطع الطرق وقتل الأنفس، وبقي الناس في شدة لذلك».

وبعثت القاهرة عدداً من موظفيها الكبار لإلقاء القبض على:

«مشايخ جبل نابلس لما حصل منهم التقصير في المهم الشريف بلاد الروم، وبرز الأمر لنائب القدس دقماق باسترجاع مال التجريدة ممن كان دفع إليه من الرجال لما نسب إليهم من التقصير، وعودهم من بلاد الروم بغير إذن، فأحضر دقماق كل من أخذ شيئاً واسترجعه منه بالضرب والحبس وأفحش في الأمور، ومن الناس من تسحّب فقبض على من يكون منسوباً إليه من أقاربه وأصحابه وجيرانه، وشرع يضرب الناس بالمقارع، ويضعهم في الحبس، وفعل بهم فعلاً لم يسمع بمثله في زمن الجاهلية حتى ان بعض الناس باع ابنته كما يباع الرقيق، وتفاحش الأمر، وبقي الناس في شدة شديدة ومحنة لم تعهد بالأرض المقدسة قبل ذلك»[٢٠].

وازدادت مع الأيام أزمات الإدارة المملوكية، وتابعت أعمال التجنيد من جبال القدس وجبال نابلس لحاجتها الماسة إلى الرجال، ولما شهر به سكان نيابة القدس من شدة ومراس في الحرب وللكثافة السكانية. واستمر الأمر على هذا الحال إلى أن سقطت الدولة المملوكية ودخلت البلاد تحت الحكم العثماني[٢١].

واشتملت نيابة القدس على عدة ولايات لها مكانتها هي: الرملة ونابلس والخليل. وكان طبيعياً أن تتبع الخليل القدس، نظراً لما تمتعت به من مكانة دينية، ولهذا كثيراً ما ولي نائب القدس نظارة الحرمين الشريفين في القدس والخليل. ويلاحظ أن الرملة كانت تلحق أحياناً بنيابة غزة، لكن مع نهاية العصر المملوكي ألحقت الرملة بنيابة القدس نهائياً. وظلت نابلس تابعة لنيابة القدس منذ تاريخ تأسيس هذه النيابة وحتى نهاية العصر المملوكي.

وتعد نابلس بين أشهر مدن فلسطين، وتبعد عن القدس مسافة ٦٦ كم، وهي تقع في منطقة غنية بالمياه لها إمكانات زراعية جيدة ولا سيما زراعة أشجار الزيتون، ولهذا شهرت بتصدير الزيت وصناعة الصابون، كما شهرت بصناعة الورق. وكانت منتجات نابلس تصدر إلى دمشق وسواها وإلى خارج أراضي السلطنة المملوكية.

وشهرت منطقة جبال نابلس بالكثافة السكانية لهذا عدّت مصدراً كبيراً من مصادر التجنيد في عصر المماليك الشراكسة، وكان والي نابلس أميراً برتبة طبلخاناه، وأحياناً من أمراء العشراوات أو العشرينات، ولذلك كان يسمى كاشف نابلس ويتم تعيينه أحياناً من قبل نائب القدس وليس من قبل السلطان[٢٢].

أما الرملة فكانت أشهر مدن فلسطين في الإسلام، وحولها تمحور تاريخ فلسطين والشخصية الفلسطينية منذ القرن العاشر الميلادي وحتى قيام الحروب الصليبية. وهي ذات موقع مناسب، تبعد عن القدس ٤٥ كم، منطقتها خصبة شهرت بدورها التجاري الكبير، وكان يحيط بها سور متين ولها قلعتها، كثيرة الأسواق، تلاشت أسوارها وتضاءلت قيمة قلعتها في العصر المملوكي لكن أسواقها ظلت عامرة كثيرة ومتشعبة، نذكر منها: سوق القماحين، وسوق البصالين، وسوق القطانين، وسوق المشاطين، وسوق العطارين، وسوق الخرازين، وسوق البقالين، وسوق الصياقلة، وسوق السراجية، وواضح أن الأسماء التي حملتها هذه الأسواق تدل على نوعية النشاطات التي عرفتها مدينة الرملة[٢٣].

واهتم السلاطين المماليك بالرملة وأقام بعضهم مثل الظاهر بيبرس، والناصر محمد بن قلاوون، والظاهر جقمق عدداً من المنشآت فيها، وكان الذي يتولى الرملة يجمع معها اللد، وكانت مرتبته غير عالية، إنما عندما أصبحت القدس نيابة صار متولي الرملة أمير طبلخاناه[٢٤].

وممن ولي الرملة في العصر المملوكي الأمير غرس الدين بن شاور، وقد ألقى السلطان قلاوون القبض عليه سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م وولى بدلاً عنه الأمير علم الدين سنجر الصالحي[٢٥]، وذكر القلقشندي اسم الأمير أبو بكر علم أنه ولي الرملة كاشفاً لها أيام السلطان الظاهر برقوق[٢٦].

وزاد الاهتمام بالرملة فيما بعد فترقّت مرتبة واليها فأصبح أميراً برتبة «استدار»[٢٧]. وممن تولى استدارية الرملة الأمير شاهين الكيالي. وقد بنى فيها مسجداً ومنارة وأوقف على المسجد أوقافاً كثيرة، وكان ذلك في سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م في أيام السلطان

جقمق[٢٨]. وزيادة الاهتمام بالرملة لم تَقُد إلى استقلاليتها، بل بقيت تابعة لنيابة القدس[٢٩]، وعلو المكانة هذه تشير إلى زيادة الاهتمام بنيابة القدس إلى حد يمكن القول فيه بأن القدس غدت الآن محور الشخصية الفلسطينية، وعادت من جديد حاضرة فلسطين دينياً وسياسياً وثقافياً واقتصادياً.

وفي الوقت الذي اهتم فيه المماليك بمدينة القدس اهتموا ببلدة «حبرون» التي باتت مشهورة باسم «الخليل» أكثر من شهرتها باسمها الأول، لأنه من المعتقد أن النبي إبراهيم عليه السلام مدفون بها، واهتم المماليك اهتماماً كبيراً بهذا القبر وأوقفوا عليه الأوقاف ووظفوا له الوظائف الخاصة.

وكانت بلدة الخليل في بداية العصر المملوكي تقطع إلى نائب الكرك، ففي سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٣م أقطعها السلطان الظاهر بيبرس إلى الأمير عز الدين أيدمر الظاهري وكان نائباً للكرك ثم انتزعها منه ومنحها إلى نائب الكرك الجديد الأمير علاء الدين أيدكين الفخري، وجاء هذا الإجراء امتداداً لما ساد في فترة الحروب الصليبية حيث كانت الخليل تابعة لسادة الكرك[٣٠].

وتحوي الخليل قلعة حصينة بنيت بالحجارة وقامت في الجهة الغربية من البلدة وقد حولت هذه القلعة فيما بعد إلى مدرسة لها أوقافها[٣١].

وجرت عادات المسلمين قبل قيام الحروب الصليبية تقديم الطعام والمأوى لزوار قبر خليل الرحمن، وأدت الحروب الصليبية إلى قطع هذه الخدمات، لكن مع بداية العصر المملوكي أعادها السلطان بيبرس سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م ورتب الرواتب وأمّن النفقات لرعاية الضريح وزواره[٣٢].

وزار ابن بطوطة الخليل في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ووصفها بأنها مدينة صغيرة الحجم عظيمة المكانة، حسنة المنظر[٣٣]، وسبق لنا أن رأينا أن الخليل اعتبرت أيام قلاوون مملكة من ممالك السلطنة.

وحوت منطقة الخليل إمكانات زراعية جيدة، وشهدت المدينة بسبب ذلك، ولكثرة زوارها، نشاطاً تجارياً مستمراً، ووصلنا من أسماء أسواقها: سوق الحصرية، وسوق الزياتين وسوق الغزل[٣٤].

وكانت مدينة الخليل مثلها مثل بقية مدن بلاد الشام بشكل عام وفلسطين بشكل خاص تتألف من عدة أحياء، كل حي منفصل عن الآخر، يحوي طائفة اجتماعية متميزة بانتمائها إلى جماعة حرفية أو دينية أو إلى عشيرة أو منطقة هاجرت منها إلى المدينة. وهكذا نجد: حارة الأكراد وكانت تقع شرقي المسجد، ثم حارة الجبارية، وحارة المشرفية، وحارة السواكنة، وحارة النصارى، وحارة اليهود، وحارة الزجاجين، وحارة الدارية.

وقعت حارة الدارية إلى غربي المسجد، وكانت أحسن حارات البلد، وفيها معظم أسواقه، ومرد ذلك إلى مكانة الداريين ودورهم في تاريخ الخليل الإسلامي. فقد انتموا إلى الصحابي تميم الداري، وورثوا عنه كتاباً جاء فيه أن النبي ﷺ أقطع الخليل لهذا الصحابي ولذريته من بعده[٣٥].

ولاقت الخليل عناية كبيرة من السلطات المملوكية، وهكذا أقيمت فيها المنشآت ولا سيما المدارس الكثيرة مثل: مدرسة السلطان حسن، والمدرسة الفخرية التي نالت اسمها من بانيها القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش المملوكية (ـ ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) والمدرسة القيمرية بجانب باب المسجد الشمالي. وفضلاً عن المدارس أنشىء فيها الكثير من الزوايا والرباطات والمساجد، من ذلك: زاوية القواسمة، والزاوية البسطامية والزاوية السمانية، وزاوية شيخون والزاوية القادرية ورباط مكي في غربي المدينة ورباط الجمّاعيلي بحارة النصارى، والرباط المنصوري نسبة إلى السلطان المنصور قلاوون وأقيم تجاه باب القلعة، ومسجد ابن عثمان في سوق الحصرية والزياتين ومسجد الجاولي نسبة إلى الأمير علم الدين سنجر الجاولي، ومسجد مسعود. وكان السلطان المنصور قلاوون قد شيد في الخليل مشفى (بيمارستان) في سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م عرف باسم البيمارستان المنصوري، وقد أوقف عليه الأوقاف الكثيرة ورتب فيه الخدمات وعين له الأطباء للقيام بمهام الرعاية الصحية لأهالي الخليل[٣٦].

ومثلما حدث بالنسبة لمعظم مناطق نيابة القدس حين عمدت السلطنة المملوكية في أواخر عهدها إلى تجنيد الرجال، شمل هذا الإجراء جبل الخليل[٣٧]، وفي هذا ما يشير إلى ارتفاع الكثافة السكانية فيه.

هذا، ويلاحظ أن المصادر المتوفرة عن العصر المملوكي لم تأت على ذكر وجود ولاة مستقلين لمدينة الخليل، كما كان الحال بالنسبة لنابلس والرملة، بل إن إدارة الخليل قد تبعت مباشرة نائب القدس كما أن ناظر الحرمين كان فيهما ناظراً وحده.

ونلتفت في ختام حديثنا عن الأوضاع الإدارية في نيابة القدس نحو وصف الوظائف الدينية لأهميتها النابعة من المكانة

الدينية لهذه النيابة. ومن المفيد التنبيه إلى أن عبارة الوظائف الدينية تعني إدارات طغت عليها السمة الدينية مع أن نشاطاتها كانت تغطي ميادين واسعة، أبعد من الشؤون التعبدية، وسيكون الحديث مقتصراً على الوظائف الدينية الإسلامية، فهذا ما اعترفت به السلطنة المملوكية رسمياً واعتبر من الإدارات التابعة لأجهزتها، وترتبط مسألة شمول المؤسسات الدينية لنشاطات لا علاقة لها بممارسة الشعائر والعبادات، ترتبط أصلاً بالعقيدة الإسلامية التي قامت على المزج بين معاني الأعمال الدينية والدنيوية، وتصدّر الوظائف الدينية سبعة مناصب هي: ناظر الحرمين الشريفين؛ مشيخة الصلاحية؛ القضاء والقضاة؛ الخطابة في المسجد الأقصى؛ وظائف التدريس؛ الحسبة؛ ناظر البيمارستان.

١ ـ **النظارة**: كانت وظيفة ناظر الحرمين الشريفين من أقدم الوظائف في القدس وأهمها، فقد وجدت في العصر الأيوبي واستمرت في العصر المملوكي وترسخت قواعدها وزاد الاهتمام بها. وتركزت اختصاصات شاغل هذه الوظيفة في الإشراف على حرمي القدس والخليل والعناية بهما من جميع الجوانب ولا سيما ما ارتبط بترميم الأبنية وإصلاحها. وقد احتاجت هذه الأعمال مع الخدمات الأخرى إلى نفقات كبيرة ومستمرة، وجاءت هذه الأموال مما درته أوقاف الحرمين وكانت كثيرة جداً. وغالباً ما تولى ناظر الحرمين الإشراف على هذه الأوقاف، فهو الذي كان يثمّن هذه الأوقاف ويحتفظ بالأموال الزائدة في صندوق خاص في مسجد الصخرة. وكان بعض النظار لا يحسنون التصرف بأموال الأوقاف أو يهملون الأوقاف أو تحدث أزمات وطوارىء فلا تكون الأموال كافية لإعادة الترميم والإصلاح، وهنا كانت السلطنة تتدخل فترسم بالإنفاق من أموال الدولة[٣٨].

وحدث في بعض الأحيان أن أضيف النظر في الحرمين القدسي والخليلي إلى الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، فكان يتولاها ناظر واحد، وهذا ما وقع في عهد السلطان الملك المنصور لاجين، فقد عهد في سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م إلى القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب بنظر الحرمين الشريفين في مكة والمدينة مع حرمي القدس والخليل[٣٩].

ومن الخير أن نبين أن النظر بشؤون الحرمين لم يعهد دائمًا إلى رجال الدين بل عهد إلى عدد من الأمراء المماليك كل منهم كان برتبة طبلخاناه، ومن هؤلاء كان الأمير علاء الدين ايدغدي الصالحي أيام السلطان الظاهر بيبرس، والأمير أحمد بن آل ملك الذي ولي النظارة سنة ٧٧٥هـ / ١٣٨٣م والأمير بوري الأحمدي الذي وليها سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م[٤٠]، وقد جمع بعض الأمراء بين النيابة والنظارة[٤١].

أما عندما كانت النظارة تسند إلى واحد من رجال الدين فغالباً ما كان من العلماء الأجلاء ممن عرف فضله بالعلم والتقوى، وممن شغل وظيفة قاضي القضاة مثل ناصر الدين محمد بن عمر الذي شهر باسم ابن العطار (ـ ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) وقاضي القضاة شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد الرازي الهروي (ـ ٨٢٩هـ / ١٤٢٦م)[٤٢].

وكان الناظر يلي وظيفته بمرسوم صادر عن السلطان في القاهرة، وكان يخلع على الناظر خلعة سلطانية ويدخل إلى مدينة القدس وهو يرتدي الخلعة ويتوجه نحو المسجد الأقصى، ويتلقاه ويرحب به نائب السلطنة والقضاة مع أعيان المدينة، ويدخل إلى المسجد الأقصى حيث يتلى مرسوم تعيينه[٤٣].

٢ ـ **مشيخة الصلاحية**: وجاء بعد النظارة من حيث المكانة مشيخة المدرسة الصلاحية، وهي مدرسة كان السلطان صلاح الدين الأيوبي قد أنشأها بعد تحريره لمدينة القدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، على مقربة من الحرم القدسي في جهته الشمالية، ليس بعيداً عن باب الأسباط، وقد أوقفها السلطان صلاح الدين على تدريس المذهب الشافعي. واحتلت المدرسة الصلاحية مكانة سامية في العصر المملوكي وغدت مشيختها من «الوظائف السنية» في السلطنة المملوكية، وكانت مشيختها تتم بمرسوم سلطاني صادر عن القاهرة[٤٤].

وكان شيخ الصلاحية يدخل بعد تعيينه إلى القدس وهو يرتدي التشريف السلطاني ويحف به العلماء والقضاة ونائب السلطنة وناظر الحرمين الشريفين وشخصيات المدينة، ويتوجه نحو المسجد الأقصى فيدخله حيث يقرأ المرسوم السلطاني.

لقد اعتبر شيخ الصلاحية إحدى الشخصيات الثلاث التي أدارت شؤون نيابة القدس. ونظراً لمكانته كان يتولى في بعض الأحيان منصب قاضي القضاة الشافعية، أو يجمع بين المشيخة والنظر في الحرمين الشريفين، أو بين المشيخة وخطابة المسجد الأقصى أو نصف الخطابة، أو بين المشيخة ونصف مشيخة الخانقاه الصلاحية. وكان يقيم في بعض الأحيان في القاهرة وينيب عنه أحد الشيوخ المقيمين في القدس[٤٥].

ونظراً لما يتمتع به شيخ الصلاحية من مكانة لدى السلطان المملوكي كان إذا توجه نحو القاهرة يخرج إلى استقباله أمير كبير من أمراء المماليك ويصحبه ويصعد به إلى قلعة الجبل حيث

يستقبله السلطان، وكان السلطان يقبل عليه ويرحب به ويجلسه عن يمينه. وفي سنة ٨١٨هـ / ١٤١٥م توجه إلى القاهرة شيخ الصلاحية شمس الدين محمد بن محمود الرازي الهروي، فأمر السلطان المؤيد شيخ المحمودي الأمير الطنبغا العثماني فخرج إلى ظاهر القاهرة فتلقاه وصحبه وصعد به إلى قلعة الجبل، ورحب به السلطان وأقبل عليه وحباه وأكرمه، وأمر بإنزاله في دار خاصة أعدت له، ورسم له أثناء إقامته بالقاهرة براتب يومي قدره مائتا درهم مع ثلاثين رطلاً من اللحم، وأعطاه فرساً بسرج مذهب مع هدايا كثيرة وثياب فاخرة وكذلك فعل رجال الدولة مقتدين بالسلطان حسبما جرت العادة آنذاك(٤٦).

٣ ـ **القضاة**: وجاءت مؤسسة القضاء والقضاة في المرتبة التالية لمشيخة الصلاحية. وكان لما حرر السلطان صلاح الدين الأيوبي القدس ولّى القضاء فيها قاضياً شافعياً هو بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد، صاحب صلاح الدين، وكاتب سيرته **المحاسن اليوسفية**، وجمع ابن شداد بين قضاء القدس وقضاء العسكر السلطاني والنظر في أوقاف القدس(٤٧).

وبعد قيام العصر المملوكي استحدث السلطان الظاهر بيبرس تعديلاً في مؤسسة القضاء في جعلها محصورة بأربعة قضاة حسب المذاهب السنية الأربعة. ومع أن هذا النظام قد جرى تعميمه في غالب نيابات الدولة إلّا أنه لم يطبق في مدينة القدس، وظل منصب القضاء وقفاً على قاضٍ شافعي واحد حتى سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م حيث استحدث السلطان الملك الظاهر برقوق منصب قضاء الحنفية(٤٨).

ويلاحظ أن مسلمي الغرب الإسلامي قد أولوا الحرم القدسي مكانة كبيرة فكان الذي يقدم لأداء فريضة الحج لا يرى أن حجته قد اكتملت إن لم يقم بزيارة القدس. كما أن حرب الاسترداد في الأندلس قد دفعت مع عوامل أخرى عدداً كبيراً من الأندلسيين إلى الهجرة، واستقرت أعداد كبيرة من المهاجرين في القدس، وكان بعضهم من العلماء أو ذوي الخبرة الإدارية. وبالنظر لتزايد أعداد هؤلاء المهاجرين، ولكونهم جميعاً من أتباع المذهب المالكي وجدت الحاجة إلى استحداث منصب قاضٍ للمالكية في القدس، وكان هذا سنة ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م(٤٩).

ومثلما حدث بالنسبة لظهور مذهب المالكية في القدس كان الأمر بالنسبة للمذهب الحنبلي الذي كان منتشراً بالأصل في بغداد وحران وبعض مدن الشام الشمالية الشرقية. وقد دفعت أعمال المغول العسكرية في العراق والشام الأعلى أعداداً كبيرة من الحنابلة إلى الهجرة جنوباً، واستقر بعض المهاجرين في القدس، ومع ازديادهم توفرت الأسباب لاستحداث منصب قاضي الحنابلة وكان هذا سنة ٨٠٤هـ / ١٤٠١م(٥٠).

وقبل أن تصبح القدس نيابة مستقلة كان قاضي الشافعية فيها تتم توليته من قبل قاضي القضاة في دمشق ويعتبر نائباً عنه(٥١)، إنما بعد ذلك صار تعيين القضاة يتم بمرسوم شريف صادر عن السلطان في القاهرة. وهكذا صار القاضي المعين، مثله مثل بقية الموظفين الكبار في النيابة،يدخل بعد تعيينه إلى القدس مرتدياً التشريف السلطاني، ويتوجه نحو المسجد الأقصى لقراءة مرسومه بحضور النائب والناظر وشيخ الصلاحية وبقية أعيان النيابة. ويبدو أن وظيفة القضاء في القدس كانت ذات مردود مالي كبير، لذلك كان بعض القضاة يبذلون الأموال للحصول عليها(٥٢).

وكان القاضي في القدس يجمع بين قضائها وقضاء مدينة الخليل، وكان قاضي الحنابلة يلي مع القدس والخليل قضاء الرملة أحياناً، ولذلك عمد بعض القضاة إلى تولية نواب لهم خارج القدس في مدن النيابة الكبرى(٥٣).

وكان بعض القضاة يجمع بين القضاء ورئاسة المدرسة الصلاحية أو الخطابة في المسجد الأقصى أو يجمع بين القضاء ووظيفة سامية. وحصل في بعض الأحيان أن ولي القضاء في القدس قاضيان شافعيان في وقت واحد، ويرجح أن سبب ذلك شدة التنافس على هذا المنصب لا كثرة المتقاضين. ففي سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م كان القاضي شرف الدين أبو المناقب موسى بن برهان الدين أبي إسحق يلي قضاء الشافعية مع القاضي شهاب الدين أبي الحكمة، وكان كل واحد منهما يجلس في مكان مستقل عن الآخر «فكان القاضي شرف الدين يجلس بالمدرسة الظاهرية، والقاضي شهاب الدين يجلس بدار الحديث»(٥٤).

وساعد القاضي في ممارسة عمله عدد من المباشرين كانوا يقومون ببعض الوظائف مثل الكتابة والحجابة والأمانة وشهادة العدل. فالحاجب هو الذي كان يستأذن على القاضي ويرفع الأمور إليه، وكان الكاتب هو الذي يتولى تسجيل القضايا والأحكام الصادرة حولها، أما الأمناء فهم الذين كانوا يحتفظون بأموال اليتامى والغائبين، وتولى الشهود العدول كتابة العقود والوثائق كما اختصوا بالنظر في صحة الإجراءات القضائية(٥٥).

٤ ـ **الخطابة**: المقصود بالخطابة هنا خطابة صلاة الجمعة في المسجد الأقصى وقبة الصخرة والمسجد الإبراهيمي في الخليل، وقبل أن تصبح القدس نيابة كان التعيين في خطابة الأقصى وإمامة

الصلاة يوم الجمعة يتم من قبل قاضي القضاة، ثم صار ذلك من اختصاص ناظر الحرمين الشريفين. وبعدما غدت القدس نيابة مستقلة بات التعيين يأتي بمرسوم سلطاني من القاهرة، وهكذا صار الخطيب، شأنه شأن غيره من كبار الموظفين، يدخل القدس وهو مرتد خلعة السلطان، وكان كتاب تقليده يقرأ حسب العادة في القدس بحضور جمهور الأعيان والمصلين[٥٦].

وحدث في بعض الأحيان أن تولى شيخ الخانقاه الصلاحية خطابة الأقصى كما جمع بعضهم بين قضاء الشافعية ومشيخة الصلاحية وخطابة الأقصى، ثم فصلت خطابة الأقصى عن خطابة قبة الصخرة[٥٧].

وما دمنا بصدد الحديث عن وظيفة الخطابة من المفيد أن نبين أنه تعلق بهذه الوظيفة وارتبط بها وظيفة الإمامة في الصلوات مع الأذان. فقد غدت إمامة الناس في الصلوات وظيفة ثابتة في العصر المملوكي. وكما تطورت مؤسسة القضاء من قاض واحد حسب المذهب الشافعي إلى أربعة قضاة حسب المذاهب الأربعة، صار لكل أتباع مذهب إمامهم في الصلوات الخمس. وهكذا تعددت المحاريب داخل حرم المسجد، ولا شك أن هذا التعدد له دلالات اجتماعية، إن لم نقل طائفية دينية[٥٨].

وتولى وظيفة الأذان في المسجد الأقصى مؤذن وأحياناً أكثر من واحد. ونظراً لتعدد المساجد في المدينة المقدسة ولكثرة المؤذنين كان يعين لهم رئيس يعرف باسم «رئيس المؤذنين». وكان المؤذنون والخطباء والأئمة يتقاضون رواتب محددة من أموال أوقاف كل مسجد ولا سيما أوقاف المسجد الأقصى، وكانت كثيرة[٥٩].

٥ ــ وظائف التدريس: تمتعت القدس في العصر المملوكي بنهضة ثقافية عظيمة، وكان من مزايا ذلك العصر التوسع المستمر في بناء المنشآت من مساجد وتكايا ومدارس. فلقد قام رجال السلطة من المماليك وسواهم ببناء الكثير من المدارس في جميع أنحاء الدولة وكان نصيب مدينة القدس وافراً في هذا الميدان، حتى بلغ عدد المدارس فيها ما يزيد على الأربعين مدرسة. كما أن المدارس قد انتشرت في مدن النيابة الأخرى مثل الخليل ونابلس والرملة.

وكان قد نجم عن سقوط بغداد بيد المغول هجرة الكثيرين من العلماء إلى بلاد الشام ومصر، كما أن حرب الاسترداد في الأندلس والحروب المستمرة في الشمال الإفريقي دفعت أيضاً بعدد من العلماء إلى الهجرة إلى أراضي السلطنة المملوكية، وكان نصيب القدس من العلماء المهاجرين كبيراً. ولهذا أرسيت في المدينة المقدسة قواعد نهضة علمية نشطة ومؤثرة لم يُعرَف لها مثيل في تاريخها الإسلامي[٦٠].

وبعدما استقطبت القدس الأعداد الكبيرة من العلماء المسلمين والفقهاء أخذ طلاب العلم يقبلون على الالتحاق بمدارسها من مختلف أرجاء البلاد العربية والعالم الإسلامي. ورعت السلطات المملوكية رجال العلم وشجعتهم واعتنت بهم وقرّب السلاطين والولاة والنواب العلماء إليهم مع رجال الدين، وشغل العلماء دور الوسيط بين عناصر السلطة المملوكية (الخاصة) وعناصر الشعب وطوائفه (العامة)[٦١]. وكانت غالبية المدارس أشبه بجامعات اليوم ومعاهد هذا العصر وعرفت المدارس أنظمة محكمة وقوانين لمراتب الهيئة التدريسية التي تكونت بشكل عام من: المدرس والمعيد والمفيد والمنتهي[٦٢].

وكانت المدرسة الصلاحية أولى مدارس القدس، وكان شيخها صاحب أعلى الوظائف التدريسية في المدينة، وكان تعيينه بمرسوم من السلطان كما سلف القول[٦٣]، ولا يتولاها إلا من اتسم بسمات العلم والخلق، وكان له مصنفات، ومن أهل العفة والصلاح.

وخصصت الأوقاف الكبيرة الموارد للإنفاق على المدارس وعلى المدرسين والطلاب، ولنضرب مثلاً على ذلك أن السلطان قايتباي قد رتب في سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م لمدرسته في القدس ستين صوفياً لكل صوفي مبلغ خمسة عشر درهماً كل شهر ولكل واحد من الطلبة خمسة وأربعين درهماً في الشهر الواحد، أما المدرس فكان يتقاضى مبلغ خمسمئة درهم[٦٤].

٦ ــ الحسبة: كان محتسب القدس قبل جعلها نيابة مستقلة نائباً عن محتسب دمشق، وبعدما غدت نيابة صار من اختصاصات النائب فيها تعيين محتسب لمدينة القدس وآخر للخليل ومثله للرملة ولنابلس. وحدث في بعض الأحيان أن حصر السلطان تعيين المحتسب به، ففي سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م جرى تعيين محتسب الخليل بمرسوم سلطاني صدر في القاهرة لأن نائب القدس كان يفرض على المحتسب هناك مبلغاً كبيراً من المال، مما دفعه إلى التسلط على الفقراء من الباعة والتجار[٦٥].

٧ ــ نظر البيمارستان: أنشأ السلطان صلاح الدين الأيوبي في القدس سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م البيمارستان (المشفى) الصلاحي على مقربة من موقع كنيسة القيامة ووفر له كل ما كان يحتاج إليه من أدوية وعقاقير وعين له الأطباء الذين كانوا يتولون العلاج وأوقف عليه أوقافاً كثيرة. وعظم الاهتمام بهذا المشفى في

العصر المملوكي وبات يتولى، فضلاً عن علاج المرضى وتأمين الدواء، التدريس وتدريب الأطباء وتخريجهم. ولهذا كان عدد الأطباء دائماً كافياً. ووجد إلى جانب الأطباء صيادلة كانوا يتولون تركيب الأدوية ويوزعونها مجاناً على المرضى حسب أوامر الطبيب، وتألف المشفى من أربعة أقسام: قسم للجراحة، وقسم للحميات، وثالث للرمد وأمراض العين، ورابع للنساء. وقد حوى المشفى عدداً من الأسرّة كان كل واحد منها يخصص لمن يدخله من المرضى.

وجرت العادة تعيين ناظر خاص برتبة أمير كبير كان يتولى إدارة المشفى. وقد اعتبر القلقشندي هذه الوظيفة «من أجلّ الوظائف وأعلاها»[٦٦].

حظيت مدينة القدس ـ وما زالت ـ بمكانة سامية لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث. ويجدها مستعرض تاريخ الحروب الصليبية قد ارتبطت من حيث الأساس بفكرة الحج. وقد كان هنالك حركة حجيج إليها قبل قدوم الحملة الصليبية الأولى[٦٧]. وازدادت هذه الحركة في فترة الحروب الصليبية ولم تتوقف بعد تحرير القدس من قبل صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م. وقد استهدفت جميع الحملات الصليبية بعد حطين استرداد القدس من المسلمين، وحمل أكثر من زعيم أوروبي لقب ملك القدس، وكانت دولة عكا الصليبية تعتبر نفسها ممثلة لمملكة القدس.

وقد آمن العرب طوال تاريخهم بحرية ممارسة المعتقد ولذلك نلاحظ أن السلطات الأيوبية، ومن بعدها المملوكية، قد صانت داخل القدس حرمة الديانات جميعاً ومكنت أتباعها من ممارسة طقوسهم. أضف إلى هذا أنها لم تسع أبداً إلى تغيير طبيعة القدس الدينية بطمس المعالم غير الإسلامية. فقد آمن المسلمون بأنبياء الديانات السماوية ورسلها ووضعوهم في مكانات سامية إلى حد أنهم قالوا بعصمة الأنبياء. ومع سيطرة روح التصوف وتقدير الأماكن المقدسة نظر المسلمون إلى جميع الأماكن المقدسة في فلسطين عامة والقدس خاصة نظرة جلال ورعاية.

ومن منطلق الإيمان بحريَّة المعتقد والتسامح أذنت السلطات المسلمة للحجاج المسيحيين بالقدوم إلى القدس وسواها وقضاء فروض الزيارة. لكن يلاحظ أن السلطات المملوكية قد تشددت في مراقبة الحجاج لا سيما هؤلاء الذين قدموا من أوروبا لأنه اندس بينهم أعداد كبيرة من الجواسيس وسواهم. والذي يرجع إلى ما خلّفه بعض الحجاج من مواد مشاهداتهم في الأراضي المقدسة تتولاه الدهشة لدقة أوصافهم لا سيما للتحصينات العسكرية والطرقات والطاقات الاقتصادية والإمكانات القتالية، ويلاحظ أن ما من واحد من الحجاج تخلف عن زيارة القدس. ويروى أنه عندما زار البابا غريغوريوس العاشر مدينة عكا سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧١م وعد حشداً كبيراً من الصليبيين الذين احتفلوا بزيارته بأنه سيعمل على انتزاع القدس من أيدي المسلمين[٦٨].

ولشدة اهتمام الصليبيين بالقدس، وإدراك إدارة السلطنة المملوكية لذلك، نلاحظ أن السلطات كانت تشترط على من كان يخرق من الصليبيين المعاهدات معها أن يحج ثلاثين مرة إلى القدس حافياً حاسراً راجلاً[٦٩].

وظلت أوروبا فترة طويلة وروح الغزو الصليبي حية فيها، وقد ساعد على تأجيج المشاعر الأوروبية عمليات التوسع العثماني داخل أراضي أوروبا الشرقية. ففي عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م جرى إعداد جيش صليبي كبير «لأخذ بلاد السواحل من المسلمين والتوصل إلى الاستيلاء على بيت المقدس». وتصدى السلطان العثماني مراد الثاني لهذه الحملة، فاستطاع بعد قتال شديد إلحاق الهزيمة بها وتشتيت قواها وذلك في معركة فارنا. ووصف السخاوي ما حدث بأنه كان قتالاً عظيمًا «لم يعهد مثله في هذه الأزمان، قتل فيه من المسلمين أكثر من عشرة آلاف نفس ومن [عدوّهم] أكثر من ذلك، وكان النصر بعد ذلك للمسلمين حيث كسروا الآخرين كسراً محكمًا وأمسكوا من كبار أمرائهم الذين عليهم الاعتماد خمسة ومن الأسرى أكثر من عشرة آلاف نفس، وغنم المسلمون ما يفوق الوصف من النقدين والمواشي وغير ذلك»[٧٠].

ولم يوقف إخفاق الحملات العسكرية الصليبية تدفق الحجاج من أوروبا على فلسطين، وغالباً ما كان هؤلاء يقدمون عبر البحر، ذلك أنهم كانوا يتجمعون في غالب الأحيان في جنوى أو البندقية ثم يبحرون نحو الأراضي المقدسة فينزلون إما في يافا أو عكا. وحرصت السلطات المملوكية على تنظيم شؤون الحجاج وذلك بالتعاون مع رئيس رهبان الفرنسيسكان في دير صهيون في القدس.

وقضت الأوامر المملوكية بأن يقوم ربان كل سفينة بتسجيل أسماء الحجاج الذين معه وأوصاف كل واحد منهم مبيناً طول قامته ولون بشرته والعلامات المميزة فيه، وكانت هذه القوائم ترسل من يافا أو عكا إلى نائب القدس عن طريق أمير الرملة، وبعد تفحص اللائحة كان يعهد إلى موظف مسلم بالقيام بعملية مطابقة لمحتواها بشكل واقعي وإثر هذا كان يؤذن للحجاج بالنزول إلى اليابسة للتوجه نحو القدس[٧١].

لقد فرضت السلطات المملوكية عدة رسوم كانت بشكل رئيسي كما يلي:

١ ــ «رسم الدخول» وكان يجبى في عكا أو يافا إذا ما قدم الحجاج مباشرة إلى فلسطين أو في غزة إذا كانوا قد قدموا عن طريق مصر. فعدد كبير من الحجاج الأوروبيين كانوا يقدمون إلى مصر أولاً، كما وجد في الوقت نفسه حركة حجيج نشطة للمسيحيين الأثيوبيين، وقد جاء هؤلاء من بلادهم عبر مصر(٧٢).

٢ ــ «موجب الخفر» وهو رسم كان يُجبى من الحجاج عند وصولهم إلى مدينة الرملة مقابل تعيين نائب القدس لحرس كان يخفرهم طوال الطريق إلى القدس ويحميهم من البدو وسواهم ويحافظ عليهم أثناء زيارتهم للأماكن المقدسة(٧٣).

٣ ــ «موجب السلطان» وهو رسم كان يجبى مقابل السماح بزيارة كنيسة القيامة، وبما أن الحجاج اللاتين اعتادوا على زيارة القيامة ثلاث مرات أولاها يوم سبت النور، فإن الجباية عن المرتين التاليتين غالباً ما كانت منخفضة(٧٤).

ويبدو أن الحجاج كانت تزاد عليهم كميات الضرائب ويتعرضون إلى شيء من الابتزاز ليس من قبل السلطات المملوكية فحسب بل أيضاً من قبل رؤساء الرهبانيات وقناصل البندقية وجنوى.

فقد كان كل حاج قدم من أوروبا يدفع إلى السلطات المملوكية مبلغ أربعة دراهم فضة رسم دخول، وفي مقابل ذلك كان يدفع مبلغ درهم إلى ممثل الرهبانية أو قنصل من القناصل عند وصوله إلى الرملة، ثم يدفع ثمانية دراهم أخرى عند وصوله إلى القدس. وتشير «كتب الرحالة والحجاج الأوروبيين إلى أن القناصل كثيراً ما كانوا يستغلون مواطنيهم، بل إن الجشع بلغ بهم حداً جعلهم يتحولون إلى تجار يبيعون لهم النبيذ بأغلى الأسعار»(٧٥).

وتوجَّب على الحجاج الانتظار في القدس حتى يوم سبت النور، ففي هذا اليوم كانت تفتح أبواب كنيسة القيامة ويسمح للحجاج بالزيارة الأولى للقبر المقدس. وعلى مدخل الكنيسة كان ناظرها يشرف على جباية «موجب السلطان» من كل حاج بعد أن يدون كل منهم في إقرار من نسختين: اسمه الشخصي، واسم عائلته وسنّه وجنسيته وجميع الأوصاف المميزة له كطول القامة، ولون العينين وشكل الوجه ثم يبصم على كل نسخة بيده، وترسل إحداها إلى القاهرة وتبقى الثانية بالقدس.

«وكان هذا الموجب وقدره خمس دوكات ذهبية، يجبى من الحجاج والمدنيين فقط، وأما الرهبان فكانوا معفيين من دفع هذا الموجب، غير أنه كان يجبى من كل منهم دوكات ذهبية لصالح بطريرك القدس، ومن ثم فإن كثيراً من الحجاج كانوا يتخفون في زي الرهبان للتمتع بهذا التخفيض الكبير»(٧٦).

وفي الحقيقة كان يتوجب على كل حاج فتح كيس نقوده طوال رحلته والدفع دائماً، ولهذا كانت نفقات الرحلة مرتفعة بإمكان الأغنياء فقط تحمّلها. ولهذا غالباً ما كانت ترفع الشكايات إلى السلاطين الذين كانوا يستجيبون بإصدار مراسيم بتخفيف الجبايات أو بالإعفاء من بعضها.

ولم يتعرض الحجاج المسيحيون وحدهم للأعباء المالية الثقيلة والجبايات المرتفعة، بل شاركهم في ذلك حجاج المسلمين الذين كانوا يتوجهون من الشام إلى الحجاز. لقد لحقت المظالم المالية الجميع مواطنين ومقيمين ومسلمين ومسيحيين دون تفرقة ودون تمييز. فسلاطين المماليك وأمراؤهم، في ظل النظام السياسي والعسكري الذي أقاموه والذي كان لا يعترف بحق الإرث، كانوا في سباق في جمع المال وكنزه وتوريثه لأبنائهم من بعدهم، وكانوا في سباق مع الزمن للتمتع بمباهج الحياة بعد كل الذي ذاقوه من مرارة الحرمان والرق في سنوات حياتهم الأولى.

وقد ازدادت هذه السمة المميزة عنفاً أثناء العصر المملوكي الثاني نظراً لسوء الحالة الاقتصادية الذي خيم على البلاد منذ أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، الأمر الذي أدى إلى تفشي الرشوة بين الجميع، وبيع الوظائف العامة ابتداء من أعلى درجات السلم الوظيفي حتى أدناه وفرض الإتاوات والمقررات المالية على أصحاب الحرف والصنائع والتجار، والاشتطاط في جباية المكوس من التجار والحجاج(٧٧).

لكن بصرف النظر عن المسألة المالية، وعلى الرغم من تدهور العلاقات السياسية بين أوروبا والسلطنة المملوكية، يلاحظ أن الحريات الدينية كانت مصانة، والأماكن المقدسة لها حرمتها. ولم تكتف السلطات المملوكية بالسماح بترميم الأماكن المقدسة وإعادة بناء الكنائس بل سمحت ببناء الجديد منها، ولم يتعرض أفراد الرهبانيات والجاليات الأوروبية للأذى وأعمال الانتقام نتيجة نشاطات دولهم المعادية(٧٨).

لقد توفر في الموانىء الفلسطينية وفي مدينة القدس أعداد من المترجمين وكان لهم أثرٌ كبير. ولدى نشوء بعض المشاكل والخلافات بين بعض الحجاج، أو بينهم وسواهم، فإنهم كانوا يتقاضون أمام القضاة المسلمين. وكان كبير التراجمة أو أحد رجاله يحضر مجلس

القضاء ليترجم أقوال الفرقاء المتقاضين، وكان يشترط في الترجمان في هذه الحالة أن يكون مسلماً، وغالباً ما قامت علاقات ود بين الحجاج والرحالة من جهة والتراجمة من جهة ثانية، وكانوا يتناقشون في مختلف القضايا ولا سيما الدينية منها[٧٩].

هذا، ومن الصعب تقدير أعداد الحجاج من غير المسلمين الذين كانوا يقدمون إلى القدس كل عام، وبناء عليه لا يمكن الحديث عن مدى الأثر الاقتصادي الذي تركوه، مع الأخذ بعين الاعتبار أن أموال الضرائب والرسوم كانت تؤول إلى الرسميين ورجالات السلطة وليس إلى السواد الأعظم من الشعب.

وفي المقابل كان تعداد الحجاج من المسلمين لا يقل عن عشرين ألفاً سنوياً ولذلك كان أهل القدس يكسبون منهم. وكانت الاحتفالات تقام لدى مغادرة الحجاج نحو الديار المقدسة. وبالمناسبة لم يكن للقدس ركب خاص بل كان حجاج نيابتها يخرجون إلى غزة وينضمون هناك إلى «الركب الغزاوي» وكان عدد كبير من حجاج الغرب الإسلامي يقدمون إلى زيارة القدس، ولمكانة المدينة وقدسيتها كانت تشهد باستمرار الاحتفالات الدينية وذلك بالإضافة إلى بعض الاحتفالات الرسمية[٨٠].

كان حجم مدينة القدس قبل اندلاع أحداث الحروب الصليبية معتبراً وكان عدد سكانها كبيراً، وعندما سقطت المدينة بأيدي رجال الحملة الصليبية الأولى أقدم هؤلاء على قتل جميع سكانها بلا استثناء[٨١]. وسكن الغزاة المدينة، وعلى الرغم من ضخامة عددهم فقد شغلوا في البداية بقعة صغيرة منها، ومع الأيام ازداد تعداد سكانها، واقتصر إلى أبعد حد على الفرنجة، وظل الحال هكذا حتى قام السلطان صلاح الدين بتحريرها، وكان من نتائج ذلك أن غادرها المحتلون، وأخذ العرب يعودون إليها، إنما يبدو أن الكثافة السكانية فيها ظلت طوال العصر الأيوبي متدنية بسبب انعدام الاستقرار السياسي طوال ذلك العصر.

وأخذ عدد السكان في القدس يزداد بشكل مطّرد إثر دخول الشام في ظل الحكم المملوكي، ومرد ذلك إلى الاستقرار والأمن اللذين نعمت بهما المدينة المقدسة، ولكثرة المهاجرين إليها من داخل بلاد الشام ومن العراق ومن الأندلس. وقد ذهبت بعض التقديرات إلى القول إن عدد السكان فيها قد تجاوز الأربعين ألفاً، ولكن عدد السكان تناقص بسبب أزمات الدولة المملوكية في الفترة الشركسية ولعوامل أخرى ارتبطت بالأوبئة وسوء المواسم[٨٢].

ومن الجدير ذكره أنه حين ازداد عدد سكان القدس، كان عدد سكان بقية مدن فلسطين وبلدانها قد ازداد بدوره، والعكس أيضاً صحيح حيث شمل التناقص جميع المدن والمناطق معاً. فقد قدرت بعض الدراسات سكان المدن الفلسطينية الرئيسية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي كما يلي[٨٣]:

صفد	١٢,٠٠٠ نسمة.
القدس	٨,٠٠٠ نسمة.
غزة	٦,٠٠٠ نسمة.
نابلس	٤,٣٠٠ نسمة.
الخليل	٣,٥٠٠ نسمة.
كفر كنا	٢,٨٥٠ نسمة.
المجدل	٢,٨٠٠ نسمة.
اللد	٢,٥٠٠ نسمة.

وتأثرت الكثافة السكانية في القدس وبقية أجزاء فلسطين عندما اجتاح طاعون الموت الأسود العالم أجمع وبلاد الشام في منتصف القرن الثامن الهجري / النصف الثاني من القرن الرابع عشر م. ففي سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م نزل الوباء بأرض الشام فعم بها.

> «وباد أهل الغور وسواحل عكا وصفد، وبلاد القدس ونابلس والكرك، وعربان البوادي وسكان الجبال والضياع، ولم يبق في بلدة جنين سوى عجوز واحدة خرجت منها هاربة، ولم يبق بمدينة اللد أحد، ولا بالرملة. وصارت الخانات وغيرها ملآنة بجيف الموتى... وشمل الموت أهل الضياع بأرض غزة وكان أواخر زمان الحرث، فكان الرجل يوجد ميتاً والمحراث في يده، ويوجد آخر وفي يده ما يبذره، وماتت أبقارهم، وخرج رجل بعشرين نفراً لإصلاح أرضه فماتوا واحداً بعد الآخر، فعاد إلى غزة، وسار منها إلى القاهرة، ودخل ستة نفر لسرقة دار بغزة فأخذوا ما في الدار ليخرجوا به فماتوا كلهم، وفر نائبها»[٨٤].

واستمر عدد السكان بالتناقص بفعل سوء المواسم الزراعية والصراعات المملوكية وإقدام المماليك على تجنيد العناصر الشابة واستخدامها في الحملات الخارجية، ولا شك أن نتائج حروب تيمورلنك في الشام قد زادت من تناقص عدد سكان الشام عامة والقدس في الوقت نفسه. وأجمل المقريزي وصف ما لحق ببلاد الشام على يديه بقوله:

> «وقتل من أهل الشام ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى، وقطع أشجارها، حتى لم يبق بدمشق حيوان، ونقل إليها من مصر حتى الكلاب، وخربت أراضي فلسطين بحيث أقامت القدس مدة إذا اقيمت صلاة الظهر بالمسجد الأقصى لا يصلي خلف الإمام سوى رجلين»[٨٥].

ويروي المقريزي أيضاً أن الجدب أي القحط قد ألّم بحوران والقدس والكرك والرملة وغزة لانحباس المطر سنة ٨٢٥هـ / ١٤٢١م مما دفع بكثير من السكان إلى النزوح عن ديارهم(٨٦).

وعاد الطاعون من جديد إلى فلسطين عام ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م فأصاب أهالي القدس وغزة والرملة وصفد، وأهلك أعداداً لا تحصى، وعاد الوباء مجدداً سنة ٨٤١هـ / ١٤٣٧م ففتك بأهالي غزة والرملة والأغوار(٨٧). وتناقص عدد سكان القدس بشكل كبير حتى كان مع أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي حوالي الخمسة آلاف(٨٨).

وسبق لنا أن بيّنا أن رجال الحملة الصليبية الأولى قد أقدموا على قتل الكثير من سكان مدينة القدس بعد الاستيلاء عليها، ويبدو أنه بعدما غدت المدينة المقدسة عاصمة المملكة اللاتينية الكبرى في الشرق تمكن من السكن بها بعض المسيحيين العرب(٨٩). وبعدما حررها السلطان صلاح الدين غادرها سكانها اللاتين وسكنت من جديد من قبل المسلمين، ويبدو أن أعداد المسيحيين الذين شرعوا في سكناها قد تزايد، وكان جل هؤلاء من العرب المحليين لكن أضيف بعض ممثلي مختلف الكنائس المسيحية من غير العرب من الأرمن والأحباش والجورجيين والهنود والإغريق واللاتين. وحظي المسيحيون برعاية السلطات المملوكية وتمتعوا بالإعفاءات من الضرائب، ومارسوا طقوسهم بحرية تامة. وكان أكثرهم حظوة ورعاية الأقباط واليعاقبة العرب، وقد بلغ تعداد المسيحيين أحياناً ما يزيد عن العشرة بالمائة من سكان المدينة المقدسة(٩٠).

ومثلما أقبل ممثلو الكنائس المسيحية على سكنى القدس من جديد بعد تحريرها من الصليبيين، أقبل إليها بعض يهود. وظلت أعداد هؤلاء اليهود قليلة لم تزد قط على الخمسة بالمائة من عدد السكان، وتمتع هؤلاء اليهود بالحرية الدينية وسواها بشكل كامل، وغالباً ما نشأت خلافات بينهم وبين المسيحيين حول إدارة بعض الأماكن المقدسة وملكيتها. ووقفت السلطات المملوكية حيال هذه الخلافات موقف الحياد، وحاول القضاء الإسلامي البت فيها بكل نزاهة وعدالة مطلقة.

ولعل أشهر هذه الخلافات ما دار حول ملكية ما عرف باسم «قبر النبي داود» في داخل مباني دير الفرنسيسكان فوق جبل صهيون، فقد حدث سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م أن سمحت السلطات الأيوبية للرهبان الفرنسيسكان ببناء دير لهم فوق جبل صهيون ينقطعون فيه للعبادة، وسعوا بعدما توطدت أحوالهم واعترف بهم رسمياً ودينياً إلى الحصول من السلطات الإسلامية على حق رعاية الأماكن المقدسة فوق الجبل، وعلى الأخص علية صهيون وقاعة الحواريين.

فعلى التل الجنوبي من جبل صهيون وجدت بقايا قيل إنها مدينة النبي داود وذلك مع مقابر بعض الرسل والأنبياء، وقام إلى جانب هذه المقابر علية والد القديس مرقص أحد حواريي السيد المسيح. وكانت هذه العلية مكان اجتماع المسيح عليه السلام بحوارييه، وقامت هذه العلية فوق قبو شاع بين الناس وجود قبر النبي داود عليه السلام فيه.

وأقام الفرنسيسكان كنيسة هناك، واستخدموا القبو لدفن موتاهم ووقر في أذهان الناس في العصر المملوكي صحة وجود رفات النبي داود في هذا القبو. وفي القرن الخامس عشر أخذ اليهود يطالبون بتملك القبو ونزعه من الرهبان الفرنسيسكان وتدخل القضاء الإسلامي والسلاطين لفض هذا النزاع الذي استمر إلى ما بعد سقوط الدولة المملوكية وقيام الحكم العثماني(٩١).

وكان اليهود قد لحقهم من الفرنجة أثناء فترة الاحتلال الصليبي عسف شديد، ولم يبق منهم في فلسطين سوى بضع مئات، ووجد معظمهم الملاذ في دمشق. فقد زار المنطقة في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي فقدم إحصائية لعدد اليهود في كل مكان زاره ووصف أحوالهم، ووجد بنيامين في بيت جبريل ثلاثة من اليهود وفي بيت لحم أحد عشر وفي الرملة ثلاثة وفي يافا واحداً وفي كل من قيسارية وعكا مائتين وفي طبرية خمسين وفي اللد واحداً فقط، ولم يجد في القدس والخليل وحيفا ونابلس وقاقون وسبسطية وكفر ناحوم وبقية المناطق أياً منهم(٩٢).

ووجد بنيامين في دمشق ثلاثة آلاف يهودي، وبعد تحرير القدس ذهب بعضهم إليها وسكنها، وظل عدد الذين سكنوا القدس صغيراً لم يتجاوز قط الخمسمئة. وقد مارس اليهود في القدس التجارة والدباغة والصياغة وجمعوا الثروات ولهذا تمتعوا بنفوذ قوي، وتمكنوا من بناء كنيس جديد خاص بهم ودخلوا في نزاعات مع المسيحيين ومع المسلمين أيضاً. وأشهر حوادث الخصام ما تفجر سنة ٨٧٨هـ / ١٤٧٣م بينهم وبين بعض المسلمين ودار الخلاف حول كنيسهم. فقد ثبت لدى القضاة في القدس أن هذا الكنيس محدث بصورة غير شرعية، فأمروا بإغلاقه، لكن اليهود تحركوا فرفعوا شكواهم إلى السلطان في القاهرة، فاهتم بالمسألة وطلب من كبار العلماء في القاهرة النظر في القضية ونشب خلاف في الرأي بين هؤلاء العلماء، ومع ذلك وعلى

الرغم من معارضة الشافعية في القدس أرسل السلطان في سنة ٨٧٩هـ / ١٤٧٩م إلى ناظر الحرمين الشريفين بتمكين اليهود من كنيسهم وعدم الاعتراض عليهم. وحدثت ردات فعل شديدة في القدس، دفعت السلطان ثانية إلى الطلب من القضاة إعادة النظر بالموضوع، واختلف القضاة وانتصرت لفترة من الوقت وجهة نظر القاضي الشافعي، وثار بعض الناس لهدم الكنيس فهدم جزء منه. ومن جديد توجه اليهود بالشكوى إلى السلطان في القاهرة، وكان آنذاك الأشرف برسباي، وأمر السلطان بإلقاء القبض على قاضي الشافعية بالقدس، وعلى عدد من العلماء حملوا جميعاً إلى القاهرة حيث تعرضوا للضرب والإهانة، وضغط السلطان على قاضي الشافعية بالقاهرة فأصدر قراراً بعدم شرعية إغلاق الكنيس وهدمه وأذن بإعادة بنائه والتعبد فيه[٩٣].

وعلى هذا سادت حرية المعتقد في فلسطين أثناء العصر المملوكي، وقام القضاء بفض الخلافات، ورعت السلطات المملوكية أتباع الديانات من غير المسلمين واعتنت بهم إلى حد المحاباة وقدمت لهم كل ما يمكن من تسهيلات. ولحسن الحظ وصل إلينا عدد كبير من وثائق العصر المملوكي من مراسيم سلطانية أو صكوك اتفاقات وسواها، من ذلك:

«أنه توفي في سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م يهودي في القدس بدون ورثة معروفين فحاول والي المدينة بالتعاون مع قائد الشرطة الاستيلاء على ما تركه اليهودي، وسعى يهود المدينة إلى منع ذلك فأخفقوا، فتوجهوا بالشكوى إلى شيخ المغاربة المسلمين فبذل جهده لدى الوالي لمنع المصادرة فأخفق فكتب إلى نائب السلطنة في دمشق يشكو له ما حدث، فبادر هذا النائب إلى إصدار أوامره بمنع المصادرة وعرض القضية على القضاء، ولدى وصول الأوامر إلى القدس جرى تحرير محضر بالقضية جاء فيه:

جرى ذلك بحضوري

كتبه عيسى بن غانم الشافعي

لطف الله به

بسم الله الرحمن الرحيم

بتاريخ العشر الأوسط من شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة خمس وتسعين وسبعمائة ورد مثال كريم من المقر الأشرف السيفي تنبك الظاهري كافل الممالك الشريفة الإسلامية الشامية، أعز الله تعالى نصرته، إلى المقر العالي السيفي بلو الظاهري نائب السلطنة المعظمة بالقدس الشريف وناظر الحرمين الشريفين، أعز الله تعالى أنصاره، يتعلق بأمر اليهود، وما حصل عليهم من التشويش، من مضمونه:

انه حضر إلينا شيخ المغاربة يذكر فيه اعتماد صديق الوالي، وما هو عليه من الطمع والتعرض إلى أموال الرعايا. فيتقدم بخلاص ما التمسه منهم من مال اليهود والوصية بهم.

فعند ذلك طلب شيخ المغاربة إلى بين يدي المقر المشار إليه سابقاً، أعز الله تعالى أنصاره، الشيخ الصالح شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الوارث المالكي، شيخ المغاربة بالقدس الشريف، بحضور الجناب العالي الزيني عبد الرحمن الظاهري، قاضي المسلمين، أعزه الله تعالى، وسيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى شرف الدين، مفتي المسلمين، رحلة الطالبين، لسان المتكلمين، شيخ الشيوخ، أبي الروح، عيسى بن سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى، مفتي المسلمين، رحلة الطالبين، شيخ الشيوخ جمال الدين أبي الجود غانم الأنصاري الخزرجي الشافعي الحاكم بالقدس الشريف وأعمالها، وشيخ الشيوخ وناظر الأوقاف المبرورة أدام الله تعالى أيامه، وقرىء مثال مولانا ملك الأمراء بالشام المحروس أعز الله تعالى أنصاره بحضورهم.

فذكر الشيخ شمس الدين المذكور أنه كتب كتاباً من مضمونه: أن شخصاً يهودياً يسمى إبراهيم الأمني هلك بالقدس الشريف، وأن متولي البلد حضر إلى بيته وختم عليهم، فحضر اليهود يتشفعوا به، فبعث معهم قاصداً إلى الوالي المذكور أن يلطف بقضيتهم، فقال الوالي: أنا مأمور أن أختم عليهم، وسأل اليهود: هل مات اليهودي عن وصية أم لا؟ فذكروا أنه مات عن وصية شرعية، وسأل الحاكم بالقدس الشريف إثبات الوصية فتعذر ذلك في الوقت لعدم حضور المدعي الوارث من السجن ليدعي بذلك، وطلب مرسومين كريمين: أحدهما إلى قاضي الشرع بالقدس الشريف بإثبات وصيتهم بطريقة الشرعي، والثاني إلى نائب القدس الشريف ليحرر أمرهم وينظر في حالهم، وإن كان أحد ظلمهم أو أخذ منهم شيئاً فيخلصه منه، وأنه لم يكتب سوى ذلك، ولم يعين أحد من الناس، وأشهد عليه شمس الدين محمد المذكور أنه: لا يتعرض إلى الأحكام الشرعية، ولا يعارض المقر السيفي بلو المشار إليه أعلاه في أحكامه ولا في أموره.

وسطر ذلك في التاريخ المعين أعلاه، حسبنا الله ونعم الوكيل.

حضرت ذلك وشهدت على الشيخ شمس الدين محمد المذكور بما نسب إليه في أعلاه.
كتبه علي بن أحمد العجلوني.

حضرت ذلك وشهدت على الشيخ شمس الدين بما نسب إليه فيه أعلاه بتاريخه.
كتبه محمد الصفدي»[٩٤].

ومن ذلك أيضاً مرسومان صدرا عن السلطان برقوق بشأن رهبان دير صهيون ورهبان الفرنج في كنيسة القيامة جاء فيهما:

«بسم الله الرحمن الرحيم

مثالنا هذا إلى كل واقف عليه من المجالس السامية، برقوق ومجالس الأمراء، الأجلاء، الأكابر، الغزاة، الأنصار، يعتمد،

أمجاد الإسلام بها، زين الأنام، أعضاء الملوك والسلاطين، الولاة والنواب والشادين والمتصرفين بالطرقات المصرية والبلاد

الشامية، أدام الله سعدهم، وأنجح قصدهم، يتضمن إعلامهم أن الرهبان بكنيسة دير صهيون بالقدس الشريف، أنهم منقطعون في كنيستهم المذكورة يأكلون الصدقة وليس لهم رزق به ولا معلوم، وثم من البريدية من يتعرض لهم بالأذية والضرر ويقطع مصانعتهم، وأيضاً يقطع مصانعه قنصلهم فلما أضر ذلك بحالهم شكوا حالهم إلى النواب بالمملكة، فكتبت لهم مراسيم مطلقة بمنع من يتعرض لهم على ذلك إلى الآن.

ومرسومنا للمجالس السامية ومجالس الأمراء أن يتقدموا بحملهم على حكم المراسيم الشريفة التي بأيديهم من قديم الزمان وإلى آخر وقت المستمرة الحكم إلى آخر وقت، ومنع من يتعرض لهم من البريدية ولقنصلهم من قطع المصانعة، ولا يحدث عليهم حادث لم تجر به عادة والوصية بهم يعلمون ذلك ويعتمدونه ويعمل به، والله الموفق إن شاء الله عز وجل.

في تاسع عشر شوال المبارك

سنة تسعين وسبع مائة

بالإشارة الكريمة العالية الأميرية الكافلية السيفية. كافل الممالك الشريفة الإسلامية المحروسة أعلاه الله تعالى، الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم حسبنا الله وكفى.

بسم الله الرحمن الرحيم

صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالي

برقوق

المالك

الأميري، الأجلي، الكبيري، العضدي، الأوحدي، الذخري، النصري، المجاهدي، المؤيد العلامي، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين، أدام الله تعالى تأييده وتسديده، توضح لعلمه المبارك أن جماعة رهبان الفرنج أنهم مقيمون بداخل [القيامة] لأجل خدمة كنائسهم، ولهم مساكن معروفة بهم من قديم الزمان، ولم تكن جرت عادة أحد أن يسكنوا مساكنهم التي بأيديهم وبهم معروفة، ورفعوا أيدي المذكورين عن أملاكهم وبأيديهم محاضر شرعية تشهد لهم بالمساكن المذكورة أنها خادمة بأيديهم من قديم الزمان دون غيرهم.

ومرسومنا للمجلس العالي أن يتقدم أمره المبارك بحملهم على ما بأيديهم من المحضر الشرعي الشاهد لهم بالمساكن المذكورة، ومنع جنس الروم من التعرض لهم أو لساكنهم، مع الوصية بهم في ذلك ومراعاتهم والإحسان إليهم، ويستقر المثال الشريف بأيديهم بعد العمل به فيحيط علمه الكريم بذلك إن شاء الله تعالى.

كتب في سابع عشر ذي الحجة الحرام

سنة ثمان وتسعين وسبعمائة

حسب المرسوم الشريف

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»(٩٥).

ومثلما اعتنى برقوق بالمسيحيين اللاتين وسواهم فعل ابنه فرج بن برقوق حيث سمح سنة ٨١٣هـ / ١٤١٠م ببناء كنيسة بيت لحم، وجرى إحضار الأخشاب من أوروبا لأجل ذلك، وتم نقلها من يافا إلى بيت لحم(٩٦)، وتابع السلاطين إصدار المراسيم القاضية بإسقاط الرسوم عن الرهبانيات والإمرة بمزيد من العناية بمؤسساتهم من ذلك مرسوم أصدره السلطان خشقدم سنة ٨٦٩هـ / ١٤٦٥م جاء فيه:

الاسم الشريف

مرسوم شريف إلى كل واقف من المقر والجناب الكريمين الكفيلي والكافلي كافلي السلطنة الشريفة بالشام وحلب المحروستين، أعز الله تعالى نصرهما والجنابات والمجالس العالية والسامية الكافلية نواب السلطنة الشريفة بطرابلس وحماة وصفد، وغزة، والقدس الشريف، وناظر الحرمين الشريفين بهما، وكاشف الرملة ونابلس والأستاذدار المتولي قبض مال الجرجان، والحكام وولاة أمور الإسلام بالممالك الإسلامية ضاعف الله تعالى وأدام نعمتهم أن يتقدموا باعتماد ما تضمنه هذا المرسوم الشريف والعمل بمقتضاه على ما شرح فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

رسم بالأمر الشريف العالي المولوي

خشقدم

السلطاني الملكي الظاهر السيفي أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفذه في الآفاق وصرفه.

يعتمد

أن يسطر هذا المرسوم الشريف إلى كل واقف عليه من المقر والجناب الكريمين العاليين الأميرين الكبيرين الكفيلي والكافلي السيفيين كافلي السلطنة الشريفة بالشام وحلب المحروستين أعز الله تعالى أنصارهما والجنابات والمجالس العالية والسامية الكافلية السيفية نواب السلطنة الشريفة: بطرابلس وحماة، وصفد، وغزة، والقدس الشريف وناظر الحرمين الشريفين بها، وكاشف الرملة ونابلس، والأستاذدار المتولي قبض مال الجرجان، والحكام، وولاة أمور الإسلام بالممالك الإسلامية ضاعف الله تعالى وأدام نعمتهم، يبدي ويوضح لعلمهم الكريم المبارك أن المحتشم الموقر الأرخس القديس فخر طايفته وأهل ملته الرايس بدير صهيون وعين كارم وبيت لحم، وكبير طايفة الفرنج المقيمين بالقدس الشريف، ودير صهيون، وجميع الرهبان المقيمين والواردين إلى القدس الشريف رفعوا قصة لمواقفنا الشريفة أنهوا فيها أحوالهم، وسألوا صدقاتنا الشريفة في شمولهم بنظرنا الشريف وبعدلنا الشامل، وأن يجدد لهم مرسوماً شريفاً مطلقاً على حكم ما بأيديهم من المراسيم الشريفة من الملوك السالفة وهم: الظاهر بيبرس، والمنصور قلاوون، والناصر محمد، والناصر حسن واخوته والأشرف شعبان، والظاهر برقوق، والناصر فرج، والمؤيد شيخ وولده المظفر، والظاهر ططر، وولده الصالح، والأشرف برسباي،

والظاهر جقمق، والأشرف إينال، ومرسومنا الشريف أيضاً ما نذكر فيه، وهو: أنه إذا حضرت بريدية أو خاصكية أو غيرهم إلى القدس الشريف لا يكلفوا ولا يلزموا بكلفة ولا تسفير إلا إن كان لهم اسماً، وإن كان على أحد من طايفة الفرنج أو من أجناس النصارى مطالبة فلا يلزموا بها، ولا تلزم طائفة الرهبان بتفسير ولا كلفة إلا إن كان لأحد اسم، وإن هلك الرايس بدير صهيون أو أحد من الرهبان أو من الجرجان يكون موجوده للرهبان المذكورين، ويمكنوا من دفن من هلك ولا يعارضوا في مأكلهم، ومشربهم، ويفسح لهم في شرآ العنب لمشروبهم إذا لم يحصل به نفع للمسلمين، ويمكنوا من مشروبهم ومعايشهم، ونقلها من دير إلى دير، ومن كنيسة إلى كنيسة على جاري عادتهم القديمة، ويمكنوا من التوجه إلى بلادهم وضروراتهم، والعودة إلى محلهم بترجمان وبغير ترجمان، ولا يلزموا بقرض ولا معاملة وتمكين الرهبان من الدخول إلى [قيامة] عندما تفتح بغير كلفة، وتمكين الرايس بدير صهيون من إقامة اثنين وثلاثين أو أربعين [بقيامة]، وإخراجهم إذا أراد واستبدالهم بغيرهم على جاري العادة، ويمكنوا من تلييس مساكنهم وتلييس أسطحتهم لدفع الضرر من المطر على الوجه الشرعي، ولا يطلب منهم غرامة، ولا قطع مصانعة، ولا يلزموا بما على أحد يموت من الفرنج البنادقة وغيرهم إلا بوجه شرعي ولا يجبر المذكورون على فتح ديورتهم وكنايسهم ببيت لحم وعين كارم إلا برضاهم، ويمكنوا من الدار المجاورة لديرهم وترميم أماكنهم التي يحتاجون إليها للسكن، ولا يثاقلهم أحد من الحكام بالقدس الشريف، لا من الناظر، ولا النايب ولا الوالي، ولا غيرهم ولا يقطع لهم أحد مصانعة، ولا تمنع الصدقة المحضرة إليهم من بلادهم، ولا يعارضهم فيها أحد من الخفراء والشادّين بالمِينَ والسواحل والطرقات وغير ذلك، ولا يعارضوا في جميع مزاراتهم بالأماكن التي لهم بها عادة، ودخولهم فيها، وفعل شرايطهم وأعيادهم التي اقتضاها دينهم، وخلاص حقوقهم ممن يتعين في جهته، وإذا حصلت عليهم شكوى من القدس الشريف يعطى درهم فضة أو درهمين، ولا يطالبوا ولا يكلفوا بشيء جملة كافية على جاري عادتهم القديمة، وإذا اعتدى أحد من طوايف الفرنج على أحد من المسلمين في البحر أو البر لا يلزم الرهبان بذلك لأنهم تركوا الدنيا واشتغلوا بعبادة الله بالديورة المذكورة، وإذا حصل لأحد من الرهبان من أحد من الحكام بالقدس الشريف وغيره ضرر وقصد الحضور إلى الأبواب الشريفة، يمكَّن من الحضور، ولا يمنع، وإذا حضر أحد من البريدية لا يتعرض إليهم في بيوتهم ولا في مساكنهم ولا يقصدهم بضرر جملة كافية، وأن لا يطلب الرهبان المقيمون بدير صهيون وبيت لحم وعين كارم القدس الشريف بسبب القسايم التي كتبت عليهم، ولا يلزم بها إلا القناصلة لا غير، وأنه من قصد من الجرجان والفرنج التردد إلى دير صهيون وبيت لحم يمكَّن من ذلك على العادة ولا يمنع إجهار النداء لهم بالحماية من الضرر والتشويش والأمان والاطمئنان وكف الأذى عنهم وعن غلمانهم وأتباعهم وأجرآيهم وأجراء تجارهم على جاري العوايد عملاً في ذلك بالعدل الشريف، وأن يتقدم الكاشف بالرملة بكتابة قسايم شريفة على الخفراء بالرملة ويافا بعدم معارضة الرهبان المذكورين جملة كافية على جاري عاداتهم، وأن لا يتعرض أحد إلى الرهبان الواصلين لمينا يافا المعروفين برهبان الحبل من المكارية بالرملة وغيرهم ولا يغصبوهم للركوب معهم غصباً، ولا يتكلم في ذلك إلا رئيسهم بدير صهيون وعين كارم وبيت لحم، وكذلك التراجمة بالرملة والقدس الشريف لا يتعرضوا إلى الفرنج في ترجمة إلا إن كان بيده من يقصد التعرض إليهم مرسوم شريف أو منشور شريف بالترجمة ومن لم يكن بيده مرسوم ولا منشور شريف لا يتعرض إليهم جملة كافية، وأن يمكَّن غلمانهم وأتباعهم من السفر حيث شاؤوا من غير معارض لهم، وسأل الريس بدير صهيون والرهبان أن لا يكرهوا على ضمان أحد من الفرنج ولا غيرهم وأن لا يلزموا بكتب قسايم ولا حلف حيث يشق ذلك عليهم في دينهم، وأنه إذا حدث طلب بالقدس الشريف على النصارى واليهود بسبب تكسير أو غير ذلك لا يلزم الريس بالدير المذكور ورهبانه بشيء من ذلك وأن يعفوا من ساير المغارم والمظالم، وأن يمكن الريس بدير صهيون من إرسال رهبانه حيث شاؤوا من ساير الممالك لاستعطاء ما يقوم بأودهم وإبطال ما كتب على رهبانه في غيبته بسبب ذلك، وإذا سافر رهبانهم بحوايجهم وضروراتهم وغابوا سنتين وأكثر في أشغال ديرهم، تكتب أسماؤهم عند المباشرين بحيث انهم إذا عادوا لا يلزموا بكلفة ولا موجب، وإذا استبدل الريس رهباناً من ديره برهبان بيروت لا يؤخذ منهم موجب على عادتهم، وأنه إذا خرج راهب بغير إذن ريسه ووقع منه شيئاً ناقصاً فلا يلزم الريس ولا رهبانه بذلك، وإذا حضر طايفة الجرجان والتجار والرهبان وغلمان التجار لزيارة [قيامة] وأقاموا بما عليهم من الموجب يمكنون من الدخول ثلاث مرار من غير تعويق على عادتهم ومنع من يقصد قطع مصانعتهم بسبب ذلك وإذا حضر إلى القدس الشريف خاصكي أو بريدي أو غيرهم بسبب تكسير خمر النصارى واليهود، وحصل مغرم، فلا يلزم الرهبان بتكسير ولا كلفة، وإذا توجه الرهبان إلى بحر الشريعة وغير ذلك من المزارات لا يكلفوا الخفر ولا لقطع مصانعة وأنه إذا حضر جرجان أو فرنج من البر أو البحر وحصل لهم قطع طريق عليهم، وأخذ موجودهم فلا يلزم الرهبان، ولا يلزموا غصباً بموجب المذكورين لا في أيام مستحق المقر الكريم الكفيلي — كافل المملكة الشامية المحروسة، ولا في بسط ألسنة إذا شكاهم أحد بغير حق وغرموا شيئاً يرجع على من شكاهم بذلك، وإذا فتحت [قيامة] للزيارة وقصد حوايج كنائسهم ورهبانهم الدخول لها يمكَّنوا من ذلك بغير كلفة الدرهم الفرد على جاري عادتهم، لا يمكَّن أحد من طوايف النصارى من الدخول إلى أماكنهم بغير رضاهم، ومنع من يقصد ضررهم، فهذا مضمون ما بأيديهم من المراسيم الشريفة وما سألوا فيه صدقاتنا الشريفة، وقد رسمنا لهم الآن باستمرارهم على ذلك حملاً على حكم ما بأيديهم من المراسيم الشريفة المتقدمة من الملوك السالفة سقى الله تعالى عهدهم حين اقتضاه الشرع الشريف، ومرسومنا لكل واقف عليه ومستمعه

وناظر إليه أن يتقدموا بمنع من يحدث على المذكورين حادث أو يجدد عليهم مظلمة وحملهم على حكم ما بأيديهم من المراسيم الشريفة المشار إليها حيث اقتضته الشريعة المطهرة، وكف أسباب الأذى والضرر عنهم ومعاملتهم بالمعدلة الشريفة، ومنع من يتعرض لهم بسوء، ولا يكلفوا ما لا طاقة لهم بـه، ولا عادة عليهم، ومنع الوالي والبلاصية والمشاة وغيرهم من دخول ديرهم وقطع مصانعتهم والتشويش عليهم، وإذا دخل ريس جديد وخرج من قبله لا يكلف أحد منها إلى مغرم، ولا يلزم بكلفة، ومن اعتمد خلاف ما رسمنا به من ذلك وما تضمنته مراسيم الملوك السالفة تبرز المراسيم الشريفة بإحضاره إلى الأبواب الشريفة عملاً بالعدل الشريف، واعتماد ما بأيديهم من المرسوم الشريف والمربع من ديوان الجيوش المنصورة المؤرخ بحادي عشرين شهر ربيع الأول سنة ست وستين وثمنماية، والعمل به والوصية بهم ومنع من يتعرض إليهم بغير طريق مبين قولاً واحداً وأمراً جازماً، والمراسيم الشريفة تؤكد عليهم في ذلك غاية التأكيد، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه حجة فيه بمقتضاه.

إن شاء الله تعالى

كتب في ثامن عشرين شهر صفر المبارك

سنة تسع وستين وثمنماية

المرسوم الشريف

الحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وصحبه وسلامه

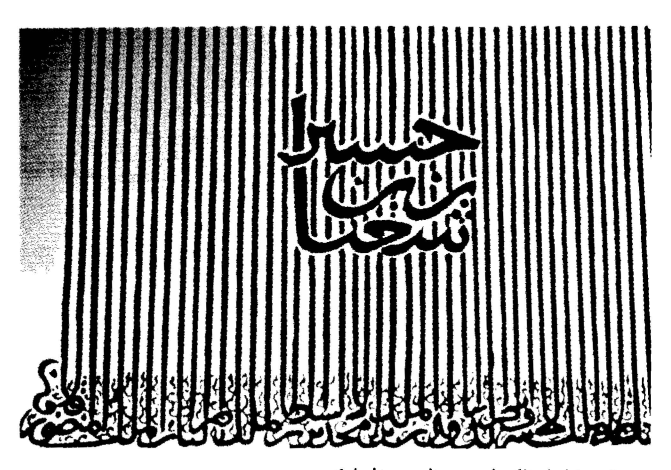
حسبنا الله ونعم الوكيل(٩٧).

وهناك مرسوم آخر أصدره السلطان قانصوه الغوري سنة ٩١٩هـ / ١٥١٣م قبيل سقوط الدولة المملوكية أمر بنقشه على بلاطة ألصقها على باب كنيسة القيامة أمر فيه بمعاملة المسيحيين اليعاقبة والملكانيين والأقباط معاملة لائقة، وأسقط بموجبه عنهم ما كان يجبى منهم من رسوم عند قيامهم بالحج، وجاء في هذا المرسوم:

بسم الله الرحمن الرحيم

المرسوم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الأشرفي السيفي أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفذه وصرفه أن لا يكرهوا جماعة الرهبان النصارى والرهبانيات الملكيين واليعاقبة بموجب ولا بخفر ولا بظلم عند دخولهم [قيامة] القدس الشريف أسوة رهبان الكرج والحبوش، ولا عند دخولهم إلى مينا يافا، ولا عند خروجهم من يافا، ولا في مدينة غزة ولا في رملة لد، الواردين من الرهبان، والرهبانات من المذكورين في البر والبحر وكل ناحية لزيارة بيت المقدس مستمر حكم ذلك من تقادم السنين من غير إحداث حادث، ولا تجديد مظلمة ومنع من يتعرض إليهم بسبب ذلك أو في كمنيرهم وهي تربتهم التي يدفنوا بها، ولا يتعرض أحد إلى موتاهم ولا لنوابهم ومساعة الرهبان والرهبانات من طايفة الروم والقبط من الموجب بالأعمال المذكورة في البسط والموسم على جاري عادتهم، ومنع من يعارضهم في ذلك حملاً في ذلك على ما بيدهم من المربعات الشريفة السالفة، والمربع الشريف الأشرفي الذي بيدهم عند إنهاءهم أنهم رهبان وأهل ذمة ومنقطعين وأن بيدهم عهدات وسجلات ومربعات شريفة شاهدة لهم بذلك، وسألوا كتابة هذا المرسوم الشريف بذلك جميعه، وأن ينقش شرح ذلك برخامة وتلصق بباب [القيامة] وليصير ذلك تذكرة بعدل مولانا المقام الشريف عز نصره على ممر الدهور والأيام صدقة عليهم عند تمثل القس صفرونس الراهب الملكي ورقعته لدى المواقف الشريفة، فرسم لهم بذلك بمقتضى القصة المرفوعة عن الرهبان والرهبانات المشمولة بالخط الشريف حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه، بتاريخ اليوم المبارك التاسع من شهر الله المحرم الحرام سنة تسع عشرة وتسعمائة، والحمد لله وحده مصلياً ومسلّماً على من لا نبي بعده(٩٨).

وقبل قيام الحروب الصليبية كانت القدس مقراً لكرسي بطركي شرقي، وبعدما احتل الصليبيون القدس وسكنوها حافظوا على هذا الكرسي إنما عينوا فيه بطركاً لاتينياً، وبما أن غالبية نصارى فلسطين لم يكونوا من أتباع الكنيسة الكاثوليكية فقد اقتضى الأمر نقل مركز البطركية إلى دمشق، واستمر الحال هكذا بعد تحرير القدس، وأتت المصادر على ذكر وجود بطريرك القدس في دمشق خلال العصر المملوكي، وكانت بطركية القدس تحكم في شؤون نصارى «جندي فلسطين والأردن» وكانت هي المرجع في التحليل والتحريم والحكم والفصل في المواريث والأنكحة ورعاية الكنائس والديرة والرهبان وغير ذلك(٩٩). وكان لليهود رئيساً (كذا) خاصاً (كذا) بهم يرعى شؤونهم ويمثلهم لدى السلطنة. ونظراً لوجود أكبر تجمع يهودي في بلاد الشام في دمشق، فقد كان هذا الرئيس يقيم فيها، وكان يتكفل بأمورهم ويرعى إقامة حدود

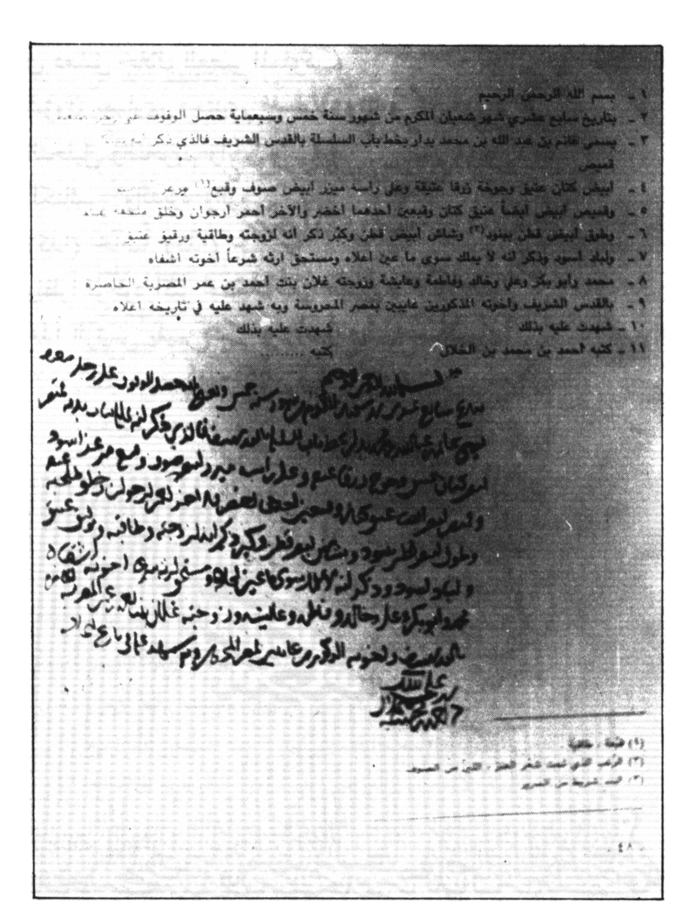


رسالة بالخط الكوفي من العهد المملوكي

التوراة بينهم، وعاش في فلسطين عدد من السامرة، وكان رئيس السامرة يقيم في مدينة نابلس[١٠٠].

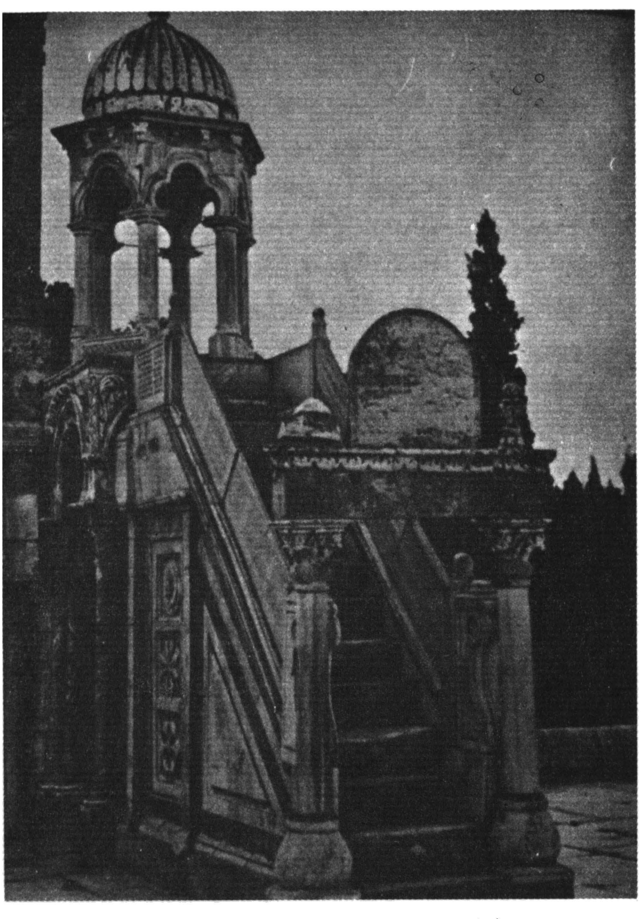
ونعمت القدس وسكانها في العصر المملوكي بحياة فيها استقرار وبعض الثراء. فقد نشط المقادسة في مجالات التجارة والصناعة والحرف وحصلوا على الأرباح ولاقت بضائعهم الرواج ولا سيما في مواسم الحج، وكان عدد الحجاج من المسلمين دائماً كبيراً لا يقل سنوياً عن عشرين ألفاً، يضاف إليهم الحجاج من الديانات الأخرى، وكان أهالي نيابة القدس يكسبون الكثير من الحجاج، كما أن الأوقاف المخصصة للإنفاق على المساجد والمدارس وطلبة العلم كانت كبيرة الموارد وغالباً ما أضيف إليها هبات وأعطيات جاءت من السلطنة. ونتيجة لذلك ملك عدد من المقادسة القصور خارج المدينة في غربيها، وفيها كانوا يقضون فصل الصيف[١٠١].

وتكونت في القدس طبقة ثرية، وسعى بعض أفراد هذه الطبقة إلى الحصول على المزيد من المال بطرق لم تتواءم في كثير من الأحيان مع سمعة مدينتهم ومكانتها الروحية فقد روجوا لتجارة الحشيش ولتناوله[١٠٢].



١ - بسم الله الرحمن الرحيم
٢ - بتاريخ سابع عشري شهر شعبان المكرم من شهور سنة خمس وسبعماية حصل الوقوف ...
٣ - يسمى غانم بن عبد الله بن محمد بدار بخط باب السلسلة بالقدس الشريف فالذي ذكر ...
قميص
٤ - أبيض كتان عتيق وجوخة زرقا عتيقة وعلى راسه ميزر أبيض صوف وقبع[١] ...
٥ - وقميص أبيض أيضاً عتيق كتان وقبعين أحدهما أخضر والآخر أحمر أرجوان وخلق ...
٦ - وطرق أبيض قطن بينود[٢] وشاش أبيض قطن وكبّر ذكر أنه لزوجته وطاقية ورقيق ...
٧ - ولباد أسود وذكر أنه لا يملك سوى ما عين أعلاه ومستحق ارثه شرعاً أخوته أشقاه
٨ - محمد وأبو بكر وعلي وخالد وفاطمة وعايشة وزوجته غلان بنت أحمد بن عمر المصرية الحاضرة
٩ - بالقدس الشريف وأخوته المذكورين غايبين بمصر المحروسة وبه شهد عليه في تاريخه أعلاه
١٠ - شهدت عليه بذلك   شهدت عليه بذلك
١١ - كتبه أحمد بن محمد بن الخلال   كتبه ......

وثيقة من القدس تعود إلى عهد المماليك



منبر من العهد المملوكي

ووجد في القدس عدد كبير من الأسواق العامة والأسواق المتخصصة، كما وجدت فيها أعداد كبيرة من مؤسسات النشاط التجاري والحرفي، وما تزال المدينة تحتوي على بقايا وآثار أبنية هذه المؤسسات، وغالباً ما تحمل هذه الأبنية الآن اسم خان.

والخان كلمة فارسية الأصل تعني «مخزن البضائع» ويقابلها في داخل المدن عبارة قيسارية أو دار الوكالة ثم فندق. وكان الخان مكاناً ينزل فيه التجار والمسافرون للراحة ولقضاء الأعمال، ونشطت مؤسسات الخانات في العصر المملوكي نشاطاً كبيراً داخل المدن وخارجها. وبات عددها وحجمها معياراً للنشاط الاقتصادي في المدينة أو المنطقة التي أقيمت فيها.

وكانت الخانات خارج المدن أماكن محصنة لحماية المسافرين والتجار مع بضائعهم، وغالباً ما تألف الخان من طابقين وحوى جميع المرافق من حمام وماء وإسطبلات ومستودعات وحوانيت وحجر للنوم، ومن أشهر خانات فلسطين التي أقيمت خارج المدن: خان المنية عند بحيرة طبرية، والخان الأحمر بين القدس

وأريحا، وخان اللُّبّن بين القدس ونابلس، وخان يونس إلى الجنوب من غزة[١٠٣].

ولم يكن لخانات المدن أسوار وأبراج دفاعية، ذلك أنها كانت دوراً للوكلاء وقيساريات، فيها كان يتولى الوكلاء خدمة التجار في خزن بضائعهم أو بيعها مقابل عمولة محددة، وفيها أيضاً كانت تتم جباية الرسوم والضرائب مثل «رسم القبّان» الذي كان يجبى في الشام فقط حسب وزن البضائع ونوعها. ونظراً للدور العظيم الذي قامت به هذه المؤسسات أقبل عدد من الأمراء والسلاطين على إنشائها ومن ثم أوقفوها على المدارس أو المساجد أو التكايا والفقراء، وكان من أشهر خانات القدس:

خـان السلطان: وشهر في العصـر المملوكي باسم «دار الوكالة» وكان يقع وسط منطقة تجارية نشطة قرب باب السلسلة غير بعيد عن سوق التجار (الخواجات) وسوق الباشورة، ويتألف من مبنى من طابقين كان في غاية الفخامة، وقد جدد بناؤه في أيام السلطان برقوق حيث توجد لوحة رخامية (٦٦ × ٤٨ سم) مثبتة على مدخل الممر المؤدي إليه كتبت بخط نسخي مملوكي جاء فيها:

١ ــ «بسم الله الرحمن الرحيم. جدد هذه القيسـارية المباركة وقف حرم القدس.

٢ ــ الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق خلد الله ملكه.

٣ ــ بنيابة مولانا ملك الأمراء بيدمر كافل الممالك بالشام أعز الله أنصاره.

٤ ــ إنشاء الفقير إلى الله تعالى السيفي أصبغان بلاط ناظر الحرمين الشريفين في سنة ثمان وثمانين وسبعمئة».

وأتى صاحب الأنس الجليل على ذكر هذا الخان وسماه «خان الوكالة» ووصفه بقوله: «وهو خان عظيم وقف على مصالح المسجد الأقصى، يؤجر في السنة بنحو أربعمائة دينار، تباع فيه أصناف البضائع»[١٠٤]، وظل هذا الخان المركز التجاري الرئيسي في القدس إلى ما بعد سقوط الدولة المملوكية، وفيه تباع الأقمشة والبضائع الثمينة ويستوفى «رسم القبان» من قبل وكيل المحتسب ومندوب بيت المال[١٠٥].

خان تنكز: ويعرف أيضاً باسم خان أوتوزبير (أي خان واحد وثلاثين) ويرجح أن هذا الخان قد بناه نائب الشام تنكز الواسع الشهرة، ذلك أن بوابته وبعض أقسامه تحمـل رنكه (شعاره) وهو كأس، ويقع هذا الخان وسط سوق القطانين. وإلى الأمير تنكز يعزى بناء هذا السوق سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٧م في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون. وذكر صاحب الأنس الجليل سوق القطانين، وبين أنه «مكتوب عليه: أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جدد عمارته في سنة سبع وثلاثـين وسبعمائة» ونقش على مدخل هذا الخان ما يلي:

«١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم... المبارك والسـوق والربوع على ظهرهم المقر.

٢ ــ الأشرف السيفي تنكز الناصري كافل (الممـالك) الشريفة الشامية أعز الله أنصاره.

٣ ــ في شهور سنة...».

وساهم هذا الخان في الأنشطة التجارية للقدس، وما تزال بقاياه قائمة حتى الآن[١٠٦]، وكان طول سوق القطانين مائة متر وعرضه عشرة أمتار، على جانبيه حوانيت لبيـع مختلف أنواع الأقمشة. وقد ضم هذا السوق بالإضافة إلى خان تنكز خانين آخرين قام أولهما عند أسفله واسمه «خان الغادرية» وقد بني في القرن التاسع وأوقف على المدرسة الغادرية التي بنتها في مصر خاتون زوجة ناصر الدين محمد بن دلغادر سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٣م في عهد السلطان الأشرف برسباي، وكان ناصر الدين أميراً لدولة «دلغادر» في شمالي بلاد الشام في إقليم كيليكيا[١٠٧].

وقام عند باب سوق القطانين الخان الآخر وهو «خان الملك المؤيد» ويعرف أكثر باسم «خان القطانين». بني هذا الخان للسلطان الملك المؤيد شهاب الدين أحمد ابن الملك الأشرف أبي النصر إينال. ويرجح أن عملية البناء قد تمت أيام سلطنة أبيه إينال لأن الملك المؤيد أحمد حكم أربعة أشهر وتسعة أيام فقط في عام ٨٦٥هـ / ١٤٦١م[١٠٨].

وبالإضافة إلى هذه الخانات التي ما تزال بقاياها موجودة في مدينة القدس أتى صاحب الأنس الجليل على ذكر عدد آخر من الخانات هي: خان القاضي فخر الدين بن نسيبة، وخان الفحم، وخان المصرف، وخان الشعارة وخان الزيت، وخان الجاولي، وخان العنابة[١٠٩].

وفضلاً عن هذه الخانات كان هنالك خانان خارج سور القدس درسا الآن، وهما خان الظاهر بيبرس وخان بني سعد، وكان خان الظاهر بيبرس من أقدم المنشآت المملوكية في فلسطين، ويرجح أنه أقيم على مسافة ميلين من سور القدس. وكان الغرض منه استقبال القادمين إلى المدينة وتقديم المساعدات لهم، فقد وجد بالخان مرافق كثيرة وكانت له أوقاف كبيرة، ويوجد في المتحف الإسلامي بالقدس لوحة رخامية منقوشة قسمت إلى قسمين غير كاملين، يعتقد أنها اللوحة التي أرخت لتأسيس الخان، وقد بقي من نقشها النص التالي:

«بسم [الله الرحمن الرحيم]. . . وصلى الله على سيدنا محمد وآله
مما أمر بإنشا [. . . الخان المبارك. . . ثوابه الجسيم
مولانا السلـ[ـطان الأعظم. . . مالك رقاب] الأمم ملك
العرب والعجم [والترك. . . المـ[ـلك الظاهر
ركن الدنيا والـ[ـدين أبي الفتح بيبرس الصالحي. . . قـ]ـسيم
أمير المؤمنين
ضاعف الله ا[قتداره. . .] وأعزّ نصره
وكتب في آخر [. . . سنة] اثنتين وستين وستمائة
والحمد لله وحده. . . وآلـ]ـه وسلم»(١١٠).

ويبدو أن خان بني سعد قد بني قرب باب العمود في أواخر العصر المملوكي وكانت له أوقافه وخدماته أيضاً(١١١).

ومجدداً من الممكن القول إن الشخصية الفلسطينية وهيكل الدولة قد تمحورا حول القدس ولهذا كثرت المواد الإخبارية حولها، وتمركزت فيها النشاطات السياسية والدينية والاقتصادية والحضارية عامة، وعلى هذا بات التأريخ للقدس هو إلى أبعد الحدود تأريخ لفلسطين بأجمعها.

وكسبت القدس مكانتها الإسلامية من وجود الحرم الشريف فيها، وعلى هذا يلاحظ أن هذا الحرم كان هو مركز النشاط للمدينة، أحاطت به الأسواق والأحياء. ومثلما لاحظنا أن بعض خانات المدينة كانت متخصصة، كذلك كانت أسواق المدينة، وكان بعضها مسقوفاً، وكانت الحوانيت تبنى من الحجارة على جانبي السوق، وكانت الأسواق مركز النشاطات الحياتية واليومية ولم توجد أسواق داخل الأحياء السكنية.

وتألفت القدس مثلها مثل غيرها من مدن العصر المملوكي من عدد من الأحياء (حارات) عرف كل منها باسم الطائفة الاجتماعية التي سكنته، وكان كل منها مساوياً في الحجم لقرية



فارس مملوكي في فلسطين

صغيرة، وبلغ الحجم الوسطي لسكان كل حي ما بين خمسمئة إلى ستمئة شخص. وكانت الأحياء مناطق متجاورة صغيرة تقع داخل الوحدة المدنية الكبرى، وغالباً ما كان الحي عبارة عن وحدة اجتماعية متجانسة ومرتبطة بإحكام، تبحث عن الراحة والحماية والأمن لأعضائها في عالم لم يكن المرء فيه يشعر بالأمان الحقيقي إلا بوجوده مع أقربائه وجيرانه وأنسبائه. وقامت تضامنات بعض الأحياء على أساس المطابقة الدينية، فقد كان لليهود والمسيحيين أحياء خاصة بهم في القدس، ومع ذلك فإن وجود بعض الأخبار التي تحدثت عن نزاعات حول بعض الأماكن المقدسة المتجاورة أو حول ارتفاع بعض المنازل يظهر أن الأقليات المسيحية واليهودية قد توزعت فيا بين مجموع السكان، أي أنهم عاشوا في مناطق منفصلة لكن مجاورة لمناطق المسلمين ومتداخلة معها، وبناء عليه لئن وجد بعض الفصل بين الأفراد من قبل الوحدة الاجتماعية، لم توجد المجتمعات المشابهة لأحياء اليهود (المعروفة بالغيتو) أبداً(١١٢).

ونظراً للطبيعة الخاصة لتاريخ سكنى مدينة القدس بعد تحريرها من الفرنجة، فقد وجدت فيها أحياء عديدة أتى سكانها من قرى مختلفة كما جاء آخرون من بعض الجماعات القبلية العربية وغير العربية من تركمان وأكراد. واستمرت في غالب الأحيان علاقات سكان القدس من ذوي الأصول القبلية مع قبائلها. ففي سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م اندلع القتال داخل المدينة المقدسة لأن الحاكم فيها أعدم عدداً من بني زيد، فهاجمها أقاربهم وأحلافهم من خارج المدينة وغزوا الأسواق والمساجد وأطلقوا سراح السجناء(١١٣).

هذا وكان لكل حي من أحياء مدن الشام، ومنها القدس كما هو مرجح، شيخه، وغالباً ما كانت الأحياء أماكن لجمع الضرائب، وكان المشايخ يستخدمون من قبل السلطات المملوكية لجبي الضرائب، ولفرض بعض الأوامر الخاصة والمساعدة على ضبط الأمن والنظام العام. وقامت في بعض الأحيان عبر شيوخ الأحياء تحالفات بين بعض الأحياء ولا سيما عندما تعرضت الأحياء في أوقات القلاقل لتهديد اللصوص وقطاع الطرق والحروب الأهلية والغزوات. لهذا وجدت مداخل محروسة، ذلك أن الأحياء قد شهدت ظهور بعض التنظيمات العسكرية (الميليشيات) المحلية، وكان المسلحون بقيادة زعماء الأحياء يتولون أوقات الأزمات حماية أحيائهم، وغالباً ما كانوا يمنعون النساء والأطفال آنذاك من مغادرة البيوت والأحياء(١١٤).

وكان سكان القدس يعيشون في بيوت تألفت من طابق

واحد أو طابقين. وما يزال في القدس أعداد كبيرة من البيوت التي ترقى إلى العصر المملوكي، وقد بنيت بالحجر والجير. وتوزعت الأحياء على مقربة من الحرم الشريف، وكان من أشهر أحياء المدينة: حارة اليهود، وحارة المشارقة وسكنها المسيحيون الذين كانوا من أصل محلي، وحارة الغوانمة، إلى الغرب من المسجد الأقصى قرب منارة الغوانمة، وحارة بني مرة، وحارة الزراعنة وحارة المغاربة وحارة بني الحارث، وحارة الجوالقة وحارة الغورية، وحارة الحيادرة، وهكذا. وتوضح هذه الأسماء ما سبق تبيانه قبلاً، على أنه من المفيد الإشارة إلى أن بعض الأحياء كسب اسمه من حرفة من الحرف مثل حارة الحصرية(١١٥).

وحظيت القدس في العصر المملوكي بمكانة سامية وعاشت أروع عصورها في تاريخ الإسلام. فهي قد حظيت بالقداسة لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث، وتوفرت فيها أجواء الحرية الدينية، وكان الزوار يؤمونها بشكل دائم. وقد نشطت فيها الحركة التجارية وكثرت مدارسها وأقبل طلاب العلم عليها، ولطبيعة العيش فيها والاستقرار اختارها سلاطين المماليك مكاناً للإقامة الإجبارية للأمراء المبعدين لهفوة ما، وممن لم يكن يشكل خطراً على السلطة، ومن الممكن إعادته لممارسة النشاط الرسمي. ففي سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م أقدم السلطان الظاهر برقوق على عزل الأمير بيدمر الخوارزمي نائب دمشق عن منصبه، وعين بدلاً منه أشقتمر المارديني وكان يقيم «بطّالاً» في القدس(١١٦).

وكان المنفي إلى القدس يعيش فيها طليقاً يتحرك فيها كيفما أراد لكن لم يكن يحق له مغادرتها إلا بإذن صادر عن السلطان. وكانت حياة المنفى في القدس مريحة إلى أبعد الحدود فالمناخ جيد وكل شيء متوفر في المدينة وفيها من الأجواء الدينية والثقافية ما يشغل أي إنسان، ثم إنه لم تتوفر فيها الإمكانات العسكرية للثورة أو أي عمل من هذا القبيل. ونظراً لما وفرته القدس للذين كانوا في السلطنة أو خارجها فقد عمل جميع الأمراء ــ وكلهم كانوا ذوي ثروات كبيرة ــ على إيقاف الأوقاف الكبيرة على مختلف مرافق الخدمات في القدس الشريف(١١٧).

ولم تقتصر مرافق القدس على المساجد والتكايا والمدارس، بل كان هنالك أماكن أخرى لا سيما الحمامات والمشافي أو البيمارستانات (جمع بيمارستان) وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين «بيمار» أي مريض و«ستان» أي مكان أو دار. وكان المسلمون منذ فجر الدعوة المحمدية قد اهتموا بالشؤون الصحية ومعالجة المرضى وأقاموا المشافي الثابتة والمتحركة التي كانت ترافق الجيوش. وازداد الاهتمام بالمشافي في العصر العباسي، وتعاظم هذا الاهتمام في فترة الحروب الصليبية وما تلاها إلى حد أن السلطان صار أثناء سفره يصطحب معه «غالب ما تدعو الحاجة إليه حتى يكاد يكون معه مارستان لكثرة من معه من الأطباء وأرباب الكحل والجراح والأشربة والعقاقير وما يجري مجرى ذلك، وكل من عاده طبيب ووصف له ما يناسبه يصرف له من الشرابخانه أو الدواءخانه المحمولين في الصحبة»(١١٨).

وقد سبق القول ان السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد أن حرر القدس أمر بإنشاء بيمارستان فيها قرب دار الاسبتارية سابقاً. وظل هذا المشفى قائماً طوال العصر الأيوبي، ولم يفقد أهميته في العصر المملوكي، وكان واسع الحجم يستوعب ما يقارب الألف من المرضى، وجاء في كتاب **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**:

> «وقد كتب إليّ الأستاذ العالم عادل جبر بك مدير المتحف الإسلامي ودار الكتب بالقدس الشريف عن هذا المارستان فقال: إن بالقدس حارة تسمى الدباغة، والمشهور المتداول على ألسنة الناس أن البيمارستان الصلاحي كان في هذه الجهة ثم أدركه الخراب كما أدرك غيره من الآثار، ثم حدثت زلزلة في سنة ٨٦٢هـ / ١٤٥٨م فجعلته أثراً بعد عين، فعفيت آثاره واختلست أرضه، وتصرف فيه الحكام وغيرهم من الناس بالبيع والهبة، فوهب السلطان عبد الحميد قسماً من خراباته إلى الدولة الألمانية لمناسبة زيارة ولي عهدها للقدس الشريف سنة ١٨٩٦ فبنى فيه الألمان كنيسة افتتحها الإمبراطور غليوم الثاني سنة ١٨٩٨، وقال إنهم عثروا في خراباته على حجارة مكتوبة ناطقة باسم صلاح الدين وخلفائه من بعده»(١١٩).

وبالإضافة للمارستان الصلاحي في القدس كان في مدن النيابة الأخرى مشافٍ خاصّة بها، فقد ذكرت المصادر أن السلطان المنصور قلاوون بنى سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م بيمارستاناً في الخليل وأوقف عليه الأوقاف الواسعة، كما كان في الرملة البيمارستان الفخري، بناه محمد بن فضل الله القبطي ناظر الجيش أيام الناصر محمد بن قلاوون وكان قد أسلم وتسمى محمداً وبات يعرف باسم فخر الدين، وهو أيضاً تولى بناء بيمارستان آخر في مدينة نابلس(١٢٠).

وعانت القدس طوال تاريخها من نقص في موارد المياه، فهي قد اعتمدت بشكل رئيس على مياه عين سلوان، واعتاد أهالي المدينة على تخزين مياه الأمطار في صهاريج خاصة وحفروا الآبار في داخل بيوتهم، كما بنوا البرك المتفاوتة الأحجام في مختلف أنحاء المدينة(١٢١).

واهتمت السلطات المملوكية بمسألة المياه في القدس وغالباً ما كانت تلجأ إلى تنظيف الأقنية وترميم البرك وحفر الآبار وفتح أقنية جديدة، فقد روى المقريزي أنه في عام ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م في عهد السلطان الظاهر بيبرس:

«نزحت بئر السقاية التي بالقدس حتى اشتد عطش الناس، فنزل شخص إلى البئر فإذا قناة مسدودة، فأعلم الأمير علاء الدين الحاج الركني نائب القدس، فأحضر بنائين وكشف البناء فأفضى بهم في قناة إلى تحت الصخرة فوجدوا هناك باباً مقنطراً قد سُدَّ، ففتحوه فخرج منه ماء كاد يغرقهم، فكتب بذلك إلى السلطان، وأنه لما نقص ماء السقاية دخل الصناع فوجدوا سداً، نقب فيه الحجارون قدر عشرين يوماً، ووجد سقف مقلفط [محكم السد] فنقب فيه قدر مئة وعشرين ذراعاً بالعمل فخرج الماء وملأ القناة»[١٢٢].

ومجدداً في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون أيام نيابة تنكز للشام شعر أهل القدس بالحاجة إلى الماء، وقل بها بشكل شديد «حتى بلغ شرب الفرس مرة واحدة نصف درهم فضة» فاهتم تنكز بالأمر وندب قطلوبك ابن قرا سنقر أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق وذلك سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م وكان هذا الأمير من كبار «مهندسي» الري في أيامه، ولذلك نجح بعد عمل دام عاماً واحداً ببناء قناة جلب فيها الماء إلى مصنع «سعته نحو مائتي ذراع، وركب في الجبل مجاري نقب لها في الحجر حتى دخل الماء إلى القدس، فكان لها يوم مشهود»[١٢٣].

وحملت هذه القناة اسم «قناة السبيل» وقد احتاجت في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي إلى إعادة الإعمار، فبعدما تحدث صاحب **الأنس الجليل** عن وصول السلطان خشقدم إلى العرش سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦١م قال:

«ومن حسناته بالقدس الشريف عمارة قناة السبيل الواصلة إلى القدس الشريف من عين العرّوب وعمارة البركة الشرقية من بركتي المرجيع، وكانت العمارة على يد الأمير دولات. وكان باي الخاصكي جهزه إلى القدس الشريف فاهتم بعمارته وقام في ذلك أعظم قيام»[١٢٤].

ويبدو أن العمل لم ينجز جميعه في عهد السلطان خشقدم وظل بحاجة إلى إكمال فقد قال صاحب **الأنس الجليل** في مكان آخر من كتابه:

«وكان الملك الظاهر خشقدم قد شرع في عمارة العين الواصلة من العروب إلى القدس الشريف، ومات وهي محتاجة إلى إكمال العمارة، فلما ولي بعده الملك الظاهر يلباي ثم الملك الظاهر يلبغا رسم كل منهما بإكمال العمارة، فلم تطل مدة واحد منهما، فكتب أهل بيت المقدس من المشايخ والقضاة والأعيان استدعاء للسلطان الملك الأشرف (قايتباي) يتضمن سؤال صدقاته في إكمال عمارته، فبرز مرسومه الشريف بذلك، فعمرت ووصل الماء إلى القدس، وأعيد الجواب للسلطان بذلك»[١٢٥].

ومن المرجح أن هذا كان سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م، ففي هذه السنة «احتبس المطر ببيت المقدس حتى دخل أكثر الشتاء، وحصل للناس شدة من قلة الماء... وكانت قناة السبيل هناك محتاجة إلى عمارة». وقد نجز العمل بعد سنة، فقد عثر على نقش بقي من نصه ما يلي:

«الحمد لله الذي أفاض النعمة و... جميل توفيقه تجديد عمارة مجاري المياه الواصلة إلى البيت

المقدس... مولانا وسيدنا... سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين قامع البغاة...

الأشرف أبو النصر قايتباي لا زالت دولته العزيزة تنصر الإسلام

... أضاف المثوبات صحائفه المكرمة مخلدة، وذلك على يدي العبد الفقير إلى

الله تعالى الأمير ناصر الدين محمد بن النشاشيبي... بجميل افضاله وبلغه من كل خير منتهى آماله بمباشرة الزيني قاسم كريم السكر إليه [كذا] أسبغ الله تعالى...

العشر الأول من جمادى الآخر عام أربعة وسبعين وثماني مائة.
الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه»[١٢٦].

وظلت هذه القناة بحاجة مستمرة للترميم أو إعادة الإعمار، وفي حديث صاحب **الأنس الجليل** عن وقائع سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م قال:

«وفيها ورد المرسوم الشريف إلى الأمير قانصوه اليحياوي بعمارة قناة العروب، وعمارة بركة المرجيع، وجهز له من الخزائن الشريفة خمسة آلاف دينار، منها ألف دينار نفقة للأمير قانصوه، وأربعة آلاف دينار للعمارة، فتوجه في عاشر صفر للعمارة وصحبته متنا فاعل ونصب مخيمه وشرع في العمارة إلى أن أكملها، وتوجه إليه أعيان بيت المقدس وأكابرها وكل من توجه إليه يصحب معه شيئاً من أنواع المأكول كالعسل والسمن والغنم وغير ذلك...

وفيها في العشرين من شهر رجب دخلت عين العروب إلى القدس الشريف وخلع الأمير قانصوه اليحياوي على المعلمين وزينت المدينة ثلاثة أيام، وكتب الأمير قانصوه محاضر عليها خطوط الأعيان لتعرض على المسامع الشريفة وجهزها على يد ولده الشهابي أحمد ودواداره وكانت مدة عمارتها خمسة أشهر وخمسة عشر يوماً، وقد أنفق السلطان في عمارتها مبلغاً كبيراً»[١٢٧].

وأوقف رجالات السلطة المملوكية الأوقاف على صيانة قناة السبيل وترميمها بشكل دائم، لكن عندما لم تكن أموال الأوقاف كـافية كـانت النفقات تـأتي من السلطنـة في القـاهـرة أو من دمشق[١٢٨].

الحمّـامـات:

من المعروف اهتمام الدين الإسلامي بـالنظافة العامة والنظافة البدنية فقد قضى بالوضوء قبل الصلاة والاغتسال عقب كل جنابة، ولذلك أكثر المسلمون من بناء الحمامات وتفننوا في تزيينها وتقسيماتها، وباتت كل مدينة إسلامية تحتوي على عدد كبير من الحمامات. وغالباً ما أقيمت الحمامات في الأماكن المزدحمة بالسكان وحيث توفر الماء بشكل كاف.

وازداد الاهتمام ببناء الحمامات في بلاد الشام في العصر الأيوبي وتعاظم في العصر المملوكي وحوت القدس في هذا العصر أكثر من عشرة حمامات. وكان الحمام في هذا العصر مركزاً نشطاً من مراكـز الحياة الاجتمـاعية، وقـد ارتبطت بـه عدة مناسبات. وكان مقراً لعدد من الاحتفالات، فقد كانت العروس تذهب إلى الحمام لتستحم ولتزين نفسها، وهناك كانت تعرض ملابسها وبعض جهازها أمام الأقرباء والأصدقاء.

وكان الحمام مكاناً يدعو إليه العريس أصدقاءه قبل زواجه. وقد اعتاد الناس حمل الأطعمة إليه، وغالباً مـا وفدت عليـه النساء للتجمل وللمتعة وتبادل الأحاديث والرقص لذلك كن يمضين فيه ساعات طوالاً. وكثيراً ما ذهبت النساء الحوامل قبل الولادة مباشرة لتسهيلها وبعد الولادة بأربعين يوماً للاغتسال. ومفيد أن نشير إلى أن الحمام غالباً ما استخدم مكاناً للمعالجة من كثير من الأمراض.

وكانت بعض الحمامات موقوفة على النساء فقط وبعضها الآخر موزع التوقيت قبل الظهر للرجال وبعده للنساء. وكان الزبون يبادر بعد دخوله إلى الحمام إلى خلع ثيابه والاستعاضة عنها بمئزر يستر جسمه من الخصر حتى الركبة، نظيف وجاف، وكان ينتقل من البرودة إلى السخونة فالحرارة. فغالباً ما تألف الحمام من ثلاثة أقسام: الأول ويعرف عادة «بالمشلح»، والثاني دافىء، وكان يدعى أحيانـاً «الوسـطاني»، والثالث هـو مكان الاستحمام، ويتألف من عـدة «مقصورات» في كل منها جرن أو أكثر تجري إليه المياه الساخنة والباردة معاً بنسب يمكن التحكم فيها.

وكان في كل حـمام عدد من العـاملين يتولـون تنظيفـه وتدليك الزبائن ومساعدتهم على الاغتسال وارتداء الملابس، وكان كل زبون يؤدي رسماً محدداً مقابل الخدمات التي قدمت إليه[١٢٩].

وتوجّب على المحتسب في العصر المملوكي الإشراف على الحمامات من حيث النظافة العامة والعناية بالمستحمين وبحسن التصرف. فقد كان محظوراً إدخال المشروبات الكحولية إلى الحمامات واصطحاب الغلمان المرد خوفاً من الشذوذ الجنسي. ونقرأ عند ابن الاخوة القرشي (٦٤٨ ـ ٧٢٩هـ / ١٢٥٠ ـ ١٣٢٩م) في كتابه **معالم القربة في أحكام الحسبة** معلومات مفيدة تتعلق بواجبات المحتسب تجاه الحمامات، من ذلك قوله:

«وينبغي أن يأمرهم ـ المحتسب ـ بغسل الحمام وكنسه وتنظيفه بالماء الطاهر غير ماء الغسالة يفعلوا ذلك مراراً في اليوم، وأن يدلكوا البلاط بالأشياء الخشنة لئلا يتعلق بها السدر والخطمي فينزلق الناس عليها، وأن يغسلوا في كل يوم حوض النوبة من الأوساخ المجتمعة فيه وكذلك الفساقي والقدور من الأوساخ المجتمعة من المجاري والعكر الراكد في أسفلها في كل شهر مرة لأنها إن تركت أكثر من ذلك تغير الماء فيها من الطعم والرائحة، ولا يسدوا الأنابيب بشعر المشاطة بل ويسددها بالخرق الطاهرة أو الليف الطاهر ليخرج من الخلاف، ويستعمل فيها البخور في اليوم مرتين بالحصا اللبان الذكر أو المصطكا أو اللادن.

ولا يدع الأساكفة وأصحاب اللبد يغسلون شيئاً من اللبد ولا من الأديم في الحمام، فإن الناس يتضررون برائحته. ولا ينبغي أن يدخل الحمام مجذوم ولا أبرص. وينبغي أن يكون للحمامي مآزر يؤجرها للناس وأن تكون عريضة حتى تستر ما بين السرة والركبة. ويأمر بفتح الحمام في السحر لحاجة الناس إليها للتطهر فيها قبل وقت الصلاة. ويلزم الوقاف حفظ أقمشة الناس فإن ضاع منها شيء لزمه ضمانة على الصحيح. ويتخذ بالحمام زيراً كبيراً برسم الماء الحلو، أو عذباً إن كان يشرب برسم شرب الناس لا سيما في زمن الحر، فإن ذلك من المصالح. وكذلك يكون عنده السدر والدلوك، فقد يحتاج الإنسان له ولا يمكنه الخروج إلى ظاهر الحمام، ولو رتب سدّاراً دائماً على باب الحمام لبيع السدر وآلة الحمام كان ذلك حسناً.

ويلزم صاحب النوبة باستعمال الأمواس الجيدة الفولاذ حتى ينتفعوا [كذا]، الناس بها، وينبغي أن يكون المزين خفيفاً رشيقاً بصيراً بالحلاقة، وتكون الأمواس قاطعة كما ذكرناه، ولا يستقبل الرأس ومنابت الشعر استقبالاً، ولا يأكل ما يغير نكهته كالبصل والثوم والكراث وغيره في يوم نوبته لئلا يتضرر الناس برائحة فيه عند الحلاقة، ولا يحلق شعر صبي إلا بإذن وليه ولا عبداً إلا بإذن سيده، ولا يحلق عذار أمرد، ولا لحية مخنث.

ويلزم المحتسب أن يتفقد الحمام في كـل وقت ويعتبر ما ذكرناه، وإن رأى أحداً قد كشف عورته عزره على كشفها لأن كشف العورة حرام، وقد لعن رسول الله ﷺ الناظر والمنظور

إليه، والنساء في هذا المقام أشد تهالكاً من الرجال ولهن محدثات من المنكر أحدثها كثرة الإرفاه والإتراف، وأهمل إنكارها حتى سرت في الأوساط والأطراف، فقد أحدثن الآن من الملابس ما لا يخطر للشيطان في حساب»[١٣٠].

ومن أشهر حمامات القدس في العصر المملوكي حمامان أوقفهما سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م تنكز نائب الشام، وعرفا باسم حمام الشفا وحمام العين، وقاما في سوق القطانين، الأول في وسطه والثاني في نهايته الغربية[١٣١]. وهما ما يزالان قائمين في القدس، لكن بحالة متردية[١٣٢]، وبالإضافة لهما كان هنالك: حمام السيدة مريم أو حمام الأسباط وحمام علاء الدين البصير من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وحمام العامود وحمام داود وحمام البطرك[١٣٣].

وبالنظر لقلة المياه بمدينة القدس بشكل عام ولكثرة زوار المدينة من الحجاج وسواهم، فقد اهتمت السلطات المملوكية بتأمين السقايات العامة في أماكن الازدحام فبنت ما عرف في العصر المملوكي باسم «السبل» (جمع سبيل) وأوقفت على كل سبيل عدداً من الأوقاف. وكان السبيل يقام فوق بئر لجمع الماء أو بئر نبع، وجرت العادة أن يقام إلى جانبه حانوت فيه عامل يتولى:

«نشل الماء من الصهريج ووضعه في الأواني لسقيه الناس وغسل الأواني المذكورة، وتنظيفها وصونها من الدبيب والهوام وحشائش الأرض بالتغطية وتنظيف المكان المذكور وكنسه ومسحه وإزالة أوساخه وملي الآنية والكيزان ووضعها بمواضعها المعمولة لها وإرصادها للشاربين، وإعادة ملي ما يتفرغ منها، وتسهيل الشرب على الناس، ويعاملهم بالرفق وحسن الخلق ليكون أبلغ في إدخال الراحة على الواردين»[١٣٤].

وكان للسبيل أوقاتٌ محددة للخدمة تختلف في شهر رمضان عنها في بقية الأشهر، وجرت العادة أحياناً على إلحاق السبل بمكاتب لتعليم الأطفال. وأبدع بعض الذين أوقفوا السبل في بنائها وإظهارها بشكل رائع، واشتهر بين سبل مدينة القدس في العصر المملوكي: سبيل علاء الدين البصير قرب باب الجبس، ويرجح أنه بني في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وجدد في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي فقد أثبت على جداره لوحتان جاء في أولاهما ما يلي:

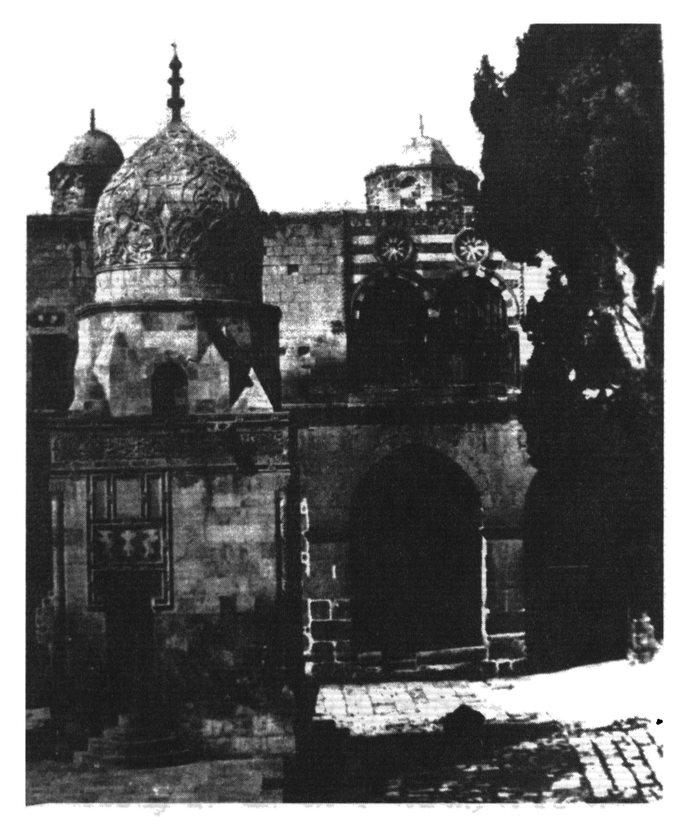
«بسم الله الرحمن الرحيم. جدد هذا البئر في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف بارسباي، وذلك بنظر المقر الحسامي جس قجا، نائب السلطنة الشريفة، وناظر الحرمين الشريفين أعز الله أنصاره».

وجاء على الثانية:

«وسعى في عمارته العبد الفقير إلى الله تعالى الحاج إبراهيم الرومي غفر الله له ولجميع المسلمين، وأشرط أن لا يسقي منه سقاء إلا الفقراء والمساكين ولا يباح لأحد يملأ بقربة. بتاريخ جمادى الآخر سنة تسع وثلاثين وثمانمائة»[١٣٥].

ومن سبل القدس في العصر المملوكي: سبيل تنكز، وسبيل زاوية القرمي، وسبيل المدرسة الطشتمرية، وسبيل خان السلطان، وسبيل تربة بركة خان (المكتبة الخالدية يومنا هذا) وسبيل قايتباي[١٣٦].

ويظل سبيل قايتباي أشهر سبل القدس وأجملها على الإطلاق، فهو بناء جميل يلفت الانتباه، لذلك كان موضع اهتمام علماء الآثار وفن البناء. وكان في موقع هذا السبيل مبنى سبيل قديم من بناء السلطان الأشرف إينال (٨٥٧ ــ ٨٦٥هـ / ١٤٥٣ ــ ١٤٦١م)، وارتفاع هذا المبنى (١٣,٢٨ م) ويتألف من ثلاثة أقسام: قاعدة، وغرفة مربعة، وقبة جميلة. وهو مبني بالحجارة الملونة، وقد غطيت القبة بالزخارف الرائعة، ويفيد نقش موجود عليه أنه جدد في أواخر العصر العثماني[١٣٧].



سبيل قايتباي

الفصل السادس
الأوضاع الثقافية ومنشآت التعليم

عاشت فلسطين عصرها الذهبي في مجالات الثقافة الإسلامية والتعليم أيام الحكم المملوكي. فقد وجد فيها عدد كبير من مؤسسات التعليم المتخصصة والعامة وعاش فيها جم غفير من كبار العلماء. لكن يلاحظ أن ذلك تمركز إلى أبعد الحدود في مدينة القدس، ذلك أن نواة الشخصية الفلسطينية تمحورت حول هذه المدينة إلى حد أن التاريخ لها بات تأريخاً لفلسطين. وقد شابهت في هذا الوضع مدن الوطن العربي والعالم الإسلامي، فالتأريخ لبغداد في العصر العباسي، كان إلى أبعد الحدود تأريخاً للدولة العباسية، ومثله كان التأريخ لحلب في أيام الدولة الحمدانية تأريخاً لهذه الدولة، والحديث عن القاهرة في العصر المملوكي حديث عن مجمل تاريخ مصر في هذا العصر.

ونشطت الحركة الثقافية في المساجد والمدارس والزوايا والرُّبط والخوانق والكتاتيب وبعض المؤسسات الأخرى مثل المشافي وما شابهها. وكانت موضوعات الدراسة والتدريس والاهتمامات تقع في نطاق الثقافة الإسلامية لذلك العصر، وتمركزت حول العلوم الإسلامية: القرآن وقراءاته وتفاسيره، والحديث والفقه، واللغة والأدب والنحو والعروض والبلاغة، والسيرة والتاريخ والتراجم، وعلم الكلام والمنطق، والحساب والجبر وعلوم الهيئة والميقات.

وتمركزت الدراسات الفقهية حول مذهب الإمام الشافعي بالدرجة الأولى ثم مذاهب أهل السنة الثلاثة الأخرى. وتداول العلماء عدداً من الأصول والكتب التي شهرت في ذلك العصر في مختلف أنحاء الوطن العربي مثل: **التيسير في القراءات السبع** لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني[١] (ـ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م) وكتاب **تذكرة المنتهى في القراءات العشر** للواسطي محمد بن الحسين[٢] (٤٣٥ ـ ٥٢١هـ / ١٠٤٣ ـ ١١٢٧م) و **الشاطبية** وهي منظومة تقع في ألف ومائة وثلاثة وسبعين بيتاً حملت اسم **حرز الأماني ووجه التهاني** للشيخ أبي محمد القاسم ابن فيرُّه الشاطبي[٣].

وكانت كتب: **صحيح البخاري** و **صحيح مسلم** و **سنن الترمذي** و **سنن النُسائي** و **سنن أبي داود** و **سنن ابن ماجة** و **مسند الإمام أحمد بن حنبل** هي كتب الحديث التي تناولها الدارسون رواية وشرحاً وإعراباً واختصاراً[٤].

واهتم علماء القدس بتفسير **الكشاف عن حقائق التنزيل** للزمخشري محمود بن عمر (ـ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) وبتفسير البغوي الحسين بن مسعود (ـ ٥١٦هـ/١١٢٢م) وحمل اسم **معالم التنزيل في التفسير** وتفسير الفخر الرازي محمد بن عمر (ـ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)[٥].

واعتمد علماء المذهب الشافعي كتاب **مختصر المزني** تأليف الإمام إسماعيل بن يحيى (ـ٢٦٤هـ / ٨٧٨م) وكتاب **الحاوي الصغير في الفروع** تأليف عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني، وكتاب **روضة الطالبين وعمدة المتقين** للإمام النووي يحيى بن شرف (ـ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) أكثر من غيرها من كتب هذا المذهب[٦].

وكانت كتب الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ـ ١٨٩هـ / ٨٠٥م) صاحب أبي حنيفة مع شروحها ومختصراتها أهم كتب المذهب الحنفي التي تركزت الدراسات حولها. أما بالنسبة لمذهب مالك فقد اعتمد العلماء كتابي **مدونة الإمام سحنون** (١٦٠ ـ ٢٤٠هـ / ٧٧٧ ـ ٨٥٤م) ورسالة ابن أبي زيد القيرواني. هذا وكان كتاب **المُغْني** تأليف الشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجمّاعيلي المقدسي أهم كتب الحنابلة التي درست في القدس[٧].

وحظيت علوم اللغة العربية بالعناية في القدس، وتركزت اهتمامات العلماء على دراسة عدد من كتب الأدب والنحو والصرف والبلاغة، وكان من هذه الكتب **الكتاب** لسيبويه (ـ١٨٠هـ / ٧٩٦م) و **إصلاح المنطق** لابن السِّكِّيت (ـ ٢٤٤هـ / ٨٥٨م) و **الإيضاح في النحو** لأبي علي الفارسي (ـ ٣٧٧هـ / ٩٨٧م) وكتاب **الجمل** لعبد القاهر الجرجاني (ـ ٤٧١هـ / ١٠٥٨م) و **ألفية ابن مالك** (ـ ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م) و **الآجرّوميّة** لمحمد بن محمد بن داود (ـ ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) و **شذور الذهب** لابن هشام (ـ ٧٦١هـ / ١٣٦٠م)[٨].

وكان كتاب **إحياء علوم الدين** للإمام أبي حامد الغزالي مع كتب محيي الدين بن عربي أهم كتب التصوف التي درست في القدس. ومع التصوف اهتم علماء القدس بالمنطق وعلم الكلام وبالتاريخ والسيرة وكتب الشمائل وعلوم الحساب والميقات[٩].

وكانت أروقة الحرم القدسي والمدارس التي أقيمت في

العصر الأيوبي وما استُجِدَّ بناؤه من مدارس في العصر المملوكي مع بعض المنشآت الأخرى هي مراكز العمل الثقافي والتعليمي. وكان العمل في جميع المؤسسات منظمًا من جميع الجوانب، فقد وجد في كل مدرسة هيئة تعليمية متدرجة وقف على رأسها شيخ المدرسة ثم تبعه المدرسون فنوابهم والمعيدون.

وكان الطلبة يلتحقون بالمدرسة التي يرغبون بها، ويقبلون على دراسة المادة التي يريدونها. واختلفت فترات الدراسة وتنوعت. وكان الطالب يجاز عقب انتهائه من الدراسة بإجازة من شيخه الذي تولى تدريسه، وقد تكون الإجازة عامة أو مخصصة بفن من الفنون أو محددة برواية كتاب ما من الكتب، وكان لهذه الإجازات مكانة مرموقة وفعالة جداً.

واشترط للوصول إلى مرتبة المشيخة العلم الجم والسلوك الحسن والسمعة الطيبة والقدرة على العطاء العلمي والشهرة. وكان أمر التعيين في المشيخات موكولاً إلى السلطان ويتم بمرسوم صادر عنه، وكان الشيخ يتقاضى راتباً محدداً من أموال أوقاف المدرسة التي عين فيها، ذلك أن كل مدرسة ومؤسسة تعليمية كان لها من الأوقاف ما يكفي للإنفاق عليها.

وكان المدرّس هو الذي يتصدى لتدريس مقرر أو أكثر، ولا يحق له ذلك إلا بعدما يكون قد سبق له الحصول على الإجازة في التدريس وشهر بالعلم والسلوك الحسن والسمعة الحميدة، والقدرة على التدريس والعطاء(١٠). وكان الشيخ المدرس يتولى أحياناً العمل في أكثر من مدرسة، أو كان يضطر للتغيب عن عمله لسفر أو غيره، وهنا كان يعمد إلى إنابة من يتولى العمل مكانه في فترة غيبته(١١).

وكان المعيد يتولى إعادة الدرس الذي ألقاه المدرس، موضحاً ما لم يوضحه المدرس وشارحاً ما استغلق فهمه على الطلبة، ولذلك اشترط اتسامه بالعلم والقدرة على العطاء مع الفضل وحسن الخلق، ذلك أنه كان يتولى الإشراف المباشر على الطلبة(١٢).

والحديث عن مدارس القدس في العصر المملوكي ينبغي أن يتناول المدارس التي كانت موجودة قبل الحكم المملوكي واستمرت نشطة بعد ذلك، ومن ثم المدارس التي أقيمت بعد إلحاق الشام بالسلطنة المملوكية، وسيكون مقصوراً على الجوانب الثقافية والإدارية والمالية في بعض الأحيان، لكن دون التعرض إلى الجانب الأثري وما ارتبط به من فنون البناء وسواه.

● **المدرسة الصلاحية**: سبق أن أشرنا في الفصل الخامس إلى المدرسة الصلاحية وذلك في سياق الحديث عن مكانة شيخها في سلّم رجالات السلطة في القدس. وقد أنشأ هذه المدرسة السلطان صلاح الدين بعد تحريره للقدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م وأوقف عليها الأوقاف الجليلة، ويبدو أن العمل قد بدأ في هذه المدرسة بعد عدة سنوات من إصدار الأمر بإنشائها(١٣).

وغدت هذه المدرسة منذ إقامتها أعظم معاهد العلم في القدس وظلت كذلك طوال قرون عديدة. وتبدو أهميتها البالغة من خلال التعرف إلى أسماء بعض الذين تولوا مشيختها والتدريس فيها.

ومع أن هذه المدرسة قد أوقفها السلطان صلاح الدين على فقهاء الشافعية إلا أنها ــ بعدما توطدت أركانها ــ كانت تدرّس مختلف العلوم الإسلامية والفنون وذلك فضلاً عن الفقه حسب مذاهب أهل السنة الأربعة.

ويمكن أن نعتبر القاضي محيي الدين أبا حفص عمر بن موسى الغزي أول شيوخ الصلاحية في العصر المملوكي، فقد ولي التدريس فيها سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٩م، وكان قبل ذلك قاضياً لمدينة غزة والأعمال الساحلية، وظل يشغل منصبه هذا حتى سنة ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م حيث عزله القاضي شمس الدين ابن خلكان «قاضي الممالك الشامية والحلبية» وعين بدلاً عنه الشيخ جمال الدين الباجريقي(١٤).

والباجريقي هو عبد الرحيم بن عمر بن عثمان من أهل الموصل، فيها نشأ وأخذ عن علمائها الحديث والفقه والأدب، وقد جاء إلى دمشق سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م فتولى فيها الخطابة والتدريس. وبالنظر لسعة علمه وما تميز به جرى تعيينه شيخاً للصلاحية، وقد شغل منصبه في القدس ثلاث سنوات، ويرجح أنه أملى أثناء عمله كتاب **جامع الأصول** لابن الأثير، وهو كتاب مشهور في علم الحديث(١٥).

وولي المشيخة بعده نجم داود الكردي، وظل يشغل منصبه ثلاثين سنة أي حتى سنة وفاته في ٧١٢هـ / ١٣١٢م(١٦).

وخلفه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن جهبل الحلبي، وكان سنّه يزيد على الخمسين ذلك أنه من مواليد سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧٢م، وقد درّس في الصلاحية وأفتى لمدة خمس عشرة سنة تقريباً. ففي سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م غادر القدس إلى دمشق حيث ظل يدرِّس بها حتى سنة وفاته في ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م. وذكر أن ابن جهبل درّس الحديث والفقه والعقائد وشارك في

الصراع ضد ابن تيمية. وكان لا يأخذ مرتباً من عدد من المدارس التي عمل بها[١٧].

وتسلم المشيخة من بعده علاء الدين أبو الحسن علي بن أيوب المقدسي، وكان من كبار علماء الشافعية فقهاً وحديثاً مع تفوق في علوم العربية، وله تجربة واسعة في التدريس في مدارس دمشق، وبقي في منصبه في القدس حتى سنة ٧٣١هـ / ١٣٣١م، بعدما تخرج عليه عدد كبير من الرجالات، ويبدو أنه كان متأثراً بآراء ابن تيمية متفاعلاً معها، وبعد تخليه عن منصبه ظل يعيش في القدس حتى وفاته سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م[١٨].

وصارت مشيخة الصلاحية إلى صلاح الدين خليل بن كيكلدي (٦٩٤ ــ ٧٦١هـ / ١٢٩٥ ــ ١٣٦٠م) الذي كان من أعظم علماء عصره في الفقه والحديث والنحو والتفسير، وصاحب مصنفات كثيرة، استمر يشغل المشيخة حتى سنة وفاته، ولذلك تخرج عليه عدد كبير من العلماء[١٩].

وآلت مشيخة الصلاحية بعد وفاة ابن كيكلدي إلى برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم بن جماعة، وقد جمع مع المشيخة خطابة الأقصى. ولد ابن جماعة في مصر سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م وفيها نشأ وتلقى أول علومه ثم ارتحل إلى بلاد الشام فلازم كبار العلماء في دمشق، حتى برع في الفقه والحديث وعلوم العربية، وقد نال شهرة كبيرة أهّلته للترشيح لولاية مشيخة الصلاحية دون سؤال، فقد كان مدرساً بارعاً جيد الإلقاء، وظل يشغل وظيفته في القدس حتى سنة ٧٧٣هـ / ١٣٧١م، حيث ولي في هذه السنة القضاء في مصر، وظل مباشراً لعمله «بنزاهة وعفة ومهابة وحرمة» حتى عزل نفسه سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م فترضاه السلطان، فعاد، لكنه ما لبث أن عزل نفسه ثانية، فعاد إلى القدس ومكث فيها حتى سنة ٧٨١هـ / ١٣٧٩م، حيث عاد إلى مباشرة القضاء في مصر. ومن جديد عزل نفسه سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، وعاد إلى القدس. وبعد سنة ولي القضاء والخطابة في دمشق ثم صار شيخ الشيوخ فيها، وظل يشغل وظائفه هذه حتى سنة وفاته ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م[٢٠].

وكان ابن جماعة أثناء توليه للقضاء خارج القدس في مصر ثم في الشام يحتفظ بمشيخة الصلاحية، ولهذا عمد إلى إنابة من تولاها أثناء غيابه، وكان قد استناب اثنين من أقربائه هما: أولاً عماد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن جماعة (٧١٠ ــ ٧٧٦هـ / ١٣١٠ ــ ١٣٧٤م) ثم نجم الدين محمد بن عبد الرحمن بن جماعة (٧٢٥ ــ ٧٩٥هـ / ١٣٢٥ ــ ١٣٩٣م).

وسبق القول إن برهان الدين بن جماعة قد توفي سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م، وقد قام قبل وفاته بتوريث مشيخة الصلاحية إلى ولده محب الدين أحمد بشرط بقاء نجم الدين نائباً عنه، وقد توفي محب الدين ونجم الدين في عام واحد[٢١]، فآلت المشيخة إلى شمس الدين الجزري (٧٥١ ــ ٨٣٣هـ / ١٣٥٠ ــ ١٤٣٠م).

والجزري هو أبو الخير محمد بن محمد العمري الدمشقي كان من كبار علماء عصره. أتقن علم القراءات وروى الحديث وأجاد في أبواب الفقه، وظل يشغل منصبه في القدس حتى سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م حيث غادر القدس وتوجه إلى شيراز فظل فيها حتى سنة وفاته[٢٢].

وصدر الأمر بإسناد مشيخة الصلاحية إلى زين الدين أبو بكر بن عمر القمني (٧٥٨ ــ ٨٣٣هـ / ١٣٥٧ ــ ١٤٣٠م) لكنه لم يلتحق بالقدس وأناب عنه من تولاها حتى حدود سنة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م حيث وليها شهاب الدين بن الهائم (٧٥٦ ــ ٨١٥هـ / ١٣٥٥ ــ ١٤١٢م)[٢٣].

وابن الهائم هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المصري، اشتغل بالعلم بالقاهرة وتفوق بالعربية والفقه وبرع بالرياضيات غاية البراعة حتى «فاق الأقران في ذلك، ورحل الناس إليه من الآفاق». وولي التدريس في الصلاحية أولاً نيابة ثم أصالة وقد صنف عدة كتب منها **الرائض في علم الفرائض** وكتاب **المعونة** وكتاب **الحاوي في الحساب**. كما صنف في العربية والفقه والأصول والتفسير، وعنه أخذ الطلاب في كافة الجوانب. وفي سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م حاول نائب الشام نوروز تعيين شمس الدين الهروي عوضاً عنه فرفض التخلي عن منصبه فأشركه به، وهو أمر لم يحدث من قبل[٢٤].

وانفرد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عطاء الله الهروي (٧٦٧ ــ ٨٢٩هـ / ١٣٦٦ ــ ١٤٢٦م) بمشيخة الصلاحية بعد وفاة ابن الهائم وذلك على الرغم من بعض المنافسة والمعارضة، ولم يترك الهروي أثراً علمياً كبيراً أثناء عمله، كما أنه لم يتفرغ لعمله في القدس ذلك أنه ولي القضاء وأعمالاً أخرى في القاهرة أكثر من مرة، لهذا كان ينيب عنه من يتولى المشيخة. ومهما يكن الحال ظل الهروي شيخاً للصلاحية حتى سنة وفاته، وكان قبل وفاته قد شرع ببناء مدرسة في القدس هي المدرسة التي حملت اسم الباسطية فيما بعد[٢٥].

وكان الهروي قد أناب أثناء غيابه عن القدس علاء الدين أبا الحسن علي بن عثمان الحواري، وهو من أهل الخليل فيها

نشأ وتعلم، ثم رحل في طلب العلم إلى المدس والقاهرة، وبرع في علم الحساب والفرائض، ودرَّس في أكثر من مدرسة في القدس، وشغل منصب شيخ الصلاحية مستقلاً سنة واحدة، ذلك أنه توفي سنة ٨٣٠هـ / ١٤٢٧م عن عمر قدره ستة وسبعون عاماً[٢٦].

وآلت المشيخة إلى شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوي (٧٣٦ ـ ٨٣١هـ / ١٣٣٥ ـ ١٤٢٨م)، وكان من كبار علماء مصر له تجربة واسعة في التدريس في القاهرة ودمشق، لكن وافته منيته بعد عام واحد من تسلمه لعمله في القدس[٢٧].

بعد وفاة البرماوي، تسلم عز الدين المقدسي وهو عبد السلام بن داود السلطي المقدسي (٧٧١ ـ ٨٥٠هـ / ١٣٧٠ ـ ١٤٤٦م) مشيخة الصلاحية. نشأ في القدس وقد ارتحل إلى دمشق في طلب العلم، ونال قسطاً كبيراً من المعارف في الفقه والحديث واللغة وغير ذلك. وقد تولى التدريس في بعض مدارس القدس والقاهرة، وشغل المقدسي وظيفة المشيخة حتى سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م حيث تخلى عن عمله لصالح شهاب الدين بن المحمرة لمدة عامين ثم عاد إلى المشيخة وظل فيها حتى سنة وفاته. ووصف بالعلم والفصاحة وقوة الحافظة وأنه كان يمتلك قدرة على النقد والترجيح[٢٨].

هذا ويلاحظ أنه مع القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد بات جل الذين تولوا مشيخة الصلاحية من أهل فلسطين أو من القدس بالذات، في حين أن غالبيتهم كانوا قبل ذلك من غير الفلسطينيين من مسلمي الشام أو مصر أو سواهما. وصحيح أنه كان في ذلك برهان على الوحدة الثقافية للمسلمين، إلا أن تولي المشيخة من قبل فلسطينيين أمر له دلالاته الهامة أيضاً. ففي هذا الأمر برهان على أن النهضة الثقافية التي شهدتها البلاد قد أخذت تؤتي أكلها الطيب والمفيد.

وقد ولي مشيخة الصلاحية بعد عز الدين المقدسي جمال الدين بن جماعة (٧٨٠ ـ ٨٦٥هـ / ١٣٧٨ ـ ١٤٦١م) وهو عبد الله بن محمد بن جماعة المقدسي. نشأ في بيت المقدس وتلقى تعليمه فيه، قرأ القرآن ودرس الفقه ورحل إلى القاهرة طالباً وأخذ عن كبار العلماء فيها وحصل على الإجازة منهم، ثم عاد إلى القدس فعين معيداً بالصلاحية وجرى ترشيحه لمشيخة هذه المدرسة وقد نافسه سراج الدين عمر بن موسى الحمصي، فجرت بينهما مناظرة في حضرة السلطان بالقاهرة ففاز وهزم الحمصي فتسلم المشيخة سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م. وتابع الحمصي سعيه لنيل المشيخة وذلك عن طريق بعض رجالات السلطان، وبالفعل تمكن من الوصول إلى هذا المنصب في عام ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م وبقي يشغله حتى سنة ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م حيث عزل وعاد إلى المشيخة ابن جماعة ومكث شاغلاً لهذا المنصب حتى سنة وفاته، وكان يجمع مع المشيخة خطابة الأقصى. ويرجح أن ابن جماعة قد درَّس العلوم الشرعية والعقلية واللغوية مع الحديث والإفتاء[٢٩].

وكان يوم وفاته ابنه برهان الدين إبراهيم «قاضي القضاة الشافعية، فتكلم له في تدريس الصلاحية عند الملك الظاهر خشقدم، فأنعم له بذلك، ثم عنَّ للقاضي برهان الدين أن يكون التدريس لولده الشيخ نجم الدين لاشتغاله هو بمنصب القضاء، فراجع السلطان فأجاب وولّى نجم الدين تدريس الصلاحية، فباشرها أحسن مباشرة»[٣٠].

وكان نجم الدين (٨٣٣ ـ ٩٠١هـ / ١٤٣٠ ـ ١٤٩٦م) قد أخذ أولاً عن علماء القدس ثم ارتحل إلى القاهرة فأخذ عن كبار العلماء فيها الحديث والفقه، وعلوم اللغة. وبعد عودته إلى القدس حظي بمكانة كبيرة وأعانه على ذلك وضع جده وأبيه.

ويعتبر نجم الدين بن جماعة آخر كبار مشايخ الصلاحية في العصر المملوكي. ونظراً لما حظي به من مكانة سامية فإنه جمع في سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م مع المشيخة الخطابة والقضاء، لكنه عزل في هذه السنة عن المشيخة والقضاء واحتفظ بالخطابة، ثم أعيد إلى المشيخة والقضاء سنة ٨٧٨هـ / ١٤٧٣م «ووصل إليه التوقيع الشريف والتشريف السلطاني... وقرىء توقيعه بالمسجد الأقصى حين دخوله وهو لابس التشريف».

وكان صاحب **الأنس الجليل** من تلاميذه وقد تحدث عنه بشكل وثائقي فذكر أنه «تنزه عن منصب القضاء فلم يلتفت إليه بعد ذلك، ولم يكن بعده من القضاة من هو في معناه في الصفة والحشمة. ثم تنازل عن حصته في الخطابة، وانجمع عن الناس فلم يتكلم في شيء من أمور الدنيا لفساد الزمان». ويبدو أنه ظل يشغل وظيفة مشيخة الصلاحية حتى سنة وفاته[٣١].

وتسلم التدريس والإعادة في الصلاحية عدد كبير من مشاهير العلماء، كان لهم دورهم الكبير في الحركة الثقافية في فلسطين، وقد تمكن عدد من المعيدين من الوصول إلى المشيخة[٣٢].

ولم تكن المدرسة الصلاحية هي المدرسة الوحيدة التي أنشئت في العصر الأيوبي واستمرت تقوم بدورها الكبير في

العصر المملوكي، فقد وجد أيضاً عدد آخر من المدارس مثل المدرسة الأفضلية التي أسسها الملك الأفضل علي بن صلاح الدين وأوقفها على المالكية وكانوا من أهل الغرب الإسلامي[٣٣]، والمدرسة الميمونية التي أنشأها الأمير فارس الدين أبي سعيد ميمون بن عبد الله القصري[٣٤]، والمدرسة النحوية وأسسها الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الأيوبي واهتمت بعلوم النحو والعربية بشكل رئيسي[٣٥]، والمدرسة النصرية وهي منسوبة إلى الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي[٣٦] وقد خصصت للقرآن والقراءات العربية، والمدرسة البدرية، وقد أوقفها بدر الدين محمد ابن أبي القاسم الهكّاري[٣٧]، والمدرسة المعظمية التي أوقفها الملك الأيوبي المعظم عيسى[٣٨].

وقد جاءت المدرسة المعظمية في المرتبة التالية لمرتبة المدرسة الصلاحية، وقد أوقفها صاحبها «على الفقهاء والمتفقهة من أصحاب الإمام الأعظم أبي حنيفة» ولهذا كانت تسمى أحياناً المدرسة الحنفية. وقامت هذه المدرسة على مقربة من باب المسجد الأقصى المعروف بباب «العتم» وكانت من أكبر المدارس حجمًا ودوراً، وقد أوقف عليها الملك المعظم أوقافاً كبيرة. وتتجلى لنا أهمية هذه المدرسة من خلال استعراض أسماء بعض العلماء الذين تولوا مشيختها والتدريس والإعادة بها والاطلاع على سيرهم.

كان الشيخ كمال الدين إسماعيل الشريحي من أقدم من أشارت المصادر إلى توليه مشيخة هذه المدرسة في العصر المملوكي، وقد كان قائمًا على عمله فيها يدرس فقه أبي حنيفة والقراءات والتفسير والعربية من سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م حتى سنة ٧٨٥هـ / ١٣٩٣م، علمًا أننا لا نملك ترجمة وافية لحياته تبين سنة ولادته ووفاته وحياته العلمية في مختلف مراحلها[٣٩].

وذكر صاحب **الأنس الجليل** إلى جانبه الشيخ كريم الدين عبد الكريم القرماني لكن دون أن يوضح دوره في العمل التدريسي في المدرسة المعظمية[٤٠].

وولي المعظمية بعدهما قاضي القضاة الإمام خير الدين أبو المواهب خليل بن عيسى البابرتي، وكان قد ولي قضاء الحنفية في القدس سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م زد على ذلك تولي مشيخة المعظمية، وظل يشغل هاتين الوظيفتين حتى وفاته في سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٩م، وقد وصف بالعلم بالفقه الحنفي وغيره من الفنون[٤١].

وتولى المعظمية من بعده قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن علي بن عيسى بن الرصاص، وكان قد نشأ في القدس وفيها تعلم، ثم ولي قضاء صفد، وعاد بعدها إلى القدس حيث ولي المعظمية ودرّس فيها حتى وفاته في سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠١م[٤٢].

وآلت مشيخة المعظمية إلى قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين محمد بن عبد الله الديري (٧٤٢ ـ ٨٢٧هـ / ١٣٤١ ـ ١٤٢٤م) وهو أيضاً ممن نشأ في القدس وتعلّم فيها، واهتم بدراسة الفقه وارتحل إلى القاهرة ودمشق. وبعدما أكمل تحصيله حظي بشهرة كبيرة وتصدر للإفتاء بالقدس والتدريس وتسلم مشيخة المعظمية وجمع معها مشيخة المدرسة المنجكية، وتولى تدريس الفقه وتفسير القرآن. وقد تخرج عليه عدد كبير من العلماء كان منهم ابن حجر العسقلاني، ولم يقتصر دوره على الحياة العلمية بل كان لديه مشاركات في الحياتين الاجتماعية والسياسية، فقد كانت «له أحوال مع الأمراء وغيرهم، يقوم فيها عليهم، ويأمرهم بكف المظالم»، وقد استمر يشغل وظائفه حتى تاريخ وفاته[٤٣].

وسبق لنا أن لاحظنا من قبل نشوء طائفة من العلماء المقادسة والفلسطينيين تولى رجالاتها شغل المناصب التعليمية والقضائية والدينية عامة، ومن المفيد أن نضيف هنا أن طائفة العلماء باتت تتكون من الأسر التي اختص أفرادها بالعمل «الديني» صار فيها الابن يرث مناصب أبيه ومكانته، ولا شك أن لهذا الأمر دلالات اجتماعية كبيرة، ولا يخلو من مؤشرات اقتصادية.

فبعد وفاة شمس الدين محمد بن عبد الله الديري تقلب على مشيخة المعظمية خمسة من أبنائه وأحفاده هم:

١ ـ شمس الدين محمد بن محمد (٧٧٠ ـ ٨٤٩هـ / ١٣٦٩ ـ ١٤٤٥م).

٢ ـ أمين الدين عبد الرحمن بن محمد (٨١٧ ـ ٨٥٦هـ / ١٤١٤ ـ ١٤٥٢م).

٣ ـ سعد الدين أبو السعادات سعد بن محمد (٧٦٨ ـ ٨٦٧هـ / ١٣٦٧ ـ ١٤٦٣م).

٤ ـ تاج الدين عبد الوهاب بن سعد بن محمد (٧٩٥ ـ ٨٩٢هـ / ١٣٩٣ ـ ١٤٨٧م).

٥ ـ ناصر الدين هبة الله بن عبد الوهاب بن سعد، إلى نهاية العصر المملوكي.

لقد حمل هؤلاء لقب قاضٍ وعملوا بالإفتاء والتدريس

وظلوا محتكرين مع آخرين من الأسرة نفسها جل مناصب المذهب الحنفي في القدس والقاهرة[٤٤].

ولم تنفرد أسرة الديري بوظائف التدريس جميعها في المدرسة المعظمية بل أسهم معها بعض أفراد أسرة البابرتي وسواهم، وكان قاضي القضاة شمس الدين محمد بن خليل البابرتي قد شارك شمس الدين محمد بن محمد الديري المذكور، كما تقدم ذكر والده وعمله في هذه المدرسة.

ولد شمس الدين محمد البابرتي كما هو مرجح سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م في مدينة القدس وفيها نشأ، وقد خلف والده المتوفى في سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٩م في التدريس في المعظمية، ولم يقتصر عمله على التدريس بل عمل في القضاء لمدة تزيد على الأربعين عاماً.

وكان شمس الدين قد درس على أبيه وأخذ عنه الحديث والفقه كما أخذ عن غيره من العلماء وحظي بالشهرة والمكانة، وظل يعمل في مجالات القضاء والتدريس حتى وفاته في سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م[٤٥].

وكان عدد المدارس التي أنشئت في العصر المملوكي كبيراً جداً منها:

● **المدرسة الدوادارية**: أوقفها الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله بن عبد ربه بن عبد الباري الدوادار الصالحي سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م على المتصوفة وعلى تدريس المذهب الشافعي والحديث وقراءة القرآن الكريم، وأوقف عليها أوقافاً كثيرة أحصاها في لوح رخامي أثبت على مدخلها ونصه:

> «بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذه الخانقاه المباركة المسماة بدار الصالحين العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عبد ربه بن عبد الباري سنجر الدواداري الصالحي، ووقفها ابتغاء وجه الله تعالى على ثلاثين نفراً من الطائفة الصوفية والمتصوفة من العرب والعجم، منهم عشرون نفراً عزاباً وعشرة مزوجون مقيمون بها لا يظعنون عنها صيفاً ولا شتاء ولا ربيعاً ولا خريفاً إلا لحاجة. وعليّ ضيافة من يرد إليها من الصوفية والمتصوفة مدة عشرة أيام، ووقف عليها بيرنبالا من القدس الشريف، وقرية حجلا من أريحا، وفرن وطاحون وعلوهما بالقدس ومصبنة وست حوانيت، وأربع طواحين ببيسان، وقف ذلك على هذه الخانقاه وعلى تدريس مذهب الشافعي، وعلى شيخ يسمع الحديث النبوي وقارىء يقرأ عليه، وعلى عشرة نفر يسمعون الحديث، وعشرة نفر يتلون كتاب الله كل يوم ختمة، وعلى مادح ينشد مدح النبي، كل ذلك بالجامع الأقصى، وذلك في مستهل سنة خمس وتسعين وستمائة، بتولية الفقير إلى الله سنجر القيمري عفا الله عنه. ومن جملة وقف هذه الخانقاه المباركة ووظائفها المذكورة قرية طبرس من قاقون، وحمام المملكة من نابلس المحروسة، عمل المعلم علي يد سلامة المهندس»[٤٦].

وتقع هذه المدرسة «خارج الحرم في الشمال منه قرب المدرسة السلامية على يمين الطريق الموصلة بين باب العتم وطريق باب الأسباط» وهي ما تزال قائمة حتى الآن تؤدي وظيفتها التعليمية[٤٧].

ومن درّس في هذه المدرسة من العلماء شرف الدين قاسم بن سليمان بن قاسم الحوراني، وكان من نزلاء بيت المقدس، باشر عمله في التدريس فيها سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، واستمر يشتغل بالعلم ويشارك في النشاط الفكري حتى سنة وفاته في ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م[٤٨].

ومنهم أيضاً قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن جماعة، وكان قد نشأ في مدينة القدس وتلقى علومه الأولى، واتصل بالعلماء وأخذ عنهم الحديث وفقه الشافعية، وبعدما أجيز من قبل شيوخه اشتغل بالخطابة في الأقصى نيابة عن والده، ووصف بالفصاحة وارتفاع الصوت ثم ولي القضاء والتدريس في الدوادارية، وظل يعمل بها حتى وفاته في سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م[٤٩].

● **المدرسة الوجيهية**: أنشأها وأوقفها الشيخ الإمام وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي سنة ٧٠١هـ / ١٣٠٢م، وكان شيخ الحنابلة في دمشق، وكان ثرياً صاحب أموال وتجارات. شاركت هذه المدرسة في الحركة العلمية في القدس، وكان شيوخها يدرسون العلوم الإسلامية بشكل عام وفقه المذهب الحنبلي بشكل خاص[٥٠]، وقد جاء موقعها على مقربة من باب الغوانمة.

● **المدرسة السلامية**: بنيت في الجهة الشمالية من الحرم القدسي مقابل باب العتم، ويتوصل إليها عبر طريق الأسباط، أوقفها بعد سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠١م الخواجا (أي التاجر) مجد الدين إسماعيل السلامي (ـ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م)، وغالباً ما يمتزج الحديث عنها مع الحديث عن دار القرآن السلامية التي أوقفها سراج الدين عمر السلامي سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠م[٥١].

وكان لهذه المدرسة دورها البارز في الحركة العلمية في القدس، ويمكن أن نرى هذا الدور من استعراض أخبار بعض الذين تولوا مشيختها. ويلاحظ في هذا المجال أن هذه المشيخة كانت مناوبة بين العلماء المقادسة من أصل مغربي ذلك أنها اختصت بتدريس

فقه المالكية. وكان من هؤلاء الشيوخ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي المقدسي (٨٠١ ــ ٨٨٩هـ / ١٣٩٩ ــ ١٤٨٤م) ويعرف عادة باسم ابن خليفة، وقد ولد بالقدس وفيها نشأ وتلقى علومه، وكان من خريجي دار القرآن السلامية كما أخذ عن أبيه وعن غيره من العلماء، وأهّلته علومه لتولي مشيخة السلامية، حيث درس فيها الفقه والحديث والقراءات، وكان مهتمًا بالتصوف. وترقت مكانته بالقدس فأصبح شيخ المغاربة فيها وشيخ المتصوفة المغاربة حسب طريقة أبي مدين شعيب التلمساني، وظل يشغل وظائفه هذه حتى سنة وفاته(٥٢).

وخلفه بعد وفاته ابنه كمال الدين أبو البركات، وكان شأنه شأن أبيه. ولد في القدس سنة ٨٥١هـ / ١٤٤٧م، وأخذ العلم على أبيه وغيره من علماء القدس، واهتم بالفقه المالكي والنحو وقراءة القرآن، ورحل في طلب العلم إلى دمشق والقاهرة، وبعدما آلت إليه مشيخة المدرسة السلامية درّس فيها علوم اللغة والفقه، واستمر في منصبه حتى سنة وفاته التي لا نعرفها (ولعلها كانت مع نهاية العصر المملوكي) وقد جمع مع المشيخة منصب إمام المالكية في المسجد الأقصى(٥٣).

● **المدرسة الكريمية**: أوقفها الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن المعلم، ناظر الخواص السلطانية في عهد الناصر محمد بن قلاوون، وكان ذلك في سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م حيث زار القدس في تلك السنة، وهي ملاصقة لباب حطة من جهة الشرق(٥٤)، وشأنها شأن غيرها من المدارس، شغلت دوراً علمياً كبيراً في القدس، ويرجح أن أول مشايخها هو أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطي.

وكان الغرناطي قد غادر الأندلس إلى تونس، ثم توجه إلى مكة حاجاً وقدم القدس زائراً سنة إنشاء المدرسة هذه، فتولى مشيختها، ودرّس فيها فقه المالكية مع موضوعات أخرى كان منها القراءات. فعندما زار ابن بطوطة القدس سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م عرفه فذكره بين فضلاء القدس حيث قال: «ومنهم مدرس المالكية وشيخ الخانقاه الكريمية أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطي نزيل القدس»(٥٥).

وظل الغرناطي يمارس وظيفة التعليم في القدس شيخاً للمدرسة الكريمية حتى وفاته سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م(٥٦).

وتولى العمل بعد الغرناطي عدد من كبار علماء القدس، وجلهم قد جمع بين مشيختها ومشيخة الصلاحية مثل صلاح الدين خليل بن كيكلدي(٥٧) أو بين مشيختها والإعادة في الصلاحية مثل: زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل القرقشندي (٧٨٢ ــ ٨٢٦هـ / ١٣٨٠ ــ ١٤٣٣م) وعلاء الدين علي بن عبد الرحيم القرقشندي (٨٠٤ ــ ٨٧٤هـ / ١٤٠١ ــ ١٤٦٩م) وبرهان الدين أبو إسحق إبراهيم بن علي القرقشندي (ــ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) وخير الدين محمد بن عبد الرحمن القرقشندي (٨٢٢ ــ ٨٩٧هـ / ١٤١٩ ــ ١٤٩٢م) وأبو الحرم محمد ابن أبي بكر القرقشندي (ولد عام ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م)(٥٨).

● **المدرسة التنكزية**: أوقفها الأمير تنكز نائب الشام فيما أوقفه في القدس وذلك سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م وهي تقع «بخط باب السلسلة» في الجهة الغربية من الحرم القدسي، وكان لها بابان، واحد يطل على ساحة الحرم والثاني شمالي خارج الحرم، ويوجد على واجهة باب هذه المدرسة الشمالي نقش نصه:

> «بسم الله الرحمن الرحيم، أنشأ هذا المكان المبارك راجياً ثواب الله وعفوه المقر الكريم السيفي تنكز الملكي الناصري، عفا الله عنه وأثابه، وذلك في شهور سنة تسع وعشرين وسبعمائة»(٥٩).

وعمّر تنكز داخل المدرسة مسجداً خاصاً بها فقد نقش على حائط بهوها:

> «البيت الحرام أول مسجد وضع على وجه الأرض، واختار لعبادته مواطن لإقامة السنن والفرض، وجعل هذا المسجد جار المسجد الأقصى، ونعم الجار الطاهر، وأجرى لبانيه جزيل الثناء والثواب الوافر، لقوله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ اختار لعمارة بيوته من رضي فعله وقوله، وأطال بالسعد والبذل طوله...»(٦٠).

وتحدث صاحب **الأنس الجليل** عن هذه المدرسة ووصفها بقوله: «وهي مدرسة عظيمة ليس في المدارس أتقن من بنائها»(٦١). وقد أوقف عليها تنكز أوقافاً كثيرة، وفي الحقيقة كانت هذه المدرسة أشبه شيء بمجمع علمي فقد كان فيها خانقاه للصوفية ودار أيتام ودار حديث ودار قرآن، وافتتحت هذه المدرسة سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م وحضر الأمير تنكز عدداً من دروسها(٦٢).

وكان من بين الذين تولوا التدريس فيها الشيخ علاء الدين علي بن أيوب المقدسي (٦٦٦ ــ ٧٤٨هـ / ١٢٦٨ ــ ١٣٤٧م)، وكان من كبار علماء عصره تولى التدريس في عدد من مدارس دمشق كما تولى التدريس في المدرسة الصلاحية حتى سنة ٧٣١هـ / ١٣٣١م، وقد تسلم عمله في التنكزية سنة ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م، ويرجح أنه ظل قائماً على عمله هذا حتى أصابه العجز سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م(٦٣).

وكان من شيوخ الصلاحية الذين درسوا في التنكزية صلاح الدين خليل بن كيكلدي الذي سبق ذكره، وبقي شيخاً لها حتى سنة وفاته ٧٦١هـ / ١٣٦٠م[٦٤]. وتولى التنكزية بعد وفاته وبتفويض منه الشيخ شهاب الدين أحمد بن هلال المقدسي.

نشأ المقدسي في مدينة القدس وفيها نال علومه، وقد اهتم بدراسة الحديث ورحل في طلبه إلى دمشق والقاهرة، وكان عندما تسلم التنكزية يقارب الخمسين من عمره لأنه من مواليد سنة ٧١٤هـ / ١٣١٤م، بارعاً بعلوم الحديث له مصنفاته مثل: **مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام** و**المصباح في الجمع بين الأذكار والسلاح**، وقد ظل قائماً على عمله في التنكزية حتى وفاته في سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٤م[٦٥].

وكان الشيخ كمال الدين محمد بن أحمد المعروف بابن النقيب (٧٦٩ ـ ٨٣٢هـ / ١٣٦٨ ـ ١٤٢٩م) من بين الذين تولوا مشيخة التنكزية والتدريس فيها، وكان قد نشأ في القدس وأخذ العلم عن أبيه وعن غيره من العلماء، وتقدم بالفقه الحنفي وغيره حتى بات يعرف بخزانة العلم، وقد تولى التدريس أيضاً بالمدرسة الأرغونية، وسنأتي على ذكرها، كما عمل بالقضاء في الرملة مدة خمس عشرة سنة أي حتى سنة وفاته، وهذا يعني أنه ترك القدس واستقر بالرملة منذ سنة ٨١٧هـ / ١٤١٤م[٦٦].

وكان زين الدين عبد الرحيم بن النقيب المقدسي الحنفي (٨٠٥ ـ ٨٥٣هـ / ١٤٠٣ ـ ١٤٤٩م) قد ولي مشيخة التنكزية، وجمع مع هذا المنصب مشيخة الأرغونية والإعادة والتدريس بالمعظمية، ذلك أنه اعتبر من كبار علماء القدس في وقته ولا سيما بالفقه الحنفي، وقد ظل قائماً على التدريس والإفتاء حتى تاريخ وفاته[٦٧].

وخلفه في مشيخة التنكزية ابنه شمس الدين محمد بن عبد الرحيم (ـ ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م) ويبدو أنه اشتغل بالعلم على أبيه وعلى غيره حتى تكوّن ثقافياً وتهيأ لوراثة مناصب أبيه[٦٨].

وآلت مشيخة التنكزية إلى ابنه علاء الدين علي بن محمد (٨١٠ ـ ٨٨٠هـ / ١٤٠٧ ـ ١٤٧٥م)، لكن بما أنه كان صغير السن فمن المرجح أنه أنيب عنه من باشر العمل فيها حتى بلغ السن الذي مكنه من التدريس فيها، وقد استمر متسلماً لمشيختها حتى وفاته[٦٩].

وخلفه أيضاً بدوره ابنه زين الدين عبد الرحيم، وقد ظل قائماً على مشيخة التنكزية حتى وفاته في سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م[٧٠].

ولئن كان من الصعب الحديث عن المؤهلات العلمية للشيوخ المتأخرين للتنكزية لأن المصادر لا تسعفنا بالمعلومات المفيدة، يمكن القول ان المدرسة التنكزية أدت دوراً كبيراً في حياة فلسطين العلمية، هذا ويلاحظ أن بعض السلاطين الذين زاروا القدس قد أقاموا فيها، كما أنها اتُّخذت داراً للقضاء لبعض الوقت[٧١].

● **المدرسة الأمينية**: بنيت هذه المدرسة سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون من قبل أمين الدين عبد الله، وقامت بالجهة الشمالية من الحرم إلى الغرب من باب العتم، وحظيت هذه المدرسة بمكانة سامية في القدس، وكان شيخها يعين بتوقيع صادر عن نائب السلطنة بدمشق[٧٢]. وكان أبو بكر بن علي الموصلي ممن تولى التدريس فيها، وكان من كبار متصوفة عصره، قدم إلى القدس سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٩م، ونزل في هذه المدرسة وأقرأ فيها كتب التصوف، وقد زاره فيها السلطان برقوق[٧٣].

ويرجح أن مشيخة هذه المدرسة قد آلت بعد وفاته إلى ابنه برهان الدين إبراهيم ابن أبي بكر في سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م. وكان برهان الدين قد تفقه وسلك طريق التصوف، وقد حظي بمكانة كبيرة وصار للناس فيه اعتقاد. وقد أورد القلقشندي في **صبح الأعشى** نسخة توقيع بإسناد مشيخة الأمينية إليه، كما أورد طرة توقيع صادر إليه[٧٤].

واستمر برهان الدين قائماً على عمله حتى وفاته سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م وهو عائد من الحج، ويبدو أن أخاه عبد الملك قد خلفه في منصبه، وكان بدوره زاهداً متصوفاً ينطق بالحكمة. سمع منه الكثيرون وحصلوا منه على الإجازات وكان له مريدوه، وظل يمارس نشاطه في القدس حتى وفاته في سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م[٧٥].

ويستخلص من سيرة شيوخ هذه المدرسة وغيرهم من علماء القدس أن روح التصوف سيطرت على مقاليد النشاط الديني في فلسطين شأنها في ذلك شأن بقية أجزاء السلطنة المملوكية.

● **المدرسة الملكية**: وتعرف أيضاً باسم مدرسة الجوكندار، بناها في الجهة الشمالية من الحرم على يمين الداخل من باب العتم الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ويوجد على جدارها القبلي المطل على الحرم نقش نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بعمارة هذا المكان المبارك

العبد الفقير إلى الله تعالى الحاج الأمير ملك الجوكندار الملكي الناصري، غفر الله له حياً وميتاً ولمن دعا له بالرحمة والمغفرة. وكان الفراغ منه في شهر الله المحرم غرة عام واحد وأربعين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام»[٧٦].

وأسهمت هذه المدرسة بالحركة العلمية، وتولى التدريس بها عدد من العلماء الوافدين والمقادسة، وكان من الوافدين أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطي الذي سلفت الإشارة إليه شيخاً للمدرسة الكريمية، ويبدو أنه درّس فيها الفقه المالكي وغيره من العلوم الدينية[٧٧].

وكان الشيخ سراج الدين عمر بن عبد الرحمن القبابي المصري (ــ ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م) من أوائل الذين تسلموا مشيخة هذه المدرسة، وقد تخصص بالفقه الحنبلي ذلك أنه كان من تلاميذ ابن تيمية، وقد وصف بالعلم والزهد والاستقامة وأثنى عليه عدد من العلماء[٧٨].

ومن الذين تسلّموا أعمال التدريس في هذه المدرسة قاضي القضاة جمال الدين أبو محمد عبد الله الهلالي الأنصاري، وكان قد نشأ فقيراً شجعته أمه على قراءة القرآن وتولت الإنفاق عليه «فكان يقرأ وتذهب هي تسأل الناس وتأتي له بما يتقوت به، فحفظ القرآن، واشتغل بالعلم في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وانتهى به الحال إلى أن ولي القضاء ببيت المقدس فكان أول قضاة المالكية» وكان لذلك يعرف باسم ابن الشحاذة.

وجمع ابن الشحاذة بين القضاء والتدريس بالمدرسة الملكية، وداوم على ذلك حتى وفاته في سنة ٨٠٥هـ / ١٤٠٣م[٧٩].

ولقد لاحظنا حتى الآن أن علماء القدس كان كل منهم يتولى أكثر من عمل ويجمع بين التدريس في عدة مدارس ولهذا دلائله ومؤشراته، فهو لربما يدل على كثرة المدارس وكثرة تعداد الطلاب وقلة الأساتذة، ومهما يكن الحال، فإنّ في تعاون الأساتذة وعمل كل منهم في أكثر من مدرسة دليلاً على وحدة الأجواء الثقافية والتيارات العلمية.

وكان الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد القلقشندي المقدسي الشافعي من بين العلماء الذين تولوا التدريس في الملكية وفي الوقت نفسه في الصلاحية والميمونية والكريمية، وقد سبقت الإشارة إليه، ويبدو أنه اختص بتدريس الفقه والحديث والعربية، ومما هو جدير بالملاحظة أنه جمع مع وظائف التدريس هذه الإفتاء والخطابة بالأقصى[٨٠].

وأتت المصادر على ذكر قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن سليمان بن عوجان المغربي المقدسي بين الذين تولوا التدريس في الملكية ووصف بأنه كان «عالماً فقيهاً فاضلاً يفتي ويدرس» وقد ولي قضاء المالكية بعد ابن الشحاذة وظل يمارس أعماله حتى تاريخ وفاته في سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٥م.

وتولى الشيخ خير الدين محمد بن عبد الرحمن القلقشندي مشيخة المدرسة الملكية مشاركة، ذلك أنه كان شيخاً للكريمية ومدرساً بالمدرسة الطازية ومعيداً بالصلاحية. وقد ولي في أواخر حياته مشيخة الأقصى وبات يعتبر من كبار المحدِّثين، واستمر متولياً أعماله جميعاً حتى وفاته في سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م[٨١].

● **المدرسة الفارسية**: أوقفها الأمير فارس البكي ابن الأمير قطلو ملك ابن عبد الله، نائب السلطنة بالأعمال الساحلية والجبلية ونائب غزة في سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م، وموقعها في داخل الحرم في جهته الشمالية فيما بين المدرسة الأمينية شرقاً والملكية غرباً[٨٢].

وقامت هذه المدرسة شأنها شأن غيرها بدورها بالحركة الثقافية في القدس، وكانت تحتوي على مكتبة المسجد الأقصى[٨٣].

وكان الشيخ زين الدين أبو زيد عبد الرحمن بن عمر القبابي المقدسي من الذين تولوا مشيختها. نشأ زين الدين في القدس، فقد توفي والداه وهو ابن ست سنوات، ومر بنا أن والده كان شيخاً للمدرسة الكريمية، واهتم زين الدين بفقه الحنابلة ودرسه على كبار علماء القدس وأجازه كبار علماء عصره مثل التاج السبكي وابن هشام النحوي والقاضي ابن خلكان حتى ان عدد شيوخه بالسماع والإجازة تجاوز المائة والخمسين.

لقد غدا القبابي من الفقهاء المعتبرين «يحب الحديث وأهله ويحث على المواظبة عليه»، وحدَّث ودرَّس بالقدس وأفاد كثيراً وتخرج عليه العلماء وظل واقفاً نفسه على العلم والتعليم حتى وفاته في سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٥م[٨٤].

● **المدرسة الخاتونية**: أوقفتها سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م أميرة اسمها أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية، ثم أكملتها في سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م أميرة أخرى اسمها أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه.

قام بناء هذه المدرسة غربي الحرم إلى الشمال من باب القطّانين وجنوب المدرسة الأرغونية، وملكت كمية من الأوقاف جيدة الإيرادات ومن المفترض أنها أسهمت بدور مفيد بالحركة

العلمية في القدس وذلك على الرغم من أن المصادر المتوفرة لا تزودنا بأسماء من تولى التدريس بها[٨٥].

● **المدرسة الأرغونية**: بدأ مشروع إقامتها الأمير أرغون الصغير الكاملي نائب الشام، لكنه توفي في سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م قبل تمام عمارتها، فتولى ذلك سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م الأمير ركن الدين بيبرس السيفي، وهي قائمة في الجهة الغربية من الحرم بباب الحديد ملاصقة للمدرسة الخاتونية، ويحمل جدارها نقشاً نصه:

> «بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذه التربة والمدرسة المباركة المقر الأشرف السيفي أرغون الكاملي نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس. توفي إلى رحمة الله تعالى ثامن عشر شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وتولى شدها وتكميلها ركن الدين بيبرس السيفي وأكملت في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وسبعمائة»[٨٦].

وأسهمت هذه المدرسة في تدريس فقه المذهب الحنفي، وتقلب على العمل فيها عدد من العلماء انتمى جلهم إلى أسرة واحدة، كان منهم: الشيخ علاء الدين أبو الحسن بن النقيب المقدسي الحنفي، وكان قد نشأ بالقدس وأخذ عن علمائها وعلماء الشام واهتم بالفقه الحنفي. ويرجح أنه تسلّم التدريس في الأرغونية بُعيد إقامتها. وقد تخرج عليه عدد من كبار العلماء، ومن المحتمل أنه ظل يدرِّس في هذه المدرسة حتى وفاته التي لم نتمكن من معرفة تاريخها[٨٧].

وتولى التدريس بها أيضاً كمال الدين محمد بن أحمد بن النقيب (٧٦٩ ــ ٨٣٢هـ / ١٣٦٨ ــ ١٤٢٩م)، وقد سلفت الإشارة إلى أنه تولى التدريس بالمدرسة التنكزية، وكان مختصاً بالفقه الحنفي[٨٨].

وسبق أن أشرنا أيضاً إلى أن زين الدين عبد الرحيم بن النقيب قد جمع بين مشيختي التنكزية والأرغونية[٨٩]، كما أشرنا إلى ابنه علاء الدين علي بن محمد، وهذا أيضاً تولى ــ عندما بات مؤهلاً ــ مشيخة التنكزية والأرغونية كما كان حال أبيه قبله[٩٠].

واستمرت المدرسة الأرغونية تؤدي دورها العلمي، لا إلى نهاية العصر المملوكي وحسب بل حتى الربع الأخير من القرن التاسع / الخامس عشر، فقد ذكر صاحب الأنس الجليل أنها كانت في سنة ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م سكناً للقاضي غرس الدين خليل الكناني شيخ الصلاحية، كما أن الأمير جان بلاط كان يسكن فيها سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م وفي هذه السنة توفي أخوه خضر بك نائب السلطنة وناظر الحرمين، فخزنت أمواله وتِركتُه عند أخيه بالمدرسة الأرغونية[٩١].

● **المدرسة القشتمرية**: أوقفها الأمير قشتمر السيفي سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م في عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون[٩٢]، وهي واقعة خارج الحرم بجواره من الجهة الغربية بخط باب الناظر[٩٣].

وأسهمت هذه المدرسة بالحركة العلمية في القدس، وكان من الذين تولوا التدريس بها الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد القرقشندي (ــ ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م) وتشير المصادر إلى أن القرقشندي كان في الوقت نفسه معيداً بالصلاحية يتولى التدريس بالميمونية والكريمية والملكية.

● **المدرسة الأسعردية**: بناها وأوقفها الخواجا (التاجر) مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر بن يوسف الأسعردي مع نهاية النصف الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي وهي واقعة في الجهة الشمالية من الحرم على يمين الداخل من باب العتم بجوار المدرسة الملكية فوق رواق النساء، ويبدو أنها كانت مركزاً من مراكز المتصوفة بالقدس، وتركز نشاطها في هذا الميدان مع قراءة القرآن الكريم[٩٤]. وقد رممت حديثاً ونقلت إليها مكتبة الحرم القدسي.

● **المدرسة المحدِّثية**: أنشأها وأوقفها المحدث عز الدين عبد العزيز العجمي الأردبيلي في سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م، وهي واقعة بجوار الركن الشمالي من الحرم عند قبو باب الغوانمة[٩٥].

وكان مُوقِفُها من أهل العلم من الذين اختصوا بالحديث النبوي، وعلى هذا كان أول شيوخ مدرسته ومحدثيها، وظل قائماً عليها حتى سنة وفاته في سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م[٩٦]، ويرجح أنه تولى التدريس فيها بعده عدد من العلماء الذين كانوا يتولون التدريس في المدارس الأخرى[٩٧].

● **المدرسة الحسنية**: بناها وأوقفها الطواشي شاهين الحسني قبيل سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م، وتوفي هذا الطواشي سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م. ويبدو أن الدور الذي شغلته هذه المدرسة لم يكن كبيراً، ذلك أن المصادر المتوفرة لا تذكر من تولى التدريس فيها ولا نوع الدروس بل تذكر أنه «لم يكن لها حكم المدارس في النظام والشعائر، وإنما صارت منزلاً تتخذ للسكن، وهي من جملة جهات الأقصى يستوفى ريعها لجهة وقفه». وحديثاً اتخذها المجلس الإسلامي الأعلى مقراً له، ثم غدت مقراً لإدارة الأوقاف بمدينة القدس[٩٨].

● **المدرسة المنجكية**: لقد أظهر عدد كبير من أمراء المماليك الاهتمام بالعلم والعلماء ولهذا يلاحظ أن جل المدارس قد بنيت

من قبل شخصيات كانت لها مناصب رسمية، وكان من هؤلاء سيف الدين منجك اليوسفي الناصري (ـ ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) وقد «تنقل في الولايات من الوزارة، إلى نيابة السلطنة في البلاد الشامية والديار المصرية».

لقد أنشأ منجك منشآت كثيرة من مدارس وقناطر وسبل وقنوات، وذكر صاحب الأنس الجليل أن السلطان الملك الناصر حسن أرسله إلى القدس ليبني مدرسة تنسب له، وقتل السلطان سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م، فقام منجك ببناء المدرسة وهكذا نسبت إليه، وقد بناها في طرف الحرم من الناحية الغربية إلى الشمال من باب الناظر[٩٩].

وأسهمت هذه المدرسة شأنها شأن غيرها بدور مفيد بالحركة العلمية لا سيما في موضوعات الفقه الحنفي والحديث وقراءة القرآن، وكانت تشبه في كثير من الوجوه المدرسة المعظمية. ويبدو أن هذه المدرسة لم تعمر حتى نهاية العصر المملوكي بل تلاشت أحوالها قبل ذلك.

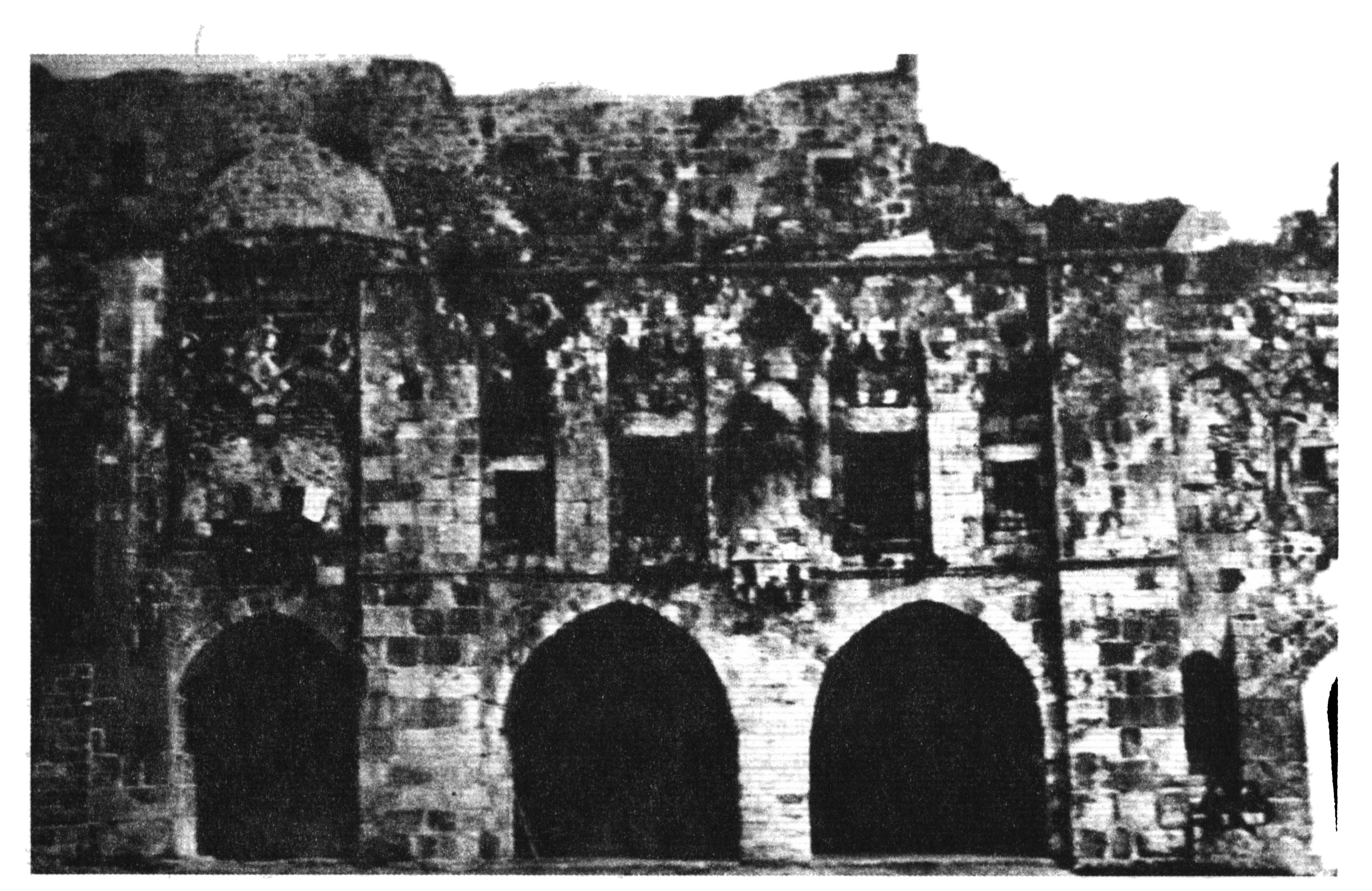
وسبق لنا أثناء الحديث عن الذين تسلموا التدريس في المدرسة المعظمية أن أشرنا إلى تناوب المشيخة فيها وراثياً بين أفراد آل الديري الذين جمعوا بين مشيخة المعظمية ومشيخة المدرسة المنجكية التي نحن بصدد الحديث عنها[١٠٠].

● **المدرسة الطازية**: أوقفها الأمير سيف الدين طاز بن قطغاج سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦٢م، وهي السنة التي توفي بها ولذلك دفن بها. وكان هذا الأمير من خواص السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقد تقلب في وظائف الدولة العالية، حتى ألقي القبض عليه فسجن وسملت عيناه ثم أرسل «بطالاً» إلى القدس.

وبنيت هذه المدرسة إلى الغرب من الحرم على مقربة من باب السلسلة من جهة الشمال، ويوجد نقش فوق إحدى نوافذها نصه:

> «بسم الله الرحمن الرحيم. هذه تربة العبد الفقير إلى الله تعالى المقر الأشرف السيفي طاز. توفي رحمه الله سنة ثلاث وستين وسبعمئة»[١٠١].

وسيطر أتباع المذهب الشافعي على مشيخة هذه المدرسة، وكان ممن تولى التدريس فيها من كبار علمائهم: القاضي



واجهة المدرسة الأسعردية في القدس

شمس الدين محمد بن حامد المقدسي الأنصاري الشافعي (٧٣٢ ـ ٧٨٢هـ / ١٣٣٢ ـ ١٣٨٠م)، وكان قد نشأ بالقدس وتعلم فيها وثابر على طلب العلم حتى بلغ شأناً كبيراً أهّله لأن يصبح قاضياً. وقد تولى القضاء فترة في القاهرة، كما تولى الخطابة بالمسجد الأقصى وجمع مع هذه الوظائف وظيفة التدريس بالطازية، فدرّس الفقه وحدّث واستمر قائماً على عمله حتى سنة وفاته في القدس[١٠٢].

وكان زين الدين عبد الرحمن بن محمد القرقشندي من بين الذين درّسوا فيها، وسبقت الإشارة إليه، ذلك أنه أعاد بالصلاحية، ودرّس بالميمونية والكريمية، والملكية والقشتمرية.

وتناوب بعد زين الدين القرقشندي عدد من العلماء من هذه الأسرة نفسها فدرسوا بها جامعين بذلك شأنهم شأن غيرهم بين عدد من الوظائف، وكان من هؤلاء (في القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد):

علاء الدين علي بن عبد الرحيم القرقشندي وبرهان الدين أبو إسحق إبراهيم بن علي القرقشندي وخير الدين محمد بن عبد الرحمن القرقشندي[١٠٣].

ومفيد أن نشير في صدد الحديث عن هذه المدرسة إلى أنها ضمت فرعاً لتدريس الأطفال، وقد ذكر صاحب **الأنس الجليل** أن «الشيخ شمس الدين محمد بن عيسى البسطامي الشافعي، الشهير بأخي زرع، كان رجلاً صوفياً من فقراء البسطامية، وكان يحفظ القرآن ويقرىء الأطفال بالمدرسة الطازية، وهو رجل خير، استقر في أواخر عمره في بوابة الخانقاه الصلاحية وهو من جلة الصوفية بها وبالجوهرية، ومن الفقهاء بالصلاحية» توفي سنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م[١٠٤].

● **المدرسة الحنبلية**: أنشأ هذه المدرسة وأوقفها الأمير بيدمر الخوارزمي، وكان قد ولي نيابة الشام سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م للسلطان الأشرف شعبان، فقام ببناء هذه المدرسة بالقدس وفرغ من بنائها سنة ٧٨١هـ / ١٣٧٩م.

لا ندري السبب الذي جعل هذه المدرسة لا تحمل اسم الأمير بيدمر، وهل عرفت بالحنبلية لاقتصارها على تدريس فقه هذا المذهب؟

المثير هنا أن صاحب **الأنس الجليل** ذكر من بين الذين تولوا التدريس فيها الشيخ برهان أبو الصفا إبراهيم بن علي الأسعردي دون سواه، وكان هذا الشيخ شافعي المذهب صوفياً، قدم القدس وأقام فيها من سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م وحتى سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م وهي سنة وفاته[١٠٥].

● **المدرسة البارودية**: أوقفتها سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م الأميرة سفري خاتون ابنة شرف الدين أبي بكر بن محمود المشهور بالبارودي، ومن هنا تسميتها بالبارودية وليس في المصادر ما يفيد حول دورها ولا أسماء الذين تولوها[١٠٦]، وكانت قائمة إلى جوار الحرم من جهة الغرب.

● **المدرسة اللؤلؤية**: بناها وأوقفها الأمير بدر الدين لؤلؤ غازي، ونحن لا نعرف سنة إنشائها لكن صاحب **الأنس الجليل** أفاد أنها كانت موجودة سنة ٧٨١هـ / ١٣٧٩م وأن مُوقِفَها توفي سنة ٧٨٧هـ / ١٣٨٥م[١٠٧]، هذا ومعلوماتنا عن هذه المدرسة من حيث الندرة تشبه حال المدرسة السابقة.

● **المدرسة البلدية**: وتعرف أيضاً باسم «مدرسة منكلي بغا» ذلك أن واقفها هو الأمير سيف الدين منكلي بغا الأحمدي الذي يعرف باسم البلدي (ـ ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م) وكان نائباً لحلب، قد اتخذ مبنى هذه المدرسة تربة له، فعلى باب إحدى غرفها نقش نصه:

> «بسم الله الرحمن الرحيم. هذه تربة المرحوم السيفي منكلي بغا الأحمدي كافل المملكة الحلبية. تغمده الله تعالى برحمته. توفي ودفن في جمادى الآخر سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة».

وتقع هذه المدرسة في الجهة الغربية من الحرم إلى الشمال من باب السكينة (السلام) هذا وليس في المصادر المتوفرة ما يفيد في توضيح الدور العلمي الذي قامت به ولا أسماء الشيوخ الذين تولوا العمل فيها[١٠٨].

● **المدرسة الطشتمرية**: أنشأها الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله العلائي في أواخر حياته، ذلك أنه قدم إلى القدس «بطالا» وعاش فيها حتى تاريخ وفاته. ودفن في هذه المدرسة. وعلى هذا تشبه مدرستنا هذه المدرسة السابقة مع فارق مهم أنها تحتوي أيضاً على «كتّاب» لتعليم الأطفال الأيتام، ويبدو أنّ عدد طلابها كان كبيراً ذلك أنها احتوت على خمس قاعات لمبيتهم.

وعلى هذا يمكن أن نتصور أن دورها كان كبيراً في مجالات التعليم علماً بأنها ارتبطت بالصوفية وكان بها أربع خلوات للمتصوفة، ومن المفيد ذكره أن واجهة هذه المدرسة الشمالية تحمل لوحاً من المرمر نقش عليه:

> «أمر بإنشاء هذا المكان المبارك المقر الأشرف السيفي طشتمر العلائي بتاريخ سنة أربع وثمانين وسبعمائة» (١٣٨٠م)[١٠٩].

● **المدرسة الموصلية**: سلفت الإشارة إلى أبي بكر بن علي الشيباني (٧٩٧هـ / ١٣٩٥م) وإلى أنه كان من كبار رجال التصوف في أيامه وقد سكن القدس واتخذ خلوة فيها، وكان له شأنه لدى السلطان وسواه. ونظراً لما تمتع به من المكانة أقدم واحد من كبار التجار واسمه الخواجا فخر الدين الموصلي على بناء مدرسة له.

وعلى هذا درّس الشيباني في هذه المدرسة فقد «كان ممن جمع بين العلم والعمل» «وله مصنفات كثيرة»، ويبدو أن ابنه عبد الملك درس فيها من بعده حتى وفاته في سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م[١١٠].

● **المدرسة الجهاركسية**: أوقفها الأمير جهاركس (أو جركس) الخليلي «أمير آخور الملك الظاهر برقوق» وكان قد توفي مقتولاً في دمشق سنة ٧٩٠هـ / ١٣٩٨م، وعلى هذا فإن إنشاء هذه المدرسة كان قبل هذا التاريخ.

وكان سعد الدين الديري ثم ولده تاج الدين الديري ـ وقد سبقت الإشارة لهما ـ ممن تولى التدريس بهذه المدرسة وذلك فوق عملهما بمدارس أخرى[١١١].

● **المدرسة الطولونية**: أنشأ هذه المدرسة في داخل المسجد على الرواق الشمالي، يصعد إليها من السلم المتوصل منه إلى منارة باب الأسباط. . . شهاب الدين أحمد بن الناصري محمد الطولوني الظاهري في زمن الملك الظاهر برقوق على يد مملوكه أقبغا قبل الثمانمائة، ولم يكتب لها كتاب وقف إلا في سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٤م[١١٢].

وشغلت هذه المدرسة دوراً مناسباً بالحركة الثقافية، وكان الذين تولوا مشيختها من أتباع المذهب الشافعي ومن العاملين في مجالات التصوف ومن هؤلاء: الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد الطولوني (٧٤٨ ـ ٨٤٣هـ / ١٣٤٧ ـ ١٤٣٩م) وكان من كبار علماء عصره بالفقه والحديث والخطابة والتصوف. قدم سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م من حلب إلى القدس، وانقطع في الطولونية للعلم والذكر والتعبد وتلاوة القرآن وقد تردد عليه الكثيرون وأخذوا عنه[١١٣].

وانقطع أيضاً بالطولونية للتدريس والتعبد الشيخ شهاب الدين أبو البقاء أحمد بن حسين بن علي الزبيري الشافعي، وكان قد تلقى العلم في مصر عن كبار العلماء واستفاد منهم، وقدم إلى القدس سنة ٨٣٠هـ / ١٤٢٧م وظل ملازماً العمل بالقدس حتى وفاته في سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م[١١٤].

● **المدرسة الفنرية**: أنشأها مقابل المدرسة الطولونية شهاب الدين الطولوني منشىء المدرسة الطولونية، فقد عمرها مع مدرسته «وجعلها للملك الظاهر برقوق». وتوفي برقوق سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م فقام ابنه الناصر فرج «فرتب لها قرى وأقام نظامها وجعل لها معاليم تصرف». لكنه لم يكتب لها كتاب وقف، وبعد وفاة السلطان فرج قام ابن منشئها الطولوني فباعها إلى عالم قدم من آسيا الصغرى اسمه محمد شاه بن الفنري، فتولى إيقافها لذلك عرفت بالفنرية[١١٥].

وكان الفنري من أشهر علماء الدولة العثمانية، ولد سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م ورحل طلباً للعلم إلى القاهرة، ثم عاد إلى بلاده فتسلم «قضاء بروسا وارتفع قدره عند ابن عثمان جداً، وحل عنده المحل الأعلى وصار في معنى الوزير». وجمع ثروات هائلة وذهب إلى الحج أكثر من مرة ولدى زيارته للقدس اشترى هذه المدرسة وأوقفها وتولى التدريس فيها بعض الوقت لأنه عاد إلى بلاده حيث توفي سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣١م[١١٦].

وكان من بين الذين تولوا مشيختها الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمود الحنفي، وقد ظل يعمل فيها حتى سنة وفاته ٨٩٦هـ / ١٤٩١م[١١٧].

وتولاها حتى ما بعد سقوط الدولة المملوكية الشيخ شهاب الدين أحمد بن أحمد الباجي الأنطاكي الحنفي المعروف بابن كلف (ـ ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م)[١١٨]، ويرجح أن الفقه الحنفي كان على رأس الموضوعات التي جرى تدريسها في هذه المدرسة.

● **المدرسة الصُّبَيْبِيَّة**: أنشأها وأوقفها الأمير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد، وكان من رجالات الدولة المملوكية في مطلع القرن التاسع هـ / الخامس عشر م. ولي قلعة الصُّبَيْبِيَّة قرب بانياس الجولان، كما ولي الحجابة بدمشق، ثم تولى نيابة القدس وأثناء شغله لهذا المنصب بنى مدرسته وأوقفها. وجاء موقعها في الجهة الشمالية من الحرم إلى الغرب من المدرسة الأسعردية بينها وبين الجاولية. وعندما توفي الأمير علاء الدين في دمشق سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م نقل إلى القدس ودفن في مدرسته[١١٩].

واعتبر صاحب **الأنس الجليل** هذه المدرسة بين مدارس القدس المشهورة، وذكر أن الشيخ شرف الدين موسى بن أحمد القادري أقام بها وكان «يقيم فيها الأوقات المشهورة بالذكر خصوصاً في ليالي الجمعة» ذلك أنه كان «شيخ الشيوخ القادرية بالقدس الشريف. . . من أهل الخير والصلاح وله عبادة وملازمة على ذكر الله تعالى. . . وكان منجمعاً عن الناس لا يخالط أبناء

الدنيا ولا يتردد إليهم... والناس سالمون من يده ولسانه والصلاح ظاهر عليه»، وقد توفي سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٣م، وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً «لم ير مثله في هذه الأزمنة»[١٢٠].

ولا شك أن المكانة التي حظي بها هذا الشيخ فيها مؤشر على مكانة المدرسة الصبيبية وعلى الدور العظيم الذي بات التصوف يشغله في حياة المسلمين في أواخر العصر المملوكي.

● **المدرسة الكاملية**: أنشأها بخط باب حطة بجوار الكريمية رجل من أهل طرابلس اسمه الحاج كامل، ذكر صاحب **الأنس الجليل** أنه «لم يوجد لها كتاب وقف فكتب محضر بوقفها» في سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م، أي في عهد السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي. لكن صاحب **الأنس الجليل** لم يذكر مزيداً من التفاصيل عنها كما لا يوجد في المصادر المتوفرة معلومات عن العلوم التي درست فيها ولا عن الذين تولوا ذلك[١٢١].

● **المدرسة الباسطية**: اختط أساسها شمالي الحرم، قريباً من باب العتم شيخ الإسلام شمس الدين الهروي شيخ الصلاحية وناظر الحرمين الشريفين فأدركته منيته قبل عمارتها، فقام زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣١م بإكمال عمارتها ومن ثم أوقفها مدرسة، «وشرط على الصوفية قراءة الفاتحة عقب الحضور وإهداء ثوابها للهروي»[١٢٢].

وكان عبد الباسط (٧٨٤ ــ ٨٥٤هـ / ١٣٨١ ــ ١٤٥٠م) من أعظم شخصيات السلطنة المملوكية في القرن التاسع هـ / الخامس عشر م وأكثرهم ثروة، ووصف بحب العلم والعلماء، وقد تولى إنشاء عدة مدارس ومنشآت أخرى في دمشق وغزة والقاهرة، وأوقف الأوقاف الكبيرة وخصص الأموال لفقراء الصوفية وسواهم[١٢٣].

وقامت هذه المدرسة بدور بارز في الحركة الثقافية في فلسطين، ويتضح هذا من خلال استعراض أخبار حياة بعض العلماء الذين تولوا التدريس فيها، وكان من هؤلاء: الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الخضر بن سليمان بن المصري الحلبي الشافعي، نشأ في مدينة حلب وتلقى تعليمه فيها أولاً ثم رحل إلى دمشق والقاهرة طالباً للعلم. وفي القاهرة بات معروفاً في أوساط العلماء لا بل مشهوراً، ومن القاهرة توجه إلى القدس فكان فيها سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣١م، حيث تولى مشيخة الباسطية، فكان أول شيوخها، وقد تولى تدريس الحديث وفقه الشافعية وغيره من أبواب العلوم الشرعية، واستمر منقطعاً بالباسطية حتى سنة وفاته في ٨٤١هـ / ١٤٣٧م[١٢٤].

وقرر عبد الباسط واقف المدرسة الشيخ شرف الدين يحيى بن أحمد بن عمر التنوخي الحموي الشافعي المشهور بابن العطار شيخاً خليفة للشيخ المتوفى في السنة نفسها (٨٤١هـ / ١٤٣٧م).

ولد ابن العطار بالكرك سنة ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م وكان أبوه نائباً للسلطنة فيها، ونشأ بالقاهرة نشأة متأرجحة بين احتراف الجندية والانصراف نحو العلم كلياً، فقد قرأ القرآن واشتغل بالفقه والعربية وتدرب على الخط حتى أجاده، كما أجاد الأدب وصار صاحب نظم، وتولى مشيخة الباسطية لفترة من الزمن ثم تخلى عنها للشيخ تقي الدين القرقشندي وكان من شيوخ الصلاحية وسافر إلى القاهرة حيث تسلم عدة مناصب من تعليم وسواه.

من المرجح أن ابن العطار قد درَّس بالباسطية الحساب والفرائض والحديث وبعض فنون الأدب مع الفقه، وقد أخذ عليه عدد من العلماء ونالوا إجازاته[١٢٥].

● **المدرسة الغادرية**: بنيت هذه المدرسة في عهد السلطان الملك الأشرف برسباي. عمّرتها مصر خاتون زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر. وقام هذا الأمير سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٣م بكتابة محضر وقفها من ممتلكاته وأمواله، ويوجد على واجهتها لوحة مثبت فيها تاريخ تأسيسها، وقد طمست معظم كلمات هذه اللوحة، ويقدر أن نصها هو:

> «بسم الله الرحمن الرحيم. أنشأت هذه المدرسة المباركة الدر المصونة مصر خاتون زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف خلد الله ملكه، وذلك بتاريخ شهر ربيع الآخر من شهور سنة ست وثلاثين وثمانمائة»[١٢٦].

وكان لهذه المدرسة دورها في الحركة العلمية في القدس ويمكن معرفة ذلك من خلال التعرف إلى سيرة بعض العلماء الذين تولوا العمل فيها، وكان من هؤلاء: الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد المقدسي الشافعي (٧٨٢ ــ ٨٥١هـ / ١٣٨٠ ــ ١٤٤٧م)، وكان قد أخذ الحديث وربما غيره أيضاً على أبيه، كما أخذ عن علماء القدس ولا سيما علماء الصلاحية وانشغل بالتصوف، فكان بعد تسلمه لمشيخة الغادرية «يجمع الناس كل صباح على الذكر بالمسجد الأقصى» وقد استمر قائماً على عمله حتى تاريخ وفاته[١٢٧].

وكان شرف الدين أبو الأسباط يعقوب بن يوسف الرومي (ــ ٨٦٩هـ / ١٤٦٥م) قد تولى مشيخة الغادرية، ولعل ذلك جاء بعد وفاة شمس الدين المقدسي.

ووصف شرف الدين الرومي بغزارة العلم في مختلف الفنون من شرعية وعقلية ولغة، وأنه كان مبرزاً بفقه الإمام أبي حنيفة، وقد اشتغل عليه الطلاب بالغادرية وانتفعوا به، وقد عمل بالإفتاء بالإضافة للتدريس وظل ملازماً وظائفه حتى تاريخ وفاته[١٢٨].

وآلت ـ كما هو مرجح ـ مشيخة الغادرية إلى الشيخ شمس الدين أبوعبد الله محمد بن خليفة المغربي المالكي (٨٠١ ـ ٨٨٩هـ/١٣٩٩ ـ ١٤٨٤م) وكان شمس الدين قد نشأ بالقدس وتلقى تعليمه فيها واهتم بفقه الإمام مالك وبرع فيه فأهّله ذلك لأن يصبح إمام المالكية بالمسجد الأقصى ثم أوكلت إليه مشيخة الغادرية فقام بتدريس الفقه والحديث والتصوف علمًا وسلوكاً «وكان ذا همة ومروءة وعنده سخاء ومكارم أخلاق، ثم صرف عن مشيخة الغادرية في سنة اثنتين وسبعين وثمانمئة (١٤٦٨م) وفي أواخر عمره أقبل على العبادة وترك النساء وتعزب من التاريخ المذكور إلى حين وفاته»[١٢٩].

● المدرسة الحسنية: أنشأها الأمير حسام الدين الحسن بن محمد الكشكلي (ـ ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) سنة ٨٣٧هـ / ١٤٣٤م ثم أوقفها في السنة التالية، وكان آنذاك نائباً للسلطنة في القدس وناظراً للحرمين[١٣٠].

وقام بناء هذه المدرسة في الناحية الغربية من الحرم إلى جانب باب الناظر فوق أروقة رباط علاء الدين البصير بجوار المدرسة المنجكية، وهي الآن مع المنجكية مقراً لدائرة الأوقاف الإسلامية بالقدس[١٣١].

وكان أول شيخ تولاها هوتقي الدين أبوبكر بن محمد الحسيني المشهور بابن أبي الوفاء، وهومقدسي ولادة ونشأة. ولد سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م وبدأ تعليمه بقراءة القرآن وتجويده ثم قرأ على علماء القدس في الصلاحية وعليهم تخرج، بعدما درس الفقه والحديث والعربية، وسلك طريق التصوف وأكثر من قراءة كتب الصوفية حتى صار شيخ الصوفية بالقدس وأمثلهم في زمانه، وقد رحل في طلب العلم فزار دمشق وحلب وبعلبك والقاهرة.

وعلى هذا كان ابن أبي الوفاء من أعظم علماء عصره في فلسطين والشام عندما أسندت إليه مشيخة الحسنية، وقد تولى تدريس علومه التي أخذها وكان يمتلك قدرة على إبداء ما في نفسه بعبارة حسنة غلب عليها السجع، وظل قائمًا على عمله حتى وفاته في سنة ٨٦٩هـ / ١٤٦٥م.

وكان لابن أبي الوفاء دوره الكبير في القدس علمياً واجتماعياً، وكانت له مكانة لدى السلطات المملوكية عالية ومؤثرة، ولهذا اعتبر «شيخ القدس، ومقصد زواره وملجأ ذوي الضرورات فيه، وصار له أتباع ومريدون وزوايا وخلفاء في كل بلد»[١٣٢].

وخلفه بعد وفاته في مشيخة الحسنية ابنه تاج الدين محمد، وكان تاج الدين قد أخذ العلم على أبيه مع التصوف كما التحق بدروس علماء القدس. وارتحل إلى القاهرة، وتبحر في العلوم حتى غدا إماماً له مصنفات بالتصوف وله شعر منظوم وظل تاج الدين قائماً على مشيخة الحسنية والتدريس فيها حتى توفي في سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م وهو في سن الخمسين[١٣٣].

● المدرسة العثمانية: أوقفتها أسفهان خاتون بنت محمود العثمانية «وأوقفت عليها أوقافاً ببلاد الروم [الدولة العثمانية] وغيرها في هذه البلاد، وعلى بابها تاريخها في سنة أربعين وثمانمئة» (١٤٣٦م)، في عهد الملك الأشرف برسباي. وعلى بابها نقش نصه:

> «بسم الله الرحمن الرحيم. أمرت بعمارة هذه المدرسة المباركة الست الجليلة أسفهان شاه خاتون ابنة المرحوم الأمير محمود العثمانية الشهيرة بخانم. لطف الله بها، ووفق عليها الانتقال سنة أربعين وثمانمائة، وكان الفراغ من عمارتها في سلخ سنت [السنة] المذكورة، وذلك بهمة جميع الخواجات ولد صاطي الرومي».

وتقع هذه المدرسة بباب المتوضأ في الجهة الغربية من ساحة الحرم تجاه سبيل قايتباي[١٣٤].

حظيت هذه المدرسة بمكانة عالية في القدس واستمرت لقرون تشغل دوراً علمياً كبيراً في فلسطين. فقد شرط في صك وقفها أن يتولى مشيختها أعلم أهل زمانه، وذكر صاحب الأنس الجليل أن سراج الدين الرومي تولى مشيختها ثم «صرف عنها باختياره لاطلاعه على شرط الواقفة أن يكون الشيخ أعلم زمانه، فقال: لست أنا بهذه الصفة فتنزه عنها» ولذلك حظي مشايخها بمكانة سامية في أوساط القدس وشغلوا عدداً من الأدوار تخطت العمل العلمي إلى المجالات الاجتماعية والسياسية[١٣٥].

وسراج الدين الرومي هوسراج بن مسافر بن زكريا المقدسي الحنفي (٧٩٠ ـ ٨٥٦هـ / ١٣٨٨ ـ ١٤٥٢م) كان من رعايا الدولة العثمانية:

> «نشأ هناك فاشتغل كثيراً ثم ارتحل إلى بلاد العجم فقرأ بها العلوم العقلية... (ثم أخذ) الفقه والأصلان والنحو والصرف والمعاني والبيان... واشتغل أيضاً في الفرائض وغيرها وتصدر للتدريس فدرّس مدة، ثم بعد توغله في العقليات ومشاركته

الجيدة في الشرعيات تجرد وسلك طرق التصوف. . . وتوجه. . . إلى الحج، ثم عاد فقدم بيت المقدس سنة ثمان وعشرين [٨٢٨هـ] مجرداً بقصد الإقامة بها للتعبد، فكان القادمون إليها من الروم للزيارة يعظمون شأنه فتنبه المقادسة وغيرهم له ولا زال يتلطف به من له رغبة في الاشتغال والاستفادة إلى أن عاود التدريس والإفادة، فأقبل الناس عليه وظهر تقدمه في فنون منها علم الكلام والمنطق والمعاني والبيان والنحو والصرف ومشاركته في غيرها، وانتفع الناس به حتى قل أن يكون في الفضلاء والطلبة من لم يقرأ عليه، واستغرق جل أوقاته في ذلك. . . وكان رحمه الله متين الديانة يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، مواظباً على الخير إلى أن مات في سنة ست وخمسين ودفن بباب الرحمة شرقي المسجد الأقصى»(١٣٦).

وآلت مشيخة العثمانية إلى الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن شرف الدين الرومي، وكان مثل سلفه من رعايا الدولة العثمانية ولم يكن مجيداً للغة العربية حديثاً، ومع هذا «كان من أهل الفضل» وعمل بالإفتاء واشتغل بالتدريس، وظل قائماً على عمله حتى وفاته في سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م(١٣٧).

● **المدرسة الجوهرية**: أنشأ هذه المدرسة وأوقفها سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م صفي الدين جوهر القنقبائي الخازندار زمام الأدر في عهد السلطان الظاهر سيف الدين جقمق، وهي واقعة على أمتار من باب الحديد تجاه المدرسة الأرغونية، وقد أثبت على واجهتها نقش نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة والرباط من فضل الله تعالى العبد الفقير إلى الله تعالى جوهر القنقبائي الخازندار وزمام الأدر الشريفة الملكي الظاهر، وشيخ المشايخ خدم الحرم الشريف النبوي، ابتغاء وجه الله الكريم، وكان الفراغ منه في مستهل رجب الفرد سنة أربع وأربعين وثمانمائة»(١٣٨).

واعتبرت هذه المدرسة من مدارس القدس الرئيسة، وقامت بدور فعال في الحركة الثقافية ويمكن تلمس ملامح هذا الدور من خلال الموضوعات التي درست فيها مع سيرة حياة بعض الذين تولوا مشيختها والتدريس فيها.

ولقد تنوعت الموضوعات التي درست فيها وتراوحت بين علوم الفقه والشريعة وعلوم اللغة العربية والحديث والقراءات والتفسير والنحو، وكان من بين العلماء الذين تولوا التدريس فيها: الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن خليل القباقبي الحلبي الشافعي، وكان قد نشأ في مدينة حلب وتلقى تعليمه فيها أولاً ثم ارتحل إلى القاهرة فدرس القراءات والحديث في الأزهر، وتعمق بالقراءات ثم ذهب إلى غزة فاستقر فيها بعض الوقت، ثم تحول إلى القدس واستقر هنالك حتى توفي سنة ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م عن اثنتين وسبعين سنة.

انتهى فن القراءات إلى القباقبي وقد صنف فيه نظماً ونثراً من ذلك منظومته في القراءات الأربع عشرة باسم **مجمع السرور ومطلع البدور** ثم شرحها ووضحها بكتاب اسمه **إيضاح الرموز** وقد تولى تدريس القراءات مع عدد آخر من الفنون، واستفاد منه الناس وانتفعوا بعلمه، وظلوا كذلك حتى سنة وفاته(١٣٩).

«وبعد وفاته خلفه ولده الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام القدوة المحقق برهان الدين أبو إسحق إبراهيم، أحد أعيان علماء بيت المقدس في العلم والقراءات، رجل عالم صالح لم تعلم له صبوة، استقر فيما بيد والده من القراءة بمصحف الملك الظاهر جقمق بالصخرة الشريفة، وتدريس القراءات بالمدرسة الجوهرية، واشتغل وحصل، وفضل وتميز وصار من أعيان بيت المقدس، وتصدر للإفتاء والتدريس ونفع المسلمين، وهو سالك طريقة السلف الصالحين وعبارته في الفتوى نهاية في الحسن، والناس سالمون من يده ولسانه، يتلو كتاب الله بحسن صوت وطيب نغمة.

وله مصنفات منها: **شرح جمع الجوامع في الأصلين، ونظم الإرشاد في الفقه، وألفية المعاني والبيان وشرحها، وشرح ألفية ابن مالك في النحو والصرف، وشرح التقريب والتيسير في علوم الحديث** للإمام الكبير محيي الدين النووي رضي الله عنه، **وشرح القواعد** نظم العلامة شهاب الدين بن الهائم، **والأسئلة في البسملة، والعقد المنضد في شروط حمل المطلق على المقيد**، وشرحه، وغير ذلك وهو حي يرزق إلى يومنا، أبقاه الله تعالى ونفع به المسلمين»(١٤٠).

وتولى الشيخ شمس الدين محمد بن محسن اليمني التدريس بالجوهرية وذلك حسب رواية مفردة ذكرها صاحب **الأنس الجليل**، لم يقدم فيها معلومات عنه ولا عن المواد التي درسها، واكتفى بالقول بأنه كان موجوداً بالقدس في سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م(١٤١).

ويذكر صاحب **الأنس الجليل** أن شمس الدين أبو عبد الله محمد بن حسن بن الناصري (٨٠٠ ـ ٨٧٠هـ / ١٣٩٨ ـ ١٤٦٦م) كان من بين الذين تولوا مشيخة الجوهرية.

نشأ ابن الناصري في القدس وتلقى تعليمه في مدارسها وعلى علمائها وجدّ وأكثر من التحصيل حتى أصبح من أعيان العلماء في فلسطين مما أهله للتدريس، وقد مارس هذه المهمة حتى سنة وفاته، ويرجح أنه تولى تدريس القراءات مع موضوعات أخرى(١٤٢).

وأوكل بعد سنة ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م إلى الشيخ كمال الدين بن أبي شريف من شيوخ الصلاحية الاشراف على الجوهرية والتدريس فيها، وقد ظل قائماً على عمله تدريساً وتصنيفاً وإفتاء إلى أن توفي في سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م[١٤٣].

وكان ملحقاً بهذه المدرسة كتّاب لتدريس الأطفال، فقد ترجم صاحب **الأنس الجليل** للفقيه شمس الدين محمد بن محمد بن غضبة (ـ ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م) فقال واصفاً إياه: «وكان هو رجلاً خيراً ساكناً يحفظ القرآن ويؤذن بالمسجد الأقصى، ويؤدب الأطفال بالجوهرية»[١٤٤].

● **المدرسة المزهرية**: أوقفها زين الدين أبو بكر بن محمد بن مزهر الأنصاري الدمشقي سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م في عهد السلطان الأشرف قايتباي، وقامت في الجهة الغربية من ساحة الحرم بباب الحديد تجاه المدرسة الجوهرية وبعضها راكب على ظهر المدرسة الأرغونية[١٤٥].

كان ابن مزهر يتولى ديوان الإنشاء في القاهرة، ذلك أنه نشأ نشأة علمية وقد طلب العلم بالقاهرة ولقي العلماء وارتحل وأسهم في بناء المدارس وغيرها من المنشآت، وقد زار القدس غيرَ مرة وأقام فيها بعض الوقت. ونظراً لمكانته العلمية والرسمية يحتمل أنه تولى التدريس بمدرسته وأنه اختار لها خيرة العلماء، وأنها قامت بالتالي بدور كبير في الحركة العلمية في فلسطين[١٤٦].

● **المدرسة الزمنية**: أو الرباط الزمني، كان مما أوقفه التاجر شمس الدين محمد بن عمر بن الزمن الدمشقي (ـ ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) وكان من المهتمين بالعلم وبرعاية العلماء. قرأ القرآن ودرس الفقه وأخذ عن عدد من شيوخ دمشق، أنشأ أكثر من مدرسة في القاهرة ومكة والمدينة.

قامت هذه المدرسة غربي الحرم، بابها من داخل الحرم، وهي تجاه المدرسة العثمانية فوق الإيوان الكائن بباب القطانين، لها طابع مزيج حيث جمعت بين سمات المدرسة والرباط، فكانت مقراً لإقامة فقراء الصوفية وعقد حلقات الذكر، وكانت مدرسة لتعليم الفقه والتصوف.

و على واجهة هذه المدرسة نقش نصه:

> «بسم الله الرحمن الرحيم. أنشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى الخواجكي محمد بن الزمن بتاريخ إحدى وثمانين وثمانمائة» (١٤٧٦م).

ومما يؤسف له أنه لا يوجد في المصادر المتوفرة ما يساعد على معرفة أسماء بعض العلماء الذين درّسوا فيها وسيرهم، ولذلك لا يمكن الحديث عن دورها بشكل موثق[١٤٧].

● **المدرسة الأشرفية**: تعتبر هذه المدرسة التي بنيت في أواخر العصر المملوكي من أهم المنشآت التي قامت في القدس، وقد أورد صاحب **الأنس الجليل** تفاصيل أخبار إقامتها بشكل لم تحظ به مدرسة أخرى من مدارس القدس.

لقد بدأ مشروع بناء هذه المدرسة في أيام السلطان الملك الظاهر خشقدم وتولى أعمال البناء حسن بن ططر الظاهري ناظر الحرمين الشريفين بالقدس، وكانت النفقات من مال هذا الناظر، وقام البناء على ظهر الرواق المجاور لباب السلسلة من جهة الشمال.

وتوفي السلطان خشقدم قبل أن يكمل بناء المدرسة، وفي سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م عزل حسن الظاهري من نظارة الحرمين فتوجه إلى القاهرة، وحاول التقرب إلى السلطان الجديد الأشرف قايتباي، وكان مهتماً بشأن العلم والعلماء يرغب ببناء المدارس، ولذلك أخبره ببناء المدرسة من ماله وسأله قبولها وأن تكون منسوبة له. وقبلها السلطان وأمر بإكمال عمارتها وتم إنجاز ذلك سنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م حيث وجد على أحد جدرانها لوحة كتب فيها:

> «أمر بإنشاء هذه المدرسة الشريفة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره بتاريخ مستهل ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثمانمائة وذلك في أيام مولانا المعز الأشرف الناصري سيدي محمد الخازندار، ناظر الحرمين الشريفين عظم الله شانه»[١٤٨].

وجرى تعيين شيخ للمدرسة هو شهاب الدين العميري، وبدأت المدرسة تمارس نشاطاتها العلمية. وحدث في سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م أن زار السلطان قايتباي القدس ونزل بمدرسته فلم تعجبه، فأمر بهدمها ولم ينفذ هذا الأمر حالاً، بل جدد في سنة ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م، وتم تنفيذه في السنة التالية حيث:

> «هدم البناء القديم الذي على رواق المسجد، وشرع المهندسون في العمل فبني المجمع السفلي الملاصق لرواق المسجد من جهة الشرق، ثم توجه الشيخ شهاب الدين العميري إلى الديار المصرية بسبب عمارة المدرسة ليحرض السلطان على الاجتهاد في أمرها والإسراع في عمارتها»[١٤٩].

وقام السلطان في السنة التالية فسير:

> «إلى القدس الشريف من القاهرة جماعة من المعمارية والمهندسين والحجارين لعمارة مدرسته فحضر معهم شخص نصراني من المهندسين بالقاهرة له حذق في الهندسة فلما رأى

المجمع السفلي المبني بالمسجد بلصق الرواق لم يعجبه فقصد هدمه بكماله، ثم اقتضى الحال هدم بعضه من القبلة فهدم، وهدم أيضاً ثلاث قناطر من الرواق مما هو ملاصق للباب المتوصل منه إلى المنارة، واجتهد المهندسون والصناع من المصريين في العمارة».

وبعد عمل دام أكثر من سنة نجز البناء وتم تأسيسه بجهاز كامل من فرش وغيره. وعلى واحد من جدران المدرسة لوح نقش عليه:

«أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة الإمام الأعظم والملك المكرم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره، فكان الفراغ من ذلك في شهر رجب الفرد سنة سبع وثمانين وثمانمائة».

وقدم صاحب الأنس الجليل وصفاً مفصلاً لبناء هذه المدرسة وكان معجباً بجمالها إلى حد أنه ختم وصفه بقوله:

«إن الناس كانوا يقولون قديماً: مسجد بيت المقدس به جوهرتان هما قبة الجامع الأقصى، وقبة الصخرة الشريفة، قلت: وهذه المدرسة صارت جوهرة ثالثة فإنها من العجائب في حسن المنظر ولطف الهيئة»(١٥٠).

وجرى وضع نظام لهذه المدرسة وزودت بمكتبة جيدة، وأولاها السلطان قايتباي عناية خاصة. فصار شيخها يعين بمرسوم سلطاني ويحتفل به مثلما كان يحتفل بشيخ الصلاحية، وحظي شيوخ هذه المدرسة بمكانة سامية مكنتهم من شغل بعض الأدوار الاجتماعية والسياسية.

وكان أهم من تولى مشيختها حتى نهاية العصر المملوكي شيخان هما شهاب الدين العميري، وكمال الدين ابن أبي شريف.

وشهاب الدين العميري هو أحمد بن عمر، وكان أول من تولى مشيخة المدرسة ثم أشرف على إكمال عمارتها ومن ثم على تجديدها ثانية.

ولد العميري في مدينة القدس سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م، وتلقى علومه الأولى فيها، ثم توجه إلى القاهرة فأخذ الحديث والفقه والأصول والعقليات والعربية على كبار العلماء «ولبس خرقة التصوف» وتخرج على كبار الوعاظ، وعقد مجلس الوعظ «بالأزهر وبمكة حين جاور بها وببلده، ورزق القبول في الوعظ ودرس وأفتى وحدث وَعُدّ في أعيان الوقت، وقرره الأشرف قايتباي في مشيخة مدرسته بالقدس فدام بها حتى مات» في سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م(١٥١).

وآلت مشيخة المدرسة إلى شيخ الإسلام كمال الدين محمد بن محمد ابن أبي شريف المقدسي بموجب مرسوم صدر عن السلطان إثر وفاة العميري.

فقد استدعى السلطان الشيخ كمال الدين إلى حضرته وقرر معه ترتيب وظائف مدرسته:

«وشافهه بالولاية وسأله في القبول، فأجاب لذلك وألبسه كاملية بِسَمُّور وحضر إلى القدس الشريف هو ومن معه من أركان الدولة الشريفة وباشرها بأن جلس يوم الجمعة الأولى بالمدرسة وعمل درساً حضره شيخ الإسلام نجم الدين بن جماعة والقضاة والأعيان ومن حضر من أركان الدولة السلطانية والخاص والعام وكان يوماً حافلاً»(١٥٢).

ولد الشيخ كمال الدين في القدس سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م «ونشأ بها في عفة وصيانة وتقوى وديانة لم يعلم له صبوة ولا ارتكاب محظور، وحفظ القرآن». ودرس بعض متون كتب الفقه الشافعي والحديث والنحو وأصول الفقه، وقد أذن له بالتدريس سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م ثم رحل إلى القاهرة، وأخذ عن علماء الإسلام فيها وعاد إلى القدس. وكان يداوم التردد على القاهرة كما سمع الحديث في مكة والمدينة:

«ولم يزل حاله في ازدياد وعمله في اجتهاد، فصار نادرة وقته وأعجوبة زمانه إماماً في العلوم محققاً لما ينقله، وصار قدوة بيت المقدس ومفتيه وعين أعيان المعيدين بالمدرسة الصلاحية».

وبعد فترة من تسلمه للإعادة في الصلاحية سافر إلى القاهرة واجتمع بالسلطان الذي رحب به حيث «نزل عن سرير الملك وتلقاه وأكرمه وفوض إليه مشيخة الصلاحية» وكان ذلك سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م:

«وباشر تدريس الصلاحية والنظر عليها مباشرة حسنة وعمرها وأوقافها، وشدد على الفقهاء وحثهم على الاشتغال وعمل بها الدروس العظيمة، فكان يدرس فيها أربعة أيام في الأسبوع فقهاً وتفسيراً وأصولاً وخلافاً، وأملى فيها مجالس من الأحاديث... واستمر بها أكثر من سنتين».

ثم توجه «إلى القاهرة المحروسة واستوطنها وتردد إليه الطلبة والفضلاء واشتغلوا عليه في العلوم وانتفعوا به وعظمت هيبته وارتفعت كلمته عند السلطان وأركان الدولة». ودام به الحال حتى أسندت إليه مشيخة الأشرفية، وعندها:

«حصل للمدرسة المشار إليها وللأرض المقدسة، بل ولسائر مملكة الإسلام الجمال والهيبة والوقار بقدومه وانتظم أمر الفقهاء وحكام الشريعة المطهرة بوجوده وبركة علومه، ونشر العلم وأمر

بالمعروف ونهى عن المنكر وازداد شأنه عظماً، وعلت كلمته ونفذت أوامره عند السلطان فمن دونه، وبرزت إليه المراسيم الشريفة في كل وقت بما يحدث من الوقائع والنظر في أحوال الرعية، وترجم فيها بالجناب العالي شيخ الإسلام، ووقع له ما لم يقع لغيره ممن تقدمه من العلماء والأكابر، وبقي صدر المجالس وطراز المحافل، المرجع في القول إليه، والتعويل في الأمور كلها عليه، وقلده أهل المذاهب كلها، وقبلت فتواه على مذهبه ومذهب غيره ووردت الفتاوى إليه من مصر والشام وحلب وغيرها، وَبَعُدَ صيته وانتشرت مصنفاته في سائر الأقطار، وصار حجة بين الأنام في سائر ممالك الإسلام».

توفي الشيخ كمال الدين سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م. ومن المدهش أن صاحب **الأنس الجليل** ختم كتابه بالحديث عن مصنفاته وسماته الشخصية[١٥٣] وحين فعل ذلك ختم الحديث عن تاريخ فترة عاشتها القدس حاضرة لفلسطين ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً، فترة كانت عصر ازدهار رائعة ولم تكن أبداً من عصور الانحطاط. وقد انتهت هذه الفترة المعطاءة مع الاحتلال العثماني، وبذلك تعطلت جميع مؤشرات التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت البلاد مقبلة عليها.

على أنه لا بد من الإشارة إلى أنه كان في القدس مدارس أخرى غير التي ذكرتها، كما أن مدن فلسطين الكبرى مثل صفد وغزة والخليل والرملة حوت كل منها أكثر من مدرسة. أضف إلى هذا أن الحركة العلمية لم تكن وقفاً على المدارس وحدها، بل شاركها في ذلك أروقة الحرم القدسي، والزوايا والرباطات والخوانق ودور القرآن والحديث ودور الكُتّاب والأيتام، ونظراً لكثرة هذه المؤسسات وحجمها وتعدادها الهائل مع المدارس يخرج المرء بانطباع يفيد أن القدس كانت في العصر المملوكي مدينة علم وعلماء فقط.

وكانت دور القرآن تتولى إقراء القرآن وكل ما يتعلق به من تفسير وتجويد وأسباب نزول وأحكام، وكان لكل دار شيخها ونظامها وأوقافها. وشهر من بين دور القرآن «السلامية» أوقفها سراج الدين عمر ابن أبي بكر السلامي سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠م، وأقامها في طريق باب السلسلة[١٥٤]. وشغلت هذه المدرسة دوراً في الحركة الثقافية، وقد تولى مشيختها عدد من كبار العلماء كان منهم: الشيخ المقرىء عبد الله بن إبراهيم البسكري المغربي المالكي، قدم إلى القدس وقرر المجاورة في المسجد، وكان عالماً بالقراءات وغيرها لا سيما في فقه المالكية، وقد أقرأ القرآن ودرس القراءات وأخذ عنه الطلبة وانتفعوا به، واستمر قائماً على عمله حتى سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٦م وذلك عن عمر يقارب التسعين سنة[١٥٥].

وتولى مشيخة هذه الدار مغربي آخر هو الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الجابري، وسبقت الإشارة إليه أنه تسلم مشيخة المدرسة السلامية[١٥٦]. وظل متولياً لمشيخة هذه الدار حتى توفي في سنة ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م فخلفه ابنه كمال الدين أبو البركات محمد بن شمس الدين وكان أيضاً قد تولى مشيخة المدرسة السلامية، ومن المقدر أنه بقي في منصبه حتى نهاية العصر المملوكي[١٥٧].

وكما عنيت دور القرآن بالقرآن الكريم وعلومه، عنيت دور الحديث برواية الحديث رواية ودراية مع معرفة أحكامه وقواعده وأصوله ورجاله وأنواعه وأسانيده وطرقه مع بعض ما تعلق به من فقه وتفسير وسيرة ولغة. ولشدة اهتمام المسلمين بعلوم الحديث بنى نور الدين محمود بن زنكي أول جامعة للحديث في دمشق للمؤرخ ابن عساكر وتم اقتفاء هذه الخطوة فبنيت دور الحديث في مختلف مدن الشام ونالت مدينة القدس النصيب الأوفى، وكان من بين دور الحديث التي شهرت بها:

● **دار الحديث الهكارية**: أوقفها سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م الأمير شرف الدين عيسى بن محمد الهكاري (ـ ٦٦٩هـ / ١٢٧١م) وكان مهتمّاً بعلوم الحديث، وقد تولى مشيختها عدد من المحدثين كان منهم: علاء الدين أبو الحسن علي بن عثمان الحواري (٧٥٤ ـ ٨٣٣هـ / ١٣٥٣ ـ ١٤٣٠م)، وكان من كبار العلماء قدم من مصر إلى القدس سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٩م فتولى التدريس بالصلاحية نيابة، وفي المدرستين البدرية واللؤلؤية، وظل قائماً على مشيخة دار الحديث الهكارية حتى تاريخ وفاته[١٥٨].

وقد خلفه ابنه زين الدين أبو حفص عمر بن علي بن عثمان الحواري، حيث انه «استقر في جميع وظائف أبيه الهكارية، والبدرية، واللؤلؤية، والإعادة بالصلاحية» ويرجح أنه قد درس الحديث والعلوم المتعلقة به حتى وفاته في سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م[١٥٩].

● **دار الحديث التنكزية**: وتعرف أيضاً باسم «دار الحديث السيفية». وقد تقدم القول غير مرة أن نائب الشام تنكز كان صاحب منشآت كثيرة في القدس كان من جملتها مدرسته، وقد أوقف دار الحديث في سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م.

وتولى مشيخة هذه الدار عدد من علماء الحديث كان منهم صلاح الدين العلائي، وكان صاحب تجربة واسعة في ميدان

تدريس الحديث في دمشق، وقد تولى في القدس التدريس في المدرسة الصلاحية، وجمع مع عمله فيها التدريس في دار الحديث هذه، واستمر قائمًا على عمله حتى وفاته في سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠م(١٦٠).

ويرجح أن الذين تولوا التدريس في المدرسة التنكزية قد درسوا أيضاً في دار الحديث هذه، علمًا بأن الحديث كان واحداً من بين الموضوعات التي جرى تدريسها في المدرسة التنكزية.

وأشرنا من قبل إلى شدة الاهتمام بالتصوف في العصر المملوكي، وفي الحقيقة سيطر التصوف على مجمل مناحي التفكير الديني الإسلامي. ولهذا تم الإكثار من بناء زوايا التعبد والرباطات والخوانق. وكان نصيب القدس منها كبيراً. وأوقف على كل منها الأوقاف الكبيرة ذات الموارد الكافية لتغطية نفقات إطعام الطلاب والمنقطعين للعبادة والأساتذة والشيوخ. وتفاوتت أحجام هذه المنشآت وتباينت أدوارها الدينية وكان لها على العموم أثرها الفعال في ميادين التعليم، حيث كان بعضها يقوم بما كانت تقوم به المدارس وقام بعضها الآخر بدور كتّاب الأطفال ودور الأيتام(١٦١).

وكان من بين هذه المنشآت:

● **الخانقاه الفخرية**: أوقفها القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله (ـ ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م)، وكان من المعتنين بالعلم والعلماء تولى بناء عدد من المدارس في نابلس ودمشق، كما أقام بيمارستاناً في الرملة، وقد انتفع به خلق جم وكانت له أوقاف كبيرة أوقفها على مؤسساته(١٦٢).

كان حجم هذه المنشأة كبيراً وقد تولى مشيختها من العلماء الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن حامد، وكان قد نشا في القدس وهنالك تعلم حيث حفظ القرآن وبعض متون كتب القراءات والفقه والنحو، ولقي العلماء وأخذ عنهم حتى تخرج وحصل على عدد من الإجازات. وتعمق في ميادين التصوف نظرياً وتطبيقياً فأهّلَه ذلك لتولي مشيخة الفخرية، حيث أقبل عليه الطلاب والمريدون. وظل يشتغل بالعلم والتصوف حتى أخريات أيّامه، فقد توفي سنة ١٤٥٠م عن سن ناهز المائة سنة(١٦٣).

وتولى مشيخة الفخرية بعده ابنه شمس الدين محمد، وكان مثل أبيه نشأة وثقافة، وقد تولى الإعادة في الصلاحية ثم أسندت إليه مشيخة الفخرية، وقد استمر في عمله حتى وفاته في سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م(١٦٤).

● **الزاوية الوفائية**: أوقفها سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م تاج الدين أبو الوفاء محمد «بباب الناظر تجاه المدرسة المنجكية، وعلوها دار من معاليمها تعرف بدار الشيخ شهاب الدين بن الهائم، ثم عرفت ببني أبي الوفاء لسكنهم بها»(١٦٥).

لقد أسست أسرة أبي الوفاء طائفة صوفية أخذت اسمها منها، ولهذا تعاقب على مشيخة الزاوية الوفائية علماء من هذه الأسرة كان أولهم موقفها تاج الدين ثم تلاه ابنه تقي الدين أبو بكر، وقد سبق ذكره أثناء الحديث عن المدرسة الحسنية وشيوخها، لأنه كان منهم «وكان رجلاً كريماً معظماً للواردين إليه كثير التودد للناس، مستجلباً للقلوب، له حظ من صيام وصلاة وتلاوة واعتكاف، انتهت إليه رئاسة الفقراء بالقدس الشريف، وألبس خرقة الوفائية عن والده» توفي سنة ٨٥٩هـ / ١٤٥٥م.

صار تقي الدين أبو بكر شيخ الصوفية في القدس بلا منازع وقد قام بدور اجتماعي وعلمي كبير وتخرج عليه عدد من العلماء كان منهم ابن أخيه برهان الدين أبو إسحق إبراهيم ذلك أنه كان يندبه «في المهمات ويصرفه في كثير من الأحوال دون غيره من الأولاد والأقارب»(١٦٦). وآلت إليه مشيخة الوفائية، فقد كان قد حفظ القرآن وبعض متون كتب النحو وصحب الشيوخ وتخرج عليهم حتى «صار لا يماثل في المهمات والإقدام على الأمور المشكلات، والكرم الزائد إلى النهاية، وتلقي الواردين وتربية المريدين». وقد ظل قائماً على عمله حتى توفي سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م(١٦٧).

ثم صارت المشيخة إلى تاج الدين أبي الوفاء محمد بن تقي الدين، وقد جمع هذه المشيخة مع مشيخة المدرسة الحسنية، وتوفي تاج الدين سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م. ويبدو أنه اشترك مع أخيه شهاب الدين أحمد في المشيخة، ذلك أنه جرت العادة على اعتبار العلماء من آل أبي الوفاء مشايخ للصوفية في زاويتهم فوالد برهان الدين وصف بأنه كان أحد مشايخ الوفائية «وكان له مريدوه وفقراؤه»(١٦٨).

صار شهاب الدين شيخاً للوفائية، وقد تبنى المذهب الحنفي عوضاً عن المذهب الشافعي «وكان له ذكاء مفرط ينظم الشعر الحسن، وكان حسن الشكل طيب النغمة في الذكر» وظل قائمًا على عمله في الوفائية حتى سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م حين توجه إلى الدولة العثمانية، فتعرف أولاً إلى أركان الدولة في إسطنبول وتوصل إلى السلطان واجتمع به «فأكرمه وبالغ في تعظيمه ورتب له ما يقوم بكفايته. واجتمع الناس عليه وانتظم له الحال وتعين في

بلاد الروم، وصار لهم فيه اعتقاد، واستمر على ذلك إلى أن توفي» سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م[١٦٩].

ومع أواخر القرن التاسع للهجرة تولى مشيخة هذه الزاوية شمس الدين محمد بن أحمد، وكان تاجراً صاحب اهتمامات علمية «وكان خيِّراً مباركاً مثابراً على الخير والأعمال الصالحة والإحسان إلى الفقراء، وكان شيخ الطائفة الوفائية ويتعاطى التسبب بالبزازة بسوق التجارة بالقدس» توفي سنة ٨٩٦هـ / ١٤٩١م[١٧٠].

● **زاوية المغاربة**: أوقف هذه الزاوية سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٤م الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد وكان رجلاً صالحاً. أنشأ هذه الزاوية من ماله وكان مقرها في أعلى حارة المغاربة، ذلك أنه وجد في القدس جالية كبيرة جداً من أهل الغرب الإسلامي من أتباع المذهب المالكي، وقد أوقف المجرد زاويته «على الفقراء والمساكين» نظراً لكثرتهم بين الوافدين على القدس[١٧١].

وتولى مشيخة هذه الزاوية عدد من المغاربة الذين قدموا إلى القدس، وقد كان لهؤلاء دورهم المؤثر في الحركة الثقافية، وكان منهم: الشيخ خليفة بن مسعود:

> «العالم الصالح صاحب الكرامات، ولد سنة تسع وأربعين وسبعمائة، اشتغل ببلاده وقدم إلى بيت المقدس على طريق السياحة في سنة أربع وثمانين وسبعمائة، فحج إلى بيت الله الحرام ورجع، وظهرت له مكاشفات، ثم ولي مشيخة المغاربة بالقدس، وإمامة المالكية بالمسجد الأقصى الشريف».

كان خليفة من المتعمقين بالتصوف، قرأ كتب ابن عربي وأقرأها أثناء وجوده في القدس، وأقبل عليه التلاميذ والمريدون ونال شهرة كبيرة «وتزايد اعتقاد الناس فيه»، وظل مقيماً بالقدس قائماً بوظائفه حتى وفاته في سنة ٨٣٣هـ / ١٤٣٠م[١٧٢].

وتولى مشيختها بعده ابنه الشيخ شمس الدين محمد بن خليفة بن مسعود، وسبق لنا الحديث عنه بين شيوخ المدرسة الغادرية[١٧٢].

وولي مشيختها أيضاً الشريف شرف الدين عيسى بن عمر الحسني المغربي، قدم إلى القدس «وكان يحفظ القرآن وله مشاركة في فقه المالكية». وتولى تدريس هذا الفقه مع التصوف في الزاوية، وأقام طويلاً في القدس، ثم حصل له ضعف في بدنه، وتوجه من القدس إلى جهة حلب فتوفي في سنة سبع وتسعين وثمانمائة (١٤٩٢م)[١٧٣].

ثم آلت مشيختها إلى شيخ اسمه قاسم المغربي، ولا نعرف عن هذا الشيخ شيئاً سوى أنه توفي سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٣م[١٧٤].

واستقر في المشيخة بعد وفاته القاضي كمال الدين أبو البركات محمد ابن الشيخ خليفة، وورد التوقيع الشريف عليه بذلك[١٧٥].

ويدل هذا على أن شيخ الزاوية كان يعين بمرسوم سلطاني، وفي هذا دليل على مكانتها ودورها الكبير الذي شغلته.

● **الزاوية البسطامية**: عرف بالقدس زاويتان حملتا هذا الاسم، الأولى في «سفل صحن الصخرة من جهة الشرق عند الزيتون، وهي مكان مأنوس كان يجتمع فيه الفقراء البسطامية لذكر الله تعالى»[١٧٦]، وأما الثانية فكانت بحارة المشارقة وأوقفها الشيخ عبد الله البسطامي، وكانت الزاوية موجودة قبل سنة سبعين وسبعمائة (١٣٨٧م)[١٧٧].

وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن الزاوية الأولى ذلك أنها كانت مغلقة أيام صاحب **الأنس الجليل**، فهنالك بعض المعلومات عن الثانية من خلال تراجم عدد من العلماء الذين تولوا مشيختها.

ويبدو أن تاريخ تأسيس هذه الزاوية يعود إلى ما قبل سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٩م ذلك أن أول شيوخها الذي أسست الزاوية من أجله، توفي سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠م ودفن فيها، وهو «الشيخ الإمام العالم العامل الصالح القدوة الكبير الزاهد مربي الطالبين مرشد السالكين ولي الله في العالمين الشيخ علي الصفي البسطامي»[١٧٨].

وكان من الذين تخرّجوا عليه الشيخ عبد الله بن خليل بن علي الأسد أباذي وهو الذي تولى إيقاف الزاوية، كما «كان من أولياء الله تعالى العارفين، وله أحوال ظاهرة».

نشأ الأسد أباذي في بغداد وتعلم فيها، ولما قدم الشيخ علي البسطامي من خراسان تعلق به «ولازمه وسلك طريقه وصحبه إلى الشام ثم إلى بيت المقدس وترك ما كان فيه ببغداد»، وكان صاحب وظائف عالية فيها «ونعمة ظاهرة، وعمل الخلوات إلى أن اشتهر أمره وعلا شأنه».

وقام بعد وفاة شيخه مقامه وانصرف نحو «تربية المريدين وتأديب الطالبين» وكثر عدد الذين أخذوا عنه وكانوا من مريديه، وظل قائماً على عمله حتى وفاته في سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٢م[١٧٩].

وكان الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الكردي الحلبي

البسطامي من بين الذين تسلموا مشيخة الزاوية البسطامية، فقد «كان صوفياً مباركاً» صحب عدداً من كبار علماء القدس، «وكان ينسخ الكتب وخطه جيد وهو من جملة الفقهاء بالمدرسة الصلاحية والصوفية بالخانقاه، وكان متواضعاً قليل الكلام فيما لا يعنيه».

لقد عقد الشيخ شهاب الدين مجالس الذكر في الزاوية البسطامية ووعظ ودرس التصوف وأقام مثابراً على عمله هذا حتى سنة وفاته في ٨٨١هـ / ١٤٧٦م(١٨٠).

وكانت البسطامية مقراً لبعض مشاهير الصوفية في قدس العصر المملوكي وكان من هؤلاء:

«الشيخ شمس الدين محمد بن عيسى البسطامي الشافعي الشهير بأخي زرع، كان رجلاً صوفياً من فقراء البسطامية، وكان يحفظ القرآن ويقرىء الأطفال بالمدرسة الطازية، وهو رجل خير، استقر في أواخر عمره في بوابة الخانقاه الصلاحية وهو من جملة الصوفية بها وبالجوهرية ومن الفقهاء بالصلاحية».

وقد استمر يسكن البسطامية حتى وفاته في سنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م(١٨١).

● **زاوية القرمي:** أنشأها وأوقفها الأمير ناصر الدين محمد بن علاء الدين شاه الجيلي، وكان من أمراء العشرات بغزة، مقيماً بالقدس، وقد تأثر كثيراً بالشيخ محمد القرمي إلى حد أنه أوقف عليه وعلى ذريته ثلث ممتلكاته وابتنى له زاوية نالت تسميتها منه.

وكان القرمي من أصل تركماني ولد سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م، والتحق منذ فترة مبكرة من حياته بحلقات العلماء ولا سيما المتصوفة منهم، وقدم إلى دمشق،

«فأقام بها ثم تحول إلى بيت المقدس، فأقام بها مستوطناً مقبلاً على شأنه من العبادة والتخلي عن الدنيا والانقطاع وإدامة الذكر والتلاوة إلى أن شاع ذكره واشتهر أمره وكثرت أتباعه... وكان وجيهاً عند الخاصة والعامة مقبول القول عند الملوك لا ترد شفاعته».

نشط القرمي بالقدس في مجالات التصوف ومجالات الحديث، وكان ينظم الشعر، واستمر يعيش بالقدس حتى وفاته في سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م(١٨٢).

وتاريخ الرباطات في بلاد الشام قديم، حيث أقيمت على شاطىء المتوسط. وكان يقيم بها متطوّعة لحراسة الثغور، ورابط فيها فيما بعد الزهاد من العلماء. وشغلت الرباطات دوراً كبيراً في تاريخ العرب والإسلام ولا سيما في الشمال الافريقي. وقد باتت الرباطات في العصر المملوكي أماكن تستقبل الوافدين الفقراء وتقدم لهم الأطعمة والأكسية مع دروس في مختلف الميادين لا سيما التصوف والزهد(١٨٣).

● **رباط علاء الدين البصير:** بناه بباب الناظر وأوقفه الأمير علاء الدين أيدغدي بن عبد الله الصالحي، كان من كبار أمراء دولة الظاهر بيبرس، وقد أُضِرَّ أثناء خدمته، فاتخذ القدس سكناً له وولي نظر الحرمين الشريفين أيام بيبرس ثم أيام المنصور قلاوون «وكان مهيباً لا تخالف مراسيمه».

وقد أقام هذا الأمير عدة منشآت في القدس والخليل، واهتم بمسألة سماط الخليل عليه السلام، وكان يقام كل يوم خميس «فما مات إلا والسماط في كل يوم غرارتان قمحاً، وهذا يعد من حسن سيرته وطيب أيامه وكان يباشر الأمور بنفسه وله حرمة وافرة» توفي سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م ودفن برباطه(١٨٤).

تم إيقاف هذا الرباط سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م، فعلى بابه لوح من رخام نقش عليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم... هذا ما وقف الأمير علاء الدين أيدغدي الركني، وقف جميع داخل هذا الباب من الأقباء والساحة على الفقراء الواردين لزيارة القدس الشريف، وقفاً مؤبداً في سنة ست وستين وستمائة»(١٨٥).

● **الرباط المنصوري:** أوقفه تجاه رباط البصير السلطان المنصور قلاوون سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م، فعلى بابه نقش على لوح من الرخام:

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله بفضله كل شيء، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، أمر بعمارة هذا الرباط، ووقفه على الفقراء وزوار القدس الشريف مولانا السلطان الملك المنصور أبو الملك سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي، أدام الله أيامه وتقبل منه، سنة إحدى وثمانين وستمائة».

تألف هذا الرباط شأنه شأن غيره من عدد من القاعات والغرف(١٨٦) والخلوات وكانت تقدم فيه الخدمات وتعقد حلقات التدريس والوعظ.

هذا، وحوت القدس عدداً آخر من الرباطات مثل: رباط الكرد، ورباط الملك نجم الدين والرباط المارديني(١٨٧). ويلاحظ أنها جميعاً قدمت الخدمات للوافدين من الرجال وقد عرفت بعض المدن الإسلامية الرباطات الخاصة بالنساء، أو الرباطات المشتركة.

الملاحق

ملحق رقم (١)
جدول تاريخي بأسماء السلاطين المماليك

(عندما تتوافق نهاية حكم أحد السلاطين مع بداية حكم آخر يذكر تاريخ وصول السلطان الأول).

١ ـ المماليك البحرية:

هـ م

١٢٥٠/٦٤٨ ـ شجر الدر.
١٢٥٠/٦٤٨ ـ المعز عز الدين أيبك.
١٢٥٧/٦٥٥ ـ المنصور نور الدين علي.
١٢٥٩/٦٥٧ ـ المظفر سيف الدين قطز.
١٢٦٠/٦٥٨ ـ الظاهر ركن الدين بيبرس الأول البندقداري.
١٢٧٧/٦٧٦ ـ الملك السعيد ناصر الدين بركة خان بن بيبرس.
١٢٨٠/٦٧٨ ـ العادل بدر الدين سلامش.
١٢٨٠/٦٧٨ ـ الملك المنصور سيف الدين قلاوون.
١٢٩٠/٦٨٩ ـ الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون.
١٢٩٤/٦٩٣ ـ الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون (مرة أولى).
١٢٩٤/٦٩٤ ـ الملك العادل زين الدين كتبغا.
١٢٩٦/٦٩٦ ـ الملك المنصور حسام الدين لاجين.
١٢٩٩/٦٩٨ ـ الملك الناصر محمد (المرة الثانية).
١٣٠٩/٧٠٨ ـ الملك المظفر ركن الدين بيبرس الثاني الجاشنكير (البرجي).
١٣١٠/٧٠٩ ـ الملك الناصر محمد (المرة الثالثة).
١٣٤١/٧٤١ ـ الملك المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد.
١٣٤١/٧٤٢ ـ الملك الأشرف علاء الدين قجق بن الناصر محمد.
١٣٤٢/٧٤٣ ـ الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد.
١٣٤٣/٧٤٣ ـ الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد.
١٣٤٥/٧٤٦ ـ الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد.
١٣٤٧/٧٤٧ ـ الملك المظفر سيف الدين حاجي الأول بن الناصر محمد.
١٣٤٧/٧٤٨ ـ الملك الناصر ناصر الدين الحسن بن الناصر محمد (المرة الأولى).
١٣٥١/٧٥٢ ـ الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد.
١٣٥٤/٧٥٥ ـ الحسن (مرة ثانية).
١٣٦١/٧٦٢ ـ الملك المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي.
١٣٦٣/٧٦٤ ـ الملك الأشرف ناصر الدين شعبان الثاني.
١٣٧٦/٧٧٨ ـ الملك المنصور علاء الدين علي بن شعبان.
١٣٨٢/٧٨٣ ـ الملك الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان الثاني.

٢ ـ المماليك البرجية الشراكسة:

١٣٨٢/٧٨٤ ـ الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن أنس العثماني اليلبغاوي.
١٣٨٩/٧٩١ ـ الملك الصالح حاجي (مرة ثانية، توفي ١٤١٢/٨١٤) ولقبه الملك المظفّر.
١٣٩٠/٧٩٢ ـ برقوق (مرة ثانية).
١٣٩٩/٨٠١ ـ الملك الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق (مرة أولى).
١٤٠٥/٨٠٨ ـ الملك المنصور عز الدين عبد العزيز بن برقوق.
١٤٠٥/٨٠٨ ـ فرج (مرة ثانية).
١٤١٢/٨١٥ ـ الخليفة العباسي المستعين.
١٤١٢/٨١٥ ـ الملك المؤيد سيف الدين شيخ المحمودي.
١٤٢١/٨٢٤ ـ الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ.
١٤٢١/٨٢٤ ـ الملك الظاهر سيف الدين ططر.
١٤٢١/٨٢٤ ـ الملك الصالح ناصر الدين محمد بن ططر.
١٤٢٢/٨٢٥ ـ الملك الأشرف سيف الدين برسباي.
١٤٣٧/٨٤١ ـ الملك العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي.
١٤٣٨/٨٤٢ ـ الملك الظاهر سيف الدين جقمق.
١٤٥٣/٨٥٧ ـ الملك المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق.
١٤٥٣/٨٥٧ ـ الملك الأشرف سيف الدين إينال العلائي الظاهري الأجرود.
١٤٦١/٨٦٥ ـ الملك المؤيد شهاب الدين أحمد بن إينال.
١٤٦١/٨٦٥ ـ الملك الظاهر سيف الدين خشقدم.
١٤٦٧/٨٧٢ ـ الملك الظاهر سيف الدين يلباي.
١٤٦٧/٨٧٢ ـ الملك الظاهر تمربغا.
١٤٦٨/٨٧٢ ـ الملك الأشرف سيف الدين قايتباي.

٩٠١/١٤٩٦ ـ الملك الناصر محمد بن قايتباي.
٩٠٤/١٤٩٨ ـ الملك الظاهر قانصوه.
٩٠٥/١٥٠٠ ـ الملك الأشرف جانبلاط.
٩٠٦/١٥٠١ ـ الملك العادل سيف الدين طومان باي.
٩٠٦/١٥٠١ ـ الملك الأشرف قانصوه الغوري.
٩٢٢/١٥١٧ ـ الملك الأشرف طومان باي.

ملحق رقم (٢)
نص رسالة هولاكو إلى السلطان المظفر قطز
ـ نقلاً عن كتاب السلوك للمقريزي ـ
(٤٢٧/١ ـ ٤٢٩)

من ملك الملوك شرقاً وغرباً، القان الأعظم. باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء. يعلم الملك المظفر قطز، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم، يتنعمون بأنعامه، ويقتلون من كان في سلطانه بعد ذلك. يعلم الملك المظفر قطز، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، أنا نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطنا على من حل به غضبه. فلكم بجميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، وأسلموا إلينا أمركم، قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ويعود عليكم الخطأ. فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكى. وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد، وطهرنا الأرض من الفساد، وقتلنا معظم العباد. فعليكم بالهرب وعلينا الطلب. فأي أرض تأويكم، وأي طريق تنجيكم، وأي بلاد تحميكم؟ فما من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص. فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال. فالحصون لدينا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يسمع. فإنكم أكلتم الحرام، ولا تعفون عند كلام، وخنتم العهود والأيمان، وفشا فيكم العقوق والعصيان. فأبشروا بالمذلة والهوان، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم. فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا؛ وإن خالفتم هلكتم، فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم. فقد حذر من أنذر، وقد ثبت عندكم أنْ نحن الكفرة، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة، وقد سلطنا عليكم من له الأمور المقدّرة والأحكام المدبرة. فكثيركم عندنا قليل، وعزيزكم عندنا ذليل، وبغير الأهنة ما لملوككم عندنا سبيل. فلا تطيلوا الخطاب، وأسرعوا برد الجواب، قبل أن تضرم الحرب نارها، وترمي نحوكم شرارها، فلا تجدون منا جاهاً ولا عزاً، ولا كافياً ولا حِرْزاً، وتُدهون منا بأعظم داهية، وتصبح بلادكم منكم خالية. فقد أنصفناكم إذ راسلناكم وأيقظناكم إذ حذرناكم، فما بقي لنا مقصد سواكم. والسلام علينا وعليكم، وعلى من أطاع الهدى، وخشي عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى.

ألا قل لمصر ها هلاون قد أتى
بحد سيوف تنتضى وبواتر
يصير أعز القوم منها أذلة
ويلحق أطفالاً لهم بالأكابر

ملحق رقم (٣)
وصف فلسطين نقلاً عن كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر تصنيف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري ـ شيخ الربوة
(٢١٠ ـ ٢١٣)

والقسم السادس مملكة صفد ومضافاتها وصفد حصن بقبة جبل كنعان في أرض الجرمق كانت قرية فبني مكانها حصن سميت صفت ثم قيل صفد، وهو حصن منيع وكان بها طائفة من الفرنج يقال لهم الداوية فحصرهم فيها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وفتحها وقتل كل من فيها على رأس تل بالقرب منها ثم رماها وبنى في وسطها برجاً مدوراً سماه قلة ارتفاعه في السماء مائة وعشرون ذراعاً وقطره سبعون ذراعاً وإلى سطحه طريقتان يصعد في الطريق إلى أعلاه خمسة أفراس صفا بلا درج في ممشى حلزون وهو ثلاث طبقات أبنية ومنافع وقاعات ومخازن وتحت كله بئر للماء من الشتاء يكفي لأهل الحصن من الحول إلى الحول أشبه بمنارة اسكندرية وبهذا الحصن بئر تسمى الساتورة وعمقه مائة وعشرة أذرع في ستة أذرع بذراع النجار، والدلاء التي لها بتاتي من الخشب تسع البتية نحو قلة من الماء وهما بتيتان في حبل واحد يسمى سرباق كغلظ زند الإنسان وكلما وصلت بتية إلى الماء وصلت الأخرى إلى رأس البئر وكلما وصلت واحدة إلى رأس البئر وصلت الأخرى إلى الماء. وعلى رأس البئر ساعدان من حديد بكفين وأصابع تتعلق الأصابع في حافة البتية الملآنة وتجذبها الكفان فينصب الماء في حوض يجري فيه إلى مقره فإذا انصب الماء من البتية حصل القصد. والجاذب لهاتين البتيتين مرمة هندسية بقسي ودوائر وحركات لا يزال ذلك السرباق راكباً على بكرته طرداً وعكساً يمنة ويسرة وحول المرمة بغال معلمات تدور بذلك فإذا سمع البغل الدائر خرير الماء وجر السلسلة انقلب راجعاً على

عقبه ودار يمشي في مرتبته بخلاف ما كان يمشي إلى أن يسمع خرير الماء وجر السلسلة فينقلب دائراً إلى خلاف دورته كذلك أبداً وهي من أعاجيب الدنيا. فإذا وقف واقف وتكلم كلمة واحدة في رأس البئر سمع رجع صوته بتلك الكلمة نازلاً نحو لحظة جيدة حتى يبلغ الماء ثم يعود إليه فيسمعه كما قالها فإن صاح وغلب سمع دوياً واضطراباً بذلك الصياح كالرعود لبعد الماء وعمقه. والكفان الحديد مثلهما في وضعهما كهذه الهيئة والله أعلم.

ومن البلاد والأعمال المضافة إلى صفد ثغر شقيف وهو حصن منيع فتحه الملك الظاهر من الإفرنج وله عمل واسع ونهر ليطة [الليطاني] يمر تحت جبله.

ومعليا قلعة مليحة جبلية حصينة وبأرض معليا القرين قلعة مليحة منيعة بين جبلين كان ثغراً للفرنج فتحه الملك الظاهر ره وله واد نزه معروف به من أنزه البقاع وبه من الكمثرى المسكي المعطر الرائحة الطيب الطعم ما لا بغيره ومن الإترنج ما تكون الثمرة الواحدة نحو ستة أرطال دمشقية. وجبل عاملة عامرة بالكروم والزيتون والخروب والبطم وأهله رافضة (إمامية) وجبل جبع كذلك أهله رافضة وهو جبل عال كثير المياه والكروم والفواكه. وجبل جزين كثير المياه والفواكه وقلعة شقيف تيرون قلعة حصينة على جبل عال ولها عمل (ولها) نائب ولم يحكم عليها منجنيق. وجبل تبنين وله قلعة ولها أعمال وولاية وهم رافضة إمامية. وقلعة هونين وهي على حجر واحد ولها أعمال والخيط وهو قطعة من الغور الأعلى شبيه بأرض العراق في الأرز والطير والماء السخن والزروع المنجبة. ومن أعمال صفد مرج عيون. وأرض الجرمق وهي مدينة قديمة عادية كانت بها طائفة من العبرانيين ينسبون إليها يقال لهم الجرامقة. والكنعانيون بوادي كنعان بن نوح عم ومن عملها جبل بقيعة وبه قرية يقال لها البقيعة لها أمياء جارية ولها سفرجل مليح وبه قرى كثيرة الزيتون والفواكه والكرم وجبل الزابود مشرف على صفد والزابود قرية وبها أيضاً قرى كثيرة وأهل هذا الجبل دروز وحاكمية وأمرية وهم قوم دهرية حلولية يكذبون الرسل وينكرون الشرائع ويعتقدون التناسخ وأن لا بعث ولا نشور ويأكلون لحم الخنزير والميتة (ولا يصومون ولا يصلون ولا يحجون ولا يزكون) ويعتقدون أن الحاكم ظهر مظهر الإله تع وتقدس عما يقولون علواً كبيراً. ومن عملها طبرية وكانت قصبة الأردن وهي مدينة مستطيلة على شاطىء بحيرتها وطول البحيرة اثنا عشر ميلاً وعرضها ستة أميال والجبال تكتنفها، ومنها يخرج نهر الشريعة ويصب في بحيرة زغر وعلى شاطىء بحيرة طبرية منابع حارة شديدة الحرارة تسمى الحمامات وماء هذه المنابع ملحي كبريتي نافع من ترهل البدن ومن الجرب الرطب ومن غلبة البلغام وافراط العبالة يقال أن في البحيرة قبر سليمان بن داود عم وحطين بها قبر شعيب عم وعلى هذه القرية كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والافرنج (وكان ملك المسلمين صلاح الدين) وكسر الإفرنج على قرن حطين وقتل منهم خلق كثير وأسر ملوكهم وبنى على قرن حطين قبة يقال لها قبة النصر ومن أعمالها كفركنا وهي قرية كبيرة بها مقدمو العشائر ورؤساء الفتن والهوى يسمون قيس الحمراء ولها من الأعمال البطّوف ويسمى مرج الغرق وهي بين جبال محيطة بها من كل مكان ومياهه الأمطار تجتمع فيها فتصير بحيرة متسعة تشرب مياهها الأرض وكل ما جف مكان منها زرعوه الزراع كما يفعلون أهل مصر ومن أعمال صفد أيضاً مدينة الناصرة وهي مدينة عبرانية تسمى ساعير ومنها ظهر المسيح عم وموضع البشارة به من الملائكة لأمه مريم عم معروف يزوروه النصارى وغيرهم وفي التوراة تسميتها وتسمية مكة شرفها الله تع لتبين رسالتي المسيح ومحمد صلعم وذلك ما ترجمته جاء الله من سينا (يعني موسى بن عمران) والتوراة وأشرق من ساعير وجبال الساعير يعني المسيح الناصري الذي خرج من الناصرة وجبال الساعير جبال الناصرة واستعلن بفاران وبرية فاران يعني مكة والحجاز (ونبينا محمد صلعم والقران) وأهل الناصرة كانوا مفتاح دين النصرانية ومنشأه وأساسه وذلك في زمن قسطنطين وسنقص القصة في مكانها إن شاء الله ومن أعمال صفد مدينة اللجون وهي مضافة إلى العشير والهوى واليمن أهل الناصرة، كما أهل كفركنا قيس ولهذا القسم أيضاً جينين وهي مدينة صغيرة ولها عمل ومن أعمال صفد عكا وصور وأعمالها وصيدا وأعمالها وهي مدن قديمة ولهما أعمال كبار ويقال إن الاسكندر نزل صور فلم يصل إليها من سهامه سهم ولا من حجارة مجانيقه حجر فأرسل من أهله خفية من أهلها ورجع فأخبره أن قوماً قد صرفوا هممهم إلى صرف ما ترمونهم به فاجتمع رأي من مع الاسكندر في وضع الكوسات وأن يضربون عليها في وقت واحد عند السحر ويزحفون مع الضرب لها ففعلوا وفتحوها حين اشتغلت قلوب أولئك وتشوشت خواطرهم ففاتهم ومدينة عكا بناها عبد الملك بن مروان وغلبت عليها النصارى ثم فتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو الملك الناصر لم يفتح صور صلاح الدين يوسف فغلبت عليها النصارى ففتحها صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور ره وأخربها وفتح بفتحها عثليث وحيفا واسكندرونة وصور وصيدا وبيروت وجبيل وأنفة والبثرون وصرفند في مدة سبعة وأربعين يوماً وكان فتحاً مبيناً وثغراً غزيراً.

القسم السابع مملكة كرك وهو حصن منيع عال على قبة جبل خندقه أودية بعيدة السفل يقال إنه كان ديراً للروم فبني حصناً ومن جنده الشوبك حصن (مدينة خصبة ولها فواكه كثيرة وعيون غزيرة) ومعان مدينة صغيرة على سيف البرية عمرها طائفة من بني أمية وسكنوها ثم ذهبوا وهي اليوم منزلة للحجاج (يقام بها سوق في غدوهم ورواحهم) وإقليم الجبال ومدينة الشراة ومدينة قاب على اثني عشر ميلاً منها قرية موتة ومن جند الكرك اللجون والحسا والأزرق والسلط ووادي موسى ووادي بني نمير وجبل الضباب وجبل بني مهدي وقلعة السلع وأرض مدين وأرض القلزم وأرض الريان وبالغور الزرقا والأزرق والجفار والتيه وزغر (وهي مدينة بالغور ومعها السافية وبها رطب شبيه بالبرني والازاد بالعراق ومدينة عمان التي لم تبق إلا دمنتها وعملها وأرض البلقا) وحصن الكرك خزانة الأتراك ومعقلهم وبه أبداً نائب مأمون عندهم.

والقسم الثامن مملكة غزة وتعرف قديماً بغزة هاشم وهي مدينة كثيرة الشجر كسماط ممدود لجيش الإسلام في أبواب الرمل ولكل صادر ووارد إلى الديار المصرية والشامية ومن مدنها الساحلية عسقلان مدينة عظيمة كانت لافرنج وأخربها المسلمون ويافا وقيساريّة وأرسوف والداروم والعريش ومن أعمالها البرية تيه بني إسرائيل فيه من المدن الإسرائيلية قدس وحويرق والخلصة والخلوص والسبع والمدرة وهذا تيه بني إسرائيل ومن أعمالها المتوسطة بين الجبل والساحل تل حمار وتل الصافية وقرتيا وبيت جبرئيل ومدينة الخليل عم وبيت المقدّس وكل واحد من هؤلاء عليها نائب ولها أعمال كثيرة وضيافة من العجائب حجر قديم في البحر قريب الساحل له أوان يحتج إليه أصناف الأسماك حتى أنه لا يبقى صنف إلا أتى إلى الحجر المذكور فهذه الأقسام الثمانية.

ملحق رقم (٤)
كتاب بشارة بتحرير صفد صدر باسم السلطان الظاهر بيبرس وتم توجيهه إلى قاضي قضاة الشام شمس الدين أحمد بن خلكان ــ نقلاً عن كتاب ذيل مرآة الزمان لليونيني (٢/٣٣٨ ــ ٣٤٣)

سر الله خاطر المجلس السامي واطلع عليه وجوه البشائر سوافر، وأمتع نواظره باستجلاء محاسنها النواضر، وواصلها إليه متوالية تواجهه كل يوم بمراتبها الزواهي الزواهر، وأماثلها لديه متضاهية الجمال متناسبة في حسن المبادي والأواخر، ولم تزل وجوه البشائر أحسن وجوه تستجلى، وألفاظه أعذب ألفاظ تستعاد وتستحلى، وإذا كررت على المسامع أحاديث كتبها لا تمل بل تستملى، لا سيما إذا كانت بإعزاز الدين، وتأييد المسلمين، ونبأ فتح نرجو أن يكون طليعة فتوحات كل فتح منها (هو الفتح المبين، فإن أنباءها تجل وقعاً وتعظم في الدنيا والآخرة نفعاً، وتود كل جارحة عند حديثه أن تكون سمعاً، لحديث) هذا الفتح الذي كرم خبراً، وخبراً وحسن أثره في الإسلام ورداً وصدراً، وطابت أخبار ذكره فشغل به السارون حداء والسامرون سمراً، وهو فتح صفد واستنقاذه من أسره واسترجاعه للإسلام وقد طالت عليه في النصرانية مدة من عمره، وإقرار عين الدين بفتحه وكان قذى في عينه وشجى في صدره، وقد كنا لما وصلنا الشام بالعزم الذي نفرته دواعي الجهاد، وأنقذته عوالي الصعاد، وقربته أيدي الجياد، ملنا على سواحل العدو المخذول فغرقناها ببحار عساكرنا الزاخرة، وشنينا بها من الغارات ما ألبسها ذلاً رفل بها الإسلام في ملابس عزه الفاخرة، وهي وإن كانت غارة عظيمة شنت في يوم واحد على جميع سواحله واستولى بها النهب والتخريب على أمواله ومنازله، واستبيح من حرمه وحرمه مصونات معاقله وعقائله، إلا أنها كانت بين يدي عزائمنا المنصورة نشيطة نشطنا بها الغازين، واسترهفنا بها همم المجاهدين وقدمناها لهم كاللهنة قبل الطعام للساغبين، وأعقبنا ذلك بما رأيناه أولى بالتقديم وأحرى، وتبيناه أشد وطأة على الإسلام وأعظم ضراً، وهي صفد التي باء بإثمها حاملها على النصرانية، ومسلطها بالنكاية، على البلاد الإسلامية، حتى جعلها للشرك مأسدة آساده ومراد مراده، ومجر رماحه ومجرى جياده، كم استبيح بسببها للإسلام من حمى، وكم استرق الكفار بواسطتها مسلمة من الأحرار ومسلمًا، وكم تسرب منها جيش الفرنج إلى بلاد المسلمين فحازوا مغنمًا وقوضوا معلمًا، فنازلناها منازلة الليل بانعقاد القساطل، وطالعناها مطالعة الشمس ببريق المرهفات وأسنة الذوابل، وقصدناها بجحفل لم يزحم بلداً إلا هدمه ولا قصد جيشاً إلا هزمه ولا أم ممتنعاً طغا جباره إلا سهله وقصمه، فلما طالعتها أوائل طلائعنا منازلة وقابلتها وجوه كماتنا المقاتلة اغتر كافرها فبرز للمبارزة والقتال ووقف دون المنازلة داعياً نزال، فتقدم إليه من فرساننا كل حديد الشبا جديد الشباب يهوى إلى الحرب فيرى منه ومن طرفه أسد فوق عقاب، ويخف نحوها متسرعاً فيقال: أذا لقاء أعداء أم لقاء أحباب؟ فهم فوارس كمناصلهم رونقاً وضياء، تجري بهم جياد كذوابلهم علانا ومضاء، إذا مشوا إلى الحرب مزجوا المرح بالتيه فيظن في أعطافهم كسل، وهزوا قاماتهم مع الذوابل فجهلت الحرب من منهم الأسل فحين شاهد أعداء الله آساد الله تصول من رماحها بأساودها، وتبدى ظمأ لا ينقعه إلا أن ترد من دماء الأعداء محمر مواردها،

وأنها قد أقبلت نحوهم بجحافل تضيق رحب الفضاء، وتحقق بنزولها ونزالها كيف نزول القضاء، وأنه جيش بعثه الله بإعزاز الجمعة وإذلال الأحد، وعقد برايته مذ عقدها أن لا قبل بها لأحد، وأن الفرار ملازم أعدائه ولا قرار على زائر على الأسد، ولوا مدبرين وادبروا على أعقابهم ناكصين ولجأوا إلى معقلهم معتقلين لا متعقّلين، فعند ذلك زحفنا إليه من كل جانب حتى صرنا كالنطاق بخصره، ودرنا به حتى عدنا كاللثام بثغره، وأمطرنا عليه من السهام وبِـلًا سحبت ذيول سحبه المتراكمة، وأجرينا حولها من الحديد بحراً غرقه أمواجه المتلاطمة، وضايقناها حتى لو قصد وفد النسيم وصولاً إليه لما تخلص، أو رام ظل الشمس أن يعود عليه فيئاً لعجز لأخذنا عليه أن يتقلص، ثم وكلنا به من المجانيق كل عالي الغوارب عاري المناكب عبل الشوى سامي الذرى، له وثبات تحمل إلى الحصون البوائق، وثبات تزول دونه ولا يزول الشواهق، ترفع لمرورها الستائر فتدخل أحجاره بغير استيذان وتوضع لنزوله رؤوس الحصون فتخر خاضعة للأذقان، فلم يزل يصدع بثبات أركانه حتى هدمها، وتقبل ثنيات ثغره حتى أبدى ثرمها، وفي ضمن ذلك لصق الحجارون بجداره وتعلقوا بأذيال أسواره ففتحوها أسراباً، وأججوها جحيماً يستعر جمرها التهاباً، فصلي أهل النار بنارين من الحريق والقتال، ومنوا بعذابين من حر الضرام وحد النصال، هذه تستعر عليهم وقوداً، وهذه تجعل هامهم للسيف غموداً.

فعند ذلك جاءهم الموت من فوقهم ومن أسفل منهم، وأصبح ثغرهم الذي ظنوه عاصماً لا يغني عنهم، ومع ذلك فقاتلوا قتال مستقتل لا يرى من الموت بداً، وثبتوا متحايين يقدون ببيضهم البيض والأبدان قداً، فصبر أولياء الله على ما عاهدوا الله عليه، وقدموا نفوسهم قبل إقدامهم رغبة إليه، ورأوا الجنة تحت ظلال السيوف فلم يروا دونها مَقِيلا وتحققوا ما أعده الله لأهل الشهادة فاستحلوا وجه الموت على جهامته جميلاً، فعند ذلك خاب ظن أعداء الله وسُقِطَ في أيديهم وصار رجاء السلامة برؤوسهم أقصى تمنيهم، فعدلوا عن القتال إلى السؤال وجنحوا إلى السلم، وطلب النزول بعد النزال، وتداعوا بالأمان صارخين، وجاؤوا بدعاء التضرع لاجين، فاغمد الصفح عنهم بيض الصفاح، وقاتلوا من التوسل بأحد سلاح، واستدعوا راياتنا المنصورة فشرفوا بها الشرفات ونزلوا على حكمنا، فأقالت القدرة لهم العثرات، وتسلم الحصن المبارك وقت صلاة الجمعة ثامن عشر شوال، وتحكم نوابنا على ما بها من الذخائر والأموال، ونودي في أرجائها بالواحد الأحد، واستديل للجمعة يوم الجمعة من يوم الأحد، ونحن نحمد الله على هذا الفتح الذي أعاد وجه الإسلام جميلاً، وأنام عين الدين في ظل من الأمن مدة ظليلاً، والآن من جانب هذا الثغر ما لا ظن أن سيلين، وذلل من صعبه ما شرح به صدر الملك والدين، فإنه حصن مر عليه دهر لم يدر فتحه بالأوهام، ولا تطاولت إليه يد الخطب ولا همة الأيام وربما كان يجد منفساً فيدعو الملوك إلى نفسها فيتصاموا وتخطبهم وممرها أدنى حرب فيرغبوا في العزلة والمسالمة فيسالموا، ألهاهم عن فخر فتحها الرعية في رفاهية عيشه ظنوها راضية، ووقف بهم دون السعي فيه همة لنزول الدنايا متغاضية، وجنح بهم مراد السلم وإرادة السلم كانت عليهم القاضية، والمجلس أيده الله يأخذ حظه من هذه البشرى ويقر بها عيناً ويشرح بها صدراً، ويجلي وجوه بشائرها من هذه المكاتبة، على عيون الناس من كل حاضر وباد، ويستنطق بها ألسن المحدثين في كل محفل وناد، والله يحرس المجلس ويسهل بهمته كل مراد، إن شاء الله تعالى.

ملحق رقم (٥)

كتاب بشارة بتحرير يافا صدر باسم السلطان الظاهر بيبرس وتم توجيهه إلى قاضي قضاة الشام شمس الدين أحمد بن خلكان ــ نقلاً عن كتاب ذيل مرآة الزمان لليونيني (٢/ ٣٧٥ ــ ٣٧٦)

هذه المكاتبة إلى المجلس السامي أسمعه الله من البشائر أجملها، ومن التهاني أشملها، ومن تحيات النصر أفضلها، ومن سور الإتحاف بالظفر منزلها، تعلن ببشرى بفتح حَسُنَ استفتاحُه، وتساوى في الجلالة غرره وأوضاحه، وأتى بسملة لهذه الغزاة المباركة التي بها تتبرك المهارق، ومفتاحاً لمغلق الحصون التي إن فتحها الله فلا مغلق وإن سهلها فلا عائق، وذاك لأن يافا كانت قد كثر عدوان من فيها، وحصل من إضرارهم ما لا يقدر أحد على تدارك تحيفاتها ولا تلافيها، وصارت لعكا يسر الله فتحها طليعة مكر، ومادة كفر، منها يمتارون من كل ممنوع، وربما يأمنون من خوف ويشبعون من جوع، ويتطلعون إلى دار الإسلام منها من وراء زجاجة، ويجعلونها لهم باباً يتوصلون منه عند الإجاجة إلى ما في نفوسهم من حاجة، فلما توجهنا هذه الوجهة المباركة، وتعوضنا فيها عن أنجاد الملوك بالملائكة حَرَفْنا إليها العنان يسيراً، وعرجنا عليها تعريج مستروح ثم يستأنف مسيراً، وطرقناها بكرة يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة فما مضى إلا بقدر ما جردت السيوف من الأغماد، أخذت المعاول في العويل على أهل الإلحاد، ونطقت السن الأعلام بالنصر المبين، وتلقى النصر رايتنا باليمين، وطفنا بها طواف المناطق بالخصور، والشفاه بالثغور، وإذا بأهلها يطلبون الأمان على النفوس خاصة وأنهم يبذلون لنا كل ما لهم من مال وغلال وسلاح وغير ذلك فأجبناهم

إلى ذلك وما فتحوا الأبواب إلا والرجال قد فتحت النقوب، ولا جيبوا الأطواق إلا والسيوف قد فتقت الجيوب، ولا خرجوا من قلتها إلا والأبطال عليها قد علت، ولا طلعوا منها إلا والأولياء إليها وصلت، وما حصلوا خارجها إلا والمقاتلة بها قد حصلت، وتسلمناها وقلعتها فتحاً قريباً، وتسنمناها مرتعاً مريعاً ومربعاً خصيباً وسطرناها في الساعة التي قام لسان العلم قبل لسان القلم على منبرها خطيباً فيأخذ حظه من بشرى جاءت طليعة لما بعدها من البشائر، وأقبلت مقهمّة [لعلها مقهقهة] بأن لا بد بعدها من فتوحات تتبع الأوائل منها الأواخر، والله تعالى يوفقه في الموارد والمصادر، إن شاء الله تعالى.

ملحق رقم (٦)
مرسوم صادر عن السلطان الظاهر بيبرس بتوزيع أراضي قيسارية وسواها على عدد من أمراء المماليك ـ نقلاً عن كتاب السلوك للمقريزي
(١/٥٣٠ ـ ٥٣٤)

أما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة العقود، وتمكينه الذي رفلت به الملة الإسلامية في أصفى البرود، وفتحه الذي إذا شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقعه علمت لأمر ما يسود من يسود. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاهد الكفار بالسيف البتار، وأعلمهم لمن عقبى الدار، وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعشي والإبكار. فإن خير النعمة نعمة وردت بعد اليأس، وأقبلت على فترة من تخاذل الملوك وتهاون الناس، فأكرم بها نعمة وصلت للأمة المحمدية أسباباً، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبواباً، وهزمت من التتار والفرنج العدوين، ورابطت من الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين، وجعلت عساكر الإسلام تذل الفرنج بغزوهم في عقر الدار، وتجوس من حصونهم المانعة خلال الديار والأمصار، وتقود من فضل عن شبع السيف الساغب إلى حلقات الإسار. ففرقة منها تقتلع للفرنج قلاعاً وتهدم حصوناً، وفرقة تبني ما هدم التتار بالمشرق وتعليه تحصيناً، وفرقة تتسلم بالحجاز قلاعاً شاهقة وتتسنّم هضاباً سامقة.

فهي بحمد الله البانية الهادمة، والقاسمة الراحمة. كل ذلك بمن أقامه الله وجرده سيفاً ففرى، وحملت رياح النصرة ركابه تسخيراً فسار إلى مواطن الظفر وسرى، وكونته السعادة ملكاً إذا رأته في دستها قالت تعظيمًا له ما هذا بشراً. وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس، جعل الله سيوفه مفاتح للبلاد، وأعلامه أعلاماً من الأسنة على رأسها نار بهداية العباد، فإنه آخذ البلاد ومعطيها، وواهبها بما فيها. وإذا عامله الله بلطفه شكر، وإذا قدر عفى واصلح فوافقه القدر، وإذا اهدت إليه النصرة فتوحات قسمها في حاضريها لديه متكرماً وقال الهدية لمن حضر، وإذا خوله الله تخويلاً وفتح على يديه قلاعاً جعل الهدم للأسوار، والدماء للبتار، والرقاب للإسار، والبلاد المزروعة للأولياء والأنصار، ولم يجعل لنفسه إلا ما تسطره الملائكة في الصحائف لصحافه من الأجور، و [ما] تطوى عليه طويات السير التي غدت بما فتحه الله من الثغور باسمه باسمة الثغور.

فتى جعل البلاد من العطايا
فأعطى المدن واحتقر الضياعا
سمعنا بالكرام وقد أرانا
عياناً ضعف ما فعلوا سماعا
إذا فعل الكرام على قياس
جميلاً كان ما فعل ابتداعا

ولما كان بهذه المثابة، وقد فتح الفتوحات التي أجزل الله بها أجره وضاعف ثوابه، وله أولياء كالنجوم الضياء، وكالأقدار مضاء، وكالعقود تناسقاً، وكالوَبْل تلاحقاً إلى الطاعة وتسابقاً، رأى ألا ينفرد عنهم بنعمة، ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحة غدت بسيوفهم تستنقذ وبعزائمهم تستخلص، وأن يؤثرهم على نفسه، ويقسم عليهم الأشعة من أنوار شمسه، ويبقى للولد منهم وولد الولد، وما يدوم إلى آخر الدهر ويبقى على الأبد، ويعيش الأبناء في نعمته كما عاش الآباء، وخير الإحسان ما شمل وأحسنه ما خلد، فخرج الأمر العالي لا زال يشمل الأعقاب والذراري، وينير إنارة الأنجم الدراري، أن يملك أمراؤه وخواصه الذين يذكرون، وفي هذا المكتوب يسطرون، ما يعين من البلاد والضياع، على ما يشرح ويبين من الأوضاع: وهو الأتابك فارس الدين اقطاي الصالحي عتيل بكمالها، الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي النصف من زيتا، الأمير بدر الدين بيسري الشمسي الصالحي نصف طور كرم، [الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نصف طور كرم]، الأمير شمس الدين الذكر الكركي، ربع زيتا، الأمير سيف الدين قلج البغدادي ربع زيتا، الأمير ركن الدين بيبرس خاص ترك الكبير الصالحي افراسين بكمالها، الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحي باقة [الشرقية] بكمالها، الأمير عز الدين أيدمر الحلبي الصالحي نصف قلنسوة، [الأمير شمس الدين سنقر الرومي نصف قلنسوة]، الأمير سيف الدين قلاون الألفي الصالحي نصف طيبة الاسم، الأمير عز الدين إيغان سم الموت نصف طيبة الاسم، الأمير جمال الدين [أقوش]

النجيبي نائب سلطنة الشام أم الفحم بكمالها من قيسارية، الأمير علم الدين سنجر الحلبي الصالحي بتان بكمالها، الأمير جمال الدين أقوش المحمدي الصالحي نصف بورين، الأمير فخر الدين الطنبا الحمصي نصف بورين، الأمير جمال الدين أيدغدي الحاجبي الناصري نصف بيزين، الأمير بدر الدين بيليك الايدمري الصالحي نصف بيزين، الأمير فخر الدين عثمان ابن الملك المغيث ثلث حلبة، [الأمير شمس الدين سلار البغدادي ثلث حلبة]، الأمير صارم الدين صراغان ثلث حلبة، الأمير ناصر الدين القيمري نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين بلبان الزيني الصالحي نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين إيتامش السعدي نصف يمّا، الأمير شمس الدين آقسنقر السلاح دار نصف يما، الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة نصف دنابة، الأمير المظفر صاحب سنجار نصف دنابة، الأمير بدر الدين محمد بي ولد الأمير حسام الدين بركة خان دير القصون بكمالها، الأمير عز الدين ايبك الأفرم أمير جاندار نصف الشويكة، الأمير سيف الدين كرمون أغا التتري نصف الشويكة، الأمير بدر الدين الوزيري نصف طبرس، الأمير ركن الدين منكورس الدويداري نصف طبرس، الأمير سيف الدين قشتمر العجمي علّار بكمالها، الأمير علاء الدين أخو الدويدار نصف عرعرا، الأمير سيف الدين قفجق البغدادي نصف عرعرا، الأمير سيف الدين دكجل البغدادي نصف فرعون، الأمير علم الدين سنجر الأزكشي نصف فرعون، الأمير علم الدين طرطج الأسدي أقتابة بكمالها، الأمير حسام الدين ايتمش بن اطلس خان سيدا بكمالها، الأمير علاء الدين كندغدي الظاهري أمير مجلس الصفرا [بكمالها]، الأمير عز الدين أيبك الحموي الظاهري نصف ارتاح، الأمير شمس الدين سنقر الألفي نصف ارتاح، الأمير علم الدين طيبرس الظاهري نصف باقة الغربية، [الأمير علاء الدين التنكزي نصف باقة الغربية] الأمير عز الدين الأتابك الفخري القصير بكمالها، الأمير علم الدين سنجر الصيرفي الظاهري أخصاص بكمالها، الأمير ركن الدين بيبرس المغربي نصف قفين، الأمير شجاع الدين طغريل الشبلي أمير مهمندار نصف كفر راعي، الأمير علاء الدين كندغدي الحبيشي مقدم الأمراء البحرية نصف كفر راعي، الأمير شرف الدين بن أبي القاسم نصف كستا، الأمير بهاء الدين يعقوب الشهرزوري نصف كستا، الأمير جمال الدين موسى بن يغمور استادار العالية نصف برنيكية، الأمير علم الدين سنجر الحلي الغزاوي نصف برنيكية، الأمير علم الدين سنجر نائب أمير جاندار نصف حانوتا من أرسوف، الأمير سيف الدين بيدغان الركني فرديسيا بكمالها من قيسارية، الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الكرك ثلث حبلة من أرسوف، الأمير جمال الدين أقوش السلاح دار الرومي ثلث حبلة، الأمير شمس الدين سنقر جاه الظاهري ثلث حبلة، الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح ثلث جلجولية، الأمير علاء الدين كشتغدي الشمس ثلث جلجولية، الأمير بدر الدين بكتوت بجكا الرومي ثلث جلجولية.

ملحق رقم (٧)
نواب السلطنة في صفد

١ ــ الأمير عز الدين العلائي: كان من كبار الأمراء في عهد السلطان الظاهر بيبرس عينه نائباً لصفد بعد تحريرها مباشرة في ١٨ شوال ٦٦٤هـ / ٢١ تموز/يوليو ١٢٦٦م[١]. ويبدو أنه استمر في منصبه إلى ما قبل سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م بقليل.

٢ ــ الأمير سيف الدين خطلبا: كان نائباً بصفد سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٥م. وقد طلب منه السلطان أن يتدبر تخليص رؤساء السفن الإسلامية التي أسرها الفرنجة واحتجزوها في عكا، عندما كانت في الطريق إلى قبرص[٢].

٣ ــ الأمير علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي خرص: تولى النيابة في ربيع الأول ٦٧٦هـ / آب / أغسطس ١٢٧٧م أيام الملك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس[٣].

٤ ــ الأمير علاء الدين الكبكي: ولاه السلطان قلاوون النيابة بصفد بعد سنجر الذي لم يمكث طويلاً في هذا المنصب، ولكن ما لبث أن مال للأمير شمس الدين سنقر الأشقر نائب دمشق، الذي أعلن نفسه سلطاناً بها، وتلقب بالملك الكامل. وقد أقر سنقر الأشقر الأمير علاء الدين الكبكي على نيابة صفد، ثم فر معه عندما هاجمه جيش قلاوون في محرم ٦٧٩هـ / أيار ــ مايو ١٢٨٠م[٤].

٥ ــ الأمير بدر الدين بيليك الطيار: تولى النيابة في جمادى الأولى ٦٧٩هـ / أيلول ــ سبتمبر ١٢٨٠م وقد كان نائباً للقلعة عندما مال علاء الدين الكبكي لسنقر الأشقر فعين الطيار نائباً للسلطنة[٥].

٦ ــ الأمير قجقار بن عبد الله المنصوري: كان من مماليك السلطان قلاوون ولاه نيابة القلعة بدمشق. وبعد أن انجلى أمر سنقر الأشقر نقل نائب صفد بيليك الطيار إلى قلعة دمشق ونقل قجقار إلى نيابة صفد[٦].

٧ ـ الأمير علم الدين أيدغدي الألدكزي: ولاه السلطان قلاوون إبان الفترة المضطربة التي رافقت حركة سنقر الأشقر بعد الأمير قجقار المنصوري. ويبدو أنه استمر بضع سنوات في منصبه(٧).

٨ ـ الأمير عز الدين أيبك: كان نائباً بالكرك، ثم نقل في رجب سنة ٦٨٥هـ / آب ـ أيلول ١٢٨٦م إلى غزة ثم نقل إلى نيابة صفد(٨).

٩ ـ الأمير علم الدين أيدغدي الألدكزي ثانية: بعد الأمير عز الدين أيبك. ولا ندري متى أعيد لكنه كان نائباً لصفد سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م وقد قبض عليه السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون بعد فتح عكا مباشرة، لأمر نَقَمَهُ وصادره ثم عينه والياً لبرّ صفد(٩).

١٠ ـ الأمير علاء الدين أيدكين الصالحي العمادي: تولى نيابة صفد سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م من قبل السلطان الأشرف خليل بعد تحرير عكا إثر القبض على علم الدين أيدغدي ـ الألدكزي، وقد توفي في العام نفسه(١٠).

١١ ـ الأمير فارس الدين الألبكي الساقي: من مماليك الظاهر بيبرس، تنقل في الخدمة حتى صار من أمراء مصر، ثم اعتقل إلى أن أفرج عنه قلاوون وولاه نيابة صفد فأقام بها عشر سنين، وفر إلى القائد المغولي غازان مع عدد من الأمراء، وقد أقره الأخير عندما هاجم دمشق سنة ٦٩٩هـ / ١٣٠٠م نائباً في صفد وطرابلس والساحل(١١).

١٢ ـ الأمير سيف الدين كراي المنصوري: استقر نائباً بصفد بعد أن عادت الخطبة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٩٩هـ / ١٣٠٠م(١٢).

١٣ ـ الأمير سيف الدين بدخاص المنصوري الثقفي: استعفى في مطلع سنة ٧٠٠هـ / أواخر سنة ١٣٠٠م نائب صفد الأمير سيف الدين كراي المنصوري من منصبه فأعفي ونقل إليها الأمير سيف الدين بدخاص المنصوري وكان بالأصل من مماليك قلاوون(١٣).

١٤ ـ الأمير سنقر شاه المنصوري: استقر في سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م الأمير سنقر شاه في نيابة صفد بدلاً من الأمير بدخاص الذي أنعم عليه بإمرة في الديار المصرية. وقد استمر بها حتى وفاته سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م(١٤).

١٥ ـ الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار: نقل إلى نيابة صفد سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م بعد وفاة نائبها الأمير سنقر شاه المنصوري. وفي الفترة التي كان فيها السلطان بمصر بيبرس الجاشنكير، والسلطان الناصر محمد في الكرك يكاتب نواب الشام، من أجل معاضدته في العودة للسلطنة، رد نائب صفد هذا في البداية قاصد السلطان الناصر سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م لكنه أطاعه فيما بعد وانضم إلى أمراء الشام عند التقائهم به(١٥).

١٦ ـ الأمير قطلوبك المنصوري: جرى تعيينه في نيابة صفد في ٥ شوال سنة ٧٠٩هـ / ٦ آذار ـ مارس ١٣١٠م بعد عودة السلطان الناصر محمد بن قلاوون لعرش السلطنة بمصر خلفاً لنائبها بكتمر الجوكندار الذي نقل إلى مصر(١٦).

١٧ ـ الأمير سيف الدين بهادر آص: قبض في جمادى الأولى سنة ٧١١هـ / تشرين أول ـ أكتوبر ١٣١١م، على الأمير قطلوبك نائب صفد وحبس في الكرك وعين مكانه في نيابة صفد الأمير سيف الدين بهادر آص(١٧).

١٨ ـ الأمير بلبان طرنا: جرى تعيينه في الأول من جمادى الأولى سنة ٧١٢هـ / الخامس من أيلول ـ سبتمبر سنة ١٣١٢م في نيابة صفد خلفاً للأمير بهادر آص، الذي نقل إلى دمشق(١٨).

١٩ ـ الأمير بلبان البدري: كتب السلطان في سنة ٧١٢هـ / ١٣١٤م إلى نواب الشام بأن لا يكاتب أحدهم السلطان مباشرة وإنما عبر الأمير تنكز نائب الشام فشق ذلك على النواب وأخذ نائب صفد الأمير سيف الدين بلبان طرنا ينكر ذلك، فكاتب فيه تنكز حتى عزل، وحمل مقيداً إلى مصر. وعين الأمير بلبان البدري خلفاً له في نيابة صفد(١٩).

٢٠ ـ الأمير سيف الدين بكتمر الحسامي الحاجب: أفرج في شوال سنة ٧١٦هـ / كانون الأول/ديسمبر ١٣١٦م عن الأمير بكتمر الحسامي الحاجب وخلع عليه بنيابة صفد خلفاً للأمير بلبان البدري(٢٠).

٢١ ـ الأمير سيف الدين طغاي الحاصلي: غضب السلطان على هذا الأمير فأخرجه في صفر ٧١٨هـ / نيسان ـ أبريل ١٣١٨م إلى نيابة صفد فأقام بها شهرين، ثم ألقي القبض عليه واقتيد إلى القاهرة(٢١).

٢٢ ـ الأمير سيف الدين أرقطاي بن عبد الله المنصوري: سيره السلطان الناصر محمد بن قلاوون مع تنكز إلى الشام، فأقام عنده حتى ولاه نيابة حمص سنتين ونصف، ثم نقله إلى نيابة صفد وذلك سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م. وظل شاغلاً لمنصبه هذا حتى سنة

٧٣٦ هـ / ١٣٣٦م وبذلك يكون هذا الأمير أكثر من شغله طيلة العهد المملوكي(٢٢).

٢٣ ـ الأمير سيف الدين ايتمش المحمدي: تولى في ١٠ جمادى الآخرة سنة ٧٣٦هـ / ٢٥ كانون الثاني ـ يناير ١٣٣٦م نيابة صفد خلفاً للأمير أرقطاي الذي نقل إلى مصر، ووصل إلى صفد في ٨ شعبان من العام نفسه ٧٣٦هـ / آذار ـ مارس ١٣٣٦م لكنه لم يمكث طويلاً حيث توفي بعد أقل من شهرين(٢٣).

٢٤ ـ الأمير طشتمر البدري الساقي المشهور بحمص أخضر: خلع عليه ورسم له بنيابة صفد في عام ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م. وزيد على إقطاع النيابة وأنعم على ولديه بإمرتين، وقد استمر في هذا المنصب حتى سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م(٢٤).

٢٥ ـ الأمير اقسنقر السلاري: نقل في سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م طشتمر حمص أخضر من نيابة صفد إلى حلب. وعين أقسنقر السلاري خلفاً له(٢٥).

٢٦ ـ الأمير أصلم الناصري: تولى نيابة صفد سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤٢م بعد نقل الأمير أقسنقر السلاري. وقد كان هذا الأمير من الجناح المؤيد للناصر أحمد بن محمد بن قلاوون ضد أخيه الأشرف كجك(٢٦).

٢٧ ـ الأمير بيبرس الأحمدي: خلع في ٢٧ شوال سنة ٧٤٢هـ / ٤ نيسان ـ أبريل ١٣٤٢م السلطان الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون، بعد عودته من الكرك، على الأمير بيبرس الأحمدي بنيابة صفد، خلفاً للأمير أصلم الناصري. وقام هذا الأمير بحركة عصيان أدت إلى عزله(٢٧).

٢٨ ـ الأمير سيف الدين طينال بن عبد الله الناصري: كان من أعيان مماليك الناصر بن قلاوون تولى نيابة صفد بعد بيبرس الأحمدي في سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م وتوفي في السنة نفسها في رابع ربيع الأول / سابع آب ـ أغسطس ١٣٤٢م(٢٨).

٢٩ ـ الأمير طقتمر الأحمدي: عين نائباً لصفد بعد وفاة الأمير طينال واستمر بها حتى صفر سنة ٧٤٤هـ / تموز ـ يوليو ١٣٤٣م حيث نقل إلى نيابة حماة(٢٩).

٣٠ ـ الأمير بلك الجمدار: عين نائباً لصفد إثر نقل طقتمر الأحمدي(٣٠).

٣١ ـ الأمير الحاج آل ملك: كان نائب السلطنة في القاهرة، خلع عليه في ١٣ ربيع الآخر سنة ٧٤٦هـ / ١٣ آب ـ أغسطس ١٣٤٥م السلطان الملك الكامل شعبان بنيابة الشام بدلاً من نائبها الأمير طقزدمر. ولما صار في غزة، لحقه البريد بتوليته نيابة صفد، كإهانة له، وفي ذي الحجة من السنة نفسها / نيسان ـ أبريل ١٣٤٦م أشيع أنه ينوي الخروج عن طاعة السلطان وأنه ينوي الفرار إلى بلاد العدو، وهو ما أثار نقمة السلطان عليه، فأرسل من اعتقله وأحضره إلى القاهرة ولم يمض سنة في منصبه(٣١).

٣٢ ـ الأمير سيف الدين آراق الفتاح: عين نائباً لصفد بعد اعتقال الأمير آل ملك. وقد نقل إليها من غزة. وباشر عمله في أول المحرم سنة ٧٤٧هـ / ٢٤ نيسان ـ أبريل ١٣٤٦م وقد اتفق هذا الأمير مع نواب الشام على خلع الملك الكامل شعبان(٣٢).

٣٣ ـ الأمير أرغون شاه استدار: عين في ٢٥ شعبان ٧٤٧هـ / ١١ كانون الأول ـ ديسمبر ١٣٤٦م في نيابة صفد وبلغ مقر ولايته في ٢٠ رمضان من السنة نفسها ٤ كانون الثاني/يناير ١٣٤٧م وسبب ذلك أنه كان متكبراً على السلطان متعاظماً في نفسه يعارضه ويفحش في مخاطبته، فعزم السلطان على القبض عليه وسجنه. فتلطف به نائب السلطنة في مصر الأمير أرقطاي حتى تركه السلطان وخلع عليه بنيابة صفد. وأخرجه من وقته خشية من فتنة قد يثيرها، لأنه كان قد اتفق مع عدد من الأمراء على العصيان(٣٣).

٣٤ ـ الأمير فخر الدين إياس: كان من أصل أرمني أسلم على يد الناصر محمد بن قلاوون، نقل في ربيع الأول سنة ٧٤٨هـ / حزيران ـ يونيو ١٣٤٧م، من حجوبية دمشق إلى نيابة صفد خلفاً للأمير أرغون شاه الذي نقل إلى نيابة حلب، وأمضى سنة في هذا المنصب(٣٤).

٣٥ ـ الأمير أحمد شاد الشربخاناه (الساقي): أخرج في ربيع الأول سنة ٧٤٩هـ / تموز ـ يوليو ١٣٤٨م إلى نيابة صفد لأنه كان صاحب فتن، وقام فيها بعد بانتفاضة في صفد(٣٥).

٣٦ ـ الأمير علاء الدين الطنبغا برناق: كان في ٧٥٢هـ / ١٣٥١م الأمير منجك اليوسفي في نيابة صفد وقد استعفى وعين الأمير برناق بدلاً عنه، ثم اشترك في حركة عصيان مع نواب الشام، قتل على أثرها(٣٦).

٣٧ ـ الأمير شهاب الدين أحمد بن صبح: ولي الكشف بالوجه القبلي ثم صار ولي الولاة بالشام، ثم ولي تقدمة ألف.

وحج بالناس سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م. عين في نيابة صفد في شوال سنة ٧٥٣هـ / تشرين الأول ـ أكتوبر ١٣٥٢م. ثم عزل وولي حجوبية الحجاب بدمشق، وسجن بالإسكندرية ثم أطلق وأعيد إلى الشام وتوفي سنة ٧٧١هـ / ١٣٦٩م[٣٧].

٣٨ ـ الأمير سيف الدين منجك اليوسفي: كان نائباً للسلطنة في دمشق سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٤م حيث نقل إلى نيابة صفد. ثم نقل إلى طرابلس بعد سنة تقريباً، ثم عاد إلى نيابة صفد في ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م. وعزل بعد حوالي شهرين من عودته في صفر ٧٦٠هـ / كانون الثاني ـ يناير ١٣٥٩م. وعلى هذا فإنه غاب عن نيابة صفد لمدة أربع سنوات وليس في المصادر المتوفرة ما يفيد باسم الذي ولي صفد خلال ذلك[٣٨].

٣٩ ـ الأمير علاء الدين علي المارداني: تولى نيابة صفد في رجب سنة ٧٦٠هـ / نيسان ـ أبريل ١٣٥٩م واستمر حتى صفر سنة ٧٦١هـ / كانون ثاني ـ يناير ١٣٦٠م حيث نقل منها إلى حماة[٣٩].

٤٠ ـ شهاب الدين أحمد بن صبح: أعيد إلى نيابة صفد للمرة الثانية بعد عزل علاء الدين علي المارداني، واستمر بها حوالى سنة، إلى جمادى الأولى ٧٦٢هـ / آذار ـ مارس ١٣٦١م[٤٠].

٤١ ـ الأمير ملكتمر المحمدي: تولى نيابة صفد بعد شهاب الدين بن صبح وقد خلع عليه بها السلطان المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون إثر تسلمه السلطنة بعد قبضه على عمه السلطان الملك الناصر حسن[٤١].

٤٢ ـ الأمير أزدمر الخازندار: تولى نيابة صفد بعد ملكتمر المحمدي ونقل منها في ٢٥ شعبان سنة ٧٦٤هـ / ١٢ حزيران ـ يونيو ١٣٦٣م إلى نيابة طرابلس[٤٢].

٤٣ ـ الأمير قشتمر المنصوري: تولى نيابة صفد بعد نقل الأمير أزدمر الخازندار وبعد خلع المنصور محمد بن المظفر حاجي، وكان قد سبق له أن تولى نيابة السلطنة بمصر والشام[٤٣].

٤٤ ـ الأمير عمر بن أرغون النائب: خلع عليه في عام ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م بنيابة صفد، خلفاً لقشتمر المنصوري الذي استدعي إلى القاهرة[٤٤].

٤٥ ـ الأمير قطلو آقتمر العلائي أمير جاندار: استقر في ٧ رجب سنة ٧٦٦هـ / ٢٨ آذار ـ مارس ١٣٦٥م في نيابة صفد خلفاً للأمير عمر بن أرغون النائب الذي نقل إلى مصر[٤٥].

٤٦ ـ الأمير أزدمر الخازندار: أعيد إلى نيابة صفد للمرة الثانية نقلاً من طرابلس في رمضان ـ شوال ٧٦٦هـ / تموز ـ يوليو ١٣٦٥م بدلاً من قطلو آقتمر العلائي[٤٦].

٤٧ ـ الأمير أسندمر الزيني: استقر في نيابة صفد في الأول من شوال سنة ٧٦٧هـ / العاشر من حزيران ـ يونيو ١٣٦٦م خلفاً للأمير أزدمر الخازندار[٤٧].

٤٨ ـ الأمير أرغون الأزرقي: عين نائباً لصفد في أواخر سنة ٧٦٨هـ / منتصف سنة ١٣٦٧م بعد أن نقل نائبها أسندمر الزيني إلى طرابلس[٤٨].

٤٩ ـ الأمير جنتمر أخي طاز: تولى نيابة صفد بعد أرغون الأزرقي الذي لم نعرف في أي تاريخ عزل عنها وقد استمر في منصبه حتى ربيع الآخر سنة ٧٧١هـ / تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٣٦٩م[٤٩].

٥٠ ـ الأمير سيف الدين تلكتمر من بركة بن عبد الله الناصري: ولي نيابة صفد بعد عزل الأمير جنتمر، فأقام بها حتى رمضان ٧٧٢هـ / نيسان ـ أبريل ١٣٧١م[٥٠].

٥١ ـ الأمير علم دار المحمدي: تولى نيابة صفد بعد تلكتمر في أول رمضان ٧٧٢هـ / ١٩ آذار ـ مارس ١٣٧١م واستمر حتى صفر سنة ٧٧٣هـ / آب ـ أغسطس ١٣٧٢م[٥١].

٥٢ ـ الأمير موسى بن أرقطاي: ولي نيابة صفد بعد علم دار المحمدي في صفر ٧٧٣هـ / آب ـ أغسطس ١٣٧١م حتى رجب ٧٧٤هـ / كانون ثاني ـ يناير ١٣٧٣م حين توفي[٥٢].

٥٣ ـ الأمير علم دار المحمدي: أعيد إلى نيابة صفد للمرة الثانية خلفاً لموسى بن أرقطاي واستمر حتى ٢٢ محرم ٧٧٥هـ / ١٤ تموز ـ يوليو ١٣٧٣م[٥٣].

٥٤ ـ الأمير قطلوبغا المنصوري: ولي نيابة صفد بعد علم دار المحمدي وأمضى بها حوالي خمسة أشهر من ٢٢ محرم ٧٧٥هـ / ١٤ تموز ـ يوليو ١٣٧٣م حتى جمادى الآخرة ٧٧٥هـ / تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٣٧٣م حيث نقل إلى نيابة غزة[٥٤].

٥٥ ـ أشقتمر المنصوري: ولي نيابة صفد بعد قطلوبغا المنصوري من جمادى الآخرة ٧٧٥هـ / تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٣٧٣م حتى رمضان في السنة نفسها آذار ـ مارس ١٣٧٤م[٥٥].

٥٦ ـ الأمير منكلي البلدي: ولي نيابة صفد إثر عزل أشقتمر المنصوري حتى شهر ذي القعدة ٧٧٦هـ / نيسان ـ أبريل ١٣٧٥م وقد جاء إلى صفد منقولاً من نيابة الكرك[٥٦].

٥٧ ــ الأمير أقتمر عبد الغني: ولي نيابة صفد منقولاً إليها من طرابلس ونقل منكلي إلى مكانه[٥٧].

٥٨ ــ الأمير تمرباي الدمرداش: نقل في أول جمادى الآخرة ٧٧٨هـ / ١٦ تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٣٧٦م من نيابة الكرك إلى نيابة صفد خلفاً للأمير أقتمر عبد الغني. وقد اشترك في حركة عصيان مع نواب الشام نقل على أثرها إلى مصر[٥٨].

٥٩ ــ الأمير صراي تمر المحمدي: ولي نيابة صفد عام ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م بعد تمرباي الدمرداش وعزل في ٥ محرم ٧٨٠هـ / ٤ أيار ــ مايو ١٣٨٧م وسجن بالكرك[٥٩].

٦٠ ــ الأمير أقبغا الجوهري: تولى نيابة صفد بعد عزل صراي تمر وسجنه واستمر حوالي سنة[٦٠].

٦١ ــ الأمير منكلي بغا البلدي: أعيد إلى نيابة صفد للمرة الثانية في ٢٢ ذي القعدة ٧٨٠هـ / ١٣ آذار ــ مارس ١٣٧٩م[٦١].

٦٢ ــ الأمير تمرباي الدمرداش: أعيد إلى نيابة صفد بعد سنة من تولي منكلي بغا البلدي. وقد استمر حتى عزل في ١٤ جمادى الأولى ٧٨٢هـ / ١٦ آب ــ أغسطس ١٣٨٠م[٦٢].

٦٣ ــ الأمير كمشبغا الحموي: ولي نيابة صفد إثر عزل تمرباي الدمرداش وأمضى فيها أقل من شهر[٦٣].

٦٤ ــ الأمير طشتمر العلائي اللفاف: ولي نيابة صفد في رجب ٧٨٢هـ / تشرين الأول ــ أكتوبر ١٣٨٠م وجاءها منقولاً إليها من القدس واستمر بها حتى صفر ٧٨٤هـ / نيسان ــ أبريل ١٣٨٢م حيث نقل إلى نيابة حماة[٦٤].

٦٥ ــ الأمير يلو الشركسي العلائي: ولي نيابة صفد إثر نقل طشتمر اللفاف إلى حماة، وقد كان قبل ذلك حاجب دمشق ويبدو أنه لم يمكث طويلاً في هذا المنصب[٦٥].

٦٦ ــ الأمير إينال اليوسفي: ولي نيابة صفد بعد عزل الأمير يلو الشركسي ولكن تاريخ ذلك غير معروف. وظل اليوسفي في نيابة صفد حتى آخر شهر المحرم سنة ٧٨٥هـ / بداية نيسان ــ أبريل ١٣٨٣م حيث عزله السلطان الظاهر برقوق[٦٦].

٦٧ ــ الأمير تمرباي الدمرداش: أعيد إلى نيابة صفد للمرة الثالثة بعد عزل إينال اليوسفي وقد توفي في أول جمادى الأولى ٧٨٥هـ / الثاني من تموز ــ يوليو عام ١٣٨٣م[٦٧].

٦٨ ــ الأمير كمشبغا الحموي: أعيد إلى نيابة صفد للمرة الثانية بعد وفاة الأمير تمرباي الدمرداش وباشر عمله في ٢٦ جمادى الآخرة ٧٨٥هـ / ٢٦ آب ــ أغسطس ١٣٨٣م[٦٨].

٦٩ ــ الأمير يلو الشركسي العلائي: نقل في ذي الحجة ٧٨٥هـ / شباط ــ فبراير ١٣٨٤م كمشبغا الحموي إلى نيابة طرابلس وإثر ذلك عين يلو نائباً لصفد للمرة الثانية وقد توفي في رمضان ٧٨٦هـ / تشرين الأول ــ أكتوبر ١٣٨٤م[٦٩].

٧٠ ــ الأمير أركماس حاجب طرابلس: تولى نيابة صفد بعد وفاة يلو الشركسي واستمر بصفد حتى وفاته في شعبان ٧٩٠هـ / حزيران ــ يونيو ١٣٨٨م[٧٠].

٧١ ــ الأمير بتخاص السودوني: تولى نيابة صفد بعد وفاة الأمير أركماس مباشرة. وقد نقل إليها من حجوبية طرابلس[٧١].

٧٢ ــ الأمير قطلوبغا الصفوي: ولي نيابة صفد في جمادى الآخرة ٧٩١هـ / حزيران ــ يونيو ١٣٨٩م خلفاً للأمير بتخاص السودوني. وبعد قرابة الشهرين نقل إلى مصر وأعطي تقدمة فيها. وقد كانت فترة نيابته في أيام سلطنة الملك المنصور حاجي الثانية بعد اعتقال برقوق بالكرك[٧٢].

٧٣ ــ الأمير سيف الدين قطلوبك النظامي: نقل في شعبان ٧٩١هـ / آب ــ أغسطس ١٣٨٩م من نيابة السلطنة بالوجه القبلي في صعيد مصر إلى نيابة صفد خلفاً للأمير قطلوبغا الصفوي الذي أعيد لمصر[٧٣].

٧٤ ــ الأمير إياس الجرجاوي: بعد انتصار السلطان الظاهر برقوق على عسكر منطاش في موقعة شقحب جنوب دمشق في سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩ م ولي الأمير إياس الجرجاوي نيابة صفد وقد استمر هذا الأمير حتى ٢٥ ذي الحجة ٧٩٣هـ / ٢٣ تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٣٩١م[٧٤].

٧٥ ــ الأمير أرغون شاه الإبراهيمي: ولي هذا الأمير نيابة صفد بعد الأمير إياس الجرجاوي مباشرة لنقله إلى طرابلس، واستمر في هذا المنصب حتى ذي الحجة سنة ٧٩٦هـ / تشرين الأول ــ أكتوبر ١٣٩٤م حيث نقل إلى طرابلس[٧٥].

٧٦ ــ الأمير علاء الدين أقبغا الجمالي: ولي نيابة صفد بعد نقل أرغون شاه إلى طرابلس. كان أحد مقدمي الألوف بحلب ولا نعرف متى عزل ولا المدة التي قضاها لكنه عاد مرة أخرى إلى نيابة صفد كما سيأتي[٧٦].

٧٧ ـ الأمير قطلوبغا الظاهري: لا نعرف التاريخ الذي تولى فيه نيابة صفد ولكن عندما استهلت سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٦م كان نائباً لصفد ولم نتمكن أيضاً من معرفة تاريخ عزله[٧٧].

٧٨ ـ الأمير علاء الدين أقبغا الجمالي الظاهري: من المرجح أنه أعيد إلى نيابة صفد للمرة الثانية في تاريخ لا نعرفه والذي نعرفه هو أن السلطان الظاهر برقوق نقله في ١٢ محرم ٨٠٠هـ / ٥ تشرين الأول ـ أكتوبر ١٣٩٧م من صفد إلى طرابلس[٧٨].

٧٩ ـ الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ علي: ولي نيابة صفد إثر نقل علاء الدين أقبغا الجمالي إلى طرابلس وكان قبل هذا حاجباً في دمشق[٧٩].

٨٠ ـ الأمير ألطنبغا العثماني: صدر في ٢٥ شعبان سنة ٨٠١هـ / ٣ نيسان ـ ابريل ١٣٩٩م أمر السلطان إلى نائب الشام الأمير تنم بالقبض على نائب صفد الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ علي، وأن يتولى الأمير الطنبغا العثماني حاجب الحجاب بدمشق نيابة صفد، فتوجه إليها في الخامس من شعبان ٨٠١هـ / الثاني عشر من نيسان ـ أبريل ١٣٩٩م[٨٠].

٨١ ـ الأمير تمربغا المنجكي: ولي نيابة صفد في ٢٠ ربيع الآخر سنة ٨٠٣هـ / ٨ كانون الأول ـ ديسمبر ١٤٠٠م خلفاً للأمير ألطنبغا العثماني الذي أسر مع نواب الشام من قبل تيمورلنك عندما هاجم حلب[٨١].

٨٢ ـ الأمير دقماق الخاصكي المحمدي: ولي نيابة صفد في ١٨ رمضان ٨٠٣هـ / ٢ أيار ـ مايو ١٤٠١م خلفاً للأمير تمربغا المنجكي وقد أمضى فيها بضعة أشهر[٨٢].

٨٣ ـ الأمير تمربغا المنجكي: أعيد إلى نيابة صفد في أول صفر سنة ٨٠٤هـ / العاشر من أيلول ـ سبتمبر ١٤٠١م خلفاً للأمير دقماق المحمدي الذي نقل إلى نيابة حلب[٨٣].

٨٤ ـ الأمير سودون الحمزاوي: لم يمض أقل من شهر على إعادة تمربغا المنجكي إلى نيابة صفد حتى عزل. ففي السابع والعشرين من صفر ٨٠٤هـ / السابع من تشرين الأول ـ أكتوبر ١٤٠١م عين الأمير سودون الحمزاوي نائباً لصفد بسبب علاقته مع كبار العلماء الذين انقطعوا عن الخدمة السلطانية وخوفاً من إثارة فتنة[٨٤].

٨٥ ـ الأمير شيخ السليماني المسرطن شاد الشرابخاناه: طلب في ٢٥ ربيع الأول ٨٠٥هـ / ٢٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ١٤٠٢م سودون الحمزاوي نائب صفد إلى القاهرة، وأنعم عليه بإمرة مئة وتقدمة ألف، وعين مكانه الأمير شيخ السليماني[٨٥].

٨٦ ـ الأمير بكتمر شلق: نقل في رجب سنة ٨٠٦هـ / شباط ـ فبراير ١٤٠٤م، الأمير شيخ السليماني من نيابة صفد إلى نيابة طرابلس، وعين الأمير بكتمر شلق أحد الأمراء بدمشق خلفاً له[٨٦].

٨٧ ـ الأمير بكتمر الركني الجركسي: نقل في آخر ذي الحجة سنة ٨٠٧هـ / أواخر حزيران ـ يونيو ١٤٠٥م الأمير بكتمر شلق نائب صفد إلى نيابة طرابلس، وعين الأمير بكتمر الركني خلفاً له[٨٧].

٨٨ ـ الأمير طولو من علي شاه: عين في أول شعبان ٨٠٨هـ / ٢٢ كانون الثاني ـ يناير ١٤٠٦م في نيابة صفد خلفاً للأمير بكتمر الركني، وقد استمر في منصبه حتى ذي الحجة ٨٠٨هـ / أيار ـ مايو ١٤٠٦م حيث قتل في موقعة الرستن على نهر العاصي ما بين الأمير شيخ المحمودي نائب الشام الذي كان طولو معه، والأمير جكم الذي كان خارجاً عن طاعة السلطان آنذاك[٨٨].

٨٩ ـ الأمير الطنبغا العثماني: أعيد إلى نيابة صفد في ربيع الأول سنة ٨٠٩هـ / أيلول ـ سبتمبر ١٤٠٦م لكننا لا نعرف كم أمضى هذه المرة ومتى عزل. والشيء المعروف هو اضطراب أحوال السلطنة إلى حد كبير في هذه الفترة، بسبب الخلاف بين السلطان الناصر فرج والأمراء[٨٩].

٩٠ ـ الأمير قرقماس ابن أخي دمرداش المحمدي: لا نعرف تاريخ توليه نيابة صفد، ولكن نعرف أنه كان نائباً لها سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م. وقد دخلت سنة ٨١٢هـ / منتصف أيار ـ مايو ١٤٠٩م وهو على نيابتها[٩٠].

٩١ ـ الأمير الطنبغا العثماني: أعيد إلى نيابة صفد للمرة الثالثة في ٢٣ محرم ٨١٢هـ / ٨ حزيران ـ يونيو ١٤٠٩م منقولاً من نيابة غزة[٩١].

٩٢ ـ الأمير شاهين الزردكاش: لا نعرف تاريخ توليه نيابة صفد، لكن دخلت سنة ٨١٣هـ / أيار ـ مايو ١٤١٠م وهو على نيابة صفد. ومما ذكر أنه لم يكن مع السلطان فرج بن برقوق في تلك السنة من نيابات الشام غير صفد وغزة[٩٢].

٩٣ ـ الأمير قمرقاس ابن أخي دمرداش: أعيد إلى نيابة

صفد في جمادى الآخرة ٨١٣هـ / حزيران ـ يونيو ١٤١٠م خلفاً للأمير شاهين الزردكاش، لكنه لم يلبث أن نقل إلى حلب[٩٣].

٩٤ ـ الأمير تغري بردي: توجه من دمشق إلى صفد نائباً لها، خلفاً لأخيه قرقماس المنقول إلى نيابة حلب في ٢٨ رجب ٨١٣هـ / ٢٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٤١٠م[٩٤].

٩٥ ـ الأمير سودون من عبد الرحمن: كان نائباً بصفد سنة ٨١٣هـ / ١٤١١م لكننا لا نعرف متى عين، إلا أنه عزل في ذي الحجة سنة ٨١٣هـ / نيسان ـ أبريل ١٤١١م بعد الصلح ما بين السلطان فرج والأمراء، ونقل إلى مصر حيث أعطي تقدمة ألف بها[٩٥].

٩٦ ـ الأمير قرقماس ابن أخي دمرداش: أعيد إلى نيابة صفد للمرة الثالثة في ذي الحجة من عام ٨١٣هـ / نيسان ـ أبريل ١٤١١م وقد نقل إليها من حلب بعد الصلح الذي تم بين السلطان الناصر فرج والأميرين شيخ ونوروز وحلفائهما، استمر في نيابة صفد حتى خلع الناصر فرج بن برقوق من السلطنة في ٢٥ محرم ٨١٥هـ / ١٢ أيار ـ مايو ١٤١٢م[٩٦].

٩٧ ـ الأمير الطنبغا القرمشي: ولي نيابة صفد في ١٧ ربيع الأول سنة ٨١٥هـ / ٢٧ حزيران ـ يونيو ١٤١٢م، واستمر حتى ١٢ رجب من العام نفسه / ١٨ تشرين الأول ـ أكتوبر ١٤١٢م[٩٧].

٩٨ ـ الأمير قرقماس ابن أخي دمرداش: أعيد إلى نيابة صفد للمرة الرابعة بعد عزل ألطنبغا القرمشي وقد نقل إليها هذه المرة من نيابة دمشق[٩٨].

٩٩ ـ الأمير الطنبغا العثماني: أعيد إلى نيابة صفد للمرة الرابعة في سنة ٨١٦هـ / ١٤١٤م واستمر حتى صفر سنة ٨١٨هـ / حزيران ـ يونيو ١٤١٥م[٩٩].

١٠٠ ـ الأمير طوغان أمير آخور: ولي نيابة صفد بعد الطنبغا العثماني وأمضى فيها أقل من شهرين[١٠٠].

١٠١ ـ الأمير خليل الجشاري: نقل في ربيع الآخر ٨١٨هـ / آب ـ أغسطس ١٤١٥م نائب صفد إلى حجوبية دمشق. وعين خليل الجشاري بدلاً عنه، وقد ظل على نيابتها حتى أهلت سنة ٨١٩هـ / آذار ـ مارس ١٤١٦م[١٠١].

١٠٢ ـ الأمير جار قطلو: نقل في رجب سنة ٨٢٠هـ / آب ـ أغسطس ١٤١٧م، هذا الأمير من نيابة حماة إلى نيابة صفد، خلفاً للأمير خليل الجشاري[١٠٢].

١٠٣ ـ الأمير بردبك الخليلي: نقل في ربيع الآخر سنة ٨٢١هـ / أيار ـ مايو ١٤١٨م هذا الأمير من نيابة طرابلس إلى نيابة صفد وتوفي في رجب / آب ـ أغسطس من العام نفسه[١٠٣].

١٠٤ ـ الأمير قرامراد خجا: عين في شعبان ٨٢١هـ / أيلول ـ سبتمبر ١٤١٨م هذا الأمير وكان من مقدمي الألوف بمصر نائباً لصفد، خلفاً لنائبها المتوفى بردبك الخليلي[١٠٤].

١٠٥ ـ الأمير قطلوبغا التنمي: عين في شوال سنة ٨٢٢هـ / تشرين الأول ـ أكتوبر ١٤١٩م هذا الأمير في نيابة صفد خلفاً للأمير قرامراد خجا الذي نفي إلى القدس. وقد ظل في نيابة صفد حتى دخلت سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م. هذا ولم نظفر بتاريخ عزله[١٠٥].

١٠٦ ـ الأمير شاهين الأعور: ولي نيابة صفد كما يرجح بعد الأمير قطلوبغا التنمي وقد ظل نائباً بها حتى مطلع سنة ٨٢٥هـ / كانون الأول ـ ديسمبر ١٤٢١م[١٠٦].

١٠٧ ـ الأمير إينال الظاهري: ولي نيابة صفد بعد شاهين الأعور، وقام بحركة عصيان ضد السلطان الملك الأشرف برسباي أدت إلى عزله في رجب سنة ٨٢٥هـ / تموز ـ يوليو ١٤٢٢م[١٠٧].

١٠٨ ـ الأمير سيف الدين مقبل الرومي الزيني الحسامي المؤيدي: ولي نيابة صفد بعد القبض على إينال الظاهري وقد استمر هذا الأمير على نيابة صفد حتى توفي في ٢٩ ربيع الأول سنة ٨٣٧هـ / ١٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٤٣٣م[١٠٨].

١٠٩ ـ الأمير إينال الشمشاني: تسلم نيابة صفد بعد وفاة الأمير مقبل الرومي في ٥ ربيع الآخر ٨٣٧هـ / ١٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٤٣٣م[١٠٩].

١١٠ ـ الأمير تمراز المؤيدي: ولي نيابة صفد في شوال ٨٣٩هـ / أيار ـ مايو ١٤٣٦م خلفاً للأمير إينال الشمشاني الذي نفي إلى القدس[١١٠].

١١١ ـ الأمير يونس الأعور الركني: نقل في ٥ ربيع الأول ٨٤٠هـ / ١٨ تموز ـ يوليو ١٤٣٦م الأمير تمراز المؤيدي من صفد إلى غزة ونقل الأمير يونس الأعور نائب غزة إلى نيابة صفد[١١١].

١١٢ ـ الأمير إينال الأجرود العلائي الناصري: عين في

رجب سنة ٨٤٠هـ / كانون الأول ـ ديسمبر ١٤٣٦م نائباً لصفد خلفاً للأمير يونس الأعور[١١٢].

١١٣ ـ الأمير قاني باي الأبو بكري الناصري المعروف بالبهلوان: ولي في صفر ٨٤٣هـ / أيلول ـ سبتمبر ١٤٣٩م نيابة صفد خلفاً للأمير إينال الأجرود وكان قبل ذلك أتابكاً لدمشق، وقد استمر نائباً لصفد حتى رجب سنة ٨٤٨هـ / تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٤٤٤م حيث نقل إلى حماة[١١٣].

١١٤ ـ الأمير خجا المؤيدي الأعرج: نقل إلى نيابة صفد من حمص خلفاً للأمير قاني باي الأبو بكري في رجب ٨٤٨هـ / تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٤٤٤م[١١٤].

١١٥ ـ الأمير بيغوت الأعرج: ولي نيابة صفد سنة ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م[١١٥].

١١٦ ـ الأمير يشبك الحمزاوي: نقل في رجب سنة ٨٥١هـ / أيلول ـ سبتمبر ١٤٤٧م إلى صفد من نيابة غزة خلفاً للأمير بيغوت الأعرج الذي نقل إلى حماة، وقد استمر يشبك نائباً لصفد حتى وفاته سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م[١١٦].

١١٧ ـ الأمير محمد بن مبروك الناصري: ولي نيابة صفد بعد وفاة الأمير يشبك الحمزاوي في رمضان ٨٥٥هـ / تشرين الأول ـ أكتوبر ١٤٥١م[١١٧].

١١٨ ـ الأمير خجا المؤيدي الأعرج: أعيد إلى نيابة صفد بعد محمد بن مبروك الناصري ولم نتمكن من معرفة تاريخ ذلك غير أن هذا الأمير كان نائباً لصفد سنة ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م، واستمر بها حتى وفاته في شعبان ٨٥٧هـ / آب ـ أغسطس ١٤٥٣م[١١٨].

١١٩ ـ الأمير اياس الطويل: ولي نيابة صفد بعد وفاة الأمير المؤيدي الأعرج وكان قبل ذلك يشغل منصب أتابك العسكر بطرابلس وقد استمر حوالي سنتين على نيابتها[١١٩].

١٢٠ ـ الأمير جاني بك التاجي: تولى نيابة صفد خلفاً للأمير اياس الطويل في شعبان سنة ٨٥٩هـ / تموز ـ آب ١٤٥٥م[١٢٠].

١٢١ ـ الأمير خاير بك النوروزي القصروي: نقل في ربيع الأخر سنة ٨٦٣هـ / أيار ـ مايو ١٤٥٨م من نيابة غزة إلى نيابة صفد خلفاً للأمير جاني بك التاجي الذي نقل إلى نيابة حماة[١٢١].

١٢٢ ـ الأمير تمراز الأشرفي: ولي نيابة صفد في رمضان سنة ٨٦٥هـ / حزيران ـ يونيو ١٤٦١م من أجل استرضائه لأنه اتفق مع نائب الشام الأمير جانم على العصيان، وحضرا بالعساكر إلى مصر فأزعجا بذلك السلطان، فعين تمراز نائباً لصفد خلفاً لخاير بك النوروزي لإضعاف جانب الأمير جانم نائب الشام، وفر تمراز من صفد في صفر ٨٦٦هـ / تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٤٦١م لأنه أحس بمؤامرة للقبض عليه[١٢٢].

١٢٣ ـ الأمير جاني بك الناصري: ولي نيابة صفد خلفاً لتمراز الأشرفي في الوقت الذي اختفى به وكان قبل ذلك حاجب الحجاب بدمشق[١٢٣].

١٢٤ ـ الأمير خاير بك النوروزي القصروي: نقل من نيابة غزة إلى نيابة صفد في رمضان ٨٦٦هـ / حزيران ـ يونيو ١٤٦٢م خلفاً للأمير جاني بك الناصري الذي نقل إلى نيابة حماة[١٢٤].

١٢٥ ـ الأمير بلاط اليشبكي: عين في نيابة صفد في جمادى الأولى سنة ٨٦٧هـ / شباط ـ فبراير ١٤٦٣م خلفاً للأمير خاير بك القصروي الذي أعطي تقدمة ألف بدمشق وجاء تولي الأمير بلاط مقابل مال بذله وهي المرة الأولى التي منح فيها منصب نيابة صفد مقابل مبلغ من المال[١٢٥].

١٢٦ ـ الأمير يشبك قلق المؤيدي: ولي نيابة صفد في جمادى الأولى سنة ٨٦٨هـ / تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٤٦٣م خلفاً للأمير بلاط اليشبكي الذي نقل إلى حماة وكان أحد الأمراء المقدمين بدمشق[١٢٦].

١٢٧ ـ الأمير جكم الأشرفي المشهور بخال العزيز: ولي نيابة صفد في ربيع الأول سنة ٨٧٠هـ / تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٤٦٥م خلفاً ليشبك قلق المؤيدي وقد جاء إلى صفد منقولاً من نيابة غزة، واستمر نائباً بصفد حتى وفاته في ١٥ صفر سنة ٨٧٥هـ / أيلول ـ سبتمبر ١٤٧٠م[١٢٧].

١٢٨ ـ الأمير أرغون شاه الأشرفي برسباي: ولي نيابة صفد بعد وفاة نائبها الأمير جكم الأشرفي ولا نعرف التاريخ الذي عزل به[١٢٨].

١٢٩ ـ الأمير بردبك جرباش: أحد أقرباء السلطان الملك الأشرف قايتباي، لا نعرف التاريخ الذي ولي به نيابة صفد ولا التاريخ الذي عزل به لكنه كان سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٨م (السنة التي قام بها السلطان قايتباي بجولته التفقدية لبلاد الشام) نائباً لصفد[١٢٩].

١٣٠ ــ الأمير جاني بك السيفي قايتباي الأشرفي: لا نعرف التاريخ الذي تولى به نيابة صفد ولكننا نعرف أنه عزل في ١٧ ربيع الآخر سنة ٨٨٥هـ / ٢٦ حزيران ــ يونيو ١٤٨٠م(١٣٠).

١٣١ ــ الأمير جاني بك ألماس شاد الشرابخاناه: ولي نيابة صفد إثر عزل جاني بك السيفي واستمر بها حتى محرم سنة ٨٨٧هـ / آذار ــ مارس ١٤٨٢م حيث نقل إلى الكرك(١٣١).

١٣٢ ــ الأمير إينال الخسيف: ولي نيابة صفد بعد نقل جاني بك ألماس منها إلى الكرك واستمر بها حتى ٢٧ محرم سنة ٨٩٢هـ / ٢٣ كانون الثاني ــ يناير ١٤٨٧م(١٣٢).

١٣٣ ــ الأمير يلباي الإينالي: ولي نيابة صفد خلفاً للأمير إينال الخسيف الذي نقل إلى حجوبية الحجاب بدمشق، وقد بذل هذا الأمير في سبيل نيابة صفد مبلغ عشرين ألف دينار(١٣٣).

١٣٤ ــ الأمير أزدمر المسرطن: عين في شوال سنة ٨٩٦هـ / آب ــ أغسطس ١٤٩١م خلفاً للأمير يلباي الإينالي(١٣٤).

١٣٥ ــ الأمير آقباي: نقل في جمادى الأولى ٨٩٩هـ / شباط ــ فبراير ١٤٩٤م من نيابة غزة خلفاً لأزدمر المسرطن(١٣٥).

١٣٦ ــ الأمير كرتباي: ولي نيابة صفد في مستهل رجب سنة ٩٠٠هـ / ٢٧ آذار ــ مارس ١٤٩٥م وكان قبل ذلك نائباً لقلعة حلب وقد توجه إلى مقر عمله في ٢٤ رجب من العام نفسه / ١٩ نيسان ــ أبريل ١٤٩٥م(١٣٦).

١٣٧ ــ الأمير برد بك: ولي نيابة صفد في ٩ محرم سنة ٩٠٢هـ / ١٨ أيلول ــ سبتمبر ١٤٩٦م خلفاً للأمير كرتباي واستمر حتى ٣ محرم سنة ٩٠٥هـ / ١١ آب ــ أغسطس ١٤٩٩م(١٣٧).

١٣٨ ــ الأمير يلباي الإينالي: أعيد إلى نيابة صفد إثر عزل الأمير برد بك ولكنه لم يمض سوى شهر هذه المرة فقد عزل في ٢٥ محرم ٩٠٥هـ / ١ أيلول ــ سبتمبر ١٤٩٦م(١٣٨).

١٣٩ ــ الأمير قانصوه اليحياوي: ولي نيابة صفد بعد الأمير يلباي واستمر في نيابة صفد حتى ١٢ ذي الحجة سنة ٩٠٦هـ / تموز ــ يوليو ١٥٠١م حيث نقل إلى حجوبية دمشق(١٣٩).

١٤٠ ــ الأمير سودون الدواداري: ولي نيابة صفد إثر نقل الأمير قانصوه اليحياوي واستمر حتى شعبان ٩١٠هـ / كانون الثاني ــ يناير ١٥٠٥م حيث نقل إلى نيابة حماة(١٤٠).

١٤١ ــ الأمير يخشباي: ولي نيابة صفد إثر نقل الأمير سودون الدواداري إلى حماة واستمر حتى ٢ ربيع الأول ٩١١هـ / ٣ آب ــ أغسطس ١٥٠٥م(١٤١).

١٤٢ ــ الأمير قانصوه الجمل: ولي نيابة صفد إثر عزل الأمير يخشباي وقد نقل إليها من حجوبية دمشق(١٤٢).

١٤٣ ــ الأمير جان بردي الغزالي: ولي نيابة صفد في رجب سنة ٩١٥هـ / تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٥٠٩م خلفاً للأمير قانصوه الجمل وفي سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠ ــ ١٥١١م أضيفت إليه نيابة الكرك مع نيابة صفد واستمر حتى ربيع الآخر سنة ٩١٨هـ / أيار ــ مايو ١٥١٢م(١٤٣).

١٤٤ ــ الأمير طراباي: ولي نيابة صفد في ربيع الآخر ٩١٨هـ / أيار ــ مايو ١٥١٢م إثر نقل الأمير جان بردي الغزالي إلى نيابة حماة. وقد تولى هذا الأمير نيابة صفد لقاء مبلغ كبير من المال وبعد مسعى طويل(١٤٤).

١٤٥ ــ الأمير يوسف نائب القدس: عين في ١٤ جمادى الآخر سنة ٩٢١هـ / ٢٤ تموز ــ يوليو ١٥١٥م في نيابة صفد وذلك خلفاً للأمير طراباي وكان هذا الأمير قد سعى إلى هذا المنصب ببذل مبلغ كبير من المال حتى تمكن من الوصول إليه(١٤٥).

١٤٦ ــ الأمير طراباي: أعيد إلى نيابة صفد في ربيع الأول سنة ٩٢٢هـ / نيسان ــ أبريل ١٥١٦م واستمر على نيابة صفد حتى سقطت بلاد الشام بيد العثمانيين بعد هزيمة المماليك ومقتل سلطانهم في موقعة مرج دابق في ٢٥ رجب ٩٢٢هـ / ٢٤ آب ــ أغسطس ١٥١٦م(١٤٦).

ملحق رقم (٨)
نواب السلطنة في غزة

١ ــ الأمير شمس الدين آقوش البرلي العزيزي: من مماليك الملك الأيوبي العزيز محمد صاحب حلب، وكان أول مقدم تولى أمر الساحل وغزة وذلك إثر الانتصار الذي أحرزه المماليك على المغول في عين جالوت عام (٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) توفي عام ٦٦١هـ / ١٢٦٢م(١).

٢ ــ الأمير علاء الدين أيدغدي الحراني الظاهري: رتبه

السلطان الملك المنصور قلاوون عام ٦٨٠هـ / ١٢٨١م مقدماً للبلاد الغزاوية والساحلية، للتصدي لخطر العشير الذي ثار ونهب نابلس في العام نفسه[٢].

٣ ـ الأمير عز الدين أيبك المنصوري: كان من مماليك السلطان الملك المنصور قلاوون، نقله هذا السلطان سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م من نيابة الكرك إلى غزة مقدماً للعسكر بها، ولكن إقامته فيها لم تدم طويلاً، حيث نقل منها إلى قلعة صفد، ثم عاد إلى غزة ثانية عام ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م بعد عزل الأمير شمس الدين أقسنقر كرتيه وكانت وفاته في طرابلس عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م[٣].

٤ ـ الأمير شمس الدين آقسنقر كرتيه: ولي تقدمة العسكر بغزة عام ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م وعزل عام ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م. واتصف المذكور بالشجاعة والإقدام، وتوفي عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م[٤].

٥ ـ الأمير عز الدين أيبك الموصلي: خلف آقسنقر في تقدمة عساكر غزة، ولا ندري المدة التي قضاها في منصبه[٥].

٦ ـ الأمير عز الدين الجناحي: ويبدو أنه قد توفي سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م، ففي هذه السنة بلغ الأمير سيف الدين جاغان شاد الدواوين بدمشق أن الجناحي ترك قبل وفاته وديعة مالية كبيرة جداً، فأراد مصادرتها، ومن المفيد أن الجناحي هو أول من أشارت إليه جلّ المصادر باسم «نائب غزة»[٦].

٧ ـ الأمير ركن الدين أبو سعيد منكبرس الجمالي: تولى نيابة غزة أيام السلطان الملك حسام الدين لاجين (٦٩٧ ـ ٦٩٨هـ / ١٢٩٨ ـ ١٢٩٩م) وتوفي عام ٦٩٩هـ / ١٣٠٠م[٧].

٨ ـ الأمير سيف الدين آقجبا المنصوري: استنابه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أيام سلطنته الثانية على غزة وظل في منصبه حتى سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م، وقد توفي عام ٧١٠هـ / ١٣١٠م[٨].

٩ ـ الأمير بيبغا التركماني الخاصكي: ولي نيابة غزة عام ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م وتوفي في العام نفسه[٩].

١٠ ـ الأمير بيبرس العلائي الحاجبي: ولي نيابة غزة عام ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م وعزل منها عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م وتوفي في الكرك عام ٧١٢هـ / ١٣١٢م[١٠].

١١ ـ الأمير سيف الدين بلبان بن عبد الله البدري: ولي نيابة غزة عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م إثر عزل الأمير بيبرس العلائي الحاجب أيام السلطان الملك المظفر بيبرس الجاشنكير وتوفي عام ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م[١١].

١٢ ـ الأمير سيف الدين بكتمر الحسامي: ولي نيابة غزة عام ٧١٠هـ / ١٣١٠م بدلاً من الأمير بلبان البدري، وتوفي عام ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م، وخلّف أموالاً طائلة، ذلك أنه كان معروفاً بالشح وجمع المال[١٢].

١٣ ـ الأمير قطلقتمر: تولى نيابة غزة بعد عزل الأمير بكتمر الحسامي عام ٧١٠هـ / ١٣١٠م وفي جمادى الأولى عام ٧١١هـ / تشرين الأول ـ أكتوبر ١٣١١م، تم القبض عليه لتورطه في المؤامرات، ثم نقل إلى الكرك واعتقل بها، وتوفي بعد سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م[١٣].

١٤ ـ الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي الشافعي: ولد بآمد عام ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م، ثم صار عند أمير يقال له «جاول» أيام سلطنة السلطان الملك الظاهر بيبرس فنسب إليه، ثم انتقل إلى خدمة السلطان الملك المنصور قلاوون وولي نيابة الشوبك أيام السلطان الملك زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري، وبعد عودة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك عام ٧١١هـ / ١٣١١م جهز الجاولي إلى غزة نائباً وأضاف إليه القبض على الأمير قطلقتمر، وازدهرت غزة في أيامه، ويبدو ذلك من قول ابن حجر العسقلاني: «فعمر بها قصراً للنيابة وهو أول من مدنها لبنائه بها القصر والجامع والحمام والمدرسة للشافعية وخان السبيل والمرستان والميدان». وفي عام ٧١٣هـ / ١٣١٣م استدعاه السلطان الملك الناصر محمد لروك البلاد الشامية. وفي عام ٧١٧هـ / ١٣١٧م حاصر الأمير علم الدين سنجر الجاولي قلعة سلع في وادي موسى بقوة بلغت نحو ١٠,٠٠٠ فارس لمدة عشرين يوماً، واستولى عليها وقتل ستين رجلاً من أهلها وحصل العسكر على غنائم كثيرة، ورتب الجاولي بها رجالاً من قبله، ورجع إلى غزة. وفي عام ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م ألقي القبض على الجاولي وسجن بالاسكندرية، وذلك لقلة اكتراثه بالأمير تنكز نائب الشام، يضاف إلى هذا «أنه لما راك البلاد الشامية اختار لمماليكه خيار الإقطاعات، فلم يعجب تنكز نائب الشام بذلك، وكان السلطان الملك الناصر محمد عندما عين نوابه على البلاد الشامية اختار أن يكون الأمير تنكز واسطة بينه وبينهم، فغضب الجاولي لأنه كان يظن أنه بتقدمته وسابقته لا يتقدم تنكز عليه»، فاستأذن من أجل الذهاب إلى الحج، فوشى عليه بعض مماليكه بأنه يريد الهروب إلى اليمن، فما كان من السلطان الملك الناصر إلا أن أمر بإلقاء

القبض عليه وأودعه السجن، وظل معتقلاً إلى أن أفرج عنه عام ٧٣٨هـ / ١٣٢٧م، وأمره بعد ذلك على أربعين فارساً لفترة من الزمن ثم منحه إمرة مائة وقدمه على ألف فارس، وجعله من أمراء المشورة، واستمر على ذلك حتى وفاة السلطان الملك الناصر محمد عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م، ونقل إبان سلطنة ابنه السلطان الملك الصالح إسماعيل بن الناصر (٧٤٢ ـ ٧٤٦هـ / ١٣٤٢ ـ ١٣٤٥م) إلى نيابة حماة، ثم عاد إلى نيابة غزة بدلاً من الأمير مسعود بن خطير، الذي نقل إلى دمشق، وقد ترك الجاولي آثاراً جليلة في غزة والقدس والرملة وأرسوف وقاقون وغيرها.

أما فيما يتعلق باهتمامه بالعلم، فقد كان محباً له، خاصة علم الحديث، قرأ الفقه على مذهب الشافعي، ووضع شرحاً على مسند الشافعي وكان آخر أيامه يفتي ويخرج خطه بالإفتاء على مذهب الشافعي وتوفي في القاهرة في رمضان عام ٧٤٥هـ / كانون الثاني ـ يناير ١٣٤٥م[١٤].

١٥ ـ الأمير حسام الدين لاجين الصغير: كان من أمراء دمشق، ولي بر مدينة دمشق، ثم نقل عام ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م إلى نيابة غزة، بعد القبض على الأمير علم الدين سنجر الجاولي وفي أواخر أيامه ناب في البيرة على الفرات، وبها كانت وفاته عام ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م[١٥].

١٦ ـ الأمير عز الدين أيبك الجمالي: كان نائباً في الكرك، ونقل في عام ٧٣٥هـ / ١٣٢٥م إلى نيابة غزة واستقر بها حتى سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م وقد ولّي بعده[١٦].

١٧ ـ الأمير بكتمر العلائي الأستاذدار، وكان بكتمر من كبار شخصيات الدولة، ولي الحجوبية في القاهرة كما ولي الوزارة، كما ولي نيابة صفد[١٧].

١٨ ـ الأمير علاء الدين طنبغا السلحدار: كان نائباً في غزة ولا نعرف السنة التي عين بها، إلاّ أننا نعرف أنه كان نائباً لغزة عام ٧٣٢هـ / ١٣٣١م وتوفي بها في العام نفسه[١٨].

١٩ ـ الأمير سيف الدين طينال: كان نائباً بطرابلس حتى عام ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م حيث نقل إلى نيابة غزة إهانة له، بسبب شكوى الأمير تنكز نائب الشام منه، فباشرها طينال قليلاً، ثم رجع إلى طرابلس عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٥م بعد أن تعهد بالطاعة لتنكز. وأمّر طينال بدمشق عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م بعد القبض على تنكز وأعيد إلى طرابلس ثم نقل بعدها إلى نيابة صفد، فمات فيها عام ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م[١٩].

٢٠ ـ الأمير سيف الدين جركتمر: ولي نيابة غزة عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٥م بعد أن نقل الأمير سيف الدين طينال إلى نيابة طرابلس[٢٠].

٢١ ـ الأمير طيبغا حاجي: ولي نيابة غزة عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م بعد نقل الأمير جركتمر إلى نيابة حمص[٢١].

٢٢ ـ الأمير علاء الدين الطنبغا: كان نائباً بحلب، وفي عام ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م نقل إلى نيابة غزة بسبب خلاف بينه وبين الأمير تنكز نائب الشام، وبعد القبض على تنكز أرسلت إليه بشارة وأنعم عليه من مال دمشق بخمسين ألف درهم وألف غرارة من الغلة، وحمل إليه ألف دينار، وتعبئة قماش وتشريف كامل، لكن مقامه لم يطل في غزة فقد عزل، واعتقل وتوفي معتقلاً بسجن الاسكندرية سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م وكان موصوفاً بالمعرفة والفروسية طويل الروح في الأحكام لكنه كان سريعاً إلى سفك الدماء[٢٢].

٢٣ ـ الأمير بيبرس الموفقي: كان مملوكاً للموفق نائب الرحبة، ولهذا نسب إليه، وتولى نيابة غزة زمن السلطان الملك الناصر محمد وتوفي عام ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م[٢٣].

٢٤ ـ الأمير بدر الدين مسعود بن أوحد بن مسعود الخطير: ولد بدمشق عام ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م تنقل في الولايات إلى أن عين نائباً لغزة عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م ويبلغ عدد المرات التي ناب بها في غزة ثلاث مرات ونقل في أواخر أيامه إلى نيابة الغيبة بدمشق إلى أن توفي عام ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م[٢٤].

٢٥ ـ الأمير شمس الدين آقسنقر بن عبد الله السلاري: أصله من مماليك الأمير سلار، واتصل بخدمة السلطان الملك الناصر محمد فولاه نيابة غزة عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م بعد نقل الأمير ابن الخطير إلى دمشق. وفي عام ٧٤٢هـ / ١٣٤١م أقره «السلطان الملك أحمد بن الناصر» وتوفي عام ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م[٢٥].

٢٦ ـ الأمير آقسنقر الناصري: ولي غزة سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م، وقد كلفه السلطان أحمد بن الناصر محمد أثناء إقامته بالكرك بعدة مهام، ويبدو أنه عزل بعد عزل هذا السلطان، وقد توفي فيما بعد مقتولاً سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م[٢٦].

٢٧ ـ الأمير حسام الدين طرنطاي البشمقدار: تولى نيابة غزة أيام «السلطان الملك الصالح علاء الدين إسماعيل بن الناصر محمد» عام ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م، بعد توجه الجاولي إلى مصر، وأقام

في غزة سنة أو أكثر. ثم نقل منها عام ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م ومات بدمشق عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م وقد جاوز السبعين[٢٧].

٢٨ ــ الأمير بيبغا ططر: تولى نيابة غزة سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م بدلاً من الأمير طرنطاي البشمقدار[٢٨].

٢٩ ــ الأمير علاء الدين أيدمر الزراق: ولي نيابة غزة عام ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م وبعدها ولي إمرة دمشق أيام السلطان الملك الناصر حسن (٧٤٨ ــ ٧٥٢هـ / ١٣٤٧ ــ ١٣٥١م) ومات في حدود سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م[٢٩].

٣٠ ــ الأمير سيف الدين اراق الفتاح: كان نائباً بغزة سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م ومنها نقل إلى نيابة صفد وقد استقر في أواخر أيامه أميراً بدمشق[٣٠].

٣١ ــ الأميرسيف الدين اياس (أياز) الساقي: تولى نيابة غزة عام ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م أيام «السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد» (٧٤٦ ــ ٧٤٧هـ / ١٣٤٥ ــ ١٣٤٦م) وتوفي بها في السنة نفسها ودفن بالقدس[٣١].

٣٢ ــ الأمير أيتمش عبد الغني: «عينه السلطان الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد نائباً في غزة في شوال» عام ٧٤٧هـ / شباط ــ فبراير ١٣٤٧م[٣٢].

٣٣ ــ الأمير يلجك: تولى نيابة غزة في ذي الحجة عام ٧٤٩هـ / آذار ــ مارس ١٣٤٩م زمن السلطان الملك الناصر حسن. وفي عام ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م كثر فساد العشير ببلاد القدس ونابلس فأيد يلجك «أدي بن فضل» أمير عرب جرم ضد ثعلبة، وتمثل هذا التأييد بخروج الأمير يلجك بعسكره لإخمادهم فهزموه وأهانوه[٣٣].

٣٤ ــ الأمير سيف الدين دلنجي: تولى نيابة غزة وولاية نابلس عام ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م وقاسى من عرب جرم، وتمكن من كسر شوكتهم، وتوفي عام ٧٥١هـ / ١٣٥٠م[٣٤].

٣٥ ــ الأمير فارس الدين البكي: ولي نيابة السلطنة بالأعمال الساحلية والجبلية وغزة عام ٧٥١هـ / ١٣٥٠م وإليه تنسب المدرسة الفارسية بداخل المسجد الأقصى، وتوفي في شوال عام ٧٥٦هـ / تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٣٥٥م[٣٥].

٣٦ ــ الأمير أرغون يلبغا الإسماعيلي: ولي نيابة غزة عام ٧٥٢هـ / ١٣٥١م بعد نقل الأمير البكي إلى القاهرة حيث أنعم عليه بإمرة طلبخاناة[٣٦].

٣٧ ــ الأمير شهاب الدين أحمد بن علي بن حسن بن حسين بن صبح الكردي الدمشقي: ولي نيابة غزة عام ٧٥٢هـ / ١٣٥١م ثم نقل إلى صفد وكان حسن السيرة صارماً مهاباً، وتوفي في ربيع الآخر عام ٧٧١هـ / تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٣٦٩م[٣٧].

٣٨ ــ الأمير علاء الدين ألطنبغا برناق الجاشنكير: ولي نيابة غزة، ثم صفد وقد انضم إلى بيبغاروس الذي تسلطن بحلب عام ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م وتلقب بالعادل وأسر بحلب ووُسِطَ بسوق الخيل بدمشق من السنة نفسها[٣٨].

٣٩ ــ الأمير ألطنبغا الخازن الشريفي: ولي نيابة غزة أثناء حركة بيبغاروس في شعبان عام ٧٥٣هـ / أيلول ــ سبتمبر ١٣٥٢م وتوفي بها في رجب عام ٧٥٦هـ / تموز ــ يوليو ١٣٥٥م[٣٩].

٤٠ ــ الأمير بيبغا تتر حارس الطير: ولي نيابة غزة أكثر من مرة ولكننا لا نعرف بدقة تاريخ المرات التي تولاها وقد مات بطرابلس بعد عام ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م[٤٠].

٤١ ــ الأمير تمر المهمندار: كان نائباً بغزة عام ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م، ثم نقل إلى حجوبية الحجاب بدمشق ومات في شوال من العام نفسه وقد قارب الثمانين[٤١].

٤٢ ــ الأمير تمان تمر العمري: كان نائباً في غزة سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م وتوفي في السنة نفسها[٤٢].

٤٣ ــ الأمير أرنبغا الكاملي: ولي نيابة غزة عام ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م زمن السلطان الأشرف زين الدين أبي المعالي شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد بعد وفاة الأمير تمان تمر العمري[٤٣].

٤٤ ــ الأمير ألطنبغا البشتكي: ولي نيابة غزة في رمضان عام ٧٦٦هـ / حزيران ــ يونيو ١٣٦٥م بعد وفاة الأمير أُرنبغا الكاملي. ثم ولي الاستدارية في القاهرة حيث توفي فيها مصاباً بمرض الطاعون، في شعبان عام ٧٦٩هـ / نيسان ــ أبريل ١٣٦٨م[٤٤].

٤٥ ــ الأمير علي بك بن أرغون الأزقي: تولى نيابة غزة في ربيع الأول عام ٧٦٨هـ / تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٣٦٦م بعد نقل الأمير ألطنبغا البشتكي إلى القاهرة. وتوفي في جمادى الآخرة عام ٧٧٠هـ / كانون الثاني ــ يناير ١٣٦٩م[٤٥].

٤٦ ــ الأمير طقتمر الشريفي: ولي نيابة غزة عام

٧٦٩هـ / ١٣٦٧م وعزل في ربيع الآخر ثم أُعيد إليها بعد نقل الأمير أيدمر الأنوكي الدوادار إلى نيابة طرابلس في جمادى الأولى من العام نفسه[٤٦].

٤٧ ــ الأمير أيدمر الأنوكي الدوادار: ولي نيابة غزة في ربيع الآخر عام ٧٦٩هـ / شباط ــ فبراير ١٣٦٨م خلفاً للأمير طقتمر الشريفي، ثم نقل إلى نيابة طرابلس بعد قرابة شهر من العام نفسه[٤٧].

٤٨ ــ الأمير محمد بك الشيخوني: ولي نيابة غزة في ذي الحجة من عام ٧٧٠هـ / تموز ــ يوليو ١٣٦٩م[٤٨].

٤٩ ــ الأمير ركن الدين عمر بن أرغون بن عبد الله التركي: ولي نيابة غزة، ولكننا لا نعرف تاريخ ذلك بالتحديد. توفي في ذي الحجة عام ٧٧٣هـ / حزيران ــ يونيو ١٣٧٢م[٤٩].

٥٠ ــ الأمير طيدمر البالسي: كان نائباً في غزة عام ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م[٥٠].

٥١ ــ الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشي: ولي نيابة غزة عام ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م خلفاً للأمير طيدمر البالسي[٥١].

٥٢ ــ الأمير طشبغا المظفري: كان نائباً في غزة عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م[٥٢].

٥٣ ــ الأمير شهاب الدين أحمد بن آل ملك: تولى نيابة غزة في ربيع الآخر عام ٧٧٥هـ / تشرين الأول ــ أكتوبر ١٣٧٣م، بدلاً من الأمير طشبغا المظفري وتوفي في جمادى الآخرة عام ٧٩٣هـ / أيار ــ مايو ١٣٩١م[٥٣].

٥٤ ــ الأمير قطلو بغا المنصوري: ولي نيابة غزة في ربيع الآخر عام ٧٧٥هـ / تشرين الأول ــ أكتوبر ١٣٧٣م بعد نقل الأمير شهاب الدين أحمد بن آل ملك إلى نيابة القدس والخليل[٥٤].

٥٥ ــ الأمير كجك: تولى نيابة غزة في شعبان عام ٧٧٥هـ / شباط ــ فبراير ١٣٧٤م[٥٥].

٥٦ ــ الأمير زين الدين مبارك شاه المشطوب: ولي نيابة غزة في رجب عام ٧٧٨هـ / تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٣٧٦م زمن «السلطان المنصور علي بن شعبان»[٥٦].

٥٧ ــ الأمير سيف الدين آقبغا الجوهري اليلبغاوي: ولي نيابة غزة في شعبان عام ٧٧٩هـ / كانون الأول ــ ديسمبر ١٣٧٧م بعد نقل الأمير مبارك شاه بن المشطوب حاجباً إلى طرابلس، ثم نقل إلى نيابة صفد في العام نفسه، ووصفه ابن قاضي شهبة بأنه: «كان شكلاً حسناً وعنده تفهم ويعرف مسائل في العلم، ولكن كانت أخلاقه شرسة وعنده حدة وجبروت ونفسه قوية في معاملات الناس» وقد توفي عام ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م[٥٧].

٥٨ ــ الأمير مبارك شاه الطازي: ولي نيابة غزة عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م بعد نقل الأمير أقبغا الجوهري إلى نيابة صفد[٥٨].

٥٩ ــ الأمير تغري برمش حاجب الحجاب: ولي نيابة غزة في رجب عام ٧٨٠هـ / تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٣٧٨م[٥٩].

٦٠ ــ الأمير ناصر الدين محمد بن علي الجيبغا العادلي: ولي نيابة غزة عام ٧٨١هـ / ١٣٧٩م بعد نقل الأمير تغري برمش إلى رتبة مقدم ألف بدمشق، وتوفي في جمادى الآخرة من العام نفسه[٦٠].

٦١ ــ الأمير آقبغا عبد الله: ولي نيابة غزة عام ٧٨١هـ / ١٣٧٩م بعد وفاة الأمير محمد بن الجيبغا، وقبض عليه في ذي الحجة من العام نفسه وأمر أن يتوجه إلى طرابلس أمير عشيرة، ففر إلى جهة نعير، أمير قبائل آل فضل بالشام[٦١].

٦٢ ــ الأمير علاء الدين آقبغا الصفوي: لا نعرف السنة التي تولى فيها نيابة غزة، ولكننا نعرف أنه كان من نواب السلطان الملك الظاهر برقوق في غزة، وكان فيها عام ٧٩١هـ / ١٣٨٩م حيث ألقي القبض عليه بسبب ممالأته لمنطاش، وأرسل إلى الكرك في العام نفسه[٦٢].

٦٣ ــ الأمير حسام الدين بن حسن بن باكيش: ولي نيابة السلطنة بغزة عام ٧٩١هـ / ١٣٨٩م خلفاً للأمير علاء الدين آقبغا الصفوي، وفي هذا العام دخل الأميران يلبغا الناصري وسيف الدين منطاش القاهرة وأعادا السلطة إلى «السلطان الصالح أمير حاج بن شعبان ٧٩١ ــ ٧٩٢هـ / ١٣٨٨ ــ ١٣٨٩م وتحكما في تصريف أمور السلطنة فهرب الظاهر برقوق إلى الكرك وفرق الناصري نوابه في العام نفسه، فأبقى ابن باكيش على غزة. وقد انضم باكيش إلى حركة الأمير منطاش حين قرر محاربة الظاهر برقوق، حيث سير جيشاً من غزة وخرج على رأسه لمحاربة الظاهر برقوق، لكنه أخفق في ذلك، وتم القبض على ابن باكيش من قبل الأمير منصور حاجب غزة في العام نفسه، وقتل في شعبان عام ٧٩٣هـ / تموز ــ يوليو ١٣٩١م»[٦٣].

٦٤ ــ الأمير علاء الدين آقبغا: تولى نيابة غزة بعد عودة السلطان الملك الظاهر برقوق إلى السلطنة للمرة الثانية عام

٧٩٢ ـ ٨٠١هـ / ١٣٨٩ ـ ١٣٩٨م عام ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م[٦٤].

٦٥ ـ الأمير سيف الدين يلبغا الأشقتمري: ولي نيابة غزة في جمادى الآخرة عام ٧٩٣هـ / أيار ـ مايو ١٣٩١م خلفاً للأمير آقبغا الصغير، وتوفي بمرض الطاعون في جمادى الآخرة عام ٧٩٥هـ / أيار ـ مايو ١٣٩٣م[٦٥].

٦٦ ـ الأمير علاء الدين الطنبغا بن عبد الله الظاهري: ولي نيابة غزة في جمادى الآخرة عام ٧٩٥هـ / أيار ـ مايو ١٣٩٣م، بعد وفاة الأمير يلبغا الأشقتمري، وسافر إلى مقر نيابته في رجب في العام نفسه وعزل وتولاها غير مرة وأعيد إليها للمرة الثانية عام ٨٠٤هـ / ١٤٠٢م بدلاً من الأمير صُرق، ثم عزل عنها بالأمير خاير بك عام ٨٠٥هـ / ١٤٠٣م، وأعيد إلى نيابتها للمرة الثالثة عام ٨١١ ـ ٨١٢هـ / ١٤٠٨ ـ ١٤٠٩م، ثم عزل عنها بالأمير إينال الصلصاني، ثم أعيد للمرة الرابعة عام ٨١٥هـ / ١٤١٢م خلفاً للأمير سودون من عبد الرحمن[٦٦].

٦٧ ـ الأمير شهاب الدين بن الشيخ علي: ولي نيابة غزة في شعبان عام ٧٩٨هـ / أيار ـ مايو ١٣٩٦م بعد نقل الأمير الطنبغا العثماني إلى حجوبية الحجاب بالقاهرة، ثم نقل إلى نيابة صفد في محرم عام ٨٠٠هـ / تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٣٩٧م[٦٧].

٦٨ ـ الأمير سيف الدين بيقجاه (بيخجا) طيفور بن عبد الله الظاهري الأشرفي: ولي نيابة غزة في صفر عام ٨٠٠هـ / تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٣٩٧م بعد نقل الأمير ابن الشيخ علي إلى صفد، ثم نقل إلى حجوبية الحجاب بدمشق في رجب عام ٨٠١هـ / آذار ـ مارس ١٣٩٩م، وكان ممن ناصر الأمير تنم الحسني نائب دمشق على العصيان عام ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م وقتل بقلعة دمشق في منتصف شعبان من العام نفسه[٦٨].

٦٩ ـ الأمير الطنبغا قراقاش: تولى نيابة غزة في رجب عام ٨٠١هـ / آذار ـ مارس ١٣٩٩م بعد نقل الأمير بيقجاه إلى حجوبية دمشق، وهو آخر نواب برقوق عليها[٦٩].

٧٠ ـ الأمير سيف الدين آقبغا بن عبد الله الطولوغي الظاهري: يعرف باللكاش وبآقبغا جيار. انضم إلى الأمير تنم عندما أعلن عصيانه عام ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م فولاه تنم نيابة غزة، لذا هرب الأمير الطنبغا قراقاش، وأصبح اللكاش مدبر الأمير في غزة بأمر نائب الشام، وقد قتل اللكاش في شعبان من العام نفسه[٧٠].

٧١ ـ الأمير بهاء الدين عمر بن الطحان الحلبي: تولى نيابة غزة عام ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م خلفاً للأمير آقبغا اللكاش، وفي عام ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م خرج على رأس عساكر غزة قاصداً حلب لمواجهة جيش تيمورلنك فوقع في الأسر، وفي عام ٨٠٤هـ / ١٤٠١م خرج ابن الطحان من الأسر[٧١].

٧٢ ـ الأمير طولو من علي شاه: ولي نيابة غزة في ربيع الآخر عام ٨٠٣هـ / كانون الأول ـ ديسمبر ١٤٠٠م بدلاً من الأمير عمر بن الطحان، ثم نقل إلى نيابة الاسكندرية، وكان قد انضم إلى حركة شيخ جكم وقتل في ذي الحجة عام ٨٠٨هـ / حزيران ـ يونيو ١٤٠٦م[٧٢].

٧٣ ـ الأمير صُرق: كان من مقدمي الألوف بدمشق، ولي نيابة غزة عام ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م خلفاً للأمير طولو من علي شاه، وفي عام ٨٠٤هـ / ١٤٠١م وقع قتال بينه وبين سلامش حاجبها، فالتحق بعمر بن فضل، أمير جرم، فاتفقا ضد الأمير صُرق، فهزم الأخير وأسر، ونهبت غزة بعد ذلك، وأخيراً استقر صُرق في كشف بلاد الشام لدفع العربان عنها، في شعبان من العام نفسه، فأوقع بهم وأكثر من القتل فيهم[٧٣].

٧٤ ـ الأمير سيف الدين خير بك بن عبد الله الظاهري: كان من الأمراء المقدمين بدمشق، واستقر في نيابة غزة عام ٨٠٥هـ / ١٤٠٣م بدلاً من الأمير الطنبغا العثماني وتوفي بسجن الاسكندرية في شوال عام ٨١٤هـ / كانون الأول ـ ديسمبر ١٤١١م وقد وصف بالصلف والجشع والظلم[٧٤].

٧٥ ـ الأمير سلامش حاجب غزة: ولي نيابة غزة في ذي الحجة عام ٨٠٧هـ / حزيران ـ يونيو ١٤٠٥م[٧٥].

٧٦ ـ الأمير دمرداش المحمدي: ولي نيابة غزة في ربيع الأول عام ٨٠٨هـ / أيلول ـ سبتمبر ١٤٠٥م[٧٦].

٧٧ ـ الأمير سودون من زاده: ولي نيابة غزة في جمادى الآخرة عام ٨٠٨هـ / كانون الأول ـ ديسمبر ١٤٠٥م[٧٧].

٧٨ ـ الأمير إينال الصلصلاني: ولي نيابة غزة في محرم عام ٨١٢هـ / أيار ـ مايو ١٤٠٩م بعد نقل الأمير ألطنبغا العثماني إلى نيابة صفد[٧٨].

٧٩ ـ الأمير سيف الدين يشبك الموساوي بن عبد الله الظاهري: يعرف بالأفقم، ولي نيابة غزة عام ٨١٢هـ / ١٤٠٩م، ثم نقل إلى طرابلس في العام التالي، «وكان ظالماً سيىء الاعتقاد في الأئمة، رديء المذهب، ذا سيرة خبيثة»، ومات مقتولاً بسجن الإسكندرية عام ٨١٤هـ / ١٤١١م[٧٩].

٨٠ ــ الأمير إينال الرجبي: ولي نيابة غزة عام ٨١٤هـ / ١٤١١م من قبل الأمير نوروز وعزل عنها في العام نفسه[٨٠].

٨١ ــ الأمير سودون من عبد الرحمن الظاهري برقوق: ولي نيابة غزة عام ٨١٤هـ / ١٤١١م بعد عزل الأمير إينال الرجبي وعزل عنها عام ٨١٥هـ / ١٤١٢م وكانت وفاته بدمياط عام ٨٤١هـ / ١٤٣٨م[٨١].

٨٢ ــ الأمير تغري بردي الظاهري: يعرف بسيدي صغير: ولي نيابة غزة عام ٨١٦هـ / ١٤١٣م خلفاً للأمير ألطنبغا العثماني وقد مات مقتولاً في العام نفسه[٨٢].

٨٣ ــ الأمير سودون قراصقل: ولي نيابة غزة في رمضان عام ٨١٦هـ / كانون الأول ــ ديسمبر ١٤١٣م بدلاً من الأمير تغري بردي، وتولى آخر أيامه حجوبية طرابلس وقد توفي بها عام ٨٢٠هـ / ١٤١٧م[٨٣].

٨٤ ــ الأمير سيف الدين طرباي بن عبد الله الظاهري جقمق: ولي نيابة غزة عام ٨١٦هـ / ١٤١٣م وخرج على طاعة السلطان في العام نفسه، وانضم إلى الأمير قنباي نائب الشام، ووصفه السخاوي بقوله: «وكان فيما قيل أميراً جليلاً شجاعاً ديناً عفيفاً عن القاذورات غزير العقل حسن الشكالة ضخماً مع إقدام وتكبر وميل لأبناء جنسه الجراكسة» وتوفي بطرابلس عام ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م[٨٤].

٨٥ ــ الأمير سيف الدين مشترك (أجترك) بن عبد الله القاسمي الظاهري برقوق: ولي نيابة غزة عام ٨١٨هـ / ١٤١٥م بعد عصيان الأمير طرباي وقد توفي عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م[٨٥].

٨٦ ــ الأمير إينال السيفي النوروزي: ولي نيابة غزة عام ٨٢٠هـ / ١٤١٧م بدلاً من الأمير مشترك، ونقل إلى نيابة حماة عام ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م وتوفي في ربيع الآخر عام ٨٢٩هـ / شباط ــ فبراير ١٤٢٦م[٨٦].

٨٧ ــ الأمير أركماس الجلباني: ولي نيابة غزة عام ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م بعد نقل الأمير إينال إلى نيابة حماة وكانت وفاته بالرملة في جمادى الآخرة عام ٨٣٨هـ / كانون الثاني ــ يناير ١٤٣٥م ودفن بالقدس[٨٧].

٨٨ ــ الأمير يونس الركني بيبرس: يعرف بالأعور، وهو ابن أخت السلطان الملك الظاهر برقوق، كان أتابكا بدمشق، ونقل إلى نيابة غزة عام ٨٢٤هـ / ١٤٢١م خلفاً للأمير أركماس الجلباني، والتقى في العام التالي مع عرب جرم، فهزموه وقتلوا عدداً من عسكره فعزل ثم أعيد إليها مرة ثانية عام ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م وفي عام ٨٤٠هـ / ١٣٤٦م نقل إلى نيابة صفد وقد توفي بدمشق عام ٨٥١هـ / ١٤٤٧م[٨٨].

٨٩ ــ الأمير سيف الدين تمراز بن عبد الله القرمشي الظاهري: ولي نيابة غزة أيام «السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري» فبقي في نيابتها سنتين، ثم عزل عام ٨٣١هـ / ووصفه ابن تغري بردي بقوله: «وكان من محاسن الدنيا لولا إسرافه على نفسه»، ومات بمرض الطاعون عام ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م[٨٩].

٩٠ ــ الأمير سيف الدين أبو النصر إينال العلائي الظاهري الناصري: يقال له الأجرود، ولي نيابة غزة عام ٨٣١هـ / ١٤٢٨م بعد عزل الأمير تمراز الظاهري، وظل بها حتى ذي القعدة عام ٨٣٦هـ / تموز ــ يوليو ١٤٣٣م، ثم نقل إلى نيابة الرها وتسلطن إينال يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول عام ٨٥٧هـ / آذار ــ مارس ١٤٥٣م وتوفي عام ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م عن عمر يناهز الثمانين. ووصفه السخاوي بقوله: «كان عاقلاً سيوساً بذيء اللسان كثير الاحتمال صبوراً بعيداً عن إثارة الفتن والشرور شجاعاً مقداماً، عارفاً بالحروب والوقائع وبأنواع الملاعب من الفروسية، متحرياً سفك الدماء والحبس يحسب كثيراً من العواقب الدنيوية، حتى إنه قال لمن لامه على إبقاء شخص كان يعلم منه ذمة، عقل الأمر غير عقل السلطنة وقال البقاعي: ما أسلفته فيه مع لين ربما يؤدي إلى خراب الإقليم وقلة المروءة، بل أدى إلى تجرىء مماليكه عليه بالرجم وغيره وعلى سائر الرعايا بجميع أنواع الفسق والكبائر، بحيث غطى ذلك جميع ما لعله يذكر في حسناته خصوصاً وميله إليهم وأكثر اعتذاره عنهم أشهر، هذا مع مزيد شحه ومحبته للمال من أي وجه كان»[٩٠].

٩١ ــ الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله الحمزاوي: تولى نيابة غزة سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٣م بعد نقل الأمير إينال الأجرود إلى الرُّها، وكانت وفاته في السنة نفسها. ووصفه ابن تغري بردي بقوله: «وكان شيخاً طوالاً مشهوراً بالشجاعة غير أني لم أعرف منه إلا الإسراف على نفسه والانهماك في السكر، وأما لفظه وعبارته ففي الغاية من الجهل والإهمال، ومن ركوبه على الفرس كنت أعرف أنه لم يمارس أنواع الفروسية كالرمح والبرجاس وغيره، وبالجملة فإنه كان من المهملين»[٩١].

٩٢ ــ الأمير ركن الدين يونس الخازندار: تولى نيابة غزة عام ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م[٩٢].

٩٣ ــ الأمير سيف الدين تمراز المؤيدي: كان نائباً بصفد، ونظراً لسوء سيرته وكثرة ظلمه عزل عنها، ونقل إلى نيابة غزة عام ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م، واتصفت سيرته بغزة أيضاً بالسوء والظلم والتعسف والفحش، وألقي في عام ٨٤١هـ / ١٤٣٧م القبض عليه وسجن بالاسكندرية، ومات مخنوقاً في جمادى الآخرة من العام نفسه(٩٣).

٩٤ ــ الأمير آق بردي السيفي القجماسي: كان ابن عم السلطان الملك الظاهر برقوق، ولي نيابة غزة عام ٨٤١هـ / ١٤٣٧م خلفاً للأمير تمراز المؤيدي، ولم تكن سيرته حميدة، وتوفي في العام نفسه(٩٤).

٩٥ ــ الأمير طوخ بن عبد الله الظاهري: يعرف بمازي، استقر في نيابة غزة في ذي القعدة عام ٨٤١هـ / أيار ــ مايو ١٤٣٨م: «وكان فيما قيل مسرفاً على نفسه غير محتشم تغلب عليه المداعبة والمزاح، ولم يكن مشكوراً وكان من شرار خلق الله فسقاً وظلماً وطمعاً». توفي في رجب عام ٨٤٣هـ / كانون الأول ــ ديسمبر ١٤٣٩م(٩٥).

٩٦ ــ الأمير طوخ بن عبد الله الأبو بكري المؤيدي: كان مقدم ألف بدمشق ونقل في عام ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م إلى نيابة غزة بعد وفاة الأمير طوخ مازي، وقد قتل أثناء الفتنة التي وقعت بين عربان بني جرم والعايد، وذلك عام ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م(٩٦).

٩٧ ــ الأمير سيف الدين يلخجا بن عبد الله من مامش الساقي الناصري: ولي نيابة غزة عام ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م بعد قتل الأمير طوخ المؤيدي وتوفي عام ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م ودفن بجامع ابن عثمان ظاهر غزة ووصفه ابن تغري بردي بقوله: «وكان أميراً جليلاً رئيساً وجيهاً معظماً في الأول عريقاً في الرئاسة، متجملاً في مركبه وملبسه ومماليكه وكان تركي الجنس، مليح الشكل إلى الغاية، وعنده سلامة باطن، مع خفة روح وبشاشة وتواضع، مع شجاعة وإقدام وحرمة وافرة وكلمة نافذة ولم يكن فيه ما يعاب غير انهماكه في اللذات وبعض سطوة على غلمانه عفا الله عنه»(٩٧).

٩٨ ــ الأمير حطط الناصري فرج: ولي نيابة غزة بدلاً من الأمير يلخجا، وعزل عام ٨٥١هـ / ١٤٤٧م وتوجه إلى دمشق بطالاً، ثم نقل إلى أتابكية طرابلس، حيث توفي فيها عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م عن عمر يناهز السبعين(٩٨).

٩٩ ــ الأمير يشبك الحمزاوي: ولي نيابة غزة عام ٨٥١هـ / ١٤٤٧م بعد عزل الأمير حطط، ثم نقل إلى نيابة صفد في العام نفسه، حيث مات بها في شوال عام ٨٥٥هـ / تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٥٤١م. ووصفه السخاوي بقوله: «كان ديِّناً مشكور السيرة»(٩٩).

١٠٠ ــ الأمير سيف الدين طوغان بن عبد الله العثماني الطنبغا: ولي نيابة غزة عام ٨٥١هـ / ١٤٤٧م، بعد نقل الأمير يشبك الحمزاوي إلى نيابة صفد، وكان شجاعاً مقداماً كريماً، وتوفي بها عام ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م(١٠٠).

١٠١ ــ الأمير خاير بك النوروزي: ولي نيابة غزة عام ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م بعد عزل الأمير طوغان العثماني وعزل في عام ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م وتوجه إلى دمشق بطالاً(١٠١).

١٠٢ ــ الأمير جانبك التاجي المؤيدي: كان نائباً في بيروت ونقل في عام ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م إلى نيابة غزة بعد عزل الأمير خاير بك النوروزي، وقد توفي في جمادى الآخرة عام ٨٦٨هـ / شباط ــ فبراير ١٤٦٤م(١٠٢).

١٠٣ ــ الأمير بردبك العبد الرحماني: كان مقدم ألف، ولي نيابة غزة في ربيع الآخر عام ٨٦٣هـ / شباط ــ فبراير ١٤٥٩م، وعزل عنها عام ٨٦٥هـ / ١٤٦١م(١٠٣).

١٠٤ ــ الأمير خاير بك بن عبد الله القصروي: ولي نيابة غزة عام ٨٦٥هـ / ١٤٦١م بعد عزل الأمير بردبك، ووصفه ابن الصيرفي بقوله: «وكان أهوج حرجاً خفيف العقل طائشاً لا يطاق إذا حكم، وإذا غضب فيرضى بالمال. . .» ونقل في آخر أيامه إلى طرابلس، وتوفي عام ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م(١٠٤).

١٠٥ ــ الأمير شاد بك بن إبراهيم بن المؤيد شيخ الصارمي: ولي نيابة غزة عام ٨٦٦هـ / ١٤٦٢م بعد نقل الأمير خاير بك القصروي إلى نيابة صفد، توفي في ربيع الأول عام ٨٦٧هـ / تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٤٦٢م، وقد قارب الستين(١٠٥).

١٠٦ ــ الأمير أوش قلق: ولي نيابة غزة في جمادى الأولى عام ٨٦٧هـ / كانون الثاني ــ يناير ١٤٦٣م بعد وفاة الأمير شاد بك الصارمي(١٠٦).

١٠٧ ــ الأمير جكم الأشرفي: ولي نيابة غزة في رجب عام ٨٦٧هـ / آذار ــ مارس ١٤٦٣م، ونقل إلى صفد في ربيع الأول من عام ٨٧٠هـ / تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٤٦٥م(١٠٧).

١٠٨ ــ الأمير إينال الأشقر: ولي نيابة غزة في ربيع الأول عام ٨٧٠هـ / تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٤٦٥م بعد نقل الأمير جكم

إلى نيابة صفد، ثم نقل إينال إلى نيابة حماة في اخر شهر ربيع الأول[١٠٨].

١٠٩ ــ ملك الأمراء أرغون شاه الأشرفي برسباي: ولي نيابة غزة في محرم عام ٨٧٣هـ / تموز ــ يوليو ١٤٦٨م، وخرج في عام ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م للقاء الأمير يشبك عند توجهه لقتال شاه سوار، ثم نقل إلى نيابة صفد في العام نفسه بعد وفاة الأمير جكم الأشرفي، ورجع إلى نيابة غزة عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م[١٠٩].

١١٠ ــ الأمير يشبك العلائي: كان نائباً في غزة عام ٨٧٨هـ / ١٤٧٣م، حيث قتل بأمر سلطاني الأمير علي باي الخاصكي الذي دخل غزة قادماً من الخليل، في ذلك العام، ثم قبض على القاضي شهاب الدين بن عبيد الشافعي[١١٠].

١١١ ــ الأمير سيباي الأشرفي: ولي نيابة غزة وتوفي عام ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م[١١١].

١١٢ ــ ملك الأمراء أقباي الأشرفي قايتباي: ولي نيابة غزة عام ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م بعد نقل الأمير سيباي إلى رئاسة الحجاب بدمشق، ومن ألقابه ملك الأمراء، المقر الأشرف السيفي كافل المملكة الغزية.

وفي عام ٨٩٢هـ / ١٤٨٧م حضر ملك الأمراء بغزة عقد الصلح بين نائب القدس السيفي خضر بك وخليل بن إسماعيل شيخ جبل نابلس وفي عام ٨٩٦هـ / ١٤٩٠ ــ ١٤٩١م فصلت الرملة عن إشراف نائب الشام الأمير قانصوه اليحياوي، وأضيفت إلى غزة ولم تجر بذلك عادة قبل هذا التاريخ. وفي عام ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م تم الصلح بينه وبين نائب القدس خضر بك بسبب الشحناء التي كانت بينهما.

وفي العام التالي تم إبرام الصلح بين أقباي وبين الأمير جان بلاط نائب القدس بسبب ما كان بينهما من التنافر، على يد أخي الأخير الأمير قانصوه نائب قلعة الجبل.

وحصل في عام ٨٩٩هـ / ١٤٩٤م خلاف جديد بينهما بسبب توجه الأمير جان بلاط إلى قرية القباب من أعمال الرملة وأخذه موجود الفلاحين، في الوقت الذي كان فيه أقباي يعتبر هذه القرية من المناطق التابعة لنيابته، وأن النائب المذكور دخل إليها بغير إذنه.

عزل من النيابة ثم أعيد إليها عام ٩٠١هـ / ١٤٩٥م من حماة، وأضيفت إليه مدينة القدس ونظر الحرمين الشريفين وكشف الرملة[١١٢].

١١٣ ــ الأمير قاني بك: ولي نيابة غزة عام ٨٩٩هـ / ١٤٩٤م خلفاً للأمير أقباي. وفي عام ٩٠٠هـ / ١٤٩٥ فصلت الرملة عن غزة وأضيفت إلى نائب القدس الأمير جان بلاط، واستبشر أهل الرملة بذلك. وفي عام ٩٠١هـ / ١٤٩٤م عزل الأمير قاني بك وأعيد أقباي[١١٣].

١١٤ ــ الأمير قرقماس: كان حاجباً بدمشق، ولي نيابة غزة عام ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م وفر في محرم / آب ــ أغسطس العام التالي إلى الرملة[١١٤].

١١٥ ــ الأمير قراجا: كان نائباً في غزة عام ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م[١١٥].

١١٦ ــ الأمير خاير بك: ولي نيابة غزة عام ٩٠٥هـ / ١٥٠٠م[١١٦].

١١٧ ــ الأمير قانصوه روح لو: ولي كفالة غزة عام ٩٠٦هـ / ١٥٠١م وعزل عنها في العام نفسه[١١٧].

١١٨ ــ الأمير قانصوه قرا: يعرف بالجمل، كان نائباً في غزة عام ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م[١١٨].

١١٩ ــ الأمير أزبك الصوفي: ولي نيابة غزة عام ٩١١هـ / ١٥٠٥م[١١٩].

١٢٠ ــ الأمير أقباي كاشف الشرقية: ولي نيابة غزة عام ٩١١هـ / ١٥٠٦م خلفاً للأمير أزبك الصوفي[١٢٠].

١٢١ ــ الأمير جان بلاط: كان نائباً في غزة، وتوفي عام ٩١٤هـ / ١٥٠٨م[١٢١].

١٢٢ ــ الأمير دولات باي: كان نائباً في غزة وضمت إليه نيابتا القدس والكرك والرملة عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م[١٢٢].

ملحق رقم (٩)
نواب السلطنة في القدس

(أ) المرحلة التركية:

١ ــ الأمير ركن الدين منكورس الجاشنكير: (ــ ٧١٧هـ / ١٣١٧م) تسلم نيابة القدس سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فتح شباكين بالحائط القبلي في المسجد الأقصى[١].

٢ ــ الأمير علم الدين أبو سعيد سنجر بن عبد الله الجاولي الشافعي: (ــ ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م) ولي عدة وظائف عالية

كان منها: نيابة القدس ونظارة الحرمين الشريفين، ونيابة غزة ونيابة حماة، أقام عدة منشآت في القدس والخليل كان منها مدرسته التي أصبحت داراً للنيابة فيما بعد، وكان عالماً للفقه الشافعي صنف فيه[٢].

٣ ــ الأمير أبو القاسم بن عثمان: (ــ ٧٦٠هـ / ١٣٥٩م) كان من أمراء الطبلخاناه ولي نابلس ونظر القدس والخليل[٣].

٤ ــ الأمير تمراز: (ــ ٨١٤هـ / ١٤١١م) ولي نيابة القدس أيام السلطان الملك الأشرف شعبان سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م[٤].

٥ ــ الأمير بدر الدين حسن بن عماد الدين العسكري: تولى نيابة القدس مع نظارة الحرمين سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م أيام السلطان الملك المنصور علي بن شعبان[٥].

(ب) المرحلة الشركسية:

١ ــ الأمير ناصر الدين محمد بن بهادر: ولي سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م نيابة القدس مع نظارة الحرمين الشريفين وذلك أيام السلطان الملك الظاهر برقوق[٦].

٢ ــ الأمير بلوي الظاهري: ولي نيابة القدس مع نظارة الحرمين الشريفين سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م أيام السلطان الملك الظاهر برقوق وعمَّر عدة منشآت في القدس[٧].

٣ ــ الأمير شهاب الدين أحمد بن النقيب اليغموري (ــ ٨٠١هـ / ١٣٩٩م): ولي نيابة القدس ونظارة الحرمين الشريفين سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م أيام السلطان الملك الظاهر برقوق. أبطل المكوس والضرائب التي أحدثت قبله وعمَّر بعض المنشآت في الحرم الخليلي[٨].

٤ ــ الأمير أصفهان بلاط: ولي سنة ٨٠٤هـ / ١٤٠٢م أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق نيابة القدس مع نظر الحرمين الشريفين[٩].

٥ ــ الأمير علاء الدين علي بن محمد (ــ ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م): ولي نيابة القدس وعمَّر مدرسة بالجهة الشمالية من المسجد الأقصى وكان قد ولي نيابة قلعة الصبيبة، كما ولي الحجوبية بدمشق أكثر من مرة، وقد توفي بدمشق ونقل إلى القدس ودفن في مدرسته[١٠].

٦ ــ الأمير علاء الدين الكركي: ولي نيابة القدس سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م أيام السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق، توفي في دمشق ونقل إلى القدس ودفن في مدرسة كان قد عمَّرها هناك[١١].

٧ ــ الأمير شاهين الشجاعي المشهور بالذباح (ــ ٨٣٧هـ / ١٤٣٤م): ولي نيابة القدس سنة ٨٣٠هـ / ١٤٢٧م في أيام السلطان الملك الأشرف برسباي كان قاسياً يميل إلى البطش قتل عدداً كبيراً من جماعات البدو ولذلك عرف بالذباح[١٢].

٨ ــ الأمير سودون المغربي (ــ ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م): ولي سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٨م أيام السلطان الملك الأشرف برسباي نيابة القدس مع نظر الحرمين الشريفين[١٣].

٩ ــ الأمير أركماس الجلباني (ــ ٨٣٨هـ / ١٤٣٥م): ولي نيابة القدس مع نظر الحرمين الشريفين سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٣م، قال عنه ابن تغري بردي: «كان فظاً غليظ القول، لم يشتهر بعلم ولا دين»، ومع هذا عمَّر الأوقاف بالقدس ونماها[١٤].

١٠ ــ الأمير حسام الدين أبو محمد الحسن بن محمد الكشكلي (ــ ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م): ولي نيابة القدس مع نظر الحرمين الشريفين في أيام السلطان الملك الأشرف برسباي سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م، عمَّر المدرسة الحسنية بباب الناظر وأوقف عليها الأوقاف الكبيرة، وكان أميراً له مكانته وقد انفصل عن النيابة والنظارة وتوفي بالقدس[١٥].

١١ ــ الأمير طوغان (الطنبغا) العثماني (ــ ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م): ولي نيابة القدس سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م وكان قبل ذلك كاشفاً للرملة ونابلس، كانت له مكانته واعتباره. أقام عدة منشآت في القدس، توفي معزولاً بغزة[١٦].

١٢ ــ الأمير خشقدم السودوني (ــ ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م): ولي نيابة القدس سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م وباشر مهامه بنشاط وعنف فعسف بأهل النيابة وجار عليهم فشكوه إلى السلطان الظاهر جقمق فعزله وطلبه إلى القاهرة، وهنالك بذل مالاً فولي القدس ثانية وعاد إليها وهو يتهدد أهلها ويتوعدهم وكان ذلك سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م، فلم يستقر به المكان حتى توفي دون أن يتمكن من تنفيذ تهديداته[١٧].

١٣ ــ الأمير سيف الدين تمراز المؤيدي المصارع (ــ ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م): ولي نيابة القدس سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م ومكث في ولايته حتى سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م، وقامت خلافات بينه وبين أمين الدين عبد الرحمن بن الديري ناظر الحرمين

الشـريفين وهـو ما سبب استـدعاءهما إلى القاهـرة وعزلـه من النيابة[١٨].

١٤ ــ الأمير مبارك شاه: ولي نيابة القدس أيام السلطان الملك الظاهر جقمق في سنة نيف وخمسين وثمانمائة وكان حاكماً معتبراً، وكان قائماً على عمله سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م وهو والد الأمير أحمد بن مبارك شاه الذي ولي نيابة القدس فيما بعد[١٩].

١٥ ــ الأمير إسنباغا الكفلكي: ولي نيابة القدس ونظر الحرمين سنة ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م، ثم جدد تعيينه في السنة التالية من قبل السلطان الجديد عثمان بن جقمق، ولم يطل أمر السلطان الجديد وآلت السلطنة إلى الأشرف إينال فعزله[٢٠].

١٦ ــ الأمـير تغري بـردي: ولي نيابـة القـدس سنـة ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م في أيام السلطان الملك الظاهر سيف الدين خشقدم، أطلق عليه المقادسة اسم أبـي قرون، ولم تطل مدته فقد عزل في السنة التالية ٨٦٩هـ / ١٤٦٤م[٢١].

١٧ ــ الأمير دمرداش العثماني: وكان نائباً للقدس سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م ففي هذه السنة قامت خلافات شديدة بينه وبين برد بك التاجي ناظر الحرمين الشريفين قادت إلى الفتنة في القدس واضطراب الأحوال مما دعا السلطنة إلى التدخل فعزلت هذا النائب واستبدلت به نائباً جديداً[٢٢].

١٨ ــ الأمير يوسف الجمالي المشهور بابن فطيس: ولي النيـابة سنـة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م ويبدو أن الأوضـاع لم تعـرف الاستقرار في أيامه داخل القدس، وقد ظل في منصبه حتى استبدل به سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م نائب جديد[٢٣].

١٩ ــ الأمير دقماق الإينالي: قدم إلى القدس من غزة سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م، وباشر أعمال النيابة فيها «بحرمة زائدة وشهامة، وقمع المناحيس، لكنه كان عسوفاً في أحكامه، ولم تطل مدته، فأقام بالقدس مائة يوم وأربعة أيـام» حيث توفي إثـر ذلك[٢٤].

٢٠ ــ الأمير جقمق: دخل إلى القدس نائباً لها سنـة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م قادماً من دمياط، وقد وصف بالظلم والفجور وكثرة المزاح والعجز الإداري مما أدى إلى تلاشي أحوال البلاد، وفساد النظام وكثرة السراق وقطاع الطرق. وظل مع ذلك في منصبه حتى أواخر عام ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م[٢٥].

٢١ ــ الأمير جارقطلي الظاهري: تسلم النيابة في القدس سنة ٨٧٩هـ /١٤٧٤م ويبدو أن سلوكه كان غير مرض، فقد زار السلطان القـدس في سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م فشكا إليه الناس «على الأمير جارقطلي نائب القدس ورفعت فيه القصص بسبب ما تعوّده من الظلم والجور، فطلبه وسمع فيه الشكوى، وأنصف الناس منه وأمره أن يدفع إليهم ما أخذه منهم». ويبدو أن الجهاز الإداري للقدس كان مصاباً بالفساد العام، لذلك عزل السلطان القاضي من منصبه ونفاه إلى غزة، وقبل مغادرته القدس استدعى النائب إليه وقال له: «أحسن إلى الناس واحكم بينهم بالعدل والإنصاف، وبالشرع الشريف، وإن شكا أحد منك بعد اليوم قطعتك نصفين».

ويبدو أن الأمور لم تتحسن بالقدس ففي سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م قدم السلطان مجدداً نحو بلاد الشام، وأقدم على عزل جارقطلي[٢٦].

٢٢ ــ الأمير ناصر الدين محمد بن أيوب: أرسله السلطان من غزة ليتسلم نيابة القدس من الأمير جارقطلي، ويبدو أن سلوكه لم يكن أفضل من سلفه، ذلك أنه تعرض للناس بالظلم والجور مما دعاهم للشكوى إلى السلطان فاستدعاه سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م إلى القاهرة ثم ما لبث أن «خلع عليه بالاستمرار وعاد إلى محل ولايته».

وفي سيرة هذا النائب وسواه دليل على تدهور الأوضاع في أواخر العصر المملوكي، وفي هذا التدهور ما يوضح سبب التقبل الشعبي للحكم العثماني فيما بعد وعدم مقاومته. وظل الأمير ناصر الدين في منصبه حتى تم عزله سنة ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م[٢٧].

٢٣ ــ الأمير سنبطاي النحاسي: لم تطل مدة ولاية هذا النائب حيث تمكن الأمير السابق ناصر الدين محمد بن أيوب من شراء رضا السلطان فعزل الأمير سنبطاي النحاسي وأعاده إلى القدس سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م[٢٨].

٢٤ ــ الأمير ناصر الدين محمد بن أيوب: عاد إلى نيابة القدس ولم يمض على عزله سوى فترة وجيزة، ويبدو أن الأموال التي بذلها لشراء منصبه كانت كبيرة مما دفعه إلى إساءة السيرة وتحصيل الأموال من أهالي النيابة فاصطدم بهم ولا سيما بعشائر البدو. وحدث أن ألقى القبض على بعض رجالات بني زيد فقتل عدداً منهم وألقى بالباقي في السجن وكان هذا في أواخر سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م، ودفع صنيعه هذا «جماعة المقتولين وعصبتهم» إلى مهاجمة القدس ومحاولة قتل النائب وقد نجا النائب منهم فهاجموا السجن وأخرجوا «من به من المسجونين، وبادر التجار بتوزيع ما في حوانيتهم، وقتل ثلاثة أنفار وجرح جماعة، وشرع

العرب في قطع الطرق وإيذاء الناس، وحصل الإرجاف في الناس، فاغلقت الأسواق والمنازل خشية النهب، وكانت فتنة فاحشة». وتدخلت السلطنة فأقدمت على عزل الأمير ناصر الدين محمد بن أيوب[٢٩].

٢٥ ــ الأمير شهاب الدين أحمد بن مبارك شاه: تولى نيابة القدس سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م أيام السلطان الملك الأشرف قايتباي، ودخل إلى القدس «وصحبته جمع كبير من العرب والعشير، وكان يوماً مشهوداً، وقرىء توقيعه يوم الجمعة وغضب السلطان الملك الأشرف قايتباي على الأمير ناصر الدين بن أيوب وقبض عليه وامتحنه».

ويستدل من هذا أنه أرضى العشائر البدوية لذلك عرفت القدس الاستقرار. وفي تلك الآونة تم بناء المدرسة الأشرفية، وفي سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م عزل هذا النائب واستبدل به نائب جديد[٣٠].

٢٦ ــ الأمير جانم الأشرفي: وقد وصف هذا النائب بالتدين والاعتدال. وفي أيامه أقدمت السلطنة على تجنيد الرجال من فلسطين لإرسالهم للقتال ضد العثمانيين كما جبت الأموال الكثيرة لتغطية نفقات هذه الحملات، وفي سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م عزل هذا النائب واستبدل به نائب جديد[٣١].

٢٧ ــ الأمير خضر بك: وفي أيامه «فشا الغلاء في جميع المملكة واشتد الأمر ببيت المقدس». وعسف هذا النائب بالناس وتزايد ظلمه وجوره، وقدمت الشكاوى ضده، فتدخلت السلطنة وأجرت التحقيقات معه، لكن ذلك كان بلا مردود سوى أن الأمر اشتد «بالقدس والخليل وغيرهما وغلت الأسعار». ومع الأيام «فحش أمر خضر بك النائب بالقدس، وتزايد ظلمه وسفكه الدماء وأخذ أموال الناس، وكثر شاكوه، وساءت سيرته» ورفع شيخ الصالحية الشكوى ضده إلى السلطان، فورد الأمر السلطاني بعزل خضر بك، وأوعز السلطان إلى نائب غزة لإرسال واحد من رجالاته لإدارة القدس بشكل مؤقت وكان ذلك سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م[٣٢]. ثم ما لبث أن عين نائباً جديداً.

٢٨ ــ الأمير دقماق دوادار إينال الأشقر: عينه السلطان الأشرف قايتباي نائباً للقدس وناظراً للحرمين الشريفين بعدما بذل مبلغ عشرة آلاف دينار للخزائن الشريفة غير ما تكلفه لأركان الدولة.

وكانت سيرة هذا النائب في غاية السوء. وقد اضطربت الأحوال في أيامه إلى حد كبير، وتدخلت السلطنة غير مرة لكن دونما فائدة، وبقي هذا النائب في منصبه حتى سنة ٨٩٦هـ / ١٤٩١م حيث عزل[٣٣].

٢٩ ــ الأمير خضر بك: كان يلي النيابة قبل ذلك، والمدهش هو أنه لما عاد إلى النيابة ونظر الحرمين الشريفين باشر الأمور «مباشرة حسنة وأظهر العدل في الرعية، واستعطف خواطر الناس، وشرع في سلوك طرق الرياسة» وفي أيامه نزل الوباء بديار القدس فأمات عدداً كبيراً من أهلها كان منهم النائب خضر بك نفسه وذلك سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م[٣٤].

٣٠ ــ الأمير جان بلاط: وهو أخو خضر بك، عينته السلطنة بعد وفاة أخيه وكان سيىء المسلك اضطربت الأحوال في أيامه وكثرت الشكوى ضده لكن بدون فائدة، وظل يشغل منصبه حتى نهاية القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد، وهو آخر من ذكره صاحب **الأنس الجليل** بين نواب مدينة القدس[٣٥].

ملحق رقم (١٠)
نظار الحرمين الشريفين

١ ــ علاء الدين أيدغدي بن عبد الله الصالحي النجمي (ــ ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م): كان من أكابر الأمراء، فلما أضر أقام بالقدس وولي نظره من أيام الظاهر بيبرس إلى أيام المنصور قلاوون، بنى عدة منشآت في القدس والخليل اهتم بسماط الخليل اهتماماً كبيراً حتى أصبح كل يوم غرارتين قمحاً، وكان يحب الخيل ــ ويستولدها، وقيل إنه كان إذا مر به فرس من خيله عرفه[١].

٢ ــ الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم (شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب) (ــ ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م): تولى نظارة الحرمين الشريفين في عهد الملك العادل زين الدين كتبغا سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م.

كان من أعيان أولاد الملوك وأكابرهم، ومن المشهورين بالفضيلة والديانة والجلالة والمكانة، محسناً إلى الضعفاء والفقراء، روى وحدَّث وأفاد، توفي بالقدس[٢].

٣ ــ القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الوزير فخر الدين الحنبلي: ولي نظارة الحرمين الشريفين في عهد الملك المنصور حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م. عمَّر منارة الغوانمة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد الأقصى[٣].

٤ ــ الأمير قطلوبغا: تولى نظارة الحرمين الشريفين في أيام الملك الأشـرف شعبـان بن حسن سنـة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م، وهو الذي بنى مئذنة باب الأسباط[٤].

٥ ــ الأمير ناصر الدين محمد بن العطار: ولي نـظارة الحرمين الشـريفين في أيـام الأشرف بـرسباي سنة ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م. وتوفي بالقدس في السنة نفسها[٥].

٦ ــ الأمـير شرف الـدين يحيى بن شلوة الغزي: ولي النـظارة سنـة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م. في أيـام الملك الأشـرف برسباي[٦].

٧ ــ القـاضي غرس الـدين خليل بن أحمد بن علي بن عبد الله السخاوي (ــ ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م): كان جليس الحضرة الشريفة الظاهرية ومشيرها، صحب الملك الظاهر جقمق قبل السلطنة، فلما تسلطن ولاه نظر الحرمين الشريفين في أواخر سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م وأفردهما عن الأمير طوغان، واستمر طوغان نائباً. قدم السخاوي القدس سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م. وكان عليه خلعة السلطان، فعمَّر الأوقاف ورتب الوظائف، وأقام نـظام الحرمين وفعل فيها من الخير الشيء الكثير[٧].

٨ ــ القـاضي شمس الدين محمد بن الصـلاح محمد الحموي الشافعي (ــ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م): الأديب، المنشىء، البليغ، النحوي، الناظم الناثر، باشر التوقيع بديوان الإنشاء بالديار المصرية. ثم ولي في دولة الملك الـظاهر جقمق سنـة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م نظر الحرمين، وقدم القدس فعمره. وفي أيامه، أنعم الملك الظاهر على جهة الوقف بمبلغ ألفين وخمسمائة دينار، ومئـة وعشـرين قنـطاراً من الـرصـاص بـرسم العمـارة. توفي بالقدس[٨].

٩ ــ القـاضي شهـاب الـدين أحمد بن محـاسن النابلسي (ــ ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م): ولي نظر الحرمين الشريفين في أيام الملك الظاهر جقمق سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م ولم تطل مدته، إذ عزل بعد محن حصلت عليه ثم استوطن مكة وتوفي بها[٩].

١٠ ــ الأمـير ناصـر الدين محمد بن الهمـام الشـافعي (ــ ٨٧٦هـ / ١٤٧١م): كان من أعيان بيت المقدس، استقر في نظر الحرمين الشريفين في سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م وفي أيامه أنعم السلطان الملك الظاهر خشقدم على جهة الوقف بستين غرارة من القمح، طلب إلى القاهرة سنة ٨٦٩هـ / ١٤٦٤م وعزل من النظر. واستمر معزولاً إلى أن توفي[١٠].

١١ ــ الأمـير حسن بن ططر الـظاهري، نـائب الشام (ــ سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م): ولي نظر الحرمين الشريفين بعد عزل الأمير ناصر الدين بن الهمام ودخل القدس سنة ٨٦٩هـ / ١٤٦٤م واستمر إلى أول دولة الملك الأشرف قايتباي[١١].

١٢ ــ الأمير بردبك التاجي الأشرفي برسباي الأبرص (ــ ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م): ولي نظر الحرمين عوضاً عن حسن بن ططر الظاهري سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م عمَّر عدة منشآت، وجرت له قلاقل وحوادث، ومازال في تقهقر حتى مات[١٢].

ملحق رقم (١١)
أسماء المعيدين في المدرسة الصلاحية

الاسم	تاريخ الولادة	تاريخ الوفاة	تاريخ التعيين	انتهاء التعين	المصدر
تقي الدين أبو الفداء إسماعيل بن علي القرقشندي المصري	٧٠٢هـ / ١٣٠٣م	٧٧٨هـ / ١٣٧٦م	٧٣٠هـ / ١٣٣٠م	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٥٩ شذرات الذهب ٦/٢٥٧
شمس الدين محمد بن إسماعيل القرقشندي	٧٤٦هـ / ١٣٤٥م	٨٠٩هـ / ١٤٠٦م	٧٧٨هـ / ١٣٧٦م	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٦٦ شذرات الذهب ٧/٨٦
زين الدين عبد الرحيم بن محمد ابن جماعة	٧٧٧هـ / ١٣٧٥م	٨٠٩هـ / ١٤٠٦م	٠٠٠	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٦٧
زين الدين عبد الرحمن بن محمد القرقشندي المقدسي	٧٨٢هـ / ١٣٨٠م	٨٢٦هـ / ١٤٢٣م	٠٠٠	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٦٨ شذرات الذهب ٧/١٧٤

الاسم	تاريخ الولادة	تاريخ الوفاة	تاريخ التعين	انتهاء التعين	المصدر
شمس الدين أبو عبد الله محمد الصفدي	...	٨١٢هـ / ١٤٠٩م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٦٧
علاء الدين أبو الحسن علي بن إسحق بن محمد الخليلي	٧٦٣هـ / ١٣٦٢م	٨٣٠هـ / ١٤٢٧م	٨١٥هـ / ١٤١٢م	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٣٠ الضوء اللامع ٥/١٩٢
زين الدين عبد المؤمن بن عمر الحلبي ثم المقدسي	٧٦٠هـ / ١٣٥٩م	٨٤٥هـ / ١٤٤١م	٨١٥هـ / ١٤١٢م	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٧٧
عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن شرف المقدسي	٧٨٢هـ / ١٣٨٠م	٨٥٢هـ / ١٤٤٨م	٨١٥هـ / ١٤١٢م	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٨١ الضوء اللامع ٢/٢٨٤ ـ ٢٨٥.
شمس الدين محمد بن محمد بن البرهان الخليلي ثم المقدسي	٧٧٦هـ / ١٣٧٤م	٨٥٢هـ / ١٤٤٨م	٨٣١هـ / ١٤٢٨م	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٨٢ الضوء اللامع ١٠/٣٧
شمس الدين أبو اللطف محمد بن علي الحصكفي	٨١٩هـ / ١٤١٦م	٨٥٩هـ / ١٤٥٥م	٨٥٢هـ / ١٤٤٨م	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٨٤ الضوء اللامع ٨/٢٢١
عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن جماعة	٨٢٥هـ / ١٤٢٢م	٨٦١هـ / ١٤٥٧م	٨٥٠هـ / ١٤٤٦م	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٨٧ الضوء اللامع ٢/٢٨٤
شهاب الدين بن أحمد بن عبد الله المجدلي المقدسي	٨٠٩هـ / ١٤٠٦م	٨٧٠هـ / ١٤٦٦م	٨٣٦هـ / ١٤٣٢م	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٤١ الضوء اللامع ١/٣٦٤ ـ ٣٦٥
شمس الدين أبو مساعد بن عبد الوهاب المقدسي	٨١٩هـ / ١٤١٦م	٨٧٣هـ / ١٤٦٨م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٩٢ الضوء اللامع ١١/١٤٢
زين الدين أبو حفص عمر بن علي ابن عثمان الحواري المقدسي	٨٠٣هـ / ١٤٠٠م	٨٧٤هـ / ١٤٦٩م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٩٢ الضوء اللامع ٦/١٠٧
علاء الدين أبو الحسن علي بن عبد الرحيم القلقشندي المقدسي	٨٠٤هـ / ١٤٠١م	٨٧٤هـ / ١٤٦٩م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٤١ ـ ١٤٢ الضوء اللامع ٥/٢٣٩
شمس الدين أبو حامد أحمد بن محمد الأنصاري المقدسي	٨٠٧هـ / ١٤٠٤م	٨٧٤هـ / ١٤٦٩م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٩٣ الضوء اللامع ٧/٨٤
برهان الدين أبو إسحق إبراهيم ابن علي الحسيني	...	٨٧٤هـ / ١٤٦٩م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٩٣ ـ ١٩٤
برهان الدين أبو إسحق إبراهيم ابن علي القلقشندي	...	٨٧٩هـ / ١٤٧٤م	٨٧٤هـ / ١٤٦٩م	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٤١ الضوء اللامع ١/٨٤
محب الدين محمد بن محمد عوجان المغربي المقدسي	٨٣٥هـ / ١٤٣٢م	٨٨٠هـ / ١٤٧٥م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢/١٩٧ الضوء اللامع ٩/٥

الاسم	تاريخ الولادة	تاريخ الوفاة	تاريخ التعين	انتهاء التعين	المصدر
شمس الدين أبو العزم محمد ابن محمد المقدسي النحوي	٨١٩هـ / ١٤١٦م	٨٨٣هـ / ١٤٧٨م	٨٧٦هـ / ١٤٧١م	٨٧٨هـ / ١٤٧٣م	الأنس الجليل ١٩٩/٢ الضوء اللامع ٣٥/١٠
شمس الدين أبو زرعة محمد ابن إبراهيم الزرعي المقدسي	...	٨٨٤هـ / ١٤٧٩م	٨٧٧هـ / ١٤٧٢م	وفاته	الأنس الجليل ١٩٩/٢ ـ ٢٠٠ الضوء اللامع ٢٤٠/١١
شمس الدين محمد بن عبد الله البغدادي	...	٨٨٥هـ / ١٤٨٠م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢٠٠/٢ ـ ٢٠١
محب الدين أبو البقاء أحمد ابن إبراهيم بن جماعة المقدسي	...	٨٨٩هـ / ١٤٨٤م	...	وفاته	الأنس الجليل ١٤٢/٢ الضوء اللامع ١٩٥/١
جلال الدين محمد بن أحمد ابن جماعة المقدسي	...	٨٩٧هـ / ١٤٩٢م	...	وفاته	الأنس الجليل ١٤٢/٢ ـ ١٤٣ الضوء اللامع ٢٨٦/٦
شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر العميري المقدسي	٨٣٢هـ / ١٤٢٩م	٨٩٠هـ / ١٤٨٥م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢٩١/٢ ـ ٢٩٢ الضوء اللامع ٥٣/٢
زين الدين عبد الرزاق بن محمد بن المصري الخليلي	٨٢٧هـ / ١٤٢٤م	٨٩١هـ / ١٤٨٦م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢٠٤/٢ ـ ٢٠٥ الضوء اللامع ١٩٦/٤
حميد الدين أبو الحمد محمد ابن عبد الرحمن المقدسي	٨٣٣هـ / ١٤٣٠م	٨٩٣هـ / ١٤٨٨م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢٠٩/٢ الضوء اللامع ٤٨/٨
زين الدين أبو المكارم عبد الكريم ابن داود الحسيني المقدسي	٨٢٦هـ / ١٤٢٣م	٨٩٥هـ / ١٤٩٠م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢١١/٢ الضوء اللامع ٣٠٩/٤
خير الدين أبو الخير محمد ابن عبد الرحمن القلقشندي المقدسي	٨٢٢هـ / ١٤١٩م	٨٩٧هـ / ١٤٩٢م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢١٤/٢ الضوء اللامع ٣٠٢/٧
شهاب الدين أبو البهاء أحمد بن عبد الرحيم القلقشندي المقدسي	٨٠٠هـ / ١٣٩٨م	٨٩٩هـ / ١٤٩٤م	٨٢١هـ / ١٤١٨م	وفاته	الضوء اللامع ٣٤٥/١
شمس الدين أبو الجود محمد ابن إبراهيم الأنصاري الخليلي	٨٤٥هـ / ١٤٤١م	٩٠١هـ / ١٤٩٦م	٨٩٣هـ / ١٤٨٨م	وفاته	الأنس الجليل ٢٠٧/٢ الكواكب السائرة ١٢٦/١
شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن إبراهيم الأنصاري الخليلي	٨٤٦هـ / ١٤٤٢م	٩٠١هـ / ١٤٩٦م	...	وفاته	الأنس الجليل ٢٠٨/٢ الكواكب السائرة ١٢٩/١
شرف الدين أبو إسحق موسى ابن عبد الله بن جماعة المقدسي	٨٤٥هـ / ١٤٤١م	٩١٦هـ / ١٥١٠م	...	وفاته	الأنس الجليل ١٤٣/٢ الكواكب السائرة ٣٠٩/١

ملحق رقم (١٢)

نسخة توقيع بتعيين وال في بيت المقدس،

من إنشاء جمال الدين بن نباتة

(من كتاب صبح الأعشى: ١٢/٣٣٠ ــ ٣٣١)

رسم بالأمر. . . لا زال يشمل بظله وفضله، ويجمل بإحسانه وعدله، وينقل شمس الولاة من البرج الظاهر إلى مثله ــ أن ينقل فلان من كذا إلى ولاية القدس الشريف: علماً بكفايته التي تقدمت، وشهامته التي تحكمت، وإمامته التي سلمت فيها سلمت، وهمته التي وضحت شمساً فلا تنفس، وقالت لقيامه في المصالح: ﴿إخلع نعليك إنك بالواد المقدس﴾.

فليباشر هذه الولاية مباشرة، تمحو بضياء شمسه ظلمًا وظلاماً، وتقول لنار الحوادث في المشاهد الجليلة: ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً﴾ مجتهداً فيها هو بصدده، عارفاً بوجوه المصالح حتى يكون السكن أعرف بشمس بلده، ناهضاً بأمور الديوان جليها وخفيها، وعبء المهمات حافلها وحفيها، مستزيداً بالشكر لمبادىء النعم، قائلاً في محل البلدين المباركين: ما سرت من حرم إلا إلى حرم.

ملحق رقم (١٣)

وثيقة فيها محضر وصف لدير صهيون ــ نقلاً عن كتاب وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، للدكتور أحمد دراج (ص: ١٠١ ــ ١٠٣)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين

شهوده الواضعون خطوطهم آخره، ومن سيكتب عنه بإذنه من أهل العلم الشافي فيها يشهدون به أنهم يعرفون جميع الدير الكاين بظاهر القدس الشريف المعروف بدير صهيون، وله حدود أربعة ثلاثة منها للفلاة وواحد وهو الرابع لمقابر الفرنج وغيرهم من النصارى المذكور في فصل السؤال المسطر أعلاه المعرفة الشرعية، ويشهدون مع ذلك شهادتهم بها عالمون ولها محققون لا يشكون فيها ولا يرتابون أن الدير المذكور أعلاه رومي من جملة الأديرة الرومية العتيقة المزمنة القديمة، وهو قايم على أصوله من قديم الزمان بظاهر القدس الشريف بأرض فلاة بعيد عن العمران ليس بجواره بنا لمسلم، وأنه معد لإقامة الرهبان الفرنج يتداولونه جماعة من جماعة من قديم الزمان وإلى تاريخه، وأن من حقوقه عليَّة بسطح الدير المذكور شهرتها عليَّة صهيون الفوقانية هي من جملة الأماكن التي بالدير المذكور المعدة لصلاة المقيمين بالدير المذكور، من الفرنج والمترددين إلى الدير المذكور من النصارى، ارتفاع بناءها القديم من سطح الدير المذكور المزمن عشرة أذرع بذراع العمل، وكان ذلك مبني بالحجر والشيد والطين. وكان سقفها معقوداً قبواً بمثل ذلك، وأن العليَّة المذكورة انهدم أكثر سقفها المعقود وبقي منه قطعة لطيفة، وانهدم أكثر حيطانها وبقي البعض، وانهدم من الحايط الدايرة على جميع الدير المذكور من داخل الدير ومن خارجه أماكن متفرقة كانت مبنية بمثل ما ذكر أعلاه، ورموا في الأماكن المتهدمة أحجار بغير مؤن ولا بناية، ولم يمنع ذلك المتعرضين لمن في الدير. وكانت أرض الدير المذكور مبلطة من قديم الزمان لضرورة الأمطار والمياه والثلوج، لا للزينة، فانقلع بعض ذلك من توالي الأزمنة عليه وحصل الضرر بسبب ذلك. وبهذا الدير المذكور قلالي برسم سكنى الرهبان من الفرنج والزمنى والمنقطعين من النصارى العاجزين عن السعي، وأبنية ذلك مزمنة عتيقة من عهد بناء الدير المذكور فتهدم من ذلك أماكن هم خمس قلالي وحصل الضرر بذلك، يعلم شهوده ذلك ويشهدون بما فيه مسؤولين. وكتب ذلك السؤال من جاز سؤاله شرعاً في حادي عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وثمانماية حسب الإذن الكريم العالي المولوي القاضوي الإمامي العاملي العلامي المجتهدي الحبري الخاشعي الأصيلي البليغي العريقي المحققي المدققي الرحلي الحجحي الشيخي الحاكمي البدري، شيخ الإسلام، أوحد المجتهدين الأعلام، حجة المتكلمين قاضي المسلمين خالصة أمير المؤمنين، العيني الحنفي الناظر في الأحكام الشرعية بالديار المصرية وساير الممالك الشريفة السلطانية، إمام دهره، ووحيد عصره، أدام الله تعالى أيامه وأعز أحكامه وأحسن إليه، وأسبغ نعمته عليه المنصّ خطه الكريم أعلاه شرفه الله تعالى وأعلاه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

شهد بمضمونه
محمد بن حسن بن
محمد الحنبلي

شهد بمضمونه
عماد بن محمد بن محمد
التاجر السفار
عرف بالخليلي وكتب
عنه بإذنه وحضوره

شهد بمضمونه
الحاج محمد بن
محمد بن محمد
عرف بزقزوق وكتب
عنه بإذنه وحضوره

شهد بمضمونه
علي بن محمد بن
عمر الحريري بالقدس
وكتب عنه بإذنه وحضوره

شهد بمضمونه
الحاج يوسف بن بهادر
الساعي عرف بالقدسي
وكتب عنه بإذنه وحضوره

شهدت الخمسة
عندي بذلك وقبلوا

ملحق رقم (١٤)

وثيقة وقف باسم جعفر بن محمد ابن أبي بكر وقف فيها داره الكائنة في القدس بخط باب العمود على مصالح البيمارستان الصلاحي تاريخ ٥ صفر سنة ٧٦٨هـ (وثيقة رقم ٢٠ من وثائق

المتحف الإسلامي في القدس) نقلاً عن كتاب تاريخ نيابة القدس في العصر المملوكي ليوسف غوانمة: ١٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوقف وحبس وسبل وحرر وأبد وتصدق به جعفر بن محمد بن أبي بكر السعاد من القدس الشريف تقرباً إلى الله عز وجل يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين ما هو له وملكه وتحت تصرفه إلى حال الوقف وهو جميع عمارة الدار الكائنة بالقدس الشريف بخط باب العمود، حدها بكمالها من القبلة دار ورثة حسين عريف سوق التجار بالقدس الشريف كان، ومن الشرق دار محمد عرف بأي كدس ومن الشمال دار داوود رمكي وبها من دار ورثة الحاج محمد الطروفي، ومن الغرب دار ورثة محمد النقيب، وبها من دار الحاج صالح الرملي عرف بأي ولابيه وقف لكل جميعة بجميع حدوده وحقوقه وما يعرف به وينسب إليه على نفسه مدة حياته ثم من بعده على مصالح البيمارستان الصلاحي بالقدس الشريف يسلك بذلك مسلك أوقاف البيمارستان المذكور وقفاً صحيحاً شرعياً مؤبداً وحبساً دايماً محللاً لا يباع ولا يوهب ولا يملك بوجه من وجوه الملكان أبداً ما دامت الأرض والسماوات وأخرج الواقف هذا الوقف عن ملكه وأبان عن حيازته وجعله وقفاً على ما سمح أعلاه على أن الناظر بالملك من ريعه بعمارته وترميمه وإصلاحه وما فيه، ثم ما فضل بعد ذلك يصرف على الوجه المشروع أعلاه، ووقع أجر الواقف على الله تعالى يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم (الحشرة) يوم عطش الأكباد، يوم يكون الله هو الحاكم فيه بين العباد ممن بدله بعدما سمعه ما بها أثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم، وذلك شهد عليه في خامس شهر صفر من سـ ـثمان وستين وسبع ماية.

ملحق رقم (١٥)

نسخة المرسوم الأشرفي الناصري الذي أبطل السلطان الأشرف شعبان بموجبه ما هو مقطع من الجوالي بمجدل فضيل من الخليل باسم الأمير سعد الدين مسعود بن محمد السراي سنة ٧٦٧هـ (من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس رقم ٦) نقلاً عن كتاب تاريخ نيابة القدس في العصر المملوكي ليوسف غوانمة: ١٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المرسوم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الأشرفي الناصري أعلاه الله تعالى وشرفه وأيده في الآفاق وصرفه أن يبطل حكم ما هو مقطع من الجوالي بمجدل فضيل من الخليل عليه السلام باسم مجلس الأمير الأجل الكبير سعد الدين مسعود بن محمد السراي أحد أمراء العشرات بدمشق المحروسة مما كان مرتباً باسم خدام الحرم الشريف بالقدس الشريف في تقادم السنين وإلى آخر وقت ولا يمكن المذكور ولا أحداً ممن تقدم من التعرض إلى ما هو مستقر بيد خدام الحرم الشريف بمقتضى الورقة المشمولة بالخط الشريف عن ورود مطالعة نايب السلطنة الشريفة بالشام المحروس.

حسب الأمر الشريف شرفه الله وعظمه

بعد الخط الشريف شرفه الله وعظمه

رابع جمادى الآخرة سنة ٧٦٧هـ

ملحق رقم (١٦)

نسخة توقيع بتعيين الشيخ شمس الدين بن البرهان الجعبري في مشيخة الحرم الخليلي من إنشاء جمال الدين بن نباتة (من كتاب صبح الأعشى: ١٢/٤١٩ ـ ٤٢٠)

رسم بالأمر الشريف ـ أعلاه الله تعالى، وبسط عدله الذي لا يبلغه الواصف ولو تغالى، وسرى لأولياء نبي الأولياء ببره الذي تسنن بسنة الغيث ثم توالى ـ أن فليباشر هذه الوظيفة مباشرة مثله من ذوي الأناة والإفادة، وكفاة المناصب الذين على سعيهم الحسنى وعلى الدولة تصل الزيادة، وليسلك في الأشغال عادة نطقه الأحسن، وليعامل طلبته في المباحث بغير ما ألفوا من الخلق الأخشن، وليعلم أنه قد جمع بين بره وتربة الأم كي تقر عينها ولا تحزن، فليسرها بنبله، وليبرها بفضله، وليوفر السعي إليها كل وقت في المسير، وليفسر أحلام أملها فيه فمن مفردات علومه التفسير، وليحسن لتلامذته الجمع، وليحم حمى رواياتهم من الخطأ ولا عجب أن يحمي حمى السبع، تالياً كلام ربه كما أنزل وحسبه، داعياً بنسب قراءته إلى ابن كعب فحبذا نسبه المبارك وكعبه، ناصباً بمنظر شخصه أشخاص أمثاله الأول بعدما ضمهم صفيح اللحد وتربه، حتى يميس «الكسائي» في برد مسرته الفاخر، ويفتح عيون «حمزة» على زهرات روض عبق المباخر، ويترنم ورشان «ورش» في الأوراق على بحره الزاخر، ويظهر بفضله ذكر «الشاطبي» فيكون «القاضي الفاضل» رحمه الله قد أظهره في الزمن الأول «القاضي الفاضل» أجله الله قد أظهره في الزمن الآخر، وتقوى الله تعالى كما علم ختام الوصايا البيض فليتناول مسكها الذي هو بشذا المسك ساخر، والله تعالى ينفع بعلوم صدره الذي ما ضاق عن السؤال فملّه، ويمتع بعلو قدره الذي إن لم يكن هو لفضل الثناء فمن له.

ملحق رقم (١٧)

نسخة توقيع شريف بتعيين شرف الدين قاسم ليقوم بتحصيل الرسوم المفروضة على الفرنج الجرجان القادمين لزيارة بيت المقدس من إنشاء أحمد بن علي القلقشندي (من كتاب صبح الأعشى: ٤٦/١٣ ـ ٤٧)

رسم بالأمر الشريف ـ لا زال عدله الشريف لمال الفيء بين ذوي الاستحقاق قاسماً، وفضله العميم لأولي الفضل في سلك الصلات ناظماً، ومعروفه المعروف لمواقع البر يؤم عالماً ويبيت غانماً ـ أن يستقر لمجلس القاضي فلان الدين على الفرنج الجرجان الواردين لزيارة قمامة بالقدس الشريف كذا وكذا: لما اشتمل عليه: من مبين العلم ومتين العمل وجميل السيرة، واجتمع لديه: من طيب الذكر وجميل الأثر وصفو السريرة، ولإقامته بالمسجد الأقصى الذي هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها، وإحدى القبلتين المعول في أول الإسلام عليها، ومجاورة الصخرة المعظمة، والآثار الشريفة والأماكن المكرمة، وقيامه بما يجب من الدعاء لدولتنا القاهرة، والابتهال إلى الله تعالى بدوام أيامنا الزاهرة.

فليتناول هذا المعلوم مهنأً ميسراً، وليرج من كرمنا الوافر فوق ذلك مظهراً، ولشهر سلاح دعائه بتلك الأماكن الشريفة على أعداء الله وأعداء الدين، ويرمهم بسهام الليل التي لا تخطىء إن شاء الله تعالى الطغاة المتمردين، فبذلك يستحق هذا السهم من الفيء حقاً، ويعد من المقاتلة الذابّين عن الإسلام صدقاً، وليقم على جادة الاستقامة في الدين وليكن مما سوى ذلك بريأً، ويقابل هو ومثله إنعامنا بالشكر يتلو عليهم لسان كرمنا فكلوه هنياً مرياً، والخط الشريف أعلاه...

ملحق رقم (١٨)

نسخة توقيع بتعيين شاد لتحصيل المكوس من كنيسة القيامة، من إنشاء ابن نباتة (من كتاب صبح الأعشى: ٣٣٦/١٢ ـ ٣٣٧)

رسم بالأمر ـ بسط الله تعالى على الأمم مهابته وظله، وبأسه وفضله، ووجه إليه آمال الخلق من كل قبلة، وأعلى آراءه التي يقال لعدلها: «لقد جدت حتى جزت في كل ملة» ـ أن يرتب... مضافاً لما بيده، واستناداً إلى صحيح خبره في الكفاءة وعلو سنده، وارتياداً لهممه التي إن رواها مسلم عن طوعه رواها نصراني عن تجلده، وسكوناً إلى حركته التي تحصل مالاً، وتصل إلى مالا، وتستخرج الوفر من مكمنه، وتأخذ الحق [من] قدام يدي الماثل ومن خلف إذنه، وعلماً أن ما لمتحصل [قيامة] مثل عزمه المختار ورفقه الذي يستنزل در القصد المدرار، واجتهاده الذي زرعه المستنهضون فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار.

فليباشر هذه الوظيفة بشدة ولين يجعل كل واحد منهما في موضعه ومقامه، وحق منير يجعل سبت نور كل لياليه وأيامه، وأمانة مدله، وكفاءة مظله، وصيانة توجب مزيد الخير إذا له، ومهابة إذا أدخلت مستخرج [قيامة] أصلحته وجعلت أعزة أهلها أذله، لا يثني همه النفيسة، ولا يلتفت ـ كما يقال ـ لتبخير الكنيسة، بل يستعمل فراسة تروع من حمل عن أداء الحق بهتاناً، ومناقشة تكشف عن جبال التجلد أكناناً، ورأفة مع ذلك بالظاهري العجز: ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً ومتابعة للضرائب القديمة لا يصرف عنها، واستخلاص ما على الرأس حتى يقال: «ليس تحت الزرقاء أخضع منها»، عاملاً بتقوى الله تعالى فإن أهل معاملته أهل ذمة، مجتهداً في استحقاق ما يترشح له من ولايات الأمور المهمة.

ملحق رقم (١٩)

مرسوم صادر عن السلطان الناصر محمد بن قلاوون فيه توصية بالعناية بالحرمين الشريفين ـ نقلاً عن حوليات كلية آداب جامعة الكويت: ٤٢/٢٦/٦، ٤٧

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ـ مثالنا هذا إلى كل واقف عليه محمد بن قلاوون
٣ ـ من المجالس السامية الأمرا الأجلا يعتمد
٤ ـ الأكابر الغزاة المجاهدين المختارين
٥ ـ الاسفهسلارية أمجاد الإسلام
٦ ـ أشراف الأنام، أنصار الغزاة والمجاهدين
٧ ـ عمد الملوك والسلاطين النواب والأمرا
٨ ـ والولاة والشادين والمتصرفين
٩ ـ بالبلاد الشامية أدام الله تأييدهم
١٠ ـ وتوفيقهم وتسديدهم نعلمهم
١١ ـ أننا قد رسمنا بالوصية بأوقاف
١٢ ـ الحرمين الشريفين وأجرايها في الاكرام
١٣ ـ والرعاية والحرمة وتخفيف الوطأة
١٤ ـ وحسم المواد الضرر على العادة
١٥ ـ في ذلك والعادة المستقرة إلى
١٦ ـ آخر وقت وإيصال الرتب من الغلات
١٧ ـ والغير والأصناف من الأرزق الشطروش

١٨ ــ إلى مباشري الأوقاف المبرورة من غير
١٩ ــ تأخير ولا إهمال على ما يشهد به الديوان
٢٠ ــ المعمور إلى آخر وقت فليعتمد مرسومنا
٢١ ــ هذا كل واقف عليه ويبادر إلى
٢٢ ــ العمل به، والله تعالى الموفق بمنّه وكرمه
٢٣ ــ كتب في ثالث شهر رجب الفرد
٢٤ ــ سنة إحدى وسبعمائة
٢٥ ــ بالإشارة إلى كتب الأميرية الركنية
٢٦ ــ نائب السلطنة الشريفة بالديار المصرية
٢٧ ــ أعلاه الله تعالى
٢٨ ــ الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ملحق رقم (٢٠)

نسخة توقيع بتعيين وال في ولاية نابلس من إنشاء جمال الدين بن نباته: (من كتاب صبح الأعشى: ٣٢٢/١٢ ــ ٣٢٤)

أما بعد حمد الله على ما هنأ من المواهب، وهيأ من عليّ المراتب وأنجز من وعود السعود بعد مطال المطالب، وزين من سماء الوظائف عند إزهائها بزينة الكواكب، وعمر من صدور الولاة والولاية بعلى تثني عليه الرعية «ولو سكتوا أثنت عليه الحقائب».

والصلاة على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي جرد لنصر الإيمان حده القاضب، وحزبه الغالب، وندب لإحياء الحق عليه بعدما همت به النوادب، وعلى آله وصحبه الذين هم في الممات جمال الكتب كما كانوا في الحياة جمال الكتائب، صلاة تتعطر بنفحاتها الصبا وتتقطر من خلف سراها الجنائب ــ فإن عقائل الولايات أولى بخطبة أكفائها، ورغبة السراة من ذوي اصطفائها، ونسبة من يقوم للأمور المعللة بقانونها وشفائها.

ولما كانت بلد نابلس المحروسة من أعلى عقائل البلاد قدراً، وأمر الجهات أمراً، وأسرى الولايات محلاً وذكراً، وأوفى النواحي من زمان بني أيوب على تكاليف الملك صبرا، وأنزه البقاع التي لو رآها الملك المصري لما استغلى غوطة الشام بشبرين من شبرا، بلد أعارته الحمامة طوقها وحملت الثناء فوق طوقه، ونجم نبات واديها الزهر حتى تساوى النجمان من تحته ومن فوقه ــ تعين أن يختار لولايتها من تعين ولاؤه، وتمكن في الرتب علاؤه، وتبين في مصالح الولايات احتفاله واحتفاؤه، وشهر وفاؤه بالخدمة فلا شرف بسعي إلا له منه شينه وراؤه وفاؤه؛ من شهدت السواحل الشامية في مباشرته أنه أجرى منها المال بحراً، وأفاض الوصف دراً، وشهدت الزكاة ــ وديوانها المادح ــ أنه أفلح من زكاها خيراً وخبراً.

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يرتب فلان... علماً بأنه الأوحد الذي جمع الأوصاف المتقدمة، وأسمع من المحامد نتيجة لها من كلا قوله وفعله مقدمة، وأطلع في آفاق الوظائف كنجوم الجوزاء الثلاثة رأيه وسيفه وقلمه، واطلع على محاسن التدبير فكان في رعايا بلده ممن تواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، وأنه الكافي الذي إذا ولي ثمر، وإذا صال على المفسدين دمر، وإذا شامت المهمات بارق عزم أسبل، وإذا سامت قواه شمر، وأنه الأمين إذا تصرّف، والمأمون إذا تعرف، والشجاع إذا تحصنت البلاد بنسبه الحصني: فسواء في شمول الأمن ما توسط منها وما تطرف.

فليباشر هذه الولاية المباركة بعزم يوضح بشرها، وينجح أمرها، ويقيم في خطبة علاه عذرها، وحزم يثمر ماليها وغلالها، وينقع غلتها ويضع أغلالها، وبأس يدع المفسدين من سيفه أو قيده في طوق أو حجل، ويذر السارق والمارق يشير بلا كف ويسعى بلا رجل، مشيداً لنواحيها بالترغيب والترهيب على أوثق المباني، مصلحاً بين أهل الأهواء حتى لا يضر قول القائل: «رفيقك قيسي وأنت يماني»، متفقداً من الأحوال كل جليل وحقير، ناهضاً في تلقي المهمات على قدم التقدم بالعزم الأثير، جاعلاً من لدى محجة عمله لصلاح العشيرة نعم العشير، عاملاً بتقوى الله تعالى في كل أمر وإليها بالحديث يشير.

ملحق رقم (٢١)

نسخة توقيع بكشف الرملة نقلاً عن كتاب صبح الأعشى للقلقشندي: (٣١٥/١٢ ــ ٣١٧). وهذه نسخة توقيع بكشف الرملة، كتب به لأبي بكر «أمير علم»، في الدولة الظاهرية، «برقوق» وهي:

الحمد لله الذي قيد أجياد المجاهدين، سيف نصره، وأكد بعزائم أهل اليقين حماية حوزة الإسلام وصيانة ثغره، وجعل ألسنة أسنة المرابطين في فم الثغر زيناً إذا ازدان بغثرة بدره، وأنزل بأعداء الدين قوادح نقمه وقوارع قهره.

أحمده أن حمى بأولى النجدة والبأس للمسلمين حِمى، وأشكره على ما همع من صيب نعمائه وهمى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أتخذها عند الله ذخراً، وأرجو بها في العقبى أجراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي آيد يده

بالسيف وأمده أيدا، وعلى آله الذين حلى بهم للإسلام جيدا، وصحبه الذين جلا ببوارق صفاحهم، وخوارق رماحهم، غمم المجال، وغمم القتال، فلم يهمل الأعداء ولم يمهلهم رويداً.

وبعد، فإن أولى من جعل في نحر البحر هماماً صارم، وأشد من قاطع أعداء الدين وصارم، من تضرب بشجاعته الأمثال، ويورد في صدور الأبطال صم الأسل النهال ويحمي حمى الثغر فلا يدع عدواً ولا يرهب نهباً، ويرقى رقاب الكفر فيؤمنون وإن كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً.

ولما كان الجناب الكريم فلان ـ أدام الله تعالى نعمته ـ هو الذي أخلص في الطاعة، ونصح سلطانه حسب الطاقة والاستطاعة ـ رسم بالأمر الشريف العالي ـ لا زال سيف عدله ماضياً، وكل بحكمه راضياً ـ أن يستقر الجناب المشار إليه كاشفاً بالرملة المعمورة، على عادة من تقدمه في ذلك.

فليباشر ذلك معمراً تلك البلاد بعدله، مجتهداً على إيصال الحق إلى أهله، وليتخذ الشرع الشريف إماماً، وليتوخ أوامره ونواهيه نقضاً وإبراماً، وليقف عند حدوده المشروعة، ولا يتعدها: ومن يتعد حدود الله فيده من بر الإيمان منزوعة، وليلن جانبه للرعية، وليحملهم من العدل والإنصاف على المحجة الواضحة الجلية، [فإنهم الرعية الضعفاء الذين أنعم الله عليهم بتفويض أمورهم إليه] وليعتمد فيهم قول النبي ﷺ: «اللهم من ولي من أمور أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به، ومن شق عليهم فاشقق عليه». والوصايا كثيرة وأهمها التقوى فليلازم عليها فإنها تحفظه وبالسيادة والسعادة تلحظه، والله تعالى يكمل توفيقه، ويسهل إلى نجح المقاصد طريقه، والاعتماد في معناه، على الخط الكريم أعلاه.

ملحق رقم (٢٢)

نسخة تقليد بنيابة غزة للأمير علم الدين سنجر الجاولي، وهو من إنشاء شهاب الدين محمود الحلبي ـ من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي: ١٢/٢١٢ ـ ٢١٦

الحمد لله رافع علم الدين في أيامنا الزاهرة، بإقامة فرض الجهاد وإدامته، وجامع رتب التقديم في دولتنا القاهرة، لمن تفتر الثغور بين ترقرق عدله وتألق صرامته، وقاطع أطماع المعتدين بمن يتوقد بأسه في ظلال رفقه توقد البرق في ظلل غمامته، وقامع أعدائه الكافرين بتفويض تقدمة الجيوش بأوامرنا إلى كل ولي يجتنى النصر ويجتلى من أفنان عزماته ووجاهة زعامته.

نحمده على نعمه التي سددت ما يصدر من الأوامر عنا، وقلدت الرتب السنية بتقليدها أعز الأولياء مِنًا مَنًا. ورجحت مهمات الثغور لدينا على ما سواها فلا نعقد أمورها إلّا بمن تعقد عليه الخناصر نفاسة به وضناً. ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال القلوب بإخلاصها متدينة، والألسنة بإعلانها المتزينة، والأسنة والأعنة متباريين في إقامة دعوتها التي لا تحتاج أنوارها البينة إلى البينة، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف مبعوث إلى الأمم، وأكرم منعوت بالفضل والكرم، وأعز منصور بالرعب الذي أغمدت سيوفه قبل تجريدها في القمم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نهضوا بجهاد أعداء الله وأعدائه على أثبت قدم، وسروا لفتح ما زوى له من الأرض على جياد العزائم ونجائب الهمم، وبذلوا نفائسهم ونفوسهم للذب عن دينه فلم تستزل أقدامهم حمر النعم، ولم يثن إقدامهم بيض النعم، صلاة لا يمل السامع نداءها، ولا تسأم الألسن إعادتها وإبداءها وسلَّم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإنا من حين مكن الله لنا في أرضه، وأنهضنا بمسنون الجهاد وفرضه، وقلدنا سيف نصره الذي انتضاه، وأقامنا لنصرة دينه الذي ارتضاه، لم يزل مهم كل ثغر مقدماً لدينا، وحفظ كل جانب جاور العدو براً وبحراً متعيناً على اعتنائنا ومحبباً إلينا، فلا نرهف لإيالة الممالك إلا من إذا جرد سيفه أغمده الرعب في قلوب العدا، ومن ان لم تسلك البحر خيله بث في قلوب ساكنيه سرايا مهابة لا ترهب موجاً ولا تستبعد مدى، ومن إذا تقدم على الجيوش أعاد آحادها إلى رتب الألوف، وجعل طلائعهم رسل الحتوف، وأعداهم بأسه فاستقلوا أعداءهم وإن كثروا، وأغراهم بمعنى النكاية في كتائب العدا، فكم من قلب بالرماح قد نظموا وكم من هام بالصفاح قد نثروا.

ولذلك لما كان فلان هو الذي ما زال الدين يرفع علمه، الإقدام والرأي يبثان في مقاتل العدا كلومه وكلمه، والعدل والبأس يتوليان أحكامه فلا يمضيان إلّا بالحق سيفه وقلمه، فكم نكس راية عدو كانت مرتفعة، وأباح عزمه وحزمه معاقل شرك كانت ممتنعة، وكم زلزل ثباته قدم كفر فأزالها، وهزم إقدامه جيوش باطل ترهب الآساد نزالها، فهو العلم الفرد، والبطل الذي لأوليائه الإقبال والثبات ولأعدائه العكس والطرد، والولي الذي لولا احتفالنا بنكاية العدا لم نسمح بمثله، والهمام الذي ما عقدنا له أمراً إلا وقع في أحسن مواقعه وأسند إلى أكمل أهله.

وكانت البلاد الغزاوية والساحلية والجبلية على ساحل البحر بمنزلة السور المشرف بالرماح، المصفح بالصفاح، مروجه الحماة،

وقلله الكماة، لا يشيم برقه من ساكني البحر إلاّ أسير أو كسير، أو من إذا رجع إليه طرفه «ينقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير»، وبها الجيش الذي كم لسيوفه في رقاب العدا من مواقع، ولسمعته في قلوب أهل الكفر من إغارة تركتها من الأمن بلاقع، وبها الأرض المقدسة، والمواطن التي هي على التقوى مؤسسة، والمعابد التي لا (تعدق) أمورها إلا بمثله من أهل الدين والورع، والأعمال التي هو أدرى بما يأتي من مصالحها وأدرب بما يدع ـ اقتضت آراؤنا الشريفة أن (نغدق) به نيابة ملكها، ونزين بلآلىء مفاخره عقود سلكها، وأن نفوض إليه زعامة أبطالها، وتقدمة عساكرها التي تلقى البحر بأزخر من عبابه والأرض بأثبت من جبالها، وأن نرمي بحرها من مهابته بأهول من أمواجه، وأمر من لهوات ساكنيه من أجاجه لتغدو عقائل آهله، أرقاء سيفه الأبيض وذابله، ويتبر العدو الأزرق من بني الأصفر، خوف بأسه الأحمر.

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كيت وكيت: تفويضاً يحقق في مثله رجاءها ويزين بعدله أرجاءها، ويصون ببأسه قاطنها وظاعنها، ويعمر ويغمر برفقه وإنصافه مساكنها وساكنها.

فليباشر هذه الرتبة التي يكمل به سعودها، وتجمل به عقودها، مباشرة يخيف بأسها الليوث في أجماتها، ويعين عدلها الغيوث على دفع أزماتها، ويغدو بها الحق مرفوع العلم، مسموع الكلم، ماضي السيف والقلم، ممدود الظل على من بها من أنواع الأمم وليأخذ الجيوش التي بها من إعداد الأهبة بما يزيل إعذارهم عن الركوب، ويزيح عوائقهم عن الوثوب، ويجعلهم أول ملب لداعي الجهاد، وأسرع مجيب لنداء ألسنة السيوف الحداد، وينظم أيزاكهم على البحر انتظام النجوم في أفلاكها والشذور في أسلاكها، فلا تلوح للأعداء طريدة إلاّ طردت، ولا قطعة إلاّ قطعت، ولا غراب إلا حُصَّت قوادمه، ولا شامخ عمارة إلا وأتيح له من اللهاذم هادمه، وليعل منار الشرع الشريف بإمضاء أحكامه ومعاضدة حكامه، والانقياد إلى أوامره، والوقوف مع موارد نهيه ومصادره ولتكن وطأته على أهل العناد مشتدة، ومعرفته تضع الأشياء موضعها: فلا تضع الحدة موضع اللين ولا اللين موضع الحدة، وليعلم أنه وإن بعد عن أبوابنا العالية مخصوص منا بمزية قربه، مختص بمنزلة إخلاصه التي أصبح فيها على بينة من ربه وجميع ما يذكر من الوصايا فهو مما يحكى من صفاته الحسنة، وأدواته التي ما برحت الأقلام في وصف كمالها فصيحة الألسنة، وملاكها تقوى الله وهي في خصائصه كلمة إجماع، وحلية أبصار وأسماع، والله تعالى يعلي قدره وقد فعل، ويؤيده بالقول والعمل، والاعتماد...

ملحق رقم (٢٣)
نسخة تقليد بتقدمة العسكر بغزة المحروسة من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي: ٢١٦/١٢ ــ ٢١٩

الحمد لله مبدىء النعم ومعيدها، ومؤكد أسبابها بتجديدها، ومعلي أقدارها بمزايا مزيدها، الذي زين أعناق الممالك من السيوف بتقليدها، وبين من ميامنه ما ردت إليه بمقاليدها.

نحمده بمحامده التي تفوت الدراري في تنضيدها، وتفوق الدر فيتمنى منه عقد فريدها ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نافعة لشهيدها، جامعة لتوحيدها نافعة لأهل الجحود مما يورد الأرض بالدماء من وريدها، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كاثر الأمم بأمته في عديدها، وظاهر على أعداء الله بمن يفل بأس حديدها، فيرسل من أسنته نجوماً رجوماً لمريدها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة نتظافر بتأييدها، وسلم تسليمًا كثيرا.

وبعد، فإن من عوائد دولتنا القاهرة أن تعود بإحسانها، وتجود بثبوت كل قدم في مكانها، وإذا ولت عرف سحابها عن جهة عادت إليها، أو سلبت لها رونقاً أعادت بهجته عليها، وكانت البلاد الغزاوية وما معها قد تمتعت من قدماء ملوك بيتنا الشريف بسيف مشهور، وبطل تشام بوارق عزمه في الثغور، وهو الذي عم بصيت بلادها سهلاً وجبلاً. وعمر روضها بعدل أغناها أن يسقي طل طللاً، وجمع أعمالها براً وبحراً، ومنع جانبيها شاماً ومصراً، وألف أهلها منه سيرة، لولا ما استأثرنا الله به من سره لما أفقدناهم في هذه المدة حلاوة مذاقها، وسريرة لا نرضى معها بكف الثريا إذا بسطت لأخذ ميثاقها، ولم نرفع يده إلا لأمر قضى الله به لأجل موقوت، ومضى منه ما يعلم أنه بمرجوعه القريب لا يفوت، لأن الشمس تغيب لتطلع بضوء جديد، والسيف يغمد ثم ينتضى فيقد القد والجيد، والعيون تسهد ثم يعاودها الرقاد، والماء لو لم يفقد في وقت لما وجد لموقعه برد على الأكباد.

فلما بلغ الكتاب أجله، وأخذ حقه من المسألة، وانتقل من كان قد استقر إلى جوار ربه الكريم، وفارق الدنيا وهو على طاعتنا مقيم ـ اقتضت آراؤنا الشريفة أن يراجع هذه العقيلة كفؤها القديم، وترجع هذه الأرض المقدسة إلى من فارقها وما عهده بذميم، من لم تزل به عقائل المعاقل تصان، وخصور الحصون بحمائل سيوفه تزان، ومباسم الثغور تحمي في كل ناحية من أسنته بلسان، وحمى الثغرين وما بينهما من الفجاج، وجاور البحرين

فمنع جانبيها: فهذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، وله في العدا وقائع زلزلت لمواقعها الألوف، ومواقف لولا ما نعقت فيها من غربان البين لطال على الديار الوقوف، وهو الذي مدحت له في بيتنا المنصور المنصوري من الخدمة سوابق وحمدت طرائق، وكثرت محاسن، وكبرت ميامن، ولمعت كواكب، وهمعت سحائب، وصدحت حمائم، وفتحت كمائم، وعزت جيوشنا المؤيدة له بمضارب، وهزت سيوفنا حداداً وهو بالسيف ضارب.

وكان المجلس العالي ـ أدام الله تعالى نعمته ـ هو الذي حمدت له آثار، وحسنت أخبار، وعمت مدح، وتمت منح، فرسمنا بإقراره من هذا المنصب الشريف في محله، وإعادته إلى صيب وبله، وانامة أهلها مطمئنين في عدله، وإقرار عيون من أدرك زمانه بعوده ومن لم يدرك زمانه بما سيرونه من فضله.

فرسم بالأمر الشريف ـ لا زالت ملابس نعمه، تخلع وتلبس برودها، وعرائس كرمه، تفارق ثم تراجع غيدها ـ أن تفوض إليه أمور غزة المحروسة وأعمالها وبلادها، والتقدمة على عساكرها وأجنادها، والحكم في جميع ما هو مضاف إليها من سهل ووعر، وبر وبحر، وسواحل ومواني، ومجرى خيول وشواني، ومن فيها من أهل عمد، ورعايا وتجار وأعيان في بلد، ومن يتعلق فيها بأسباب، ويعد في صف كتيبة وكتاب، على عادة من تقدم في ذلك وعلى ما كان عليه من المسالك.

وسنختصر له الوصايا لأنه بها بصير، وقد تقدم لها على مسامعه تكرير، ورأس الأمور التقوى وهو بها جدير، وتأييد الشرع الشريف فإنه على هدى وكتاب منير، والاطلاع على الأحوال ولا ينبئك مثل خبير.

والعدل فهو العروة الوثقى، والإنصاف حتى لا يجد مستحقاً. والعفاف فإن التطلع لما في أيدي الناس لا يزيد رزقاً، والاتّصاف بالذكر الجميل هو الذي يبقى، وعرض العسكر المنصور ومن ينضم إليه من عربه وتركمانه وأكراده، وكل مكبر في جحافله ومكثر لسواده، وأخذهم بالتأهب في كل حركة وسكون، والتيقظ بهم لكل سيف مشحوذ وفلك مشحون، والاحتراز من قبل البر والبحر، وإقامة كل يزك في موضعه كالقلادة في النحر، ولا يعين إقطاعاً إلاّ لمن يقطع باستحقاقه، ويقمع العدا بما يعرف في صفحات الصفاح من أخلاقه، ولا يخل المباشرين من عناية تمد إليهم ساعد المساعدة، فلا يخلو في البلاد بعمارة تغدو في حللها مائدة، وليحفظ الطرقات حفظاً تكون به ممنوعة، ويمسك المسالك فإنه في مفرق طرقاتها المجموعة، وليقدم مهمات البريد وما ينطق على جناح الحمام، وليتخذهما نصب عينيه في اليقظة والمنام، فرب غفلة لا يستدرك فائتها ركض، ورسالة لا يبلغها إلاّ رسول ينزل من السماء وآخر يسيح في الأرض، ويرصد ما ترد به مراسمنا العالية ليسارع إليه ممتثلاً، ويطالعنا بما يتجدد عنده حتى يكون لدينا ممثلاً، وهو يعلم أنه واقف من بابنا الشريف بالمجاز، وقدام عينينا حقيقة وإن قيل على طريق المجاز، فليؤاخذ نفسه مؤاخذة من هو بين يدينا، ويعمل بما يسره أن يقدم فيما يعرض من أعماله علينا، والله تعالى يزيده حظوة لدينا، ويؤيد به الإسلام حتى لا يدع على أعداء الله للدين ديناً، والاعتماد. . .

الحـــواشي

المقــدمة:

(١) صدر الدين محمد بن عبد الرحمن العثماني، **قطعة من تاريخ صفد**،
B. Lewis, «An Arabic Account of the Province of Safad», ***Bulletin of the School of Oriental and African Studies,*** Vol. XV, pp. 477-487.

(٢) عبد الرحمن بن محمد العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، مقدمة الناشر بلا ترقيم.

(٣) نشرت قطعة كتاب عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد عن الظاهر بيبرس بعنوان **تاريخ الملك الظاهر**، تحقيق أحمد حطيط. انظر مقدمة المحقق، ص ٩ ــ ٢٧.

(٤) نشر كتاب **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** محققاً من قبل عبد العزيز الخويطر. وقبله كان قد جرى نشر كتاب **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور** محققاً من قبل مراد كامل، وقبل ذلك بأمد طويل نشر الجزء الثالث من كتاب **الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية** محققاً من قبل اكسل موبيرغ.

(٥) نشر كتاب **ذيل مرآة الزمان** في أربعة أجزاء وطبع في حيدرأباد.

(٦) لكتاب أبي الفداء **المختصر في أخبار البشر** طبعة عثمانية غير محققة جاءت في أربعة أجزاء، وقد أعيدت طباعة هذا الكتاب بالتصوير في بيروت من قبل دار المعرفة بلا تاريخ.

(٧) نشر هذا الكتاب محققاً من قبل فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، وطبع في جزءين.

(٨) طبع كتاب **تتمة المختصر في أخبار البشر**، في بيروت في مجلدين. انظر: **الأعلام** للزركلي، «مادة ــ عمر».

(٩) طبع كتاب **البداية والنهاية** في أربعة عشر جزءاً، وأعيد طبعه بطريقة الأوفست وغيرها مراراً، والكتاب بحاجة للتحقيق وضبط النص بشكل دقيق.

(١٠) نشر الجزء الأول ثم الثاني من **تذكرة التنبيه في أيام المأمون وبنيه** بتحقيق محمد محمد أمين. وهناك قطعة منشورة من **درة الأسلاك** لم أستطع الوقوف على نسخة منها.

(١١) جاء كتاب ابن الفرات **تاريخ ابن الفرات** في عشرة مجلدات وتوجد نسخة خطية منه بخط المؤلف تسعة مجلدات منها في فيينا والعاشر في مكتبة الفاتيكان، ونشر من هذا الكتاب حتى الآن خمسة مجلدات، ثلاثة منها في بيروت، واثنان في بغداد.

(١٢) طبع تاريخ ابن خلدون عدة طبعات في مجلدات عدة ما من واحدة منها يمكن اعتبارها طبعة علمية دقيقة. أما كتاب **التعريف** فقد حققه محمد بن تاويت الطنجي.

(١٣) انظر: سهيل زكار، **أخبار القرامطة**، ص ٧١ ــ ٧٥؛ والمقريزي، **اتعاظ الحنفاء في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، ج ١، ص ١١ ــ ٢٣.

(١٤) نشر الجزء الثالث محققاً من قبل عدنان درويش.

(١٥) حظي كتاب **إنباء الغمر بأبناء العمر** بعناية كبيرة فنشر في وقت واحد في كل من القاهرة ودمشق وحيدرأباد الدكن في الهند، وقد وقفت على الطبعات الثلاث واعتمدت أخيراً طبعة القاهرة بتحقيق حسن حبشي في ثلاثة مجلدات.

(١٦) طبع كتاب **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** محققاً من قبل دار الكتب المصرية وجاء في ست عشرة مجلدة كبار. انظر: ج ١، ص ٣ ــ ٢٨.

(١٧) سنتحدث عن السخاوي فيما بعد لدى ذكر كتب التراجم، وقد طبع كتاب **نزهة النفوس والأبدان في تاريخ الزمان** محققاً في القاهرة في ثلاثة مجلدات من قبل حسن حبشي.
وطبع كتاب **بدائع الزهور في وقائع الدهور** أكثر من مرة وتم الاعتماد هنا على طبعة كتاب الشعب.
وطبع كتاب **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان** في القاهرة من قبل محمد مصطفى، كما طبع كتاب **اعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق والشام الكبرى** في دمشق محققاً من قبل محمد أحمد دهمان.

(١٨) طبع هذا الكتاب للمرة الأولى في القاهرة ثم أعيد طبعه بالتصوير في بيروت.

(١٩) يتولى المعهد الألماني في بيروت منذ عام ١٩٦١ العمل على نشر هذا الكتاب محققاً، وجرى حتى الآن نشر أكثر من نصفه.

(٢٠) طبع هذا الكتاب محققاً للمرة الأولى في بيروت، والثانية في دمشق، وكان في الحالتين موضوع رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير من جامعة بغداد ثم من جامعة دمشق.

(٢١) نشر جزء واحد من هذا الكتاب في القاهرة ولم يتابع نشره حتى الآن.

(٢٢) طبع هذا الكتاب في أربعة أجزاء في حيدرأباد الدكن، الهند، وأعيدت طباعته بالتصوير في بيروت.

(٢٣) طبع هذا الكتاب في ستة مجلدات حوى كل منها جزءين من قبل مكتبة الحياة في بيروت بدون تاريخ ولا تحقيق أو ضبط.

(٢٤) طبع هذا الكتاب في بيروت محققاً من قبل الدكتور جبرائيل جبور في ثلاثة مجلدات.

(٢٥) طبع كتاب **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** في حيدرأباد الدكن، الهند، وجاء في أربعة مجلدات ثم طبع ثانية بالتصوير في بيروت.

وطبع كتاب **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** في أربعة مجلدات في كل منها جزءان في بيروت من قبل المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ).

وطبع كتاب **تاريخ بيروت** ثانية محققاً. وطبع كتاب **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد** محققاً في القاهرة وقبل ذلك كان قد تمت في القاهرة طباعة كتاب **الروض الزاهر**.

وطبع كتاب **البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر محمد بن قايتباي** محققاً في بيروت، وطبع كتاب **الدرة المضية في الدولة الفاطمية** محققاً مع ترجمة إلى الانكليزية في جامعة كاليفورنيا.

(٢٦) طبع كتاب **التعريف بالمصطلح الشريف** بمجلدة لطيفة في القاهرة وذلك بدون ضبط علمي للنص أو تحقيق.

(٢٧) لقي كتاب **صبح الأعشى في صناعة الانشا** عناية كبيرة وقد نشر محققاً بالقاهرة، وجاء في خمس عشرة مجلدة مع الفهارس.

(٢٨) نشر كتاب **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك** محققاً في باريس.

(٢٩) طبع كتاب **معيد النعم ومبيد النقم** في بيروت وطبع كتاب **التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار** في القاهرة.

(٣٠) نشر من كتاب **نهاية الأرب في فنون الأدب** حتى الآن واحد وعشرون مجلدة في القاهرة. انظر: زكار، **أخبار القرامطة**، ص ٧٠ ـ ٧١.

(٣١) أمتلك صورة أكثر من نسخة مخطوطة من هذا الكتاب، وجاء اعتمادي بالدرجة الأولى على نسخة المتحف البريطاني في لندن لكونها أفضل النسخ الموجودة وأكثرها دقة. وكنت قد شرعت بتحقيقها منذ عدة سنوات.

(٣٢) سبقت الإشارة إلى ابن شداد، ووردت المعلومات المتعلقة بفلسطين بجزء **لبنان والأردن وفلسطين**، وقد نشر هذا الجزء في دمشق.

(٣٣) نشر هذا الكتاب في بطرسبرغ بشكل محقق.

(٣٤) نشر كتاب **تقويم البلدان** محققاً في باريس.

(٣٥) طبعت **رحلة ابن بطوطة** غير مرة وقد اعتمدت طبعة القاهرة لعام ١٩٥٨، المكتبة التجارية الكبرى.

(٣٦) نشرت هذه الرحلة محققة في بيروت.

(٣٧) طبع كتاب **الحسبة** لابن تيمية غير مرة وقد اعتمدت على طبعة كتاب الجمهورية الديني، ط. القاهرة بلا تاريخ، وطبع كتاب **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، للشيزري محققاً في بيروت وذلك للمرة الثانية، كما طبع كتاب **معالم القربة**، لابن الإخوة محققاً في القاهرة، وطبع كتاب **نهاية الرتبة** لابن بسام في بغداد.

(٣٨) محمد بن عبد الواحد المقدسي، **فضائل بيت المقدس**، ص ٢٢ ـ ٢٤، حيث يجد القارىء ثبتاً بأهم الكتب المصنفة حول مكانة القدس الدينية.

(٣٩) فتحت معظم الجامعات العربية فروعاً للدراسات العليا، فكتب عدد من الباحثين رسائلهم الجامعية في الدراسات المملوكية الشامية. وفي ما يتعلّق بفلسطين تركّز الاهتمام حول نيابتي صفد والقدس، من ذلك:

أ ـ «مملكة صفد في العهد المملوكي»، إعداد إلهام مكي، الجامعة اللبنانية، لم تُنشر.

ب ـ «مدينة صفد في عهد المماليك»، إعداد عبد الحليم يونس، الجامعة اللبنانية، ١٩٧٩، لم تُنشر.

جـ ـ **مملكة صفد في عصر المماليك**، إعداد طه ثلجي الطراونة، عمّان، (نشرته في بيروت دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢).

د ـ «إدارة القدس في عهد المماليك»، إعداد ابراهيم محمد علي مهدي، الجامعة اللبنانية، ١٩٨٢، لم تُنشر.

هـ ـ **تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي**، إعداد يوسف درويش غوانمة، عمّان، نشرته دار الحياة بعمّان، ١٩٨٢.

وهذه كلها رسائل قُدّمت لنيل درجة الماجستير.

أما نيابة غزة فلم تحظَ، في حدود معرفتي، بعناية الباحثين، حيث لم أقف على كتاب يتحدث عن تاريخها العام، أو دراسة تتناول إحدى فترات ماضيها.

(٤٠) نشر كتاب **من آثارنا في بيت المقدس** في عمان.

(٤١) نشر كتاب **المدارس في بيت المقدس** في عمان.

(٤٢) انظر: مصطفى مراد الدباغ، **الموجز في تاريخ الدول الإسلامية وعهودها في بلادنا فلسطين**، ج ١، ص ٢٢٣ حيث هنالك ثبت بمؤلفات الدباغ حول فلسطين.

الفصل الأول:

(١) أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**؛ وإبراهيم بن محمد الاصطخري، **المسالك والممالك**، ص ٤٢؛ وأحمد بن محمد الفقيه الهمذاني، **كتاب البلدان**، ص ٩١، ٩٢؛ وأحمد بن عمر بن رستة، **العلائق النفيسة**، ص ١٠٧؛ ومحمد بن أحمد المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**؛ وياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، **معجم البلدان**، «مادة الشام».

(٢) محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج ٥، ص ٥٣٥ ـ ٥٤٤؛ وخليفة بن خياط العصفري، **تاريخ خليفة بن خياط**، ج ١، ص ٣٢٦؛ وسهيل زكار، **مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية**، ص ٦٦ ـ ٧٠.

(٣) حمزة بن أسد بن علي القلانسي، **تاريخ دمشق**، ص ١ ـ ٣٧؛ وسهيل زكار، **أخبار القرامطة**، ص ١٦ ـ ٢٥، ٧٣ ـ ٧٦، ٢٧٤، ٢٨٣، ٣٤٣، ٣٤٦.

(٤) S. Zakkar, *The Emirate of Aleppo*, pp. 92-101.

(٥) Zakkar, *The Emirate of Aleppo*, pp. 37, 42, 96.

المقصود بالحمدانية أمراء حلب أيام العزيز وكان دغفل بن الجراح أمير طيء في فلسطين آنذاك.

(٦) سهيل زكار، **مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية**، ص ١٥٢ ـ ١٦٥.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٣٧ ــ ٢٤٣؛ وأيضاً زكار، الحروب الصليبية، ج ١، ص ١١ ــ ٢٨٧.

(٨) زكار، حطين، ص ١٦٩ ــ ١٨٥.

(٩) أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك، ص ٦٣ ــ ١٤٤. أوقفت مجلة المورد العراقية، العدد الرابع من المجلد الثاني عشر (١٩٨٣) على الفكر العسكري عند العرب، ص ٧٩ ــ ٤٢٠.

(١٠) زكار، حطين، ص ٦٩ ــ ١٠٤؛ وأحمد بيلي، حياة صلاح الدين، ص ١٢٤ ــ ١٥٢.

(١١) من ذلك: العبادي، قيام دولة المماليك؛ وأنور زقلمة، المماليك في مصر؛ وسعيد عبد الفتاح عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، الظاهر بيبرس، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك؛ ومحمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس، دولة بني قلاوون في مصر؛ والسيد الباز العريني، المماليك؛ ومحمد عبد العزيز مرزوق، الناصر بن محمد قلاوون؛ وخليل ضومط، الدولة المملوكية؛ وبرتولد شبولر، العالم الإسلامي في العصر المغولي؛ ومارفين لابيدوس، مدن الشام في العصر المملوكي.

(١٢) محمد بن سالم بن واصل الحموي، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ١، ص ٣٣٩ ــ ٣٤٠؛ وإسماعيل بن علي (أبو الفداء صاحب حماة)، المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٨٨؛ ومحمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ص ٧٠؛ وأحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ٣٣٩، ٣٤٠؛ والمقريزي، الخطط، ج ٢، ص ١١٦، ٢١٧؛ ويوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٣١٩؛ والعبادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ٩٤.

(١٣) زكار، حطين، ص ١٧١ ــ ١٨٥.

(١٤) ابن واصـل، مفـرج الكـروب...، ج ٤، ص ٢٤١ ــ ٢٥٣؛ ومحمد بن علي بن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص ١٧٦ ــ ١٩٤؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٢٦٨ ــ ٢٧٥؛ وفولفغانغ مولر ــ فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ص ٢٧ ــ ٢٩.
K.M. Setton, *A History of the Crusades*, Vol. 2, pp. 429-462.

(١٥) J. de Joinville, *The Life of Saint Louis*, pp. 206-264.
Margaret Wade Lavarge, *Saint Louis*, pp. 113-131.

وجوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على مصر، ص ٨٥ ــ ٢٨٤.

(١٦) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٣٩ ــ ٣٦٠؛ ويوسف، العدوان الصليبي على مصر، ص ١٩٧ ــ ٢٥٧؛ والعبادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ١٠٤ ــ ١١٣.

(١٧) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٦١ ــ ٣٦٨؛ وأبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٨١، ١٨٢؛ والعبادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ١١٧ ــ ١٢١.

(١٨) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٦٠ ــ ٣٦٥؛ وأبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٨١، ١٨٢؛ والعبـادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ١١٠ ــ ١٢١؛ ويوسف، العدوان الصليبي على مصر، ص ٢٦٦ ــ ٢٦٨؛ ويوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص ٤٥ ــ ٨٨.
Joinville, *Life of Saint Louis*, pp. 249-264 and Setton, *A History of the Crusades*, Vol. 2, pp. 487-521.

(١٩) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٦٨ ــ ٣٨٩؛ وأبو الفداء، المختصر في أخبار البشـر، ج ٣، ص ١٨٢ ــ ١٨٧؛ ويـوسف، العـدوان الصليبي على بلاد الشام، ص ١٣٩ ــ ١٨٧؛ ويوسف غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ص ٢٨٨ ــ ٢٩٩.

(٢٠) انظر: فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ص ٢٧ ــ ٣٠.

(٢١) أبـو الفداء، تقـويم البلدان، ص ٢٤٣؛ ومحمـد بن جبـير، رحلة ابن جبير، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤؛ ومحمد بن عبد الله اللواتي (ابن بطوطة)، رحلة ابن بطوطة، ص ٣٠ ــ ٣٣؛ وأحمد بن عبد الله القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٤، ص ١٥٢.

(٢٢) يوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص ٩٥ ــ ٩٩؛ وأنتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٧٥ ــ ٢٨٠؛ وعادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بـين الشرق والغـرب في العصور الـوسطى، ص ١٤٤ ــ ١٦٥.

(٢٣) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٦٨ ــ ٣٨٥؛ وأبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٨٣ ــ ١٨٧؛ والعبادي، قيام دولـة المماليك الأولى، ص ١٢٥ ــ ١٢٩؛ وغوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ص ٢٨٨ ــ ٢٩٩.

(٢٤) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشـر، ج ٣، ص ١٩٣ ــ ١٩٥؛ وعمر بن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٨٦؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٣؛ وإسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٨٤؛ وسعيد عبد الفتاح عاشـور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ١٠٩؛ والعبادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ١٢٥؛ ويوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشـام، ص ١٤٧ ــ ١٥٩؛ وغـوانمـة، إمـارة الكـرك الأيـوبيـة، ص ٢٩٢ ــ ٢٩٣.

(٢٥) يوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص ١٥٣ ــ ١٦٣.
Joinville, *The Life of Saint Louis*, pp. 281-282.

(٢٦) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشـر، ج ٣، ص ١٩٢ ــ ١٩٣؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٧٠؛ وابن الوردي، تتمة المختصر، ج ٢، ص ١٨٥؛ وأبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج ١، ص ٩؛ والعبادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ١٢٦ ــ ١٢٧؛ ويوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص ١٦٥ ــ ١٧٠.

(٢٧) يوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص ١٧٢.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ١٧٦ ــ ١٧٩.
Joinville, *The Life of Saint Louis*, p. 295.

(٢٩) أبـو الفـداء، المختصـر في أخبـار البشـر، ج ٣، ص ١٩٥؛ وعبـد الـرحمن بن خلدون، العبر وديـوان المبتـدأ والخبـر، ج ٥، ص ٣٦٣؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٨٥؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٠؛ ويوسف، العدوان الصليبي على

بلاد الشام، ص ١٨٥ ــ ١٨٦؛ وغوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤؛ والعبادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ١٢٧ ــ ١٢٨.

(٣٠) يوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص ١٩٧ ــ ٢٢٣، ٣٤٦ ــ ٣٥١؛ والعبادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ١٤١؛ وغوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ص ٢٩٥ ــ ٢٩٧.

(٣١) العبادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ١٢٨ ــ ١٤١؛ وغوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ص ٢٩٧ ــ ٢٩٩.

(٣٢) انظر في هذا الصدد: برتولد شبولر، العالم الإسلامي في العصر المغولي؛ ورينيه غروسيه، جنكيز خان، عطاء ملك الجويني، تاريخ فاتح العالم؛ وجعفر خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين؛ ومصطفى طه بدر، مغول إيران بين المسيحية والإسلام؛ وفؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ؛ ورشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ.

(٣٣) عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٧٧ ــ ٤٧٩؛ وأحمد اليونيني البعلبكي، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٣٤٩ ــ ٣٧٤، ٣٨٠ ــ ٣٨٤، و ج ٢، ص ٢٨ ــ ٣٦؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٢٢ ــ ٤٣١؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٩٩؛ وأبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ٣١٤؛ وعبد الرحمن بن إسماعيل ــ أبو شامة، ذيل الروضتين، ص ٢٠٨؛ والعبادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ١٤٧ ــ ١٦٧، ٢٥٤ ــ ٢٦٨؛ وغوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ص ٢٩٩ ــ ٣٠٩؛ ومحمد أحمد دهمان، ولاة دمشق في عهد المماليك، ص ٥٢ ــ ٥٥.

(٣٤) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٣٠، ٤٣١.

(٣٥) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٣٧٥.

(٣٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٣٠ ــ ٥٥٠.

(٣٧) محمد بن علي بن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، (قسم لبنان وفلسطين والأردن)، ص ١٢٣ ــ ٢٦٦؛ ومصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ١، ق ١، ص ١٥ ــ ٢١، و ج ٤، ق ٢، ص ٧ ــ ٢٨.

الفصل الثاني:

(١) عالجت هذه المسألة بشيء من التفصيل في كتابي الحروب الصليبية، ج ١، ص ٣٤ ــ ٨٨.

(٢) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص ٦٨؛ وسعيد عبدالفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، ص ٣٦ ــ ٤٤؛ والعريني، دولة الظاهر بيبرس، ص ٤٥ ــ ٦٢.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر: زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٧٦ ــ ١٩٦؛ أحمد بن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص ١٩١ ــ ١٩٤؛

D.M. Dunlop, *The History of the Jewish Khazars*, pp. 207-221.

(وقد ترجمت هذا الكتاب إلى العربية ونشرته في بيروت)؛ ولابيدوس، مدن الشام، ص ٢٠٥ ــ ٢٢٠.

(٤) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١١٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٩ ــ ١٢٠؛ واليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ١٠٨ ــ ١١٢؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٦٠ ــ ٤٦٤؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢٠١.

(٦) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٢١، ١٦٢، ١٦٦. وعالج يوسف غوانمة سقوط الكرك بقدر كبير من التفصيل في كتابه إمارة الكرك الأيوبية، ص ٣١٠ ــ ٣٣٣.

(٧) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٥٧؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٨٧ ــ ٤٨٨.

(٨) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٥٥ ــ ١٥٦؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٨٧ ــ ٤٨٨.

(٩) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٥٨ ــ ١٦٦؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٨٧ ــ ٤٩٣؛ واليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ١٩٢ ــ ١٩٤.

(١٠) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ترجمة عربية)، ج ٣، ص ٥٥٤ ــ ٥٥٥.

(١١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٢٢١ ــ ٢٣٣؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٥٢٧ ــ ٥٣٤؛ واليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ٣١٧ ــ ٣٢٠؛ وأبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٢؛ ورنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٥٤٦؛ وسرور، بيبرس، ص ٧٠ ــ ٧١.

(١٢) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٢٣٤ ــ ٢٤٣؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٥٢٧ ــ ٥٥٧؛ واليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ٣١٩ ــ ٣٢٠؛ وأبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٢؛ وسرور، بيبرس، ص ٧٠؛ والعبادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ٢٢٤؛ والدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٤، ق ٢، ص ٣٥٠ ــ ٣٥٤.

(١٣) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٥٥٧، و ج ٢، ص ٦٧٤؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٩٥؛ والدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٣، ق ٢، ص ٣٣٦ ــ ٣٣٧.

(١٤) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٢٥٠ ــ ٢٥١؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٥٤٤ ــ ٥٤٥.

(١٥) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص ١٤٦ ــ ١٤٨؛ وياقوت الحموي، معجم البلدان، «مادة صفد»؛ وأبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣؛ وابن شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١٠؛ والطراونة، مملكة صفد، ص ٨٤ ــ ٨٨.

(١٦) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص ١٤٦ ــ ١٥١؛ وابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٢٥٤ ــ ٢٦٧؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٥٤٥ ــ ٥٤٨؛ وأبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٣؛ واليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ٣٣٧ ــ ٣٤٣؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٤٧؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٣٨ ــ ١٣٩؛ وسرور، بيبرس، ص ٧٢؛ وعاشور، الظاهر بيبرس، ص ٦٥ ــ ٦٧؛ والطراونة، مملكة صفد، ص ٤٨ ــ ٥١؛ ورنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣،

ص ٥٥٠ ـ ٥٥١؛ والعبادي، **قيام دولة المماليك الأولى**، ص ٢٢٤؛ وزكار، **حطين**، ص ١٦١.
G. Legman, *The Guilt of the Templars*, pp. 22-30.

(١٧) ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ص ١٥٠ ـ ١٥١؛ وابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٢٨٠ ـ ٢٨٧؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣.

(١٨) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٢، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٦.

(١٩) سرور، **بيبرس**، ص ٧٥ ـ ٨٨؛ والطراونة، **مملكة صفد**، ص ٥٤ ـ ٥٥؛ ورنسيمان، **تاريخ الحروب...**، ج ٣، ص ٥٥٦، ٥٦١؛ والعبادي، **قيام دولة المماليك الأولى**، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٩.

(٢٠) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٤؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٨٥؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٢، ص ٤٣٠ ـ ٤٣٤؛ وأحمد بن علي المقريزي، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، ص ٨٦ ـ ٩٥.

(٢١) مصطفى طه بدر، **مغول إيران بين المسيحية والإسلام**، ص ٦٢ ـ ٧٣؛ وشبولر، **العالم الإسلامي في العصر المغولي**، ص ٦١ ـ ٧٧.

(٢٢) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٣٨٥ ـ ٣٨٧؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٩٣؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ١٥٣؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٣، ص ٢٥٩؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٢، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٦؛ والطراونة، **مملكة صفد**، ص ٥٦ ـ ٥٧، ١١٧.

(٢٣) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٣٨٦ ـ ٣٩٠؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٩٥.

(٢٤) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٣٩٨؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٣، ص ٢٦٣؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٦٠١؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ١٥٧؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٢، ص ٤٧١؛ وابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**، ص ٣٣؛ وسرور، **بيبرس**، ص ٨٨ ـ ٩٠؛ والعبادي، **قيام دولة المماليك الأولى**، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٢٥) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٦٤٢ ـ ٦٥٣؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ٢٦٣ ـ ٢٧٠.

(٢٦) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، ص ٨٢؛ وعبدالرحيم بن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٣٠٤؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٦٨٥؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ٣٠٠؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٤، ص ٥٣ ـ ٨٦؛ والطراونة، **مملكة صفد**، ص ٥٨ ـ ٥٩؛ وسرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٣٢.

(٢٧) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام**، ص ٢١٠ ـ ٢١١؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٢٠٥؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٤، ص ٥٣، ٨٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٢٨٥؛ وسرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٣٢.

(٢٨) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام...**، ص ٢ ـ ٢٢؛ وسرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٣٢؛ والطراونة، **مملكة صفد**، ص ٥٩.

(٢٩) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام...**، ص ٣٤ ـ ٤٣؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٢٦٢ ـ ٢٧٠؛ والقلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ١٤، ص ٥١. وانظر نص المعاهدة بين الملاحق.

(٣٠) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام...**، ص ٢ ـ ٣؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٤، ص ٩١ ـ ٩٤؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٤، ص ١٤ ـ ١٦؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ٣٤٨؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٦٩١ ـ ٦٩٨.

(٣١) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام**، ص ٦٣، ٦٦؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٦٧؛ ومحمد بن طولون الصالحي، **أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق والشام الكبرى**، ص ٧ ـ ٨؛ وسرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٣ ـ ٢٥.

(٣٢) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٧٤٦ ـ ٧٤٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ٣٢٠؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٤، ص ٢٣ ـ ٢٤؛ والحسن بن عمر بن حبيب، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، ج ١، ص ١٢٢ ـ ١٢٣؛ وسرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩؛ ورنسيمان، **تاريخ الحروب...**، ج ٣، ص ٦٨٥ ـ ٦٨٨.

(٣٣) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، ص ١٤١؛ ورنسيمان، **تاريخ الحروب...**، ج ٣، ص ٦٧٠ ـ ٦٧٢.

(٣٤) رنسيمان، **تاريخ الحروب...**، ج ٣، ص ٦٧٣ ـ ٦٨٢.

(٣٥) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ٩٣ ـ ٩٧؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٧٥٣ ـ ٧٥٤؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٣، ص ٣١٧؛ ومحمد بن قايماز الذهبي، **دول الإسلام**، ج ٢، ص ١٨٨؛ ورنسيمان، **تاريخ الحروب...**، ج ٣، ص ٦٩٠ ـ ٦٩٢؛ وسرور، **دولة بني قلاوون في مصر**، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٣٦) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ٩٧؛ وابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام**، ص ١٧٧ ـ ١٧٩؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٣، ص ٣٢٠؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٧٥٤؛ وابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج ١، ص ١٣٥؛ والذهبي، **دول الإسلام**، ج ٢، ص ١٨٨ ـ ١٨٩؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٤، ص ٢٣ ـ ٢٤؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ٣٨٣؛ وسرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٤٢؛ ورنسيمان، **تاريخ الحروب...**، ج ٣، ص ٦٩٣ ـ ٦٩٤.

(٣٧) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٧٦٣؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ٩٨، ١١٠؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٣، ص ٣٢٠؛ وابن تغري بردي،، **النجوم الزاهرة**، ج ٨، ص ٣ ـ ٥؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٤، ص ٢٤ ـ ٢٥؛ والذهبي، **دول الإسلام**، ج ٢، ص ١٨٩؛ ورنسيمان، **تاريخ الحروب...**، ج ٣، ص ٦٩٥.

(٣٨) أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٤، ص ٢٤ ـ ٢٦؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ١١٠ ـ ١١٤؛

وابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ١، ص ١٣٧ ــ ١٣٩؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٧٦٤ ــ ٧٦٦؛ وابن تغري بردي، ، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٥ ــ ١١؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٢٠ ــ ٣٢١؛ والذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ١٨٩ ــ ١٩٢؛ ورنسيمان، تاريخ الحروب. . .، ج ٣، ص ٦٩٤ ــ ٧١٣؛ وسرور، دولة بني قلاوون، ص ٢٤١ ــ ٢٤٤؛ والطراونة، مملكة صفد، ص ٦٣ ــ ٦٨.

الفصل الثالث:

(١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص ١٥٠.

(٢) أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٥، ص ٤٥٣.

(٣) تاج الدين عبد الوهاب السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص ٢١ ــ ٢٢.

(٤) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ١٩٢ ــ ٢١٤.

(٥) شهاب الدين ابن فضل العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٨٢.

(٦) انظر الهامش رقم (١) من هوامش فصل المقدمة.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٥١.

(٨) خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ٤٤.

(٩) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ١، ق ١، ص ٢٨ ــ ٥٠.

(١٠) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١٠ ــ ٢١٢؛ والعمري، التعريف. . .، ص ١٨٢؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٥٠. Lewis, «An Arabic Account...», pp. 480-487.

(١١) الطراونة، مملكة صفد، ص ٨٤ ــ ١٣٦.

(١٢) انظر: لابيدوس، مدن الشام، ص ٤١ ــ ٤٨.

(١٣) عالجت هذه القضايا في كتابي مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ص ٦٥ ــ ٢١٥.

(١٤) يروى أن أول روك تم في العهد المملوكي أيام السلطان لاجين سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٧م، وتم الروك الثاني ــ وهو الأشهر ــ أيام الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م. انظر: المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٨٤١، ج ٢، ص ١٢٧؛ وابن تغري بردي، النجوم. . .، ج ٨، ص ٩٠؛ والطراونة، مملكة صفد، ص ١٥١ ــ ١٥٢.

(١٥) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤١٥.

(١٦) ابن شداد، الأعلاق. . .، ص ١٥١؛ وابن تغري بردي، النجوم. . .، ج ٧، ص ١٣٩؛ وابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص ٢٦٣.

(١٧) الطراونة، مملكة صفد، ص ١٥٣.

(١٨) المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٢٨٣ ــ ٢٨٤؛ والطراونة، مملكة صفد، ص ١٥٣.

(١٩) المقريزي، الذهب المسبوك، ص ١٠٤ ــ ١٠٥. Lewis, «An Arabic Account...», p. 482.

(٢٠) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٣٠ ــ ٥٣٤؛ والطراونة، مملكة صفد، ص ١٥٩. انظر الملاحق.

(٢١) السبكي، معيد النعم، ص ٣٤.

(٢٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٥١ ــ ١٥٢؛ والطراونة، مملكة صفد، ص ١٦١؛ والكاشف أمير وظيفته الإشراف على الجسور الزراعية وله ضرائب مقررة على كل بلد من الجراريف والأبقار؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٥.

(٢٣) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٥٤٨، ٧٦٩؛ وابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢١ ــ ١٢٢.

(٢٤) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١١؛ وصالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٧٣. Lewis, «An Arabic Account...», p. 482.

(٢٥) الطراونة، مملكة صفد، ص ١٦٦؛ و Lewis, «An Arabic Account...», p. 483.

(٢٦) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٢٦٧؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٥٥٤؛ ورنسيمان، تاريخ الحروب. . .، ج ٣، ص ٦٠٢؛ وزكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ص ٣٠٤؛ والنويري، نهاية الأرب، ج ٨، ص ٢٦٤ ــ ٢٧٢.

(٢٧) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١١؛ والنويري، نهاية الأرب، ج ١٨، ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨. Lewis, «An Arabic Account...», pp. 482-485.

(٢٨) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١١ ــ ٢١٣؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨١٦ ــ ٨١٧؛ والنويري، نهاية الأرب، ج ٨، ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨. Lewis, «An Arabic Account...», p. 483.

(٢٩) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١١ ــ ٢١٣؛ ومحمد كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ١٧١؛ والنويري، نهاية الأرب، ج ٨، ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨؛ Lewis, «An Arabic Account...», pp. 480-485.

(٣٠) النويري، نهاية الأرب، ج ٨، ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٢٥٨ ــ ٢٦٢.

(٣٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨٨.

(٣٣) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٥٥٤، و ج ٣، ص ١٠٦٦ ــ ١٠٦٧؛ وابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٦٥، ١٤٧؛ وابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٥٧، ٢٥٣، ٢٦٧؛ والطراونة، مملكة صفد، ص ١٧٠. Lewis, «An Arabic Account...», pp. 482-483, 487.

(٣٤) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١١ ــ ٢١٣؛ والطراونة، مملكة صفد، ص ١٧٠ ــ ١٧٤.

(٣٥) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ٤٤؛ والطراونة، مملكة صفد، ص ١٧٥ ــ ١٧٧. Lewis, «An Arabic Account...», p. 483.

(٣٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٥٠؛ وابن شاهين، زبدة كشف. . .، ص ٤٤، ١١٨. Lewis, «An Arabic Account...», p. 485.

(٣٧) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٢٦١؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٥٤٧ ــ ٥٤٨؛ وابن تغري بردي، النجوم. . .، ج ٣، ص ١٣٩. وأورد ابن فضل الله العمري صيغة مخاطبة كان يخاطب بها

نائب صفد بشكل رسمي إثر تعيينه: العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، ص ١٧٠ ــ ١٧٣.

(٣٨) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٥٣٨؛ وانظر بين الملاحق قائمة بنواب صفد.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٧٣٠؛ وابن تغري بردي، **النجوم**...، ج ١٠، ص ١٥٣.

(٤٠) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٧٦١؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ١٠، ص ١٩٢.

(٤١) ابن أيبك، **الدر الفاخر**، ص ٢٩٣.

(٤٢) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٦٨١ ــ ٦٨٢، ٦٩٧ ــ ٦٩٩؛ وابن تغري بردي، **النجوم**...، ج ١٠، ص ١١٨، ١٢٥؛ والعريني، **المماليك**، ص ١٥٤ ــ ١٥٥.

(٤٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ٣٩٠.

(٤٤) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٨٨٦ ــ ٨٨٧.

(٤٥) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج ١١، ص ٢٩٣.

(٤٦) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٩٠.

(٤٧) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج ١١، ص ٢٩٢. وتناول د. أحمد عبد الرزاق أحمد، موضوع الرشوة في العصر المملوكي ببحث مفيد في كتاب اسمه **البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك**.

(٤٨) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٩٠؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٤٠٣؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ٩، ص ١٤٥ ــ ١٤٧.

(٤٩) انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٤؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٤، ص ٤٦١ ــ ٤٦٢، و ج ٥، ص ٤؛ والعريني، **المماليك**، ص ١٤٧ ــ ١٤٩.

(٥٠) السبكي، **معيد النعم**، ص ٤٣ ــ ٤٥؛ والقلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٨٧؛ والعريني، المماليك، ص ١٥٢.
Lewis, «An Arabic Account...», p. 480.

(٥١) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ١٥٨.

(٥٢) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٦٣٨، ٧٣٢؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ٨، ص ٩.

(٥٣) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٢٦٠؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٤٧، و ج ٢، ص ٧١٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ٧، ص ١٣٨، و ج ١٠، ص ١٣٥ ــ ١٣٧، و ج ١٥، ص ٤٤٥ ــ ٤٤٦؛ والعمري، **التعريف**، ص ١٤٩؛ والقلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٨٥؛ والطراونة، **مملكة صفد**، ص ٢٣٤ ــ ٢٣٦. انظر ملحق أسماء النواب.

(٥٤) عبارة أتابك كلمة تركية الأصل مركبة من كلمتين هما «أتا» و «بك» ومعنى «أتا» عم أو أب و «بك» مقدم أو أمير، ونظراً لسيطرة القبائل على السلطنة السلجوقية ولأسباب أخرى كان السلطان السلجوقي يجد نفسه مضطراً للزواج بأكثر من أربع حرائر، ونظراً لتحريم الإسلام الجمع بين أكثر من أربع زوجات حرائر كان السلطان يقدم على تطليق واحدة من زوجاته أو أكثر بعد إنجابها له ولداً ذكراً، ويزوجها بواحد من كبار أمراء جيشه وبلاطه، ويعهد للزوج الجديد بتربية ابنه وصيانة حقوقه، وبناء عليه حمل الأمير الجديد اسم «أتابك» أي الأمير العم أو الأب، وأسس بعض الأتابكة دولاً خاصة بهم مثلما عمل عماد الدين زنكي في الموصل وحلب، وطغتكين في دمشق، في العصر نفسه.

(٥٥) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام**، ص ٣٧٤ ــ ٣٧٥؛ وابن حجر، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤، و ج ٣، ص ١٩٥، ١٩٧، ٢١٠، و ج ٦، ص ١٩٤، و ج ١٠، ص ٢٧٠ ــ ٢٧٢، ٣٣٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ١٦، ص ١٩ ــ ٢٠؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٣٥٢.

(٥٦) ابن شاهين، **زبدة كشف الممالك**، ص ١٠٤، ١٣٤، ١٣٥؛ والعريني، **المماليك**، ص ١٥٩ ــ ١٦٥.

(٥٧) الطراونة، **مملكة صفد**، ص ٢٤٠.

(٥٨) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٢١٨.

(٥٩) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٤٢، و ج ٤، ص ١٢، ٢٤٣؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٨٦٦، و ج ٤، ص ٤٤١؛ وابن حجر، **انباء الغمر**، ج ٢، ص ٤٢٧؛ والسخاوي، **التبر المسبوك**، ص ٢٢١؛ وابن إياس، **بدائع**، ج ٢، ص ٣٥٢ ــ ٣٩٣.

(٦٠) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٥، ص ٤٦٢؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٩، ق ١، ص ٩٥، ١٥٨؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٨٦٦؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ١٠، ص ٢٧٦، و ج ١١، ص ١ ــ ٣٥.

(٦١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٨٨، ٢٣٤؛ والصقاعي، **تالي وفيات الأعيان**، ص ١٨١؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٦٢) ابن شاهين، **زبدة الكشف**، ص ٩٨؛ وحسن الباشا، **الألقاب الإسلامية**، ص ١٠، ٢١.

(٦٣) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج ٨، ص ١٩ ــ ٢٠؛ وابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، ج ١، ص ١٢٨؛ ومجهول، **حوليات دمشقية**، ص ١٨، ١٢٤.

(٦٤) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج ٤، ص ٧٦ ــ ٧٧؛ وابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٩٥؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٤٤٦؛ وصالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص ٣٥؛ والعمري، **التعريف**، ص ١٨٩ ــ ١٩٢؛ وابن شاهين، **زبدة كشف**...، ص ١١٧.

(٦٥) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٩٥، ٢٣٤؛ والصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج ٢، ص ١٩، ٦٤ ــ ٦٥؛ ج ٤، ص ٢٦٥.

(٦٦) ابن شاهين، **زبدة كشف الممالك**، ص ١٣٤.

(٦٧) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٩١؛ وابن شاهين، **زبدة كشف**...، ص ١٠٩؛ Lewis, «An Arabic Account...», p. 479.

(٦٨) ابن شاهين، **زبدة كشف**...، ص ١٣٤؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٢، ص ٣٢٤؛ والقلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٤٢؛ وابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ج ١، ص ١٣٩؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ٢١٥.

(٦٩) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٩٢؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٥٦؛ وابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج ١، ص ٥٧ ــ ٥٨، والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٤، ص ٣٣٨.

(٧٠) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٩٢؛ والعمري، **التعريف**. . .، ص ١٣٢ ــ ١٣٣؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٣، ص ١٧٩ ــ ١٨٠؛ والصفدي، **الوافي**. . .، ج ٥، ص ٣٣٠ ــ ٣٣١.

(٧١) أكثر المصنفون في العصر المملوكي في الكتابة عن الحسبة. انظر الحاشية (٤٠) لمقدمة الدراسة.

(٧٢) النويري، **نهاية الأرب**، ج ٨، ص ٢٥٩.

(٧٣) الطراونة، **مملكة صفد**، ص ١٨١ ــ ١٨٢.

(٧٤) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٧٧؛ وأبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص ٢٥٩؛ والنويري، **نهاية الأرب**، ج ٨، ص ٣٢٨، ٢٦٣، ٢٧١؛ وابن تغري بردي، **النجوم**. . .، ج ٩، ص ٤٩؛ وابن طولون، **أعلام الورى**، ص ٥٨.

(٧٥) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٤٣٦ ــ ٤٤٠. وعالج المقريزي مسألة النقود في كتابيه **شذور العقود بذكر النقود** و **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، كما تعرض لها علاء الدين علي اللبودي في كتابه **فضل الاكتساب وأحكام الكسب وآداب المعيشة**، مخطوطة مكتبة تشستر بيتي دبلن، نسخة مصورة لدي، ٢٧ظ ــ ٢٩و؛ وانظر أيضاً كتاب **كشف الأسرار العملية بدار الضرب المصرية** لمنصور بن بعرة الذهبي.

(٧٦) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٤٤٢. وانظر: لابيدوس، **مدن الشام**، ص ٦٩.

(٧٧) ابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٨٢٢ ــ ٨٢٣؛ وصالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص ٩٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٨٣٧ ــ ٨٣٨، ٩٤٩.

(٧٨) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٩٤٦ ــ ٩٤٩؛ وابن تغري بردي، **النجوم**. . .، ج ٨، ص ٢٠؛ وابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٨٩٠ ــ ٨٩٩.

(٧٩) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٩، ق ٢، ص ٣٨٢؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٨١٤؛ ومظهر شهاب، **تيمورلنك**، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، ص ٢٦٨ ــ ٢٧٦.

(٨٠) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٩، ق ٢، ص ٣٨٢؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٨٦٤، ١٠٣١ ــ ١٠٣٥؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٢، ص ٧٤؛ وشهاب، **تيمورلنك**، ص ٢٨٠ ــ ٣٢٣؛ وعبد الرحمن بن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً**، ص ٣٦٦ ــ ٣٨٤.

(٨١) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص ٢٤٣.

(٨٢) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج ١٥، ص ١٥؛ وشبولر، **العالم الإسلامي**، ص ١٣٦ ــ ١٣٧.

(٨٣) محمد بن محمود بن خليل الحلبي، **تاريخ الأمير يشبك الظاهري**، ص ٢٩؛ وشبولر، **العالم الإسلامي**، ص ١٤١ ــ ١٤٢.

(٨٤) ابن طولون، **أعلام الورى**، ص ٢١٣ ــ ٢١٥؛ وابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج ١، ص ٣٥٠؛ وشبولر، **العالم الإسلامي**، ص ١٤١ ــ ١٤٢.

(٨٥) ابن عبد الظاهر، **تشريف**. . .، ص ٦٣، ٦٦؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٤، ص ٨، ١١، ٤٠ ــ ٤١؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ١٦٧.

(٨٦) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج ٨، ص ٣٥٢؛ وابن الوردي، **تتمة المختصر**، ج ٢، ص ٤٩١؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٤، ص ٢٢٢؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٧٠٨، ٧٢٠؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ١٠، ص ١٢٥، ١٣٤، ١٣٥.

(٨٧) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٥، ص ٤٤ ــ ٤٥؛ وابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٩٦٦؛ وصالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٢٤٣ ــ ٢٤٦؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ١٠، ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧.

(٨٨) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٣١٠ ــ ٣١٥.

(٨٩) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٥، ص ١٣٤ ــ ١٣٦؛ وابن صصرى، **الدرة المضيئة**، ص ٢٣؛ وابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ١٠٣٦ ــ ١٠٤٢؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ١١، ص ٣٢٨؛ وعبد السيد، **قيام دولة المماليك الثانية**، ص ٥٨، ٩٠.

(٩٠) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٩، ق ١، ص ١٠٧، ١٥٥، ١٨٣؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٦٣٢، ٦٤٧، ٦٦٩ ــ ٦٧٠، ٦٩٥؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ١١، ص ٣٢٨، ٣٥٨؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ١، ص ٢٦٢ ــ ٢٦٣؛ وابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ج ١، ص ٢٩٧ ــ ٢٩٨؛ وعبد السيد، **قيام دولة المماليك الثانية**، ص ٧٧ ــ ٩٤.

(٩١) ابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ج ١، ص ٣٢٨ ــ ٣٣٥؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٧١٢ ــ ٧١٤؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ١، ص ٣٠٣؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٥، ص ١٣٦؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١٠، ص ٢٠٣ ــ ٢٠٤؛ وعبد السيد، **قيام دولة المماليك الثانية**، ص ٩٤ ــ ١٠٣.

(٩٢) أسهم نعير بن حيار أمير عشائر الفضل بدور كبير في حسم عصيان منطاش بالشام، كما أن برقوق أقدم في سلطنته الثانية على تجنيد بعض البداة العرب في جيوشه: عبد السيد، **قيام دولة المماليك الثانية**، ص ١٠٢ ــ ١٠٦. ومن أجل الزعر والحرافيش، انظر: لابيدوس، **مدن الشام**، ص ٢٣٥ ــ ٢٥٦.

(٩٣) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٩٨٣ ــ ٩٨٦، ٩٩٠ ــ ٩٩٣، ١٠٠٧ ــ ١٠١٢؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ١٢، ص ١٠٤، ١٨٠ ــ ١٨١، ٢٠٣؛ وعبد السيد، **قيام دولة المماليك الثانية**، ص ١٠٨ ــ ١٠٩.

(٩٤) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ١١٤٧ ــ ١١٦٤؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ١٢، ص ٣١١ ــ ٣٢١؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١٠، ص ٣٠٤؛ والبدر العيني، **السيف المهند**، ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥؛ وعبد السيد، **قيام دولة المماليك الثانية**، ص ١٠٩ ــ ١١٠.

(٩٥) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٣١؛ وابن تغري بردي، النجوم، ج ١٣، ص ٥٤؛ والبدر العيني، السيف المهند، ص ٢٤٧.

(٩٦) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٣٣ ـ ٣٩؛ وابن تغـري بـردي، النجوم، ج ١٣، ص ٥٨؛ والسخاوي، الضـوء الـلامـع، ج ٣، ص ٢٧٨؛ والبدر العيني، السيف المهند، ص ٢٤٨.

(٩٧) البدر العيني، السيف المهند، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩؛ والمقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٤٦ ـ ٤٧؛ وابن تغري بردي، النجوم، ج ١٣، ص ٥٨.

(٩٨) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ١٠٩ ـ ١٢١؛ وابن تغري بردي، النجوم، ج ١٣، ص ٥٨ ـ ٩٦؛ والبدر العيني، السيف المهند، ص ٢٤٩ ـ ٢٦٠.

(٩٩) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ١١٩ ـ ١٢١؛ وابن حجـر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٤٢٧.

(١٠٠) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨، ٢٦٨.

(١٠١) المقـريـزي، الـسلوك، ج ٣، ص ١١٤٧ ـ ١١٤٨، و ج ٤، ص ٦٧ ـ ٦٨، ١٢١؛ وابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٣٩٥، ٤٢٧؛ وابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٣١١؛ والبدر العيني، السيف المهند، ص ٣١٤ ـ ٣٢٧.

(١٠٢) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٦٥٧؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٤٣؛ وابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢، و ج ١٥، ص ٣١٧ ـ ٣١٩.

(١٠٣) ابـن تغـري بـردي، الـنجـوم، ج ١٥، ص ٣١٧ ـ ٣١٩؛ وابن طـولـون، مفـاكهـة الخـلان، ج ١، ص ١٦٩، و ج ٢، ص ١٨٤؛ وابن طولون، أعلام الورى، ص ٨٥؛ وزكار، مدخل إلى تـاريخ الحروب الصليبيـة، ص ١٧٢ ـ ١٧٨، ١٩٣ ـ ١٩٦، ٢١١ ـ ٢١٢.

(١٠٤) المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٦٢٦ ـ ٦٢٨؛ وعدنان البخيت، مملكة الكرك، ص ١٠٣؛ وغوانمة، تـاريخ شـرقي الأردن، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(١٠٥) المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٧٦١ ـ ٧٦٢؛ وابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٩٢، ٢٢٢ ـ ٢٢٥؛ وابن كثير، البدايـة والنهـايـة، ج ١٤، ص ٢٣٨؛ وابن خـلدون، العـبـر، ج ٥، ص ٩٦٤ ـ ٩٦٧.

(١٠٦) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٤، ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠؛ والمقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٦١٤ ـ ٦٢٨؛ والصيـرفي، نزهـة النفوس، ج ٢، ص ٥٠٩، و ج ٣، ص ٨؛ والبدر العيني، البدر الزاهر، ص ٣٨ ـ ٤٠.

(١٠٧) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١٢.

(١٠٨) Lewis, «An Arabic Account...», pp. 486-487.

(١٠٩) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص ٨٠.

(١١٠) الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٨٥، ٩٤.

(١١١) ورد في ابن حجر، إنباء الغمر. . . ، ج ٢، ص ١٤٧ في حوادث سنة ٨٠٣هـ الأمير متير بك، وفي عقد الجمان للعيني، ج ٢٥، ق ١، ورقة ١٥٧، ورد اسمه مثير بك، وانظر أيضاً المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١٠٦٦ ـ ١٠٦٧.

(١١٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(١١٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٢.

(١١٤) المقريزي، السلوك. . . ، ج ٤، ص ١٢١.

(١١٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٤٧؛ وابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٣١١.

(١١٦) ابن حجر، انباء الغمر، ج ٢، ص ٣٥٢.

(١١٧) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٣٧.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(١١٩) المصدر نفسه، ص ١٢١ ـ ١٢٣؛ وابن حجر، انباء الغمر، ج ٢، ص ٤٢٧.

(١٢٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٦٧، و ج ٥، ص ٤٤٩٧؛ والمقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٧٢، ٧٧، ١٢٧، ٤٩٦ ـ ٤٩٧.

(١٢١) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٧٢، ٧٧؛ وابن تغـري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٣١١.

(١٢٢) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٣٠٩.

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ٣٧٩.

(١٢٤) المصدر نفسه، ص ٣٩٨، ٦٢٧؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٨٧؛ وابن تغـري بـردي، النجـوم، ج ١٥، ص ١١٥؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٣٨.

(١٢٥) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٤٩٦ ـ ٤٩٧؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٥٤.

(١٢٦) المقـريـزي، السلوك، ج ٤، ص ٥٧٢؛ وابن تغـري بـردي، النجوم. . . ، ج ٤، ص ١٨١.

(١٢٧) ابن تغري بردي، النجوم. . . ، ج ١٤، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(١٢٨) المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٤٠٤.

(١٢٩) السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(١٣٠) الطراونة، مملكة صفد، ص ٢٢٣.

(١٣١) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١١٤٧، و ج ٤، ص ٦٢٧؛ وابن تغـري بردي، النجـوم الزاهـرة، ج ١٢، ص ٣١١، و ج ١٥، ص ١١٥؛ والسخـاوي، الضـوء الـلامـع، ج ٣، ص ١٣٨؛ وابن حجر، انباء الغمر، ج ٢، ص ٤٢٦.

(١٣٢) ابن الوردي، تتمة المختصر، ج ٢، ص ٢٤٤؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٨١٢ ـ ٨١٣، ٥٦٥، ٦٠٠، ٨١٣؛ والبدر العيني، البـدر الزاهـر، ص ٢٩٣؛ وابن كثير، البـداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٦١.

الفصل الرابع:

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ج ١، ص ٣١؛ وأبو عبدالله محمد بن محمد العبدري، الرحلة المغربية؛ وشيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١٣.

(٢) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص ٢١٣.

(٣) انظر: المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٦٩٩ ــ ٧٠٠.

(٤) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج ٢، ص ٢١٠؛ وزكار، **حطين**، ص ١٨١ ــ ١٨٤.

(٥) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٢، ص ١٦ ــ ١٧؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٣، ص ٢٢٥؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٤٤١.

(٦) أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣، ص ١٨٣؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٢، ص ١٣٩ ــ ١٤٠؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٣٦٧ ــ ٣٦٨؛ والعبادي، **قيام دولة المماليك الأولى**، ص ١٢٣.

(٧) الصقاعي، **تالي كتاب وفيات الأعيان**، ص ٩٩؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٢، ص ٥٦؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣، ص ١٨٣؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٣٦٩ ــ ٣٧٠؛ ويوسف غوانمة، **إمارة الكرك الإسلامية**، ص ٢٨٨ ــ ٢٩١.

(٨) أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣، ص ١٨٣؛ وابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٧٨٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٣٦٩، ٣٧٠؛ والعبادي، **قيام دولة المماليك الأولى**، ص ١٢٥ ــ ١٢٧.

(٩) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ١، ص ٥٦ ــ ٥٧، ١٤٠؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣، ص ١٨٥؛ واليافعي، **مرآة الجنان**، ج ٤، ص ١١٨؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٣٧٤ ــ ٣٧٥؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ٩ ــ ١٠؛ والعبادي، **قيام دولة المماليك الأولى**، ص ١٢٧ ــ ١٢٨؛ وغوانمة، **إمارة الكرك**، ص ٢٩١ ــ ٢٩٣.

(١٠) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ١، ص ٥٨ ــ ٥٩؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣، ص ١٩٠ ــ ١٩١؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ١٠ ــ ١٣؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٣٨٥ ــ ٣٨٦؛ والعبادي، **قيام دولة المماليك الأولى**، ص ١٢٧ ــ ١٢٩؛ وغوانمة، **إمارة الكرك**، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٧.

(١١) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ١، ص ٣٧١؛ والبدر العيني، **الروض الزاهر**، ص ٥٦ ــ ٦٠؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣، ص ١٩٩ ــ ١٩٣؛ وابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٧٨٧ ــ ٧٨٩، ٨١٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٣٩٧ ــ ٣٩٨، ٤٠٦؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ٤٣ ــ ٤٥.

(١٢) ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ص ٢٦٦.

(١٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ١٩٣؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٥٤٨.

(١٤) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ١٩٣؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٣، ص ٣٥٢؛ وشيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص ٢١٣.

(١٥) العبدري الحيحي، **الرحلة المغربية**، ص ٢٣٣.

(١٦) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٦٩٩ ــ ٧٠٠.

(١٧) العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، ص ١٩٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ١٩٣؛ والقلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ١٤، ص ٣٩٢ ــ ٣٩٣؛ وابن شاهين، **زبدة كشف الممالك**، ص ١١٧؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٢٦٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٦٧٠ ــ ٧١٥.

(١٨) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٤، ص ٥٧؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٠٥؛ وابن حجر، **انباء الغمر**، ج ٢، ص ٣٦٧؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٥، ص ٣٢٢، و ج ٦، ص ٦٧.

(١٩) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٢، ص ٩٤ ــ ١٠٤، ١٠٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ١١٤؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٣، ص ٢٣٣.

(٢٠) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ١٤٨ ــ ١٥١؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ١، ص ٥٣١ ــ ٥٣٢، و ج ٢، ص ١٩٢ ــ ١٩٣؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣، ص ٢١٦؛ وابن الوردي، **تتمة المختصر**، ج ٢، ص ٢١٦؛ وابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٨٣٠.

(٢١) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٣٤.

(٢٢) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٢٧١ ــ ٢٧٢؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٢، ص ٣٦٠؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٤٤.

(٢٣) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٢٧١ ــ ٢٧٢؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٥٨.

(٢٤) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٢٩١ ــ ٢٩٢.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٣٣٩؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٧٣ ــ ٥٧٤.

(٢٦) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ١٤٦.

(٢٧) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، ص ٤٣.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ١٣٧ ــ ١٣٩؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٤، ص ٢٢.

(٢٩) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٤، ص ٣١٥؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ٥٠ ــ ٥١؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٣٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ٣٢٠.

(٣٠) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ١٥٥؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٧٨٤ ــ ٧٨٥.

(٣١) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ٢١٢.

(٣٢) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٨، ص ١٢١؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٩٠٨ ــ ٩٠٩؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٦؛ وابن الوردي، **تتمة المختصر**، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٣٣) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٤٧؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٤٧، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٢ ــ ٧٣؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٤، ص ٥٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٨، ص ٢٦٤، ٢٦٨؛ ومحمد جمال سرور، **دولة بني قلاوون في مصر**، ص ٤٩.

(٣٤) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ١٩٥؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٥٨٣؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٣٥، ١٧٤ ــ ١٧٥؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٣، ص ٣٤٢ ــ ٣٤٣.

(٣٥) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٣٧٢؛ وابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ١٠٥٤؛ وعبد السيد، **قيام دولة المماليك الثانية**، ص ٨٩ ــ ٩٨.

(٣٦) البدر العيني، **السيف المهند**، ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٤، ص ١٨؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٢، ص ٣٨٦ ــ ٣٨٧، ٣٩٦.

(٣٧) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٤، ص ١٨٦ ــ ١٨٧؛ وابن حجر، **الضوء اللامع**، ج ٤، ص ٧ ــ ٨.

(٣٨) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٥، ص ١٠.

(٣٩) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣١٤ ــ ٣١٩؛ وأبو البقاء محمد بن يحيى بن الجيعان، **القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف**، ص ٩٦ ــ ٩٧.

(٤٠) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٤، ص ١١؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٤، ص ١٣؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٣، ص ٢٨٩؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ١٦٢؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٦٧٠ ــ ٦٧١؛ وابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، ص ٦٣ ــ ٦٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ٢٩٤؛ وابن طولون، **اعلام الورى**، ص ٨.

(٤١) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، ص ٦٤ ــ ٦٨؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ٤، ص ٤٠ ــ ٤١؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٣، ص ٢٩١؛ وابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٨٥٤؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٦٧٥ ــ ٦٧٦؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ٢٩٥ ــ ٢٩٧؛ وابن طولون، **اعلام الورى**، ص ٨.

(٤٢) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٥، ص ١٣٠ ــ ١٣١، ٢١٥؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٢٨٤؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٦٦ ــ ٦٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٤ ــ ٥.

(٤٣) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٩٩١، ٩٩٩ ــ ١٠٠٢، ١٠١٦؛ وابن حجر، **انباء الغمر**، ج ٢، ص ٩٧ ــ ١٠٠؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٢، ص ٥١ ــ ٥٢؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٢، ص ١٩١ ــ ١٩٩؛ وعبد السيد، **قيام دولة المماليك الثانية**، ص ١٠٨ ــ ١١٠.

(٤٤) أحمد بن علي القلقشندي، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، ص ٥٤، ٦٥، ٦٨، ٨٤، ٩٩؛ والقلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٢٠٤ ــ ٢١٥.

(٤٥) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٦٧٤، ٦٨١؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٢١٢؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ٣٠٠.

(٤٦) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٦٨٩، ٦٩٩ ــ ٧٠٠.

(٤٧) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٨٠٤ ــ ٨٠٧؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ١٩٢، و ج ٣، ص ٣٢٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٣٢١.
والتسمير كان نوعاً من أنواع التعذيب في العصر المملوكي، حيث كان المحكوم عليه يعرى من ثيابه، ثم يربط إلى خشبتين على شكل صليب، ويطرح على ظهر جمل، وربما طيف به في شوارع القاهرة على هذا الحال، وهذا هو التشهير بعد التسمير، وفي النهاية كان يأتي السياف فيضرب المحكوم عليه ضربة شديدة تحت السرة تقده إلى نصفين، وهذا هو التوسيط. انظر: المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٤٠٤.

(٤٨) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٨٢.

(٤٩) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٤٦، ٦١٥.

(٥٠) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٦٤ ــ ٦٥؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ١، ص ٣٦٠ ــ ٣٦١؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣، ص ٢٠٥؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٣، ص ٢٢٠ ــ ٢٢١؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٢٧ ــ ٤٣١؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ٧٨ ــ ٨٠.

(٥١) أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧؛ وابن الوردي، **تتمة المختصر**، ج ٢، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٩؛ وابن خلدون، **العبر**، ج ١٥، ص ٨٢١؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٤٣٣.

(٥٢) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ١، ص ٤٣٩ ــ ٤٤٠.

(٥٣) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٣٦١ ــ ٣٦٢؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٢٤؛ وابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٨٣١ ــ ٨٣٢.

(٥٤) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٤١ ــ ٤٣.

(٥٥) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، ص ١٢٣ ــ ١٢٥؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ٣٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٨٣٠ ــ ٨٣١.

(٥٦) أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٤، ص ٤٣؛ وابن الوردي، **تتمة المختصر**، ج ٢، ص ٢٤٧؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٨٨٢ ــ ٨٨٦؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٨، ص ١٢٠ ــ ١٢٧.

(٥٧) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٨، ص ١٣٠ ــ ١٣٣؛ وابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٨٩٦.

(٥٨) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٢، ص ٥٦ ــ ٦١؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ١، ص ٣٨٨.

(٥٩) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ١٠٣١ ــ ١٠٤٥؛ وابن حجر، **انباء الغمر**، ج ٢، ص ١٣٤ ــ ١٣٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٢، ص ٢١٨ ــ ٢٤٦؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٢، ص ٧٤ ــ ٩٧.

(٦٠) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ١٥٤؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٧٨٣؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٨، ص ٣٦.

(٦١) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٦٢٢ – ٦٢٣.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ٧٧٥، ٧٨٧، ٧٨٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ١٩٥ – ١٩٨؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٦٣) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٨٨٤.

(٦٤) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨٢.

(٦٥) ابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ص ٢٤٣، ٤٦٧ – ٤٦٨.

(٦٦) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ١٠٦٤.

(٦٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٦.

(٦٨) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٠٩.

(٦٩) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٣٥ – ٦٣٩.

(٧٠) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ٣٤١.

(٧١) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٦٣.

(٧٢) الدباغ، **بلادنا فلسطين**، ج ١، ق ٢، ص ٦٤ – ٦٦.

Mayer, *Arabic Inscriptions of Gaza*, Vol. XI, p. 147.

(٧٣) Mayer, *Arabic*.... Vol. XI, pp. 144-145.

(٧٤) ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج ٢، ص ٢٤٠؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٢، ص ٤٩.

(٧٥) Mayer, *Arabic*.... Vol. III, p. 220.

(٧٦) Mayer, *Arabic*..., Vol. V, p. 64.

(٧٧) Mayer, *Arabic*..., Vol. IX, p. 224.

(٧٨) Mayer, *Arabic*..., Vol. X, pp. 59-60.

(٧٩) Mayer, *Arabic*..., Vol. X, pp. 59-60.

(٨٠) أحمد عيسى، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، ص ٢٤٧.

(٨١) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٦٨٨ – ٦٨٩؛ وابن حجر، **انباء الغمر**، ج ٢، ص ٣٨٠؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٥، ص ٢٦٤؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٣٨٤؛ وابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ص ٣١٦.

(٨٢) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٦، ص ٣٤٥.

(٨٣) عبد الرحمن السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**.

(٨٤) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ١٠٥؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٦، ص ٢١٨.

(٨٥) الدباغ، **بلادنا فلسطين**، ج ١، ق ٢، ص ٧٠.

(٨٦) ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٧، ص ٤٩.

(٨٧) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١، ص ١٣٠؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٧، ص ١١٦.

(٨٨) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١٠، ص ٩١.

(٨٩) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٩، ص ١٧٦.

(٩٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٥٦؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٧، ص ١٥٣؛ والدباغ، **بلادنا فلسطين**، ج ١، ق ٢، ص ٧١.

(٩١) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٥، ص ١٨٨.

(٩٢) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٦١.

(٩٣) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٣٩ – ٢٤١.

(٩٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٩، ص ٤٤ – ٤٦.

(٩٥) الدباغ، **بلادنا فلسطين**، ج ١، ق ٢، ص ٧٥.

(٩٦) الغزي، **الكواكب السائرة**، ج ١، ص ٨٢.

الفصل الخامس:

(١) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٢٥١؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٤٤٥، ٤٩١؛ والقلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٣٥٠؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٤٤، ٤٣٣ – ٤٣٤؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ٩، ص ١٢١، ١٩٤؛ واليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج ١، ص ٥٥٤؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٣، ص ٢٤٢؛ وأبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٤، ص ٦٠٥.

(٢) انظر نص هذه المعاهدة في ملاحق الكتاب.

(٣) العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، ص ١٧٦ – ١٨١؛ والقلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٩٧ – ١١٤؛ ١٩٧ – ١٩٩.

(٤) ابن طولون، **اعلام الورى**، ص ٣٨ – ٤١؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧١ – ٢٧٢؛ وابن تغري بردي، **النجوم**، ج ٩، ص ٣٨ – ٩٠؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٧٦٧.

(٥) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ١٩٣.

(٦) نسخة مصورة لدي، لوحة ١٤٧.

(٧) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٩٩. كانت رتبة الطبلخاناه هي التالية لأمراء المئات، وكان في خدمة أمير الطبلخاناه ما لا يقل عن أربعين فارساً إلى ثمانين. انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٥.

(٨) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٨٢؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٨١٣.

(٩) الصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٣، ص ٣٨٣؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٥.

(١٠) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٥٥؛ وزكار، **مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية**، ص ١٦٣ – ١٦٥.

(١١) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٤٧.

(١٢) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٢٦٨؛ والسبكي، **طبقات الشافعية**، ج ٦، ص ١٠٦؛ والسيوطي، **حسن المحاضرة**، ج ١، ص ٣٩٥؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٣٨، ٢٧٢؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٦، ص ١٤٣. وتحولت هذه الدار إلى دار للحكم في العصر العثماني، وفي فترة الاحتلال البريطاني أقام بها المجلس الإسلامي كلية روضة المعارف الوطنية. وفيها الآن المدرسة العمرية للبنين.

(١٣) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٣٧؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ٢٢ – ٢٦؛ والعسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**، ج ٢، ص ١٩ – ٢١.

(١٤) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٤٤٦ ــ ٤٥١.
(١٥) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٢٦٥؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٣٩، ٤٤؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٧٤.
(١٦) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ١١٢ ــ ١١٣، ١١٣٧ ــ ١١٣٨.
(١٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ص ٤١٣ ــ ٤٣٩؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٩١.
(١٨) العليمي، الأنس الجليـل، ج ٢، ص ٣٣٢؛ وابن ايـاس، بـدائع الزهور، ص ٥٢٢.
(١٩) العليمي، الأنس الجليـل، ج ٢، ص ٣٣٥؛ وابن اياس، بـدائع الزهور، ص ٥٢٨ ــ ٥٣١.
(٢٠) العليمي، الأنس الجليـل، ج ٢، ص ٣٤٢ ــ ٣٤٥؛ وابن اياس، بدائع الزهور، ص ٥٣٤، ٥٤٧ ــ ٥٥٩.
(٢١) لأخبار مزيد من الحملات وأعمال التجنيد، انظر: العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٣٤٥؛ وابن إياس، بدائع الزهور، ص ٥٥٩.
(٢٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٠٠، ج ١٢، ص ٣٢٢؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٧٢.
(٢٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٥٦؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٩٨.
(٢٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩٩؛ والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٧١٥.
(٢٥) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٧١٥.
(٢٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٢، ص ٣١٥ ــ ٣١٧.
(٢٧) الاستدار لقب كان يطلق على الذي يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه، وتمتثل أوامره فيه. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٧.
(٢٨) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٦٩ ــ ٧٠.
(٢٩) انظر: المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٤٤٦ ــ ٤٥١.
(٣٠) ابن شداد، الأعلاق، ص ٢٤٢؛ وغوانمة، تـاريخ شـرقي الأردن (القسم الحضاري)، ص ٧.
(٣١) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٧٨؛ وياقوت الحموي، معجم البلدان، «مادة الخليل».
(٣٢) ناصر خسرو، سفر نـامة، ص ٧٣؛ والمقـريزي، السلوك، ج ١، ص ٥٠٥.
(٣٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٥١.
(٣٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٧٩.
(٣٥) المصدر نفسه، ص ٧٨ ــ ٧٩؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩٩.
(٣٦) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٧٨ ــ ٧٩، ٢٧٢؛ وعارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ج ١، ص ٢٤٦.
(٣٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٣٤٨.
(٣٨) المصـدر نفسه، ص ٢٧٥ ــ ٢٧٩؛ والمقـريزي، السلوك، ج ٤، ص ٨١.
(٣٩) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٧١.
(٤٠) المصدر نفسه، ص ٢٧٠؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٢٢١، ٢٢٤، ٣٣٨.
(٤١) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٨١.
(٤٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ١٣١، ١٣٦.
(٤٣) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٧١، ٣٣٦.
(٤٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤١، ٢٩٨.
(٤٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٣، ٢٩٨، ٣٠٤؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٨٥٨، و ج ٤، ص ٤٤٠، ٤٨٣، ٥٢٥.
(٤٦) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٣١٢.
(٤٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٠٢، ١١٨، ٢٨٣.
(٤٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٩، ٢٤٤، ٢٦١.
(٤٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٣. وعلي أحمد، «الأندلسيون في بلاد الشام منذ نهاية القرن الخامس وحتى القرن التاسـع»، رسالة ماجستير في التاريـخ، غير منشورة، ص ٧٣ ــ ٧٨.
(٥٠) علي أحمد، «الأندلسيون في بلاد...»، ص ٢٨٧، ٣٠٤، ٣١١، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٧٠.
(٥١) العليمي، الأنس...، ج ٢، ص ١١٨؛ وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٣١؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩٩.
(٥٢) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٥٢٥؛ والعليمي، الأنس الجليـل، ج ٢، ص ٢٩١، ٢٩٧ ــ ٢٩٨.
(٥٣) العليمي، الأنس الجليــل، ج ٢، ص ٩٦ ــ ٩٧، ١١٩، ٢٨٧، ٣٠٤، ٣١١، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٧٠؛ وعارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٢٣٥.
(٥٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٢٩.
(٥٥) القلقشنــدي، صبــح الأعشى، ج ٤، ص ١٩٠، ١٩٢، ٢١٩؛ والسبكي، معيد النعم، ص ٨٥ ــ ٨٩؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٩١، ٢٢٦ ــ ٢٢٧.
(٥٦) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٩٢٣، و ج ٤، ص ٩٨، ١١٠، ١٣٧، ١٤١؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٩٧؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٩٢، ٢٩٥، ٣١٩، ٤٩٥؛ وابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ق ٢، ص ٤٦٢ ــ ٤٦٣؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٠٦؛ وابن حجر، رفع الإصر عن قضاة مصر، ج ١، ق ١، ص ٣٥، ٩٢ ــ ٩٣.
(٥٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١١٤، ٢٩٥ ــ ٢٩٦، ٣١٩.
(٥٨) اليونيني، ذيـل مرآة الزمـان، ج ١، ص ١٢٣؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٣٢ ــ ٣٣.
(٥٩) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٣٣ ــ ٣٤، ١٩٢، ٣٢٧.
(٦٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٩؛ والمقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٦١١؛ والصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج ٣، ص ٦١؛ وعلي أحمد، «الأندلسيون...»، ص ٧٤ ــ ٧٩.
(٦١) انظر: لابيدوس، مدن الشام في العصر المملوكي، ص ٢٠٥ ــ ٢٦٠.
(٦٢) السبكي، معيد النِّعم، ص ١٥١ ــ ١٥٥.

(٦٣) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٥٢٥.

(٦٤) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٤٩٢.

(٦٥) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٩٩؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣١٤ – ٣١٥.

(٦٦) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٣٨؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ١، ص ٣٩١، و ج ٢، ص ١٠٢.

(٦٧) محمد بن علي العظيمي، **تاريخ حلب**، ص ٣٥٦؛ وزكار، **الحروب الصليبية**، ص ١٨ – ٢١.

(٦٨) إبراهيم علي مهدي، «إدارة القدس في عهد المماليك» (رسالة ماجستير غير منشورة)، ص ٩٩.

Setton, *A History of the Crusades,* Vol. II, pp. 368-369.
S. Runciman, *A History of the Crusades,* Vol. III, pp. 338-339.

(٦٩) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، ص ١٥٧.

(٧٠) السخاوي، **التبر المسبوك**، ص ٩٨ – ٩٩؛

Aziz Atiya, *Crusade Commerce and Culture,* pp. 107-115.

(٧١) مهدي، «إدارة القدس...»، ص ١٠٢؛ ودراج، **وثائق دير صهيون**، ص ٨، ٢٢ – ٢٣.

(٧٢) مهدي، «إدارة القدس...»، ص ١٠١؛ ودراج، **وثائق دير صهيون**، ص ٧٠.

(٧٣) مهدي، «إدارة القدس...»، ص ١٠٢؛ ودراج، **وثائق دير صهيون**، ص ٧٠.

(٧٤) دراج، **وثائق**...، ص ٧٠ – ٧١.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٧٦ – ٧٧.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٧٧) المصدر نفسه، ص ٦٩ – ٧٤، ٨٣ – ٩٨؛ ومهدي، «إدارة القدس...»، ص ١٠٥.

(٧٨) دراج، **وثائق**...، ص ٦٧ – ٦٨.

(٧٩) مهدي، «إدارة القدس...»، ص ١٠٣ – ١٠٦.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ١١٠ – ١١٢؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٠٥ – ١٠٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ١٠٧٠.

(٨١) زكار، **الحروب الصليبية**، ج ١، ص ٢٨٢.

(٨٢) غوانمة، **نيابة القدس**، ص ١١٥ – ١١٦.

(٨٣) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(٨٤) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٧٧٤ – ٧٧٥.

(٨٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٢٥.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٦٠٩.

(٨٧) المصدر نفسه، ص ٨٢٢ – ٨٢٤، ٨٣٦، ١٠٢٩، ١٠٣٤؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣٣٧ – ٣٣٨، ٣٤٨.

(٨٨) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٨٦، ٣١٨، ٣٦١.

(٨٩) القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص ٢٤٨؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٥٤.

(٩٠) نقولا زياده، «فيلكس فابري في فلسطين»، ص ٩.

(٩١) أورد صاحب الأنس الجليل تفاصيل حوادث الخلافات هذه. العليمي، ج ٢، ص ٣٤٩، ٣٥٣؛ ودراج، **وثائق دير صهيون**، ص ٩ – ٣٩. انظر الملاحق أيضاً.

(٩٢) بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين** (ترجمة عزرا حداد)، ص ٩٢ – ١١٤.

(٩٣) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٥٢ – ٣١٣؛ وزياده، «فابري في فلسطين»، ص ٩.

(٩٤) **حوليات كلية الآداب**، جامعة الكويت، «من وثائق الحرم القدسي الشريف»، نشرها محمد عيسى صالحية، ص ٩٢ – ٩٧.

(٩٥) مهدي، «إدارة القدس...»، ص ١٠٨ – ١١٠.

(٩٦) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ١٤٣ – ١٤٤.

(٩٧) دراج، **وثائق دير صهيون**، ص ١٠٤ – ١١٣.

(٩٨) المصدر نفسه، ص ١١٤ – ١١٥؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٢١ – ١٢٢.

(٩٩) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٩٤، و ج ١٢، ص ٤٢٥ – ٤٢٦.

(١٠٠) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٩٤، و ج ١٢، ص ٤٢٨.

(١٠١) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٦٠.

(١٠٢) محمد بن صصرى، **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، ص ١٤٠، ١٤٦.

(١٠٣) العسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**، ص ٣٩.

(١٠٤) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٥٢، ٩٤ – ٩٥، ٢٧٣؛ والعسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**، ص ٤٥ – ٤٨.

(١٠٥) العسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**، ص ٤٩ – ٥٠.

(١٠٦) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٠ – ٣١؛ وابن طولون، **إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، ص ٣٨ – ٤١؛ ومحمد أحمد دهمان، **ولاة دمشق في عهد المماليك**، ص ١٥٦ – ١٧٩؛ والعسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**، ص ٦٣ – ٧٤.

(١٠٧) العسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**، ص ٦٢ – ٦٣.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص ٧٤ – ٧٧.

(١٠٩) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٥٢، ٥٤، ٣١٠؛ والعسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**، ص ٧٧ – ٩٢.

(١١٠) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ١٢١؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٨٧؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٤٩١؛ والعسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**، ص ٩٢ – ٩٥.

(١١١) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٦٧؛ والعسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**، ص ٩٥ – ٩٦.

(١١٢) لابيدوس، **مدن الشام في العصر المملوكي**، ص ١٤٢ – ١٤٣.

(١١٣) المصدر نفسه، ص ١٤٥ – ١٤٦.

(١١٤) المصدر نفسه، ص ١٥٤ – ١٥٦.

(١١٥) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٥٢ ــ ٥٤؛ والسبكي، معيد النعم، ص ١٤٥؛ وأبو زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٦٠، وغوانمة، نيابة القدس، ص ١٢٧ ــ ١٢٨.

(١١٦) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٦٦ ــ ٥٢٩، ٥٨٩، ٦٨٧؛ وابن طولون، إعلام الورى، ص ٥٠ ــ ٥٣؛ ودهمان، ولاة دمشق في عهد المماليك، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٤.

(١١٧) انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، «أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك»، ص ٣٨ ــ ٣٩.

(١١٨) أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص ٤، ١٥.

(١١٩) المصدر نفسه، ص ٢٣٠ ــ ٢٣٣؛ وغوانمة، نيابة القدس، ص ١٣٢ ــ ١٣٦.

(١٢٠) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٧٩، ٨٩؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٩٦؛ وعيسى، تاريخ البيمارستانات، ص ٢٣٣، ٢٦٠؛ وغوانمة، نيابة القدس، ص ١٣٦.

(١٢١) العسلي، من آثارنا في بيت المقدس، ص ٩٧ ــ ١٤٦.

(١٢٢) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٥٦٠.

(١٢٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٢؛ وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٥٤؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٩٢؛ والعسلي، من آثارنا في بيت المقدس، ص ١٤٧ ــ ١٤٨.

(١٢٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٩٩.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

(١٢٦) المصدر نفسه، ص ٢٨٥؛ والعسلي، من آثارنا في بيت المقدس، ص ١٥٧.

(١٢٧) العليمي، الأنس. . .، ج ٢، ص ٣٣٠ ــ ٣٣١.

(١٢٨) العسلي، من آثارنا في بيت المقدس، ص ١٤٩ ــ ١٥٠.

(١٢٩) المصدر نفسه، ص ١٦٣ ــ ١٦٦.

(١٣٠) محمد بن محمد بن أحمد القرشي، المعروف بابن الاخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص ٢٤١ ــ ٢٤٣.

(١٣١) عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في أخبار المدارس، ج ١، ص ١٤٨؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ١٥٨؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٣٥.

(١٣٢) العسلي، من آثارنا في بيت المقدس، ص ١٧٥ ــ ٢٠٠.

(١٣٣) المصدر نفسه، ص ٢٠١ ــ ٢١٧.

(١٣٤) المصدر نفسه، ص ٢١٨ ــ ٢١٩.

(١٣٥) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٧٥؛ والعسلي، من آثارنا في بيت المقدس، ص ٢٣٨ ــ ٢٤١.

(١٣٦) العسلي، من آثارنا. . .، ص ٢٤١ ــ ٢٤٨.

(١٣٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٣٣٠؛ والعسلي، من آثارنا في بيت المقدس، ص ٢٤٨ ــ ٢٥٥.

الفصل السادس:

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء (مادة: عثمان)؛ والذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ٢٩٨ ــ ٣٠٠؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٧٢.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٤، ص ٦٤؛ والزركلي، الأعلام (مادة: محمد بن الحسين).

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ١٨٤ ــ ١٨٥ (ط. مرجليوث)، (مادة: القاسم)؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٤، ص ٤٠٢؛ وعبد الجليل حسن عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، ج ١، ص ١٢ ــ ٢٠.

(٤) عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ١، ص ٢٠ ــ ٣٩.

(٥) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٤٢؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بغية الوعاة، ج ١، ص ٤٠١؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٦٥ ــ ٣٦٦؛ وعبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ١، ص ٣٩ ــ ٤٧.

(٦) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٩٣، و ج ٤، ص ٢١٥؛ وحاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٩٢٩ ــ ٩٣٠؛ وعبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ١، ص ٤٨ ــ ٥٨.

(٧) عبد المهدي، المدارس. . .، ج ١، ص ٥٨ ــ ٧٠.

(٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٠ ــ ٩٢.

(٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٢ ــ ١١٣.

(١٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٤، و ج ١١، ص ٣٢٧ ــ ٣٢٩، و ج ١٤، ص ٣٢٢؛ والسبكي، معيد النعم، ص ١٠٦ ــ ١٠٧.

(١١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٠٨؛ وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٧٩؛ وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٩؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٠٧ ــ ١٠٨.

(١٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٩، ص ٨٢، و ج ١٠، ص ٢٣؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٣٩ ــ ٢٤٢؛ وعبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ١، ص ١١٨ ــ ١٧٨.

(١٣) العماد الأصفهاني محمد بن محمد، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ٥٣؛ وابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ٢٠٩؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٤٠ ــ ٣٤١.

(١٤) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ص ٢٠٢؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٠٥.

(١٥) توفي الباجريقي سنة ٦٩٩هـ / ١٣٠٠م، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ١٩٠؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٤٤٩؛ وعبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ١، ص ٢٤٤؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٠٥.

(١٦) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٠٥؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٠.

(١٧) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٩، ص ٣٤؛ وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٥٠؛ والنعيمي، الدارس، ج ١، ص ٢١٠؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٠٦؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٠٤.

(١٨) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٩٩؛ والنعيمي، الدارس، ج ١، ص ٦٤، ١٥٧، ٢١٤؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٠٦؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٥٣.

(١٩) السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج ١٠، ص ٣٥ ــ ٣٦؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ١٨١ ــ ١٨٢؛ والنعيمي، **الدارس**، ج ١، ص ٦٠ ــ ٦٥؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٠٦؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٦، ص ١٩٠.

(٢٠) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٣٩ ــ ٤٠؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٠٧؛ وابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج ١، ص ٧٩؛ والنعيمي، **الدارس**، ج ١، ص ٦٣؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٦، ص ٣١١.

(٢١) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٣٨٧؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٠٨؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٧، ص ٢٨٢.

(٢٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٩، ص ٢٥٥ ــ ٢٥٨؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٧، ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٠٩.

(٢٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ٦٠ ــ ٦٣؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٠٩ ــ ١١١؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٧، ص ٤ ــ ٥.

(٢٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ١٥٧؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١١١؛ وحاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج ٢، ص ١٢٦٤ ــ ١٢٦٥، ١٦٥٥، ١٨٠٩.

(٢٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٨، ص ١٥١ ــ ١٥٣؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١١١.

(٢٦) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٥، ص ٢٦١؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٧٠.

(٢٧) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٧، ص ٢٨١؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١١٢؛ والنعيمي، **الدارس**، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢٨) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٤، ص ٢٠٣ ــ ٢٠٥؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١١٣؛ والنعيمي، **الدارس**، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢٩) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٥، ص ٥١ ــ ٥٢، و ج ٦، ص ١٤٠ ــ ١٤١؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١١٤ ــ ١١٥؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٧، ص ٣٠٥.

(٣٠) الغزي، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، ج ١، ص ٢٥؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١١٦.

(٣١) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١١٨؛ والغزي، **الكواكب السائرة**، ج ١، ص ٢٦.

(٣٢) نظراً لأهمية دور الصلاحية فقد جرى وضع ملحق بأسماء أهم الذين تولوا الإعادة فيها.

(٣٣) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٤٦؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٢٢.

(٣٤) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨؛ وكرد علي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٢٢.

(٣٥) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤؛ وكرد علي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١١٥.

(٣٦) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤؛ وكرد علي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١١٧.

(٣٧) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٧؛ وكرد علي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٢٢.

(٣٨) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢؛ وكرد علي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٢١.

(٣٩) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٨.

(٤٠) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٨.

(٤١) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٩؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٢٠١.

(٤٢) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٤٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٨، ص ٨٩ ــ ٩٠؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٧، ص ١٨٢.

(٤٤) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٨، ٢٣٨ ــ ٢٤٢؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٧، ١٨٢ ــ ١٨٣، ٣٠٦.

(٤٥) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥.

(٤٦) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٩؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١١٩؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٦٨ ــ ١٦٩؛ وعبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ٢، ص ٥ ــ ٧.

(٤٧) كرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٢٠؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٦٨ ــ ١٧٠.

(٤٨) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٥٢؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٣، ص ٣٢٠.

(٤٩) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٣٤؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١، ص ٧٢.

(٥٠) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٤٢، ٢٥٩ ــ ٢٦٠؛ والصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج ٤، ص ٩١؛ والنعيمي، **الدارس**، ج ١، ص ١٧ ــ ١٨؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٤، ص ١٥٧؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٦، ص ٣؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٢١.

(٥١) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٤٢؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٢١. وسنتحدث عن دار القرآن السلامية فيما بعد.

(٥٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٩، ص ١٠٥؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٩٩.

(٥٣) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٤٢.

(٥٤) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٩؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٢٠؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٣، ص ١٥ ــ ١٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ٧٥.

(٥٥) ابن بطوطة، **الرحلة**، ج ١، ص ٣٤.

(٥٦) عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ٢، ص ٢٤؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٥٥.

(٥٧) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ١٩٤ ــ ٢٠١.

(٥٨) السخاوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٤، ج ٥، ص ٢٣٩، و ج ٧، ص ٣٠١ ــ ٣٠٢، و ج ١١، ص ١٠٣؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٤١ ــ ١٤٢، ٢١١ ــ ٢١٤.

(٥٩) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ٣٥؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١١٧؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٦٥؛ وعبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ١، ص ٣١.

(٦٠) عبد المهدي، **المدارس**. . .، ج ١، ص ٣١؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٦٦.

(٦١) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٥.

(٦٢) النعيمي، **الدارس**، ج ١، ص ٣٦٦.

(٦٣) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ١٨١، و ج ٣، ص ٩٩؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ١٦٢.

(٦٤) السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج ١٠، ص ٣٥ ــ ٣٦؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٠٦؛ والنعيمي، **الدارس**، ج ١، ص ٥٩ ــ ٦١.

(٦٥) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٢٥٧؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٥٧ ــ ١٥٨؛ وحاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج ٢، ص ١٧٠٧.

(٦٦) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٧، ص ١٧ ــ ١٨؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٢١.

(٦٧) السخاوي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٩١؛ والعليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣١.

(٦٨) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٣١.

(٦٩) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٥، ص ٢٨٣.

(٧٠) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٣١ ــ ٢٣٢.

(٧١) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣٢؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١١٧.

(٧٢) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٩، وكرد علي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١١٩.

(٧٣) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٤٨٠؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٦٤.

(٧٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١، ص ٣٦؛ وابن حجر، **انباء الغمر**، ج ٢، ص ٤٩٥؛ والقلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ١٢، ص ٢٩٨ ــ ٤٢٢.

(٧٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٥، ص ٨٤؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٧٦.

(٧٦) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٨؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١١٩؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٥٧؛ وعبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ٢، ص ٤٨ ــ ٤٩.

(٧٧) انظر الحاشية رقم (٥٥).

(٧٨) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٢٩٧؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٦، ص ١٧٨ ــ ١٧٩.

(٧٩) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١، ص ٣٠٧.

(٨٠) انظر الحاشية (٥٨).

(٨١) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٤٧؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١، ص ٣٠٧؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١١٩.

(٨٢) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٨ ــ ٣٩.

(٨٣) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢.

(٨٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٤، ص ١١٣ ــ ١١٤؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٤١٥ ــ ٤١٧، و ج ٣، ص ١٣٤ ــ ١٤٣؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٦، ص ١٨٠ ــ ١٨١؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٦٠؛ والسيوطي، **بغية الوعاة**، ج ١، ص ٤٤ ــ ٤٥.

(٨٥) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٦؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١١٨.

(٨٦) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦ ــ ٣٧؛ وكرد علي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١١٨؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٦١؛ وعبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ٢، ص ٦٢.

(٨٧) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٢١ ــ ٢٢٢.

(٨٨) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٧، ص ١٧ والحاشية رقم (٦٦).

(٨٩) انظر الحاشية رقم (٦٧).

(٩٠) انظر الحاشية رقم (٦٩).

(٩١) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٦١ ــ ٣٦٤.

(٩٢) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٣؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٢١.

(٩٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٤، ص ١٢٣؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٤٣.

(٩٤) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٨؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١١٩؛ والنعيمي، **الدارس**، ج ١، ص ١٥١؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٥٨؛ وعبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ٢، ص ٦٩ ــ ٧٠.

(٩٥) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٤٣؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٢١.

(٩٦) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٤٧٥، ٤٨٢؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٦، ص ٢٦٧؛ وابن حجر، **انباء الغمر**، ج ١، ص ١٨٥.

(٩٧) ما زال مبناها قائماً، ألحق قسم منها بالمدرسة العمرية الحالية وظل الباقي داراً للسكن. عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ٢، ص ٧١؛ وغوانمة، نيابة القدس، ص ١٥٩ ــ ١٦٠.

(٩٨) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٤٠ ــ ٤١؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٢١؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٦٠؛ وعبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ٢، ص ٧٢.

(٩٩) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٣٧ ــ ٣٨؛ وابن حجر، الدرر

الكامنة، ج ٥، ص ١٤٠ ـ ١٤١؛ والنعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١،ص٦٠٠ـ٦٠٢؛وكردعلي، خطط الشام، ج٦،ص ١١٨.

(١٠٠) انظر الحاشية رقم (٤٥).

(١٠١) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٤٥؛ وغوانمة، نيابة القدس، ص ١٧٤؛ وعبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ٢، ص ٨٣؛ وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣١٥.

(١٠٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٧؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٢٦.

(١٠٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢، و ج ١٠، ص ٨٤؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢١٤.

(١٠٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٩٤.

(١٠٥) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٤، ٩٦ ـ ٩٧، ٢٠٢.

(١٠٦) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٣ ـ ٤٤؛ وكرد علي، خطط الشام، ج ٦، ص ١٢٢.

(١٠٧) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٦ ـ ٤٧؛ وكرد علي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٢٢.

(١٠٨) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٣٥؛ وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ١٣٧؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٢٠٥؛ وكرد علي، خطط الشام، ج ٦، ص ١١٧؛ وعبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ٢، ص ٩٢.

(١٠٩) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٤٥؛ وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٢١؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٣٩، ٥٥، ١٦٢، ٣٠٤، ٢٠٨؛ وعبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ٢، ص ٩٣ ـ ٩٤.

(١١٠) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٦٤؛ وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٤٩؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ٨٤؛ وكرد علي، خطط الشام، ج ٦، ص ١٢٣.

(١١١) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٤٤؛ وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٧٠؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٥٠.

(١١٢) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٤٠؛ وكرد علي، خطط الشام، ج ٦، ص ١٢٠.

(١١٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٨٠؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٨٣.

(١١٤) السخاوي، المصدر نفسه، ج ١١، ص ١٩٠؛ والعليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٣.

(١١٥) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٤٠.

(١١٦) طاشكبري زاده، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص ١٦ ـ ٢١.

(١١٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٤١.

(١١٨) الغزي، الكواكب السائرة، ج ٢، ص ١٠٢؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٢٣٧.

(١١٩) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٣٨، ٢٧٤؛ وكرد علي، خطط الشام، ج ٦، ص ١١٩.

(١٢٠) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٤٣.

(١٢١) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢؛ وكرد علي، خطط الشام، ج ٦، ص ١٢١.

(١٢٢) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٩؛ وكرد علي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١١٩.

(١٢٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ٢٤ ـ ٢٧.

(١٢٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٧٢، ١٧٩؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ١٧٩ ـ ١٨٠؛ وكرد علي، خطط الشام، ج ٦، ص ١٢٠.

(١٢٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢١٧ ـ ٢٢١؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٩٠.

(١٢٦) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٤٠؛ وكرد علي، خطط الشام، ج ٦، ص ١٢٠؛ وغوانمة، نيابة القدس، ص ١٥٥؛ وعبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ٢، ص ١١٩.

(١٢٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٩، ص ٣٠٨.

(١٢٨) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٣٩.

(١٢٩) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(١٣٠) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٣، ٢٧٥.

(١٣١) غوانمة، نيابة القدس، ص ١٦٠؛ وعبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ٢، ص ١٢٤.

(١٣٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٨٤ ـ ٨٥؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٨٦.

(١٣٣) السخاوي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٩٦؛ والعليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٠٤.

(١٣٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٣٦؛ وكرد علي، خطط الشام، ج ٦، ص ١١٨؛ وغوانمة، نيابة القدس، ص ١٦٣؛ وعبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ٢، ص ١٣٠.

(١٣٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٤٤؛ والعليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٢٨.

(١٣٦) السخاوي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٤٣؛ والعليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(١٣٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٣٣.

(١٣٨) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٧؛ وكرد علي، خطط الشام، ج ٦، ص ١١٨؛ وغوانمة، نيابة القدس، ص ١٦٠ ـ ١٦١؛ وعبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ج ٢، ص ١٠٤ ـ ١٤١.

(١٣٩) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٧٩؛ وحاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٧١١.

(١٤٠) أيام العليمي، صاحب الأنس الجليل (٨٦٠ ـ ٩٢٨هـ / ١٤٥٦ ـ ١٥٢٢م).
انظر: العليمي، الأنس الجليل، المقدمة، ج ٢، ص ١٨٠؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

(١٤١) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٢٥.

(١٤٢) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٠.

(١٤٣) الغزي، **الكواكب السائرة**، ج ١، ص ١٣؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٨، ص ٣٠.

(١٤٤) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٣٣.

(١٤٥) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٧؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٦٢؛ وعبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ٢، ص ١٥٠؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١١٨.

(١٤٦) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١١، ص ٨٩.

(١٤٧) السخاوي، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢٦٠؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٦؛ وعبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ٢، ص ١٥٣ ــ ١٥٥.

(١٤٨) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٥، ٣٢٥ ــ ٣٢٨؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٦٥؛ وعبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ٢، ص ١٥٦ ــ ١٦٣.

(١٤٩) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٢٤.

(١٥٠) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٢٥ ــ ٣٢٩؛ وغوانمة، **نيابة القدس**، ص ١٦٥؛ وعبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ٢، ص ١٦٣.

(١٥١) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ٥٢ ــ ٥٣؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٠٣ ــ ٢٠٤.

(١٥٢) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٣٣ ــ ٣٣٤، ٣٨٠.

(١٥٣) العليمي، المصدر نفسه، ص ٣٧٧ ــ ٣٨٣؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٩، ص ٦٤ ــ ٦٧؛ والغزي، **الكواكب السائرة**، ج ١، ص ١١ ــ ١٣.

(١٥٤) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٥٤؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٢٢.

(١٥٥) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٤٦؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٥، ص ٤.

(١٥٦) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٨، ص ٤٤؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٤٥ ــ ٤٦.

(١٥٧) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٩، ص ١٠٥.

(١٥٨) السخاوي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٦١.

(١٥٩) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٩٢؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٦، ص ١٠٧.

(١٦٠) السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج ١٠، ص ٣٦؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ١٨١؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٠٧؛ والنعيمي، **الدارس**، ج ١، ص ٥٩؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٦، ص ١٩١.

(١٦١) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٧.

(١٦٢) النعيمي، **الدارس**، ج ١، ص ٤٣١؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٤، ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٤؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٤٨. وسبقت الاشارة إلى أنه كان قبطياً عمل ناظراً للجيش ثم أسلم وحج مراراً وزار القدس.

(١٦٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ١٧٣ ــ ١٧٤؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٨٣.

(١٦٤) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٩٣؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٧، ص ٨٤.

(١٦٥) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٧؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٤٨.

(١٦٦) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٨٥ ــ ١٨٦؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١١، ص ٨٤ ــ ٨٥.

(١٦٧) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٩٣ ــ ١٩٤.

(١٦٨) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٣، ٢٣٤؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٧، ص ١٩٦.

(١٦٩) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣٤؛ والسخاوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٩ ــ ٢٦٠.

(١٧٠) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢١١ ــ ٢١٢.

(١٧١) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٥، ٢٤٣، ٢٤٥ ــ ٢٤٦؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٤٩؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ١٨٧.

(١٧٢) انظر الحاشية رقم (١٢٩).

(١٧٣) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٥٤.

(١٧٤) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٧.

(١٧٥) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٦ ــ ٣٦٧.

(١٧٦) العليمي، المصدر نفسه، ص ٢٣.

(١٧٧) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨.

(١٧٨) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٧؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٣٦٤.

(١٧٩) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦٢؛ وابن حجر، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٤؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٦، ص ٣٣٣.

(١٨٠) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٩٧ ــ ١٩٨.

(١٨١) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٤.

(١٨٢) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦٠ ــ ١٦١؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٣، ص ٣٣٦ ــ ٣٣٧.

(١٨٣) عبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ٢، ص ٢٧٠.

(١٨٤) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٠.

(١٨٥) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٣؛ وعبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ٢، ص ٢٢٠.

(١٨٦) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٤٣؛ وكرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ١٤٩؛ وعبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج ٢، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣.

(١٨٧) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٧ ــ ٤٢؛ ومحمد عبد الهادي شعيرة، **المرابطون**، ص ٣٩ ــ ٤٩.

ملحق نواب صفد:

(١) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص ٢٦١؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٩٠؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٥٤٧ — ٥٤٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ١٣٩.

(٢) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٢٣.

(٣) ابن الفرات، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٩٥.

(٤) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، ص ٦٣ — ٦٦؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٢٦٧، ٩٦٨.

(٥) الطراونة، **مملكة صفد**، ص ٢٧١.

(٦) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ٥٩.

(٧) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٨، ص ٩.

(٨) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٧٣٢.

(٩) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٨، ص ٩.

(١٠) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٩، ص ١٣٣؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٨، ص ٩.

(١١) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٨٤٩ — ٨٥٢.

(١٢) المقريزي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٠١.

(١٣) أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣، ص ٥٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٩٠٩.

(١٤) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٩٤٥.

(١٥) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٣؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٨، ص ١٧٤، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٦٨؛ وابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج ٢، ص ٣٦٧.

(١٦) أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٢، ص ٧٧؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٣، ص ٣٣٧ — ٣٣٨؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٧٥.

(١٧) ابن الوردي، **تتمة المختصر**، ج ٢، ص ٣٧٢؛ والذهبي، **دول الإسلام**، ج ٢، ص ١٦٤ — ١٦٥؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ٣٠؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ١٠٤ — ١٠٥.

(١٨) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ١١٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ٣٤.

(١٩) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦٢؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ٩، ص ٣٨.

(٢٠) ابن الوردي، **تتمة المختصر**، ج ٢، ص ٣٧٧.

(٢١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٢٤٤؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٣٩١، ٤٠٢ — ٤٠٣.

(٢٢) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٤، ص ٨٦ — ٨٧.

(٢٣) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٣٩١، ٤٠٢ — ٤٠٣.

(٢٤) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٣١٩ — ٣٢٠؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٤٠٦ — ٤٠٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ١٤٥ — ١٤٧.

(٢٥) ابن الوردي، **تتمة المختصر**، ج ٢، ص ٤٦٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٥٠٨.

(٢٦) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٥٨٣؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٣٥.

(٢٧) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٠٥، ٦١٣؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٦٣.

(٢٨) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٤٧؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٠٣.

(٢٩) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٨٧.

(٣٠) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٦٤٦؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٨٧.

(٣١) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٨١ — ٦٨٢، ٦٩٦ — ٦٩٩؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١١٨، ١٢٥.

(٣٢) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٠٨؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٢٥ — ١٣٤.

(٣٣) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٣٠؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٥٣.

(٣٤) ابن الوردي، **تتمة المختصر**، ج ٢، ص ٤٩١؛ والصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج ٨، ص ٣٥٢؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٢٢٢ — ٢٢٣؛ وصالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص ١٤١؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٧٣٨.

(٣٥) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٧٦١؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ١٩٢ — ١٩٣؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٢٣٦ — ٢٣٨.

(٣٦) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٢٤٣ — ٢٤٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٨٥١؛ وابن طولون، **أعلام الورى**، ص ٣٢.

(٣٧) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٢٢٠؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٢٧٧؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٨٧٥.

(٣٨) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٧؛ وابن صصرى، **الدرة المضيئة**، ص ١٨٧؛ وابن طولون، **اعلام الورى**، ص ٢٢ — ٢٣.

(٣٩) ابن طولون، **اعلام الورى**، ص ٢٤.

(٤٠) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٦٣ — ٦٦.

(٤١) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٦؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٤٠.

(٤٢) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨٤؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١١، ص ٣٥.

(٤٣) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨٤؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١١، ص ٣٥.

(٤٤) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٠؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١١، ص ٣٦.

(٤٥) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٩؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١١، ص ٣٧.

(٤٦) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٠؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١١، ص ٣٩.
(٤٧) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١٢٠.
(٤٨) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٤٥.
(٤٩) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٧٦، ١٨٣.
(٥٠) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ص ٣١٩؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١٧٦، ١٨٣؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ١٢٩.
(٥١) ابن حجر، انباء الغمر، ج ١، ص ٩؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١٩١.
(٥٢) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٢٠٥؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ١٣٤.
(٥٣) مصدر الحاشية السابقة.
(٥٤) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٢١٦.
(٥٥) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٩٩؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٢٢١.
(٥٦) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٢٢٤؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٦٤.
(٥٧) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٣٩؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١١، ص ٦٥.
(٥٨) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٢٦٨، ٣٠٤، ٣١٠ ــ ٣١١.
(٥٩) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٢٧.
(٦٠) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٢٧؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ١٦٤.
(٦١) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٣٤٧.
(٦٢) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٩٣؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ١٨٢.
(٦٣) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٣٩٣.
(٦٤) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٩٦؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٢٠٨، ٢١٢.
(٦٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٢١٢.
(٦٦) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١١، ص ٢٣٢.
(٦٧) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٩٠؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٢٩٧؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٦٥، ٦٨.
(٦٨) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٩٣؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢٣٣؛ والصيرفي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٩.
(٦٩) ابن حجر، انباء الغمر، ج ٢، ص ١٨٤.
(٧٠) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ق ١، ص ٣٢؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٥٨١؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٣.
(٧١) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ق ١، ص ٣٢؛ وابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ص ٢٤٣؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٥٨١.
(٧٢) ابن صصرى، الدرة المضيئة، ص ٢٣؛ وابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ق ١، ص ٧، ١٠؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٦٣٢، ٦٤٧؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٣٢٨.
(٧٣) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ق ١، ص ١٢٨؛ وابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ص ٢٨٤، ٤٠٥؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٦٤٨، ٦٦٧؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٢٤٢.
(٧٤) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ق ١، ص ١٨٨؛ وابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ص ٣٢٣؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٣٧١؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٢٨٦؛ وابن صصرى، الدرة المضيئة، ص ١٠٣.
(٧٥) ابن صصرى، الدرة المضيئة، ص ١٠٣، ١٢٩؛ وابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ق ٢، ص ٣٨٨.
(٧٦) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ق ٢، ص ٣٨٨، ٣٩٦؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٨١٨ ــ ٨١٩؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٣٩٢.
(٧٧) ابن صصرى، الدرة المضيئة، ص ١٧١.
(٧٨) ابن حجر، انباء الغمر، ج ٢، ص ٣٢٧؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٨٨٨؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٦٨ ــ ٦٩.
(٧٩) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٨٨٨؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٦٨ ــ ٦٩.
(٨٠) ابن حجر، انباء الغمر، ج ٢، ص ٢٩١؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٩٣١ ــ ٩٣٢؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٩٩، ١٨٠ ــ ١٨١؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤٦؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٥٥، ٧٠، ٧٧.
(٨١) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١٠٣٨؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٢٣١؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٨١.
(٨٢) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١٠٥٨؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٢، ص ١٧٧؛ والصيرفي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٦.
(٨٣) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٧٧؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢٧٧؛ والصيرفي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٦.
(٨٤) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٧٨؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٣٨٢؛ والصيرفي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٥ ــ ١٣٦.
(٨٥) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٩٨؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢٩٥؛ والصيرفي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٨.

(٨٦) ابن حجر، **انباء الغمر**، ج ٢، ص ٢٦١؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ١١٢١؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٢، ص ٣٠٣.

(٨٧) ابن حجر، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩٧؛ والمقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٦٧.

(٨٨) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ١٤، ٢٠؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٣، ص ٥١ ــ ٥٢.

(٨٩) ابن حجر، **انباء الغمر**، ج ٢، ص ٣٥٣؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٣٣.

(٩٠) ابن حجر، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢١؛ والمقريزي، المصدرنفسه، ج ٤، ص ٩٣.

(٩١) ابن حجر، **انباء الغمر**، ج ٢، ص ٤٢١؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٩٣.

(٩٢) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ١٣١؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٣، ص ١٠٥.

(٩٣) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٤٤؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٣، ص ١٠٦.

(٩٤) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٤٥؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٣، ص ١٠٦.

(٩٥) إبن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٣، ص ١١٨؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٢، ص ٢٧٤، ٢٨٢.

(٩٦) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ١٦٤، ١٧٢؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٣، ص ١٠٦.

(٩٧) ابن حجر، **انباء الغمر**، ج ٢، ص ٥١٢؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٢٣٢، ٢٦٨؛ والبدر العيني، **السيف المهند**، ص ٣١٩.

(٩٨) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٢٦٨.

(٩٩) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص ٢٣٩؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٣٠٩.

(١٠٠) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٣٠٩؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٤، ص ٢٩.

(١٠١) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٣١٧، ٣٤١؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٢، ص ٣٥٠، ٣٨٢.

(١٠٢) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٤١٣؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٤، ص ٥٦؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٢، ص ٣٩٣ ــ ٣٩٤، ٤٠٨؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٥، ص ٣٢.

(١٠٣) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٤٤١؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٤، ص ٦٥؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ٣٢.

(١٠٤) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٥٠٨، ٥٤٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٤، ص ٦٦ ــ ٦٧؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ٣٩.

(١٠٥) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٥٠٨، ٥٤٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٤، ص ٩٠؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٢، ص ٤٤٩، ٤٨٥؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ٥٠.

(١٠٦) الصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٣، ص ٧.

(١٠٧) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٦٠١، ٦١٤ ــ ٦١٥؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٢، ص ٥٠٩، و ج ٣، ص ٨.

(١٠٨) مؤرخ شامي مجهول، **حوليات دمشقية**، ص ١٨، ٣٨، ٤٩ ــ ٥٠، ٧٨، ٨٩ ــ ٩٠؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٦٢٨، ٦٥٤، ٦٧٧، ٧٠٥، ٧٣٣، ٧٦٤، ٩٠٢؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٥، ص ١٨، ٤٠، ١٨٤.

(١٠٩) مجهول، **حوليات دمشقية**، ص ٩٠، ١١٥؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٩٠٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٥، ص ٣٦؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٣، ص ٢٢٧؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ١٥٣.

(١١٠) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٩٧٦؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٥، ص ٧٨؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٣، ص ٣٤٩؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ١٦٩.

(١١١) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ٩٦٦؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٥، ص ٨٠ ــ ٨١؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ٣، ص ٣٧٠؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ١٧٢.

(١١٢) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ص ١٠٠٦؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٥، ص ٨١؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ١٧٤ ــ ١٧٥.

(١١٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٥، ص ٣٢٩؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ٢١٨.

(١١٤) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٣٦٣ ــ ٣٦٤؛ وابن إياس، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٤٣.

(١١٥) السخاوي، **التبر المسبوك**، ص ١١٤.

(١١٦) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٥، ص ٣٧٨؛ والسخاوي، **التبر المسبوك**، ص ١٨٢؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ٢٩٢.

(١١٧) السخاوي، **التبر المسبوك**، ص ٣٤٨، ٣٨١.

(١١٨) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٥، ص ٤٣٧، ٤٥١؛ والسخاوي، **التبر المسبوك**، ص ٣٨١؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٢٣؛ وابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ٢٩٢.

(١١٩) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ٣١، ٣٣٠.

(١٢٠) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣٠.

(١٢١) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٩٠.

(١٢٢) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٩٠.

(١٢٣) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٩٠.

(١٢٤) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٠٣.

(١٢٥) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٠٣.

(١٢٦) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤١٨؛ وابن طولون، **اعلام الورى**، ص ٥٨.

(١٢٧) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ٤٣٤؛ والصيرفي، **انباء الهصر بأبناء العصر**، ص ٦ ــ ٧، ١٣٦.
(١٢٨) الصيرفي، **انباء الهصر**، ص ٣٠٤.
(١٢٩) ابن الجيعان، **القول المستظرف**، ص ٩١ ــ ٩٢.
(١٣٠) الصيرفي، **انباء الهصر**، ص ٥٠٥.
(١٣١) الصيرفي، المصدر نفسه، ص ٥٠٥؛ وابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج ١، ص ٢٦، ٧٣.
(١٣٢) ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج ١، ص ٢٦، ٧٣.
(١٣٣) ابن طولون، المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٣، ٨٥.
(١٣٤) ابن طولون، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤١.
(١٣٥) ابن طولون، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٥.
(١٣٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٤.
(١٣٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٩، ١٨٤، ١٨٧؛ وابن طولون، **اعلام الورى**، ص ٨٥.
(١٣٨) ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج ١، ص ٢٢٠؛ وابن طولون، **اعلام الورى**، ص ٩٩.
(١٣٩) ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج ١، ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤.
(١٤٠) ابن طولون، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٣، ٢٨٦؛ وابن طولون، **اعلام الورى**، ص ١٣٨.
(١٤١) ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج ١، ص ٢٨٦، ٢٩١.
(١٤٢) ابن طولون، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩١؛ وابن طولون، **اعلام الورى**، ص ١٦٩.
(١٤٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٤، ص ١٦٢، ١٩٢، ٢٦٧.
(١٤٤) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٦٧.
(١٤٥) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٦٧، ٤٦٢، و ج ٥، ص ٤.
(١٤٦) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٣؛ وابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج ٢، ص ٢٥.

ملحق نواب غزة:

(١) أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧، ٢١٤؛ وابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٨٢١؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٤٣٣.
(٢) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٦٩٩ ــ ٧٠٠.
(٣) الصقاعي، **تالي وفيات الأعيان**، ص ١٦؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ٣٨ ــ ٣٩؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٧٣٣، ٧٥٣؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٨، ص ١٨٣.
(٤) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ٩٣؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٧٥٣، ٨٨١.
(٥) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٧٥٣.
(٦) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٨٤٧.
(٧) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٨، ص ١٩٠.
(٨) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٤٢١؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ٩٣٦ ــ ٩٣٧، و ج ٢، ص ٣٩.
(٩) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٤٦.
(١٠) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٣٩، ٥٢؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٤٢.
(١١) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٥٢، ٨٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ٢٦٧.
(١٢) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٨٧، ٨٩، ٣١٤؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ١٧ ــ ١٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨.
(١٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ٢٤ ــ ٢٥؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٦٢؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٨٩، ١٠١؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٣، ص ٣٣٥.
(١٤) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٧، ١٤٢، ٢٧١ ــ ٢٧٢؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ١٠١، ١٢٧، ١٧٦، ٢٠٩، ٦٧٤؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٦٢، ٩٧؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٢٦٦ ــ ٢٦٨؛ وابن الوردي، **تتمة المختصر**، ج ٢، ص ٢٣٤ ــ ٢٧٠؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٨١، ١١٠.
(١٥) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٣١٦؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ١٤٧.
(١٦) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٢٦٨، ٣١٧.
(١٧) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١٤ ــ ٣١٧.
(١٨) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٣٢٣؛ وابن الوردي، **تتمة المختصر**، ج ٢، ص ٢١٨.
(١٩) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٣٥٨، ٣٧٩؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٤، ص ١٦١؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٣٣٤؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ١٠٣.
(٢٠) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٣٧٩، ٤٠٣.
(٢١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٠٣.
(٢٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٩١، ٤٩٩؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ١٤٧؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٤٣٦؛ وابن طولون، **اعلام الورى**، ص ١٦؛ وابن الوردي، **تتمة المختصر**، ج ٢، ص ٣٢٥.
(٢٣) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٤٣ ــ ٤٤.
(٢٤) صلاح الدين الصفدي، **أمراء دمشق في الإسلام**، ص ٨٢، ١٦٥؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٧١٦ ــ ٧١٧، ٧٣٧، ٩٠٥؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٤، ص ١١٧ ــ ١١٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٨٠، ٢٩٢.
(٢٥) ابن صصرى، **الدرة المضيئة**، ص ١٨٥؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٥١٧، ٦٠٥، ٦٨٥؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٤٢١ ــ ٤٢٢؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٣٥، ٦٢، ١٠٥؛ وابن طولون، **اعلام الورى**، ص ١٩.

(٢٦) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٥٩٩ ـ ٦٠٠، ٦٠٧ ـ ٦٠٨، ٦١٠، ٧٥٤؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٤٢٢.

(٢٧) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٦٣٢ ـ ٦٣٣؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٣١٧ ـ ٣١٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٨٤.

(٢٨) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٦٥٧.

(٢٩) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٧٢؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٤٥٩.

(٣٠) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٦٩٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ١٢٥.

(٣١) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٤٥٠.

(٣٢) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٧٢١؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ١٥٥.

(٣٣) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٨٠٤ ـ ٨٠٧، ٨٣٣.

(٣٤) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٠٤ ـ ٨٠٧، ٨٣٣.

(٣٥) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٣، ٣٨ ـ ٣٩؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٨٢١؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٤٣٢؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٢١٨.

(٣٦) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٨٤٠.

(٣٧) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٢٢٠.

(٣٨) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٠، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٧؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٤٣٨.

(٣٩) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٤٣٧.

(٤٠) ابن حجر، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٤.

(٤١) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٢٨٠، ٢٨٨ ـ ٢٨٩؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٥٤.

(٤٢) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٢٥.

(٤٣) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٨٤؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٢٥.

(٤٤) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٩٩، ١٦٤؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٤٣٥؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٢٧.

(٤٥) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ١٢٨، ١٦٤، ١٧٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٣٥.

(٤٦) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ١٥٧.

(٤٧) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٧٧.

(٤٨) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٧٦.

(٤٩) ابن حجر، **انباء الغمر**، ج ١، ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٥٠) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٢٠٢.

(٥١) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٠٢.

(٥٢) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢١٩.

(٥٣) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٩، ق ٢، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٢١٩، ٧٥٥؛ وابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ص ٣٩٢؛ وابن حجر، **إنباء الغمر**، ج ١، ص ٧٧؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ١١٥ ـ ١١٦؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٦٣؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٧، ص ١٤٧.

(٥٤) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٢٢١.

(٥٥) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٢٢؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ١٦١.

(٥٦) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣١٨؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١١، ص ١٦١.

(٥٧) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٣١٥؛ وابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ص ١٧١، ٣٥٤.

(٥٨) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٢٠؛ وابن قاضي شهبة، المصدر نفسه، ص ٣٥٤؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ١٦٢.

(٥٩) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٣٣٧؛ وابن حجر، **انباء الغمر**، ج ١، ص ٣٨٧؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ١٦٤.

(٦٠) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٣٥٦؛ وابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ص ٢٦؛ وابن حجر، **انباء الغمر**، ج ١، ص ٢٩١؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٢٠٢.

(٦١) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٣٥٦، ٣٦٠، ٤٨٣؛ وابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ص ٢٦٨؛ وابن حجر، **انباء الغمر**، ج ١، ص ٣٠٠؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٢٣١.

(٦٢) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٥٩٧؛ وابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ص ٢٦٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٢٦٣.

(٦٣) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٩، ق ٢، ص ٢٨٠؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٥٩٥، ٦٠٤، ٦٦٣، ٦٦٧، ٦٩٥، ٧٣٤؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٢٨٨، ٣١٩، ٣٧٢؛ وابن صصرى، **الدرة المضيئة**، ص ٢٣؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ١، ص ٢٣٠.

(٦٤) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٩، ق ١، ص ١٨٨؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٧٤١؛ وابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ص ٣٢٨؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١١، ص ٣٧١؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ١، ص ٢٨٦.

(٦٥) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٩، ق ٢، ص ٢٥٣، ٣٣٤؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٧٤٠، ٧٨٣؛ وابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ص ٤٣٢، ٥٠٠؛ وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٢، ص ٢٤؛ والصيرفي، **نزهة النفوس**، ج ١، ص ٣٢٧.

(٦٦) ابن صصرى، **الدرة المضيئة**، ص ١٧١؛ وابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٩، ق ٢، ص ٣٣٤؛ والمقريزي، **السلوك**، ج ٢، ص ٧٨٣ ـ ٧٨٤، و ج ٣، ص ١٨٣؛ وابن قاضي شهبة، **تاريخ**

ابن قاضي شهبة، ص ٤٦٧؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٤٠ ـ ٤١؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ١٤٩، ٣١٤ ـ ٣٢٣.

(٦٧) ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ص ٥٨٣ ـ ٥٨٥، ٦٤٨؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٨٨٨.

(٦٨) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٨٨٩، ٨٩٠، ٩١٥، ٩٣١؛ وابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ص ٦٥٠؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٧٢، ٩١، ٩٩، و ج ١٣، ص ١٥ ـ ١٦؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٤٦٠، ٤٨١، ٤٨٧؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٤؛ والسخاوي، التبر المسبوك، ص ١٤٠.

(٦٩) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٩٣٠؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٥٠٠، و ج ٢، ص ٩، ٣١.

(٧٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ١٥؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٠؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣٨.

(٧١) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١٠٧٩؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٩٩، ٢٨٢؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٥٥، ٧٠.

(٧٢) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١٠٣٨؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٢٣١؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٣؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٨٢.

(٧٣) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١٠٨٢؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٨٦.

(٧٤) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١٠٦، و ج ٤، ص ١٨٠، ١٩٣، ٢٠١؛ وابن حجر، انباء الغمر، ج ٢، ص ٤٩٠؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ١٨٤؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ١٦٩، ٢٩٧؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢١٠.

(٧٥) المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١١٦٥ ـ ١١٦٧؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٣٢١.

(٧٦) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٧٥؛ وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٣٢٦؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٢١١.

(٧٧) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ١٠؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٤٩.

(٧٨) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٩٣.

(٧٩) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٥؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٩٦، ١٠٥، ١٨٥؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠؛ وابن حجر، انباء الغمر، ج ٢، ص ٤٩٠؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٨٠) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ١٧٢؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٢٨٣، ٣٣٣.

(٨١) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ١٧٢، ٢٠٤؛ وابن حجر، انباء الغمر، ج ٢، ص ٤٨٢؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٢٠٣؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٨٢) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٢٦٨؛ وابن حجر، انباء الغمر، ج ٣، ص ١٣.

(٨٣) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٧١؛ وابن حجر، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٤؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١١، ١٥؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٣٣؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٨٣.

(٨٤) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٢٨؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١٩٤؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٧؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ٧.

(٨٥) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٣٢٥، ٣٨٠، ٤٧٢؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣٤؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٨٢، ٤٢٦؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٨٦، و ج ١٠، ص ١٥٩.

(٨٦) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٥١٧ ـ ٥٢٠؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١٣٤ ـ ١٣٥؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٩٥، ٤٠٨، ٤٣٦، ٤٦٤.

(٨٧) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٥٢٠، ٥٤٧، ٥٥٠؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٩٣؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٤، ص ٤٦٤، ٤٦٦؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٦٨.

(٨٨) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٥٧٩، ٦١٥؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٨٩، و ج ١٥، ص ٨١؛ والصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٥٠٩، ٥٢٥؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٣٤٦.

(٨٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣١٩، و ج ١٥، ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٣٨؛ والسخاوي، التبر المسبوك، ص ٢٧٩.

(٩٠) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٧٨١، ٨٧٩؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠.

(٩١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٢٠، ٣٣، ١٨١.

(٩٢) مجهول، حوليات دمشقية، ص ١١٥.

(٩٣) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٩٩٠، ٩٩٦، ١٠٢٣؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٨٠ ـ ٨١، ٨٦، ٢١٣؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٣٨.

(٩٤) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ١٠٢٣؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٨٦ ـ ٨٧؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣١٥.

(٩٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٢٢٨، ٤٧٧؛ والمقريزي، السلوك، ج ٤، ص ١١٩٦؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٠.

(٩٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٣٣٧، ٥٠٨؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٠؛ والسخاوي، التبر المسبوك، ص ١٠٨.

(٩٧) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٥، ص ٣٦٨، ٥١٧ — ٥١٨؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١٠، ص ٢٩١؛ والسخاوي، **التبر المسبوك**، ص ١٢٩.

(٩٨) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٣٧٣، ٤٦٣؛ والسخاوي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٦١؛ والسخاوي، المصدر نفسه، ص ١٦٩، ١٧١.

(٩٩) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٣٧٣، ٤٣٧؛ والسخاوي، المصدر نفسه، ص ٣٨١؛ والسخاوي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٢٧٦.

(١٠٠) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٣٧٨ — ٣٧٩، ٥٣٢؛ والسخاوي، المصدر نفسه، ص ١٨٢؛ والسخاوي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٣.

(١٠١) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٣٨٧، ٤٣٠؛ والسخاوي، المصدر نفسه، ص ٢٢١، ٢٥٣، ٣٢٤.

(١٠٢) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٤٣٠؛ والسخاوي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٦؛ والسخاوي، المصدر نفسه، ص ٣٢٤ — ٣٤٤.

(١٠٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٢٠٩؛ وابن طولون، **اعلام الورى**، ص ٥٨؛ والصيرفي، **انباء الهصر**، ص ٣٠٤ — ٣٠٥.

(١٠٤) الصيرفي، **انباء الهصر**، ص ٣٠٤ — ٣٠٥؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٢٠٩.

(١٠٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٢٩٠.

(١٠٦) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ٤٠٣.

(١٠٧) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٠٤، ٤٣٤.

(١٠٨) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٣٤، ٤٦١.

(١٠٩) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٢٣؛ والصيرفي، **انباء الهصر**، ص ١٨٥، ٢٣٧؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٢، ص ٥٦ — ٥٧.

(١١٠) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٩٩، ٣٠٨، ٣١٠ — ٣١١.

(١١١) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٢٨٨؛ وابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج ١، ص ٥٢.

(١١٢) السخاوي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١٣؛ وابن طولون، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٢؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٣٨ — ٣٣٩، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٧٥، ٣٧٧.

(١١٣) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٦٩؛ وابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج ١، ص ١٥٠.

(١١٤) ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج ١، ص ١٧٤، ١٨٤.

(١١٥) ابن طولون، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٧.

(١١٦) ابن طولون، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٨.

(١١٧) ابن طولون، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٥ — ٢٣٧؛ وابن طولون، **اعلام الورى**، ص ١٢٣.

(١١٨) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٤، ص ٢٤.

(١١٩) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٨٢.

(١٢٠) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٨٥ — ٨٦.

(١٢١) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٣١ — ١٣٢.

(١٢٢) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤.

ملحق نواب القدس:

(١) ابن شاكر، **فوات الوفيات**، ج ١، ص ٣٠٧؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧١.

(٢) ابن شاكر، **فوات الوفيات**، ج ١، ص ١٥٢؛ وابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ١٧٠ — ١٧٢؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧١ — ٢٧٢؛ وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٦، ص ١٤٢.

(٣) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٣٨؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٥) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٦) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٧) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٨) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٨٥٩، ٨٩٨، ١٠٢٣، ١٠٦٥، ١١٣٩؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٩٣ — ٩٤، ٢٧٣.

(٩) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٣.

(١٠) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٤.

(١١) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٧١٠، ٧٥١؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٤.

(١٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٢٩٥؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٤.

(١٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٢٨٣.

(١٤) السخاوي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦٨؛ وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ١٦٥.

(١٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ١٣٣؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٥.

(١٦) السخاوي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٣؛ والعليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٥ — ٢٧٦.

(١٧) السخاوي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٧٤؛ والعليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٦.

(١٨) السخاوي، التبر المسبوك، ص ٢٦٤ — ٣٢١؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٣٥ — ٣٦؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٧.

(١٩) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١، ص ٢٨٨ — ٢٨٩، و ج ٦، ص ٢٣١؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢٠) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٨؛ وابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج ١، ص ٦٦؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ٣١١.

(٢١) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٢٢) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٥ ــ ٢٨٧.
(٢٣) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٧ ــ ٢٩٣.
(٢٤) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩٣؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٢١٨.
(٢٥) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩٥ ــ ٣١١؛ والسخاوي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٤ ــ ٧٥.
(٢٦) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣١١ ــ ٣١٩.
(٢٧) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١٩ ــ ٣٢٢.
(٢٨) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٢٢.
(٢٩) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٢٢ ــ ٣٢٥.
(٣٠) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ٦٥؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٢٥ ــ ٣٣١.
(٣١) السخاوي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٣ ــ ٦٤؛ والعليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣١ ــ ٣٣٦.
(٣٢) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٤٢ ــ ٣٥٨؛ والسخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٢١٨.
(٣٣) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٦٦٤.
(٣٤) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٥٨ ــ ٣٦١.
(٣٥) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦١ ــ ٣٦٧.

ملحق نظار الحرمين الشريفين:

(١) فضل بن فخر الصقاعي، تالي كتاب **وفيات الأعيان**، ط. دمشق، ١٩٧٤، ص ١٥ ــ ١٦؛ والصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج ٩، ص ٤٨٥؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٠.
(٢) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٤، ص ٥؛ وابن حبيب، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، ج ١، ص ٢١٨؛ والحنبلي، **شذرات الذهب**، ج ٥، ص ٤٤٣.
(٣) العليمي، **الإنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧١.
(٤) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٢.
(٥) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٤.
(٦) العليمي، المصدر نفسه.
(٧) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ١٩٢ ــ ١٩٣؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٦.
(٨) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٧، ص ٢٧٣؛ والعليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨.
(٩) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٧٨.
(١٠) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٠.
(١١) العليمي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٠ ــ ٢٨١.
(١٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٦.

المراجع

أولاً ــ المراجع العربية:

إبراهيم بن أبي الدم، **تاريخ ابن أبي الدم**، نسخة مصورة في مكتبة الباحث عن مخطوطة البودليان مارش ٦٠.

إبراهيم بن محمد الاصطخري، **المسالك والممالك**، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦١.

إبراهيم محمد علي مهدي، «إدارة القدس في عهد المماليك»، (رسالة لنيل شهادة الماجستير، غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٢.

أحمد بيلي، **حياة صلاح الدين الأيوبي**، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٦.

أحمد دراج، **وثائق دير صهيون بالقدس الشريف**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨.

أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية)، **الحسبة**، القاهرة، كتاب الجمهورية الديني، د. ت.

أحمد عبد الحليم يونس، **مدينة صفد في عهد المماليك**، (رسالة لنيل شهادة الماجستير، غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٩.

أحمد عبد الرزاق أحمد، **البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩.

أحمد بن عبد الله القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٠ ــ ١٩٢٠.

ــــــ، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٤.

ــــــ، **مآثر الانافة في معالم الخلافة**، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٤.

أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **انباء الغمر بأبناء العمر**، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٩.

ــــــ، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، طبعة مصورة، بيروت، دار الجليل، د. ت.

أحمد بن علي المقريزي، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٧.

ــــــ، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، بيروت، مطبعة إحياء العلوم، د. ت.

ــــــ، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥.

ــــــ، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٧٠ ــ ١٩٧٣.

ــــــ، **شذور العقود بذكر النقود**، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٧.

أحمد بن عمر بن رستة، **كتاب الأعلاق النفيسة**، ليدن، مطبعة برل، ١٨٩٢.

ـــــ، **المقفي الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليها**.

أحمد عيسى، **البيمارستانات في الإسلام**، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨١.

أحمد بن فضل الله، **التعريف بالمصطلح الشريف**، القاهرة، مطبعة العاصمة، ١٣١٢هـ.

أحمد بن فضلان، **رسالة ابن فضلان**، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٧.

أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩.

أحمد بن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٧.

أحمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان**، القاهرة، دار المأمون.

أحمد بن محمد بن الفقيه الهمذاني، **كتاب البلدان**، ليدن، مطبعة بيرل، ١٨٨٥.

أحمد مختار العبادي، **قيام دولة المماليك الأولى**، بيروت، دار النهضة العربية للنشر، ١٩٦٩.

أحمد اليونيني البعلبكي، **ذيل مرآة الزمان**، حيدرآباد/الهند، المطبعة العثمانية، ١٩٥٤.

إسماعيل بن الأثير الحلبي، **عبرة أولي الأبصار في ملوك الأمصار**، نسخة مصورة في مكتبة الباحث عن مخطوطة المتحف البريطاني (٣٣٤ــ٢٣).

إسماعيل بن علي (أبو الفداء صاحب حماة)، **تقويم البلدان**، باريس، ١٨٤٠.

ـــــ، **المختصر في أخبار البشر**، بيروت، مصورة دار المعرفة، د.ت.

إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٣٢.

إلهام مكي، **مملكة صفد في العهد المملوكي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب ــ الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٨.

أنتوني بردج، **تاريخ الحروب الصليبية**، (ترجمة عربية)، دمشق، دار قتيبة، ١٩٨٦.

أنور زقلمة، **المماليك في مصر**، القاهرة، مطبعة المجلة الجديدة، د.ت.

ايرامارفين لابيدوس، **مدن الشام في العصر المملوكي**، (ترجمة عربية)، دمشق، دار حسان، ١٩٨٥.

برتولد شبولر، **العالم الإسلامي في العصر المغولي**، (ترجمة عربية)، دمشق، دار إحسان، ١٩٨٢.

بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين**، (ترجمة عربية)، بغداد، المطبعة الشرقية، ١٩٤٥.

جعفر حسين خصباك، **العراق في عهد المغول الايلخانيين**، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٨.

جوزيف نسيم يوسف، **العدوان الصليبي على بلاد الشام**، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١.

ـــــ، **العدوان الصليبي على مصر**، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١.

ـــــ، **العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى**، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١.

جوناثان ايلي سميث، **الاسبتارية**، (ترجمة عربية)، دمشق، مركز الدراسات العسكرية، ١٩٨٤.

حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لايبزغ، ١٨٣٧.

الحسن بن عمر بن حبيب، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، القاهرة، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، ١٩٧٦.

حسنين محمد ربيع، **النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين**، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٤.

حكيم أمين عبد السيد، **قيام دولة المماليك الثانية**، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧.

حمزة بن أسد بن علي القلانسي، **كتاب تاريخ دمشق**، دمشق، دار إحسان، ١٩٨٣.

حياة ناصر الحجي، **أحوال العامة في حكم المماليك**، الكويت، شركة كاظمة للنشر، ١٩٨٤.

خليفة بن خياط العصفري، **تاريخ خليفة بن خياط**، دمشق، المعهد الألماني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٧.

خليل بن أيبك (الصلاح الصفدي)، **أمراء دمشق في الإسلام**، دمشق، المجمع العلمي العربي، ١٩٥٥.

ـــــ، **الوافي بالوفيات**، بيروت، المعهد الألماني، ١٩٤٩ ــ ١٩٧٩.

خليل بن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، باريس، المطبعة الجمهورية، ١٨٩٤.

خليل ضومط، **الدولة المملوكية**، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٠.

ر. سي. سميث، **فن الحرب عند الصليبيين**، (ترجمة عربية)، دمشق، مركز الدراسات العسكرية، ١٩٨٢.

رينيه غروسيه، **جنكيزخان**، (ترجمة عربية)، دمشق، دار إحسان، ١٩٨٢.

زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **كتاب آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت، دار صادر، ١٩٦٠.

ستيفن رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، (ترجمة عربية)، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٧.

سعيد عبد الفتاح عاشور، «أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك»، بحث ألقي في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٨٠.

ـــــ، **تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب**، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٦.

ـــــ، **الحركة الصليبية**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣.

ـــــ، **الظاهر بيبرس**، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٣.

ـــــ، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٢.

ـــــ، **مصر في عصر دولة المماليك البحرية**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩.

سهيل زكار، **أخبار القرامطة**، دمشق، دار إحسان، ١٩٨٢.

ـــــ، **الحروب الصليبية**، دمشق، دار إحسان، ١٩٨٤.

ـــــ، **حطين**، دمشق، دار إحسان، ١٩٨٤.

ـــــ، **مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية**، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٤.

السيد الباز العريني، **المماليك**، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٧.

صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، بيروت، دار المشرق، ١٩٦٧.
طاشكبري زاده، **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٥.
طه ثلجي الطراونة، **مملكة صفد في العصر المملوكي**، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢.
عادل زيتون، **العلاقات الاقتصادية بين المشرق والمغرب في العصور الوسطى**، دمشق، دار دمشق، ١٩٨٠.
عبد الجليل حسن عبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، عمان، مكتبة الأقصى، ١٩٨١.
عبد الحي بن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٩٣١ ـ ١٩٣٢.
عبد الرحمن بن إسماعيل (أبو شامة)، **الروضتين في أخبار الدولتين مع الذيل (تراجم رجال القرنين السادس والسابع)**، بيروت، دار الجيل، د.ت.
عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، **بغية الوفاة في طبقات اللغويين والنحاة**، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٥.
ـــــ، **تاريخ الخلفاء**، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٤.
ـــــ، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، القاهرة، المطبعة الشرقية، ١٣٢٧.
عبد الرحمن بن الجوزي، **فضائل القدس**، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠.
ـــــ، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، حيدرأباد ـ الهند، المطبعة العثمانية، ١٩٤٠.
عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥١.
ـــــ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٨.
عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، عمان، مكتبة المحتسب، ١٩٧٣، ومصر، المطبعة الوهبية ١٢٨٣هـ.
عبد الرحمن بن نصر الشيزري، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٩.
عبد الرحيم بن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، بيروت، المطبعة الأميركانية، ١٩٣٦، ١٩٤٢، وبغداد، مطبعة حداد، ١٩٦٧.
عبد القادر بن محمد النعيمي، **الدارس في أخبار المدارس**، دمشق، المجمع العلمي العربي، ١٩٤٨.
عبد الله بن أسعد اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٧٠.
عبد الله بن عبد الله ابن خرداذبة، **كتاب المسالك والممالك**، ليدن، مطبعة برل، ١٨٨٩.
عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، **كتاب مراصد الاطلاع**، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤.
عبد الله بن عبد الظاهر (محيي الدين)، **الألطاف الخفية**، لايبزغ، ١٩٠٢، د.ت.
ـــــ، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦١.
ـــــ، **الروض الظاهر في سيرة الملك الظاهر**، الرياض، المحقق، ١٩٧٦.
عبد الوهاب السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٣.
عدنان البخيت، **مملكة الكرك في العهد المملوكي**، عمان، جامعة اليرموك، ١٩٧٦.
علي إبراهيم حسن، **دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧.
علي أحمد، «الأندلسيون في بلاد الشام منذ نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري»، (رسالة ماجستير غير منشورة)، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة دمشق، ١٩٨٣.
علي ابن أبي بكر الهروي، **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، دمشق، المعهد الفرنسي، ١٩٥٣.
علي بن الحسن بن عساكر، **تاريخ دمشق**، مخطوطة الظاهرية، ٥٣١٦، عام ٢٠٥، د. دمشق، المجلدة الأولى والثانية، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، ١٩٥١، المجلدة العاشرة تحقيق أحمد دهمان، المجمع العلمي العربي، ١٩٦٣.
علي بن داود الصيرفي، **أنباء الهصر بأبناء العصر**، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٠.
ـــــ، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٠ ـ ١٩٧٤.
علي اللبودي، **فضل الاكتساب وأحكام الكسب وآداب المعيشة**، نسخة مصورة في مكتبة الباحث عن مخطوطة تشستربيتي ـ دبلن.
علي بن محمد، أبو الحسن، (ابن الأثير)، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣م.
ـــــ، **الكامل في التاريخ**، القاهرة، المطبعة المنيرية، ١٣٤٨هـ.
علي بن يوسف القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، لايبزغ، ١٩٠٣.
عمر بن أحمد بن العديم، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، دمشق، المعهد الفرنسي، ١٩٥١، ١٩٥٤، ١٩٦٨.
عمر بن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٠.
فاروق عمر، **تاريخ فلسطين السياسي في العصور الإسلامية**، أبو ظبي، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣.
فايد حماد عاشور، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٤.
فضل الله الصقاعي، **تالي وفيات الأعيان**، دمشق، المعهد الفرنسي، ١٩٧٤.
فولفغانغ مولر ـ فيز، **القلاع أيام الحروب الصليبية**، (ترجمة عربية)، دمشق، مركز الدراسات العسكرية، ١٩٨٢.
قسطنطين خمار، **أسماء الأماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة في فلسطين حتى عام ١٩٤٨**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠.
كامل جميل العسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨٢.
محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، القاهرة، كتاب الشعب، ١٩٦٠ ـ ١٩٦١.

محمد بن أحمد بن بسام المحتسب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٨.
محمد أحمد دهمان، ولاة دمشق في عهد المماليك، دمشق، دار الفكر، ١٩٨١.
محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، دول الإسلام، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.
محمد بن أحمد القرشي (ابن الاخوة)، معالم القربة في أحكام الحسبة، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٦.
محمد بن أحمد المقدسي، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٦.
محمد بن جبير، رحلة ابن جبير، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٥٥.
محمد بن جرير الطبري، كتاب تاريخ الرسل والملوك، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٧.
ـــــ، دولة الظاهر بيبرس، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٠.
محمد بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت.
محمد بن خليل الأسدي، التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٧.
محمد بن رافع السلامي، الوفيات، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢.
محمد بن سالم بن واصل الحموي، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الجزء الثاني، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٧.
محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، القاهرة، ١٩٥١.
محمد بن الشحنة (ينسب له)، البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر محمد بن قايتباي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٣.
محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (شيخ الربوة)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط. مصورة، بغداد، مكتبة المثنى.
محمد بن طولون الصالحي الدمشقي، اعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق والشام الكبرى، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٤.
ـــــ، قضاة دمشق، دمشق، (المجمع العلمي العربي)، ١٩٥٦.
ـــــ، مفاكهة الخلان، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٢.
محمد بن عبد الرحمن السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، ط. القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت.
ـــــ، الذيل على رفع الإصر عن قضاة مصر، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.
ـــــ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار الحياة، طبعة مصورة، د.ت.
محمد بن عبد الرحمن العثماني، قطعة من تاريخ صفد، انظر قائمة المصادر غير العربية.
محمد العبدري الحيحي، رحلة العبدري أو (الرحلة المغربية)، الرباط، جامعة محمد الخامس، ١٩٦٨.
محمد عبد العزيز مرزوق، الناصر محمد بن قلاوون، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت.
محمد بن عبد الله اللواتي (المعروف بابن بطوطة)، رحلة ابن بطوطة، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٨.
محمد عبد الهادي شعيرة، المرابطون، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٩.
محمد بن عبد الواحد الحنبلي، فضائل بيت المقدس، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٥.
محمد بن علي بن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، دمشق، المعهد الفرنسي، ١٩٦٢.
ـــــ، تاريخ الملك الظاهر، بيروت، المعهد الألماني، ١٩٨٣.
محمد بن علي الحموي، التاريخ المنصوري، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٨٢.
محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٤٨هـ.
محمد علي العظيمي، تاريخ حلب، دمشق، المحقق، ١٩٨٤.
محمد عيسى صالحية، حوليات كلية الآداب، من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية، الرسالة السادسة والعشرون، الكويت، ١٩٨٥.
محمد كرد علي، خطط الشام، دمشق، مكتبة النوري، ١٩٨٣.
محمد بن محمد بن صصرى، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، كاليفورنيا، ١٩٦٣.
محمد بن محمد (العماد الأصفهاني)، الفتح القسي في الفتح القدسي، القاهرة، مطبعة الموسوعات، ١٣٢١هـ.
محمد بن محمود الحلبي (الملقب بابن أجا)، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٦.
محمد بن محمود بن خليل الحلبي، تاريخ الأمير يشبك الظاهري، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٣.
محمد بن يحيى بن الجيعان، القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، بيروت، جروس ــ برس، ١٩٨٤.
محمود بن أحمد بن موسى (بدر الدين العيني)، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ المحمودي)، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧.
ـــــ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢.
مصطفى طه بدر، مغول إيران بين المسيحية والإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٥ ــ ١٩٧٦.
ـــــ، الموجز في تاريخ الدول الإسلامية وعهودها في فلسطين، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١.
مظهر شهاب، تيمورلنك، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، الجامعة اليسوعية، بيروت، ١٩٨١.
منصور بن بعرة الذهبي، كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، بيروت، ١٩٨١.

مؤرخ شامي مجهول، حوليات دمشقية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨.

المورد، مجلة تراثية فصلية، «الفكر العسكري عند العرب»، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، بغداد، ١٩٨٣.

ناصر خسرو، سفر نامه، (ترجمة عربية)، القاهرة، ١٩٤٥.

نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، بيروت، محمد أمين دمج وشركاه، ١٩٤٥.

نقولا زياده، «فيلكس فابري في فلسطين»، (بحث ألقي في المؤتمر الثالث لبلاد الشام)، عمان، ١٩٨٠.

ياقوت بن عبد الله الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، القاهرة، دار المأمون، ١٩٠٧ ـ ١٩٢٧.

ــــــ، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، د.ت.

يوسف بن تغري بردي، (أبو المحاسن)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٦.

ــــــ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة،ط.. مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، د.ت.

يوسف غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، عمان، دار الفكر، ١٩٨٢.

ــــــ، تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٧٩.

ــــــ، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، عمان، دار الحياة، ١٩٨٢.

ثانياً ـ المراجع الأجنبية:

Archer, T.A., *The Crusades*, New York, G.P. Putman's Sons, 1894.

Atiya, Aziz Suryal, *Crusade Commerce and Culture*, Indiana, Indiana University Press, 1962.

Dunlop, D.M., *The History of the Jewish Khazars*, New York, Schocken Books, 1967.

Joinville, Jean de, *The Life of Saint Louis*, London, Penguin, 1963.

Lavarge, Margaret Wade, *Saint Louis*, London, Eyre and Spottiswood, 1958.

Legman, G., *The Guilt of the Templars*, New York, Basic Books, 1966.

Le Strange, Guy, *Palestine under the Moslems*, Beirut, Khayats, 1965.

Lewis, Bernard, «An Arabic Account of the Province of Safad», *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, Vol. XV, London, 1953.

Mayer, L. A., *Arabic Inscriptions of Gaza*, Vol. V, Jerusalem, 1925; Vol. IX, Jerusalem, 1929; Vol. X, Jerusalem, 1930; Vol. XI, Jerusalem, 1931.

Mirsky, Jeannette, *The Great Chinese Travellers*, London, George Allen and Unwin, Ltd., 1965.

Runciman, Steven, *A History of the Crusades*, London, Penguin, 1965.

Setton, Kenneth, (ed.), *A History of the Crusades*, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 1958-1962.

Zakkar, Suhayl, *The Emirate of Aleppo*, 1004-1094, Beirut, Dar al-Amanah and al-Risalah, 1971.